للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف "بابن الأثير" الجزري الملقب بعز الدين
المتوفى سنة "٦٣٠" هـ

من سنة ٣٠٩ لغاية سنة ٣٨٨ للهجرة

راجعه وصححه

الدكتور محمد يوسف الدقاقه

المجلد السابع

منشورات

لنشر كتب السنة والجماعة

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة

ذكر قتل ليلى بن النعمان الديلمي

في هذه السنَّة قتل ليلى بن النعمان الديلمي ، وكان هذا ليلى أحد قوَّاد أولاد الأطروش العلويّ، وكان إليه ولاية جرجان، وكان قد استعمله عليها الحسن بن القاسم، الداعي سنة ثمان وثلاثمائة. وكان أولادُ الأطروش يكاتبونه المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله ﷺ ليلى بن النعمان . وكان كريماً بذَّالاً للأموال شُجاعاً مِقدَاماً على الأهوال. وسار من جرجان إلى الدامغان فحاربه أهلها فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وعاد إلى جرجان فابتنى أهل الدامغان حصناً يحميهم ، وسار قراتكين إليه بجرجان ، فحاربه على نحو عشرة فراسخ من جرجان فانهزم قراتكين . واستأمن غُلامَه بارس إلى ليلى ومعه ألف فارس ، فأكرَمَهُ ليلى وزوَّجه أخته . واستأمن اليه أبو القاسم بن حفص ابن اخت أحمد بن سهل فأكَرَمَهُ ليلى . ثم إن الأجناد كَثروا على ليلى بن النعمان فضاقت الأموال عليه . فسار نحو نيسابورَ بأمر الحسن بن القاسم الداعي ، وتحريض أبي القاسم بن حفص . وكان بها قراتكين فورَدَها في ذي الحجة سنة ثمانٍ وثلاثمائة، وأقام بها الخطبة للداعي ، وأنفذ السعيد نصر من بخارى إليه حمويه بن عليّ فالتقوا بطوس ، واقتتلوا فانهزم أكثر أصحاب حمويه بن عليّ حتى بلغوا مرو ، وثبت حمويه ومحمد بن عبدالله البلغمي . وأبو جعفر صعلوك ، وخوارزم شاه ، وسيمجور الدواتي ، فاقتتلوا فانهزم بعض أصحاب ليلى ومضى ليلى منهزماً.

فدخل ليلى سكة لم يكنْ له فيها مخرجٌ ولحِقَه بغرا فيها فلم يقدر ليلى على الهرب فنزل وتوارى في دار ، فقبض عليه بغرا وأنفذ إلى حمويه ، فأعلمه بذلك فانفذ من قطع رأس ليلى ، ونصبهُ على رمح ، فلما رآه أصحابه طلبوا الأمان ، فأمنوا ، ثم قال حمويه للجند : قد مكَّنكُم الله من شياطين الجيل والديلم ، فأبيدوهم واستريحوا

منهم أبدَ الدهر ، فلم يفعلوا . وحامى كل قائد جماعةً ، فخرج منهم من خرج بعد ذلك . وكان قتل ليلى في ربيع الأول سنة تسع وثلاثمائة، وحُمِلَ رأسه إلى بغداد ، وبقي بارس غلام قراتكين بجرجان .

وقيل : إن حمويه لما سار إلى قتال ليلى قيل له : إن ليلى يستبطئك في قصده فقال : إني ألبس أحد خفيّ للحرب العام ، والآخر في العام المقبل ، فبلغ قوله ليلى فقال : لكنّي ألبس أحد خفيّ للحربِ قاعداً والثاني قائماً وراكباً ، فلما قُتِلَ ، قال حمويه : هكذا من تعجل إلى الحرب .

ذكر قتل الحسين الحلاّج

في هذه السنة قتل الحسين بن منصور الحلاّج الصوفي وأُحرق . وكان إبتداء حاله أنه كان يظهر الزهد والتصوّف ، ويظهر الكرامات ، ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، ويمد يده إلى الهواء ، فيعيدهامملوءةً دراهم عليها مكتوب قُلْ هو الله أحد ، ويسميها دراهم القدرة ، ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوا في بيوتهم ، ويتكلم بما في ضمائـرهم فافتتن بـه خلق كثير ، واعتقـدوا فيه الحلول ، والجملة فان الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح عليه السلام . فمن قائل : إنه حلَّ فيه جزء إلهي ، ويدّعي فيه الربوبية . ومن قائل : إنه ولّي الله تعالى ، وأن الذي يظهر منه، من جملة كرامات الصالحين. ومن قائل: إنه مشعبذ وممخرق وساحر كذاب ومتكهِّن، والجن تطيعه، فتأتيه بالفـاكهة في غيـر أوانها . وكـان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة ، فأقام بها سنة في الحجر لا يستـظلُّ تحت سقفٍ ، شتاء ولا صيفاً . وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له القوام كوز ماء ، وقرصاً فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من جوانبها فيأكلها . ويترك الباقي ، فيأخذونه ولا يأكل شيئاً آخر إلى الغد آخر النهار .

وكان شيخ الصوفية يومئذ بمكة عبدالله المغربي فأخذ أصحابه ، ومشى إلى زيارة الحلاّج فلم يجده في الحجر وقيل له : قد صعد إلى جبل أبي قبيس ، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوفَ الرأسِ والعرق يجري منه إلى الأرض ، فأخذ أصحابه ، وعاد ولم يكلّمْهُ فقال : هذا يتصبّر ويتقوّى على قضاء الله سوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته ، وعاد الحسين إلى بغداد . وأما سبب قتله فإنه نقل عنه عند عوده إلى

بغداد إلى الوزير حامد بن العبّاس ، أنه أحيا جماعة وانه يحيي الموتى وان الجن يخدمونه ، وانهم يحضرون عنده ما يشتهي ، وأنهم قدموه على جماعة من حواشي الخليفة، وان نصراً الحاجب قد مال إليه وغيره ، فالتمس حامد الوزير من المقتدر بالله ان يسلم إليه الحلاج وأصحابه ، فدفع عنه نصر الحاجب فألحَّ الوزير ، فأمر المقتدر بتسليمه إليه فأخذه، وأخذ معه إنساناً يُعرفُ بالشّمري وغيره قيل: إنهم يعتقدون أنه إله، فقرّرهم فاعترفوا أنهم قد صحَّ عندهم، أنه إله، وانه يحيي الموتى، وقابلوا الحلّاج على ذلك، فأنكره وقال: أعوذ بالله أن أدَّعي الربوبية أو النبوة، وإنما أنا رجل أعبدُ الله عزَّ وجل، فأحضر حامد القاضي أبا عمرو، والقاضي أبا جعفر بن البهلول، وجماعة من وجوه الفقهاء، والشهود، فاسفتاهم فقالوا: لا يفتي في أمره بشيء إلا أن يصحّ عندنا ما يوجب قتله، ولا يجوز قبول قول من يدَّعي عليه. ما ادعاه إلّا ببينةٍ أو قرارٍ.

وكان حامد يخرج الحلّاج إلى مجلسه ويستنطقه ، فلا يظهر منه ما تكرّهه الشريعة المطهرة . وطال الأمر على ذلك وحامد الوزير مجد في أمره ، وجرى له معه قصص يطول شرحها ، وفي آخرها ، أنّ الوزير رأى له كتاباً حُكِيَ فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ، ولم يمكنه أفرد من داره بيتاً لا يلحقه شيء من النجاسات ، ولا يدخله أحد ، فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله وفعل ما يفعله الحاج بمكة ، ثم يجمع بين ثلاثين يتيماً ويعمل أجود الطعام يمكنه ، واطعمهم في ذلك البيت ، وخدمهم بنفسه ، فاذا فرغوا كساهم ، واعطى كلَّ واحد منهم سبعة دراهم ، فإذا فعل ذلك كان كمن حجَّ ، فلما قرىء هذا على الوزير ، قال القاضي أبو عمرو للحلّاج : من اين لك هذا ؟ قال : من كتاب الإخلاص للحسن البصري ، قال له القاضي : كذبت يا حلّال الدم ، قد سمعناه بمكة ، وليس فيه هذا . فلما قال له : يا حلال الدم ، وسمعها الوزير قال له : اكتب بهذا فدافعه أبو عمرو ، فالزمه حامد ، فكتب بإباحة دمه ، وكتب بعده من حضر المجلس .

ولما سمع الحلّاج ذلك قال : ما يحلُّ لكم دمي واعتقادي الإسلام ومذهبي السنّة ، ولي فيها كتب موجودة فالله الله في دمي وتفرّق الناس . وكتب الوزير الى الخليفة يستأذنه في قتله ، وأرسل الفتاوى إليه فأذِنَ في قتله ، فسلمه الوزير الى صاحب الشرطة فضربه ألف سوط فما تأوه ، ثم قطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم

قُتِلَ وأُحرِقَ بالنار . فلما صار رمادا ألقي في دجلة ونصب الرأس ببغداد . وأرسل إلى خراسان لأنه كان له بها أصحاب فأقبل بعض أصحابه يقولون : انه لم يقتل وإنما ألقي شبهه على دابة وانه يجيء بعد أربعين يوماً . وبعضهم يقول : لقيته على حمار بطريق النهروان ، وأنه قال لهم : لا تكونوا مثل هؤلاء البقر الذين يظنون أني ضربت وقتلت .

ذكر عدة حوادث

وفيها في ربيعِ الأول ، وقع حريقٌ كبير في الكرخ ، فأحترق فيه بشرٌ كثير . وفيها استعمل المقتدر على حرب الموصل، ومعونتها محمد بن نصر الحاجب في جُمادى الأولى ، وسار إليها فيه . فلما وصل إليها أوقع بمن خالفه من الأكراد المارانية فقتل وأسر ، وأرسل إلى بغداد نيفاً وثمانين أسيراً فشهروا . وفيها قُلِّدَ داود بن حمدان ديار ربيعة . وفيها توفِّي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي الصوفي من كبار مشايخهم وعلمائهم[١] . وأبو إسحاق إبراهيم بن هارون الحرّاني الطبيب وأبو محمد عبدالله بن حمدون النديم .

---

(١) كان موافقاً للحلاج في بعض اعتقاده على ضلاله فعاقبه الوزير حامد بن العباس بالضرب البليغ على شدقيه، وأمر بنزع خفيه وضربه بهما على رأسه حتى سال الدم من منخريه ، ومات بعد سبعة أيام من ذلك ، وكان قد دعا على الوزير بأن تقطع يداه ورجلاه ويقتل شر قتلة فمات الوزير بعد مدة كذلك .

ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة

ذكر حرب سيمجور مع أبي الحسين بن العلويّ

قد ذكرنا قتل ليلى بن النعمان وان جرجان تخلّف بها بارس غلام قراتكين ، فلما قتل ليلى بن النعمان عاد قراتكين إلى جرجان ، فاستأمن إليه غلامه بارس فقتله قراتكين ، وانصرف عن جرجان ، وقدمها أبو الحسين بن الحسن بن عليّ الأطروش العلوي الملقَّب والده بالناصر ، وأقام بها . فانفذ اليه السعيد نصر بن أحمد سِيمجور الدواتي في أربعة آلاف فارس ، فنزل عل فرسخين من جرجان وحاصرَ أبا الحسين نحو شهر من هذه السنة . وخرج إليه أبو الحسين في ثمانية آلاف رجل من الدَّيلم والجرجانية ، وصاحب جيشه سرخاب بن وهسوذان ابن عم ما كان بن كالي الديلمي فتحاربا حرباً عظيمة ، وكان سيمجور قد جعل كميناً من أصحابه فأبطؤا عنه فانهزم سيمجور ووقع أصحاب أبي الحسين في عسكر سيمجور ، واشتغلوا بالنّهب والغارة، فخرج عليهم الكمين بعد الظفر فقتلوا من الديلم ، والجرجانية نحو أربعة آلاف رجل .

وانهزم أبو الحسين ورَكِبَ في البحر ثم عاد إلى استرأباذ واجتمع اليه كل اصحابه. وكان سرخاب قد تبع سيمجور في هزيمته. فلما عاد رأى أصحابه مقتلين مشرّدين ، فسار الى استراباذ ، واستصحب معه عيال أصحابه ومخلفيهم ، واقام بها مع أبي الحسين بن الناصر ثم سمع سيمجور بظفر أصحابه فعاد اليهم وأقام بجرجان ، ثم اعتلّ سرخاب ومات .

ورجع ابن الناصر الى سارية واستخلف ما كان بن كالي على استراباذ ، فاجتمع إليه الديلم ، وقدَّموه وأمَّروه على أنفسهم ، ثم سار محمد بن عبيدالله البلغمي ، وسيمجور الى باب استراباذ وحاربوا ما كان بن كالي ، فلما طال مقامهم اتفقوا معه على أن يخرج عن استراباذ الى سارية وبذلوا له على هذا مالاً ، ليُظهِرَ للناس أنهم قد

افتتحوها ، ثم ينصرفون عنها ويعود إليها ففعل وسار إلى سارية . ثم رحلوا عن استراباذ الى جرجان ثم إلى نيسابور ، وجعلوا بغراً باسترأباذ ، فلما اسروا عنها عاد إليها ما كان بن كالي ففارقها بغراً الى جرجان ، وأساء السيرة في أهلها . وخرج إليه ما كان ، فرجع بغرا إلى نيسابور ، وأقام ما كان بجرجان ، ونحن نذكر ابتداء حال ما كان ، وننقلها عند قتله سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

ذكر خروج إلياس بن إسحاق بن أحمد بن أسد السّاماني

ثم خرج إلياس بن إسحاق بن أحمد المقدم ذكره أنه خرج مع أبيه وانهزم إلى فرغانة . فلما بلغ فرغانة اقام بها إلى أن خرج ثانياً واستعان عند خروجه بمحمد بن الحسين بن مت ، وجمع من الترك فاجتمع معه ثلاثون الف عنان ، فقصد سمرقند مشاقاً للسعيد نصر بن أحمد . فسيَّر إليه نصر أبا عمرو محمد بن أسد وغيرَه في ألفين وخمسمائة رجل ، فكمنوا خارج سمرقند يوم ورود إلياس . فلما وردها واشتغل هو ومن معه بالنزول خرج الكمين عليه من بين الشجر ، ووضعوا السيّوف فيهم . فانهزم إلياس وأصحابه . فوصل إلياس إلى فرغانة ، ووصل ابن مت إلى اسبيجاب ومنها إلى ناحية طراز . فكوتِبَ دهقان الناحية التي نزلها وأُطمِع وقبضَ عليه ، وقتله وأنفذَ رَأسَهُ إلى بُخارى . وكان ابن مت شجاعاً ، وكان قد سخَّر جِمالاً عند خروجه فجاء أصحابها يطلبونها منه فقال: سأردها عليكم ببغداد ـ يعني أنه لا يرد شيئاً من بغداد ثقة بكثرة جمعه وقوته ـ فجاءت الأقدار بما لم يكن في الحساب . ثم عاد إلياس فخرج مرة ثالثة وأعانه أبو الفضل بن أبي يوسف صاحب الشاش ، فسيَّر إليه محمد بن اليُسعِ فحاربهم ، فانهزم إلى كاشغر وأُسِرَ أبو الفضل وحَمِلَ إلى بُخارى فمات بها . وأما إلياس فصاهر دهقان كاشغر طغانتكين واستقرَّ بها ، ثم ولى محمد بن المظفر فرغانة ، فرجع إليها الياس بن إسحاق معانداً ، فحاربه محمد بن المظفر فهزمه مرة اخرى فعاد إلى كاشغر ، فكاتبه محمد بن المظفر واستماله ولطف به فأَمَن إلياس إليه وحضر إلى بُخارى ، فأكرمه السعيد وصاهره ، وأقام معه .

ذكر وفاة محمد بن جرير الطبري

وفي هذه السنة توفيّ محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين ، ودفن ليلاً بداره لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهاراً

وادَّعوا عليه الرَّفض، ثم ادّعوا عليه الإلحاد، وكان عليّ بن عيسى يقول: والله لو سُئِل هؤلاء عن معنى الرّفض والإلحاد ما عرفوه، ولا فهموه»، هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الأمم ، وحاشى ذلك الإمام عن مثل هذه الأشياء ، وأما ما ذكره من تَعصَّبِ العامة فليس الأمر كذلك وإنما بعض الحنابلة تعصَّبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم ، ولذلك سببٌ وهو أن الطبري جمع كتاباً ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنّف مثله ، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل ، فقيل له في ذلك فقال : لم يكن فقيهاً ، وإنما كان محدّثاً فأشتدَّ ذلك على الحنابلة ، وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد ، فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا .

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالناسُ أعداءٌ له وخصومُ
كضرائرِ الحسناءِ قُلْنَ لوجهها حسداً وبُغضاً انه لدميمُ

وقد ذكرت شيئاً من كلامِ الأئمة في ابي جعفر يعلم منه محله في العلم والثقة ، وحسن الاعتقاد . فمن ذلك ما قاله الإمام أبو بكر الخطيب بعد أن ذكر من روى الطبري عنه ومن روى عن الطبري فقال: وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركْهُ فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتابِ الله عارفاً بالقراآت بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الأحكام ومسائل الحلال والحرام ، خبيراً بأيام الناس وأخبارهم . وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك ، والكتاب الذي في التفسير لم يصنف مثله . وله في اصول الفقه ، وفروعه كتبٌ كثيرة ، واخبار من اقاويل الفقهاء ، وتفرد بمسائل حُفِظَتْ عنه ، وقال أبو أحمد الحسين بن عليّ بن محمد الرازي : أول ما سألني الإمام أبو بكر بن خزيمة قال لي : كتبت عن محمد بن جرير الطبري ؟ قلت : لا ، قال : لِمَ ؟ قلت لا يظهر وكانت الحنابلة تمنع من الدخول عليه فقال : بئسما فعلت ليتك لم تكتب عن كل من كتبت عنه وسمعت عن أبي جعفر ، وقال حسينك ـ واسمه الحسين بن علي التميمي ـ عن ابن خزيمة نحو ما تقدم ، وقال ابن خزيمة حين طالع كتاب التفسير للطبري : ما أعلم على أديم الأرض أعلم من أبي جعفر ، ولقد ظلَمْته الحنابلة ، وقال ابو محمد عبدالله بن أحمد الفرغاني ، بعد أن ذكر تصانيفه :

وكان أبو جعفر ممن لا يأخذه في الله لومة لائم ولا يعدل في علمه وتبيانه عن حق يلزمه لربه وللمسلمين إلى باطل لرغبة ولا رهبة مع عظيم ما كان يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد ، وأما أهل الدين والورع فغير منكرين علمه وفضله ، وزهده وتركه الدنيا مع اقبالها عليه ، وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة، ومناقبه كثيرة لا يحتمل ههنا أكثر من هذا .

ذكر عدة حوادث

فيها أَطلِقَ المقتدرُ يوسفَ بن أبي السّاج من الحبس بشفاعة مؤنس الخادم وحُمِلَ اليه . ودخل إلى المقتدر وخلع عليه[1] ثم عقد له على الري ، وقزوين ، وأبهر ، وزنجان ، وأذربيجان ، وقرّر عليه خمسمائة ألف دينار محمولة كل سنة إلى بيت المال سوى أرزاق العساكر الذين بهذه البلاد. وخلع في هذا اليوم على وصيف البكتمري ، وعلى طاهر ، ويعقوب ابني محمد بن عمرو بن الليث. وتجهَّزَ يوسف وضمَّ إليه المقتدر بالله العساكر مع وصيف البكتمري ، وسار عن بغداد في جُمادى الآخرة الى أذربيجان ، وأمر ان يجعل طريقه على الموصل وينظر في أمر ديار ربيعة فقَدِمَ إلى الموصل ونظر في الأعمال؛ وسار إلى أذربيجان فرأى غلامه سبكاً قد مات. وفيها قلّد نازوك الشرطة ببغداد[2] . وفيها وصلت هدية إلى أبي زنبور الحسين بن أبي أحمد الماذرائي [3] من مصر وفيها بغلة معها فلو يتبعها ، ويرضع منها ، وغلام طويل اللسان يلحق لسانُه أرنبةَ أنفه . وفيها قبض المقتدر على أم موسى القهرمانة . وكان سبب ذلك أنها زوَّجَتْ أختها من أبي العباس أحمد بن محمد بن إسحاق ابن المتوكل على الله ، وكان محسناً له نعمة ظاهرة ، ومروءة حسنة وكان يرشّحُ للخلافة . فلما صاهرته أكثرت من النثار والدعوات وخسِرَتْ أموالاً جليلة فتكلَّم أعداؤها وسعَوا بها إلى المقتدر ، وقالوا : إنها قد سعت لأبي العبّاس في الخلافة ، وحَلَفَتْ له القواد ، وكثر

---

(١) قال في البداية والنهاية ١١/١٥٥ . دار الكتب العلمية ببيروت : « وردت إليه أمواله » .

(٢) وكان متقلداً شرطتها قبله محمد بن عبد الصمد فلما ضعف عن القيام بها لما حصل من العامة وهو أن عروساً زفت إلى زوجها بناحية سوق الشتاء ، فخرج بعض الناس فأخذها وأدخلها إلى داره وفجرَ بها فعزله السلطان وولى الشرطة نازوك المعتضدي فبانت صرامته من أول يوم وقام بالأمر قياماً لم يقمْ مثله أحد.

(٣) في بعض النسخ المادراني .

القولُ عليها فقبض عليها وأخذ منها أموالاً عظيمة وجواهرَ نفيسة[١] .

وفيها غزا المسلمون في البرّ والبحر، فغنموا وسلموا. وفيها كان بالموصل شغب من العامة وقتلوا خليفة محمد بن نصر الحاجب بها . فتجهَّزَ العسكر من بغداد إلى الموصل . وفيها في جُمادى الآخرة انقضَّ كوكب عظيم له ذَنَب في المشرق في برج السنبلة طوله نحو ذراعين . وفيها سار محمد بن نصر الحاجب من الموصل الى الغزاة على قاليقلا ، فغزا الروم من تلك الناحية . ودخل أهل طرسوس ملطية فظفروا وبلغوا من بلاد الروم والطفر بهم مالم يظنُّوه وعادوا . وفيها توفيّ أبو عبدالله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي الأديب ، أخذ العلم عن ثعلب والرياشي[٢] وحج بالناس هذه السنة إسحاق بن عبد الملك الهاشمي .

---

(١) وكان حاصل ما حمل إلى بيت المال من جهتها ألف ألف دينار .

(٢) كان اماماً في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب . وله تصانيف مفيدة فمن ذلك كتاب الخيل . وكتاب مناقب بني العباس . وكتاب أخبار اليزيديين وله مختصر في النحو . « واليزيدي » نسبة إلى يزيد بن منصور .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

ذكر عزل حامد وولاية ابن الفرات

في هذه السنة في ربيع الآخر عزل المقتدر حامدَ بن العباس عن الوزارة وعليّ بن عيسى عن الدواوين وخلع على أبي الحسن بن الفرات ، وأعيدَ إلى الوزارة . وكان سبب ذلك ان المقتدر ضجر من استغاثة الأولاد والحرم والخدم والحاشية من تأخيرِ أرزاقهم ، فإن عليّ بن عيسى كان يؤخرها فإذا اجتمع عدّة شهور أعطاهم البعض ، واسقط البعض وحطَّ من ارزاقِ العمَّال كل سنة شهرين وغيرهم ممن له رزق ، فزادت عداوة الناس له ، وكان حامد بن العباس قد ضجر من المقام ببغداد وليس إليه من الأمر شيء ، غير لبسِ السوادِ وأنِفَ من أطراح عليّ بن عيسى بجانبه فإنه كان يهيِّنُـه في توقيعاته بالإطلاق عليه لضمانه بعض الأعمال . وكان يكتب ليطلق جهبذَ الوزير ، أعزه الله ، وليبادر نائب الوزير .

وكان إذا شكى إليه بعض نواب حامد يكتب على القصة ، إنما عقد الضمان على النائب الوزيري عن الحقوق الواجبة السلطانية ، فليتقدم إلى عماله بكفِّ الظلم عن الرَّعية ، فاستأذن حامد ، وسار إلى واسط ، لينظرَ في ضمانه ، فأذن له ، وجرى بين مُفلح الأسود وبين حامد كلام ، قال له حامد : « لقد همَمْتُ ان اشتري مائة خـادم اسود ، واسمِّيهم مُفلحاً وأهبهم لغلماني » . فحقِدَهُ مُفلح وكان خصيصاً بالمقتدر ، فسعى معه المحسن بن الفرات لوالده بالوزارة وضمن أموالاً جليلة . وكتب على يده رقعة يقول : ان يسلم الوزير ، وعليّ بن عيسى ، وابن الحواري ، وشفيع اللؤلؤي ، ونصر الحاجب ، وأم موسى القهرمانة والماذرائيون[1] يستخرج منهم سبعة آلاف الف دينار .

---

(١) في نسخة « المادرانيون » بالدال المهملة والنون.

وكان المحسن مطلقاً ، وكان يواصل السعاية بهؤلاء الجماعة وذكر ابن الفرات للمقتدر ما كان يأخذه ابن الحواري كـل سنة من المـال ، فاستكثـره ، فقُبِضَ على عليّ بن عِيسى في ربيع الآخر ، وسُلِّم إلى زيدان القهرمانة ، فحبسته في الحُجرة التي كان ابن الفرات محبوساً فيها . وأُطلِقَ ابن الفرات ، وخلع عليه وتولّى الوزارة ، وخلع على ابنه المحسن، وهذه الوزارة الثالثة لابن الفرات. وكان أبو عليّ بن مقلة سعى بابن الفرات ، وكان يتقلّد بعض الأعمال ايام حامد فحضر عند ابن الفرات وكان ابن الفرات هو الذي قدم ابن مقلة ورباه، واحسنَ إليه، ولمـا قيل عنـه: إنه سعى بـه ولم يصدِّق ذلك منه تكرر ذلك منه ، ثم أن حامداً صعد من واسط فسيَّر اليه ابن الفرات من يقبض عليه في الطريق ، وعلى أصحابه فقبض على بعض اصحابه وسَمِعَ حامد فهرب واختفى ببغدادَ ، ثم إن حامداً لَبِسَ زي راهب وخرج من مكانه الذي اختفى فيه ومشى الى نصر الحاجب ، فاستأذن عليه فأذن له ، فدخـل عليه وسـأله ايصـال حالـه الى الخليفة، فاستدعى نصر مُفلِحاً الخادم وقال: «هذا يستأذنُ إلى الخليفة إذا كان عند حرمه» فلمـا حضر مُفلح فـرأى حامـداً قال: « أهـلاً بمولانـا الوزيـر أين مماليكُـكَ السوادن الذين سميَّتَ كلَّ واحدٍ منهم مُفلحاً » ؟ فسأله نصر أن لا يؤاخذه وقال له : حامد يسأل ان يكون محبسه في دار الخليفة ، ولا يسلّم الى ابن الفرات ، فدخل مفلح وقال ضد ما قيل له فأمر المقتدر بتسليمه الى ابن الفرات ، فأرسل اليه فحبسه في دار حسنـة ، وأجرى عليـه من الطعـام والكسوة والـطيب وغيـر ذلـك مـا كـان لـه وهـو وزير ، ثم أحضره وأحضر الفقهاء والعمال وناظره على ما وصل اليه من المال وطالبه به فاقرّ بجهات تقارب الف الف دينار ، وضمنه المحسن بن ابي الحسن بن الفرات من المقتدر بخمسمائة ألف دينار . فسلمه اليه فعذَّبهُ بأنواعِ العذاب وأنفذه الى واسط مع بعض أصحابه ليبيعَ ماله بواسط ، وأمرهم بأن يسقوه سُماً فسقوه سُماً في بيضٍ مشوي ، وكان طلبه فأصابه إسهال ، فلمـا وصل إلى واسط أفـرط القيامَ بـه وكان قـد تسلّمه محمد بن عليّ البزوفري[1] ، فلما رأى حاله أحضر القاضي والشهود ليشهدوا عليه أن ليس له في أمره صنع . فلما حضروا عند حامد قال لهم : إن أصحاب المحسن سقوني

---

(١) استوزره المقتدر سنة ست وثلاثمائة وكان أولاً على نظر فارس وأضيف إليها البصـرة وكان كثيـر المال والغلمان كان كثير النفقات جواداً كريماً سخياً كثير المروءة غير أنه كان في شراسة خلق .

سُماً في بيضٍ مشوي ، فأنا اموت منه وليس لمحمد في أمري صنعٌ ، لكنَّه قد أخذ قطعة من أموالي وأمتعتي وجعل يحشوها في المساور ، وتباع المسورة في السوق بمحضر من أمين السلطان بخمسة دراهم ، ووضع عليها من يشتريها ، ويحملها اليه فيكون فيها امتعة تساوي ثلاثة آلاف دينار فأشهدوا على ذلك ، وكان صاحب الخبر حاضراً فكتب ذلك وسيّره ونَدِمَ البزوفري على ما فعل ، ثم مات حامد في رمضان من هذه السنة .

ثم صُودِرَ عليّ بن عيسى بثلاثمائة ألف دينار[1] فأخذه المحسن بن الفرات ليستوفي منه المال فعذَّبه وصفعَهُ فلم يؤدِ اليه شيئاً ، وبلغ الخبر الوزير أبا الحسن بن الفرات ، فأنكر على ابنه ذلك لأن علياً كان محسناً إليهم أيام ولايته ، وكان قد اعطى المحسن وقت نكبته عشرة آلاف درهم ، وأدى عليّ بن عيسى مال المصادرة وسيَّره ابن الفرات الى مكة وكتب إلى أمير مكة ليسيِّره الى صنعاء ، ثم قبض ابن الفرات على أبي عليّ بن مقلة ، ثم أطلقه .

وقبض على ابن الحواري وكان خصيصاً بالمقتدر وسلّمه الى ابنه المحسن فعذّبه عذاباً شديداً وكان المحسن وقحاً سيء الأدب ظالماً ذا قسوة شديدة . وكان الناس يسمُّونَهُ الخبيث ابن الطيب ، وسيَّر ابن الحواري إلى الأهواز ليستخرج منه الأموال التي له ، فضربه الموكل به حتى مات . وقبض ايضاً على الحُسين بن أحمد ، ومحمد بن عليّ الماذرائيين . وكان الحسين قد تولّى مصر والشام فصادرهما على الف الف دينار وسبعمائة الف دينار ، ثم صادر جماعة من الكتّاب ونكبهم . ثم إن ابن الفرات خوَّفَ المقتدر من مؤنس الخادم ، وأشار عليه بأن يسيره عن الحضرة إلى الشام ليكون هنالك ، فسمع قوله وأمره بالمسير . وكان قد عاد من الغزاة فسأل أن يقيمَ عدة أيام بقيت من شهر رمضان فأُجِيْبَ الى ذلك ، وخرج في يوم شديد المطر ، وسبب ذلك أن مؤنساً لما قَدِمَ ذكر للمقتدر ما اعتمده ابن الفرات من مصادرات الناس وما يفعله ابنه من تعذيبهم وضربهم الى غير ذلك من أعمالهم ، فخافه ابن الفرات فأبعده عن المقتدر .

---

(١) قال في البداية والنهاية ١١/١٥٩ : وصودر قوم آخرون من كتّابه ـ أي من كتّاب علي بن عيسى ـ فكان جملة ما أخذ من هؤلاء مع ما كانت صودرت به القهرمانة من الذهب شيئاً كثيراً جداً ، آلاف ألف من الدنانير وغير ذلك من الأثاث والاملاك والدواب والأواني من الذهب والفضة .

ثم سعى ابن المقتدر بنصر الحاجب وأطمع المقتدر في ماله وكثرته فالتجأ نصر إلى أم المقتدر فمنعته من ابن الفرات[١] .

ذكر القرامطة

وفيها قصد أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الهجري البصرة فوصلها ليلاً في ألف وسبعمائة رجل ومعه السلاليم الشعر ، فوضعها على السور وصَعدَ أصحابه ، ففتحوا الباب وقتلوا الموكلين به ، وكان ذلك في ربيع الآخر . وكان على البصرة سبك المفلحي ، فلم يشعر بهم إلاّ في السَّحر ، ولم يعلم أنهم القرامطة بل اعتقد أنهم عرب تجمعوا فركب إليهم ولقيهم فقتلوه ، ووضعوا السَّيفَ في أهل البصرة . وهرب الناس إلى الكلأ وحاربوا القرامطة عشرة أيام فظفر بهم القرامطة وقتلوا خلقاً كثيراً وطرح الناس أنفسهم في الماء فغرق أكثرهم ، وأقام ابو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها ما يقدر عليه من المال والأمتعة والنساء والصبيان فعاد إلى بلده ، واستعمل المقتدر على البصرة محمد بن عبدالله الفارقي فانحدر اليها وقد سار الهجري عنها .

ذكر استيلاء ابن ابي السَّاج على الري

في هذه السنة سار يوسف بن أبي الساج من أذربيجان إلى الرّي فحاربه أحمد بن عليّ أخو صعلوك فانهزم اصحاب أحمد ، وقُتِلَ هو في المعركة ، وأنفذ رأسه الى بغدَاد ، وكان احمد بن عليّ قد فارق أخاه صعلوكاً وسار الى المقتدر فأقطع الري كما ذكرناه ، ثم عصى وهادن ما كان بن كالي ، وأولاد الحسن بن عليّ الأطروش ـ وهم بطبرستان وجرجان ـ وفارق طاعة المقتدر وعصيَ عليه ، ووصل رأسه إلى بغداد، وكان ابن الفرات يقع في نصر الحاجب ويقول للمقتدر : إنه هو الذي أمر أحمد بن عليّ بالعصيان لمودة بينهما . وكان قتل أحمد بن عليّ ، آخر ذي القعدة ، واستولى ابن ابي السّاج على الري ودخلها في ذي الحجَّة من السنة ، ثم سار عنها في أول سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة الى همذان واستخلف بالري غلامه مفلحاً فأخرجه اهل الري عنهم

---

(١) في تجارب الأمم أن ام المقتدر كلمت ابنها وقالت له : قد أبعد ابن الفرات مؤنساً عنك وهو سيفك وثقتك ، ويريد الآن ان ينكب حاجبك ليتمكن منك فيجازيك على ما عاملته به من إزالة نعمه وهتك حرمه ، فليت شعري بمن تستعين عليه إن أراد بك مكروهاً » .

فلحق يوسف ، وعاد يوسف الى الري في جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة واستولى عليها .

ذكر عدة حوادث

وفيها غزا مؤنس المظفر بلاد الروم فغنم وفتح حصوناً ، وغزا ثمال أيضاً في البحر فغنم من السبي ألف رأس ، ومن الدواب ثمانية آلاف رأس ، ومن الغنم مائتي الف رأس ، ومن الذهب والفضة شيئاً كثيراً . وفيها ظهر جراد كثير بالعراق فأضّر بالغلات والشجر وعظم . وفيها استُعمل بني بن نفيس على حرب أصبهان .

وفيها توفي بدر المعتضدي بفارس ـ وهو أميرها ـ وولّى ابنه محمد مكانه[1] وفيها توفي أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري الصوفي وهو من مشاهير مشايخهم[2] الجريري بضم الجيم ، وأبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج النحوي صاحب كتاب معاني القرآن[3] .

---

(١) هو بدر بن عبد الله الحمامي الكبير أبو النجم المعتضدي كان أولاً مع ابن طولون فولّاه الأعمال الجليلة ثم جهزه خمارويه إلى الشام لقتال القرمطي فواقعه وقتله ثم وُلي من قبل الخلفاء أصبهان وغيرها إلى أن مات على عمل مدينة فارس وكان أميراً ديناً شجاعاً وجواداً محباً للعلماء والفقراء .

(١) صحب سريا السقطي وكان الجنيد يكرمه ويحترمه وكان موصوفاً بالصلاح والديانة وحسن الادب .

(٢) كان فاضلاً ديناً حسن الاعتقاد وله المصنفات الحسنة المفيدة . وكان أول امره يخرط الزجاج فأحب علم النحو فذهب إلى المبرّد وكان يعطي المبرد كل يوم درهماً ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات وكان الزجاج مؤدباً للقاسم بن عبيد الله توفي في جمادى الأولى منها .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

ذكر حادثة غريبة

في هذه السنة ظهر في دارٍ كان يسكنها المقتدر بالله إنسان اعجميٌّ وعليه ثياب فاخرة وتحتها مما يلي بدنه قميص صوفٍ ومعه مقدحة وكبريت ومحبرة وأقلام وسكين وكاغد ، وفي كيس سويق وسكر وحبل طويل من قنب يقال : إنه دخل مع الصنّاع فبقي هناك ، فَعطِشَ فخرج يطلبُ الماء فأخذ . فاحضروه عند ابن الفرات فسأله عن حاله فقال: لا أخبرُ إلاّ صاحب الدار فرفق به فلم يخبرْهُ بشيء وقال: «لا أخبرُ إلا صاحب الدار»، فضربوه ليقرِّروهُ فقال: «بسم الله بدأتم بالشرّ». ولزم هذه اللفظة . ثم جعل يقول بالفارسية : ندانم ، معناه لا ادري . فأمر به فأحرق . وأنكر ابن الفرات على نصر الحاجب هذه الحال حيث هو الحاجب وعظم الأمر بين يدي المقتدر ونسبه الى أنه اخفاه ليقتل المقتدر فقال نصر : لم أقتلْ أميرَ المؤمنينَ وقد رفعني من الثرى الى الثريا ؟ إنما يسعى في قتله من صادره ، وأخذ أمواله ، وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه . وصار لابن الفرات بسبب هذا حديث في معنى نصر .

ذكر أخذ الحاج

في هذه السنة سار أبو طاهر القرمطي إلى الهبير في عسكر عظيم ليلقي الحاج سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، في رجوعهم من مكة . فاوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج ، وكان فيها خلقٌ كثيرٌ من أهل بغدادَ فنهبهم. واتصلَ الخبرُ بباقي الحاج، وهم بفيد فأقاموا بها حتى فني زادُهم، فارتحلوا مسرعين. وكان أبو الهيجاء بن حمدان قد أشار عليهم بالعود إلى وادي القرى وأنهم لا يقيمون بفيد فاستطالوا الطريق ولم يقبلوا منه ، وكان الى أبي الهيجاء طريق الكوفة وكثير الحاج . فلما فني زادهم ساروا على طريق الكوفة فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم وأسروا أبا الهيجاء . وأحمد بن كشمرد

ونحرير وأحمد بن بدر عم والدة المقتدر . وأخذ أبو طاهر جمال الحجاج جميعها وما أراد من الأمتعة والأموال والنساء والصبيان وعاد الى هجر ، وتُرِكَ الحاج في مواضعهم فمات أكثرهم جوعاً وعطشاً من حرِّ الشمسِ وكان عمر أبي طاهر حينئذ سبع عشرة سنة .

وانقلبت بغداد واجتمع حرم المأخوذين إلى حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وجعلنَ ينادينَ القرمطي الصغير أبو طاهر قتل المسلمين في طريق مكة والقرمطي الكبير ابن الفرات قد قتل المسلمين ببغدادَ ، وكانت صورة فظيعة شنيعة . وكَسَّرَ العامةُ منابرَ الجوامعِ وسوّدوا المحاريب يوم الجمعة لستٍ خلونَ من صفر ، وضَعُفَتْ نفسُ ابن الفرات ، وحضر عند المقتدر ليأخذَ أمره فيما يفعله ، وحضر نصر الحاجب المشورة فانبسطَ لسانُه على ابن الفرات ، وقال له : الساعةُ تقول أي شيء نصنع وما هو الرأي ؟ بعد ان زعزعت أركان الدولة وعرضّتها للزوال في الباطن بالميلِ مع كل عدو يظهر ومكاتبته ومهادنته ، وفي الظاهر بإبعادك مؤنساً ومن معه إلى الرِّقة ، وهم سيوف الدولة فمن يدفع الآن هذا الرجل إن قصد الحضرة أنت أو ولدك ؟ وقد ظهر الآن أن مقصودَك بإبعاد مؤنس ، وبالقبض عليَّ وعلى غيري أن تستضعفَ الدولة وتقوّي أعداؤها لتشفي غيظَ قلبِكَ ممن صادرك وأخذ أموالك . ومن الذي سلم الناس إلى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما من التشيع والرفض وقد ظهر أيضاً أن ذلك الرجل العجمي كان من اصحاب القرمطي وأنت أوصلته ، فحلفَ ابن الفرات انه ما كاتب القرمطي ولا هاداه ولا رأى ذلك الأعجمي إلاّ تلك الساعة والمقتدر معرض عنه ، وأشار نصر على المقتدر أن يحضرَ مؤنساً ومن معه ففعل ذلك، وكتب إليه بالحضور فسار إلى ذلك ونهض ابن الفرات فركب في طيارة فرجمه العامة حتى كاد يغرق وتقدم المقتدر إلى ياقوت بالمسير إلى الكوفة، ليمنعها من القرامطة فخرج في جمع كثير ومعه ولداه المظفر ومحمد فخرج على ذلك العسكر مال عظيم، وورد الخبر بعدو القرامطة فعطّل مسير ياقوت، ووصل مؤنس المظفر إلى بغداد، ولما رأى المحسن ابن الوزير ابن الفرات انحلال أمورهم أخذ كلُّ من كان محبوساً عنده من المصادرين فقتلهم لأنه كان قد أخذ منهم أموالاً جليلة، ولم يوصلها إلى المقتدر، فخافَ أن يقرُّوا عليه .

ذكر القبض على الوزير ابن الفرات وولده المحسن

ثم إن الأرجاف كَثُرَ على ابن الفرات ، فكتب الى المقتدر يعرِّفهُ ذلك وإن الناس

انما عادوه لنصحه وشفقته وأخذ حقوقه منهم ، فانفذ المقتدر إليه يسكِّنهُ ويطيِّبُ قلبه ، فركب هو وولده إلى المقتدر فأدخلهما إليه فطيَّب قلوبهما ، فخرجا من عنده فمنعهما نصر الحاجب من الخروج ووكَّل بهما . فدخل مفلح على المقتدر واشار عليه بتأخير عزله فأمر باطلاقهما فخرج هو وابنه المحسن فأما المحسن فإنه اختفى ، وأما الوزير فإنه جلس عامة نهاره يمضي الأشغال الى الليل ثم بات مفكراً ، فلما اصبح سمعه بعض خدمه ينشد .

وأصبحَ لا يدري وإنْ كان حازماً　　　اقدامُه خيرٌ له أم وراءُهْ

فلما اصبح الغد وهو الثامن من ربيع الأول ، وارتفع النهار أتاه نازوك ، وبليق في عدَّةٍ من الجند فدخلوا الى الوزير ـ وهو عند الحَرَمِ ـ فأخرجوه حافياً مكشوف الرأس ، وأُخِذَ إلى دجلة ، فألقى عليه يلبق[١] طيلساناً غطى به رأسه ، وحُمِلَ الى طيَّار فيه مؤنس المظفر ومعه هلال بن بدر ، فاعتذر اليه ابن الفرات وألان كلامه فقال له : أنا الآن الأستاذ ، وكنت بالأمس الخائن السَّاعي في فساد الدولة وأخرجتني والمطر على رأسي ورؤوس أصحابي ، ولم تمهلني . ثم سلم إلى شفيع اللؤلؤي فحُبِسَ عنده ، وكانت مدَّةُ وزارته هذه عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً . وأُخِذَ أصحابُهُ وأولادهُ ، ولم ينجُ منهم إلّا المحسن فإنه اختفى ، وصودر ابن الفرات على جملة من المال مبلغها ألف ألف دينار .

ذكر وزارة ابي القاسم الخاقاني

ولما تغيّر حال ابن الفرات سعى عبدُالله بن محمد بن عبدالله بن يحيى بن خاقان أبو القاسم بن أبي عليّ الخاقاني في الوزارة . وكتب خطَّه أنه يتكفَّل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألفي ألف دينار . وسعى له مؤنس الخادم ، وهارون بن غريب الخال ، ونصر الحاجب[٢] . وكان أبو عليّ الخاقاني والد ابي القاسم مريضاً شديد المرض وقد تغيّر عليه لكبر سنه ، فلم يعلم بشيء من حال ولده ، وتولّى ابو القاسم

---

(١) في نسخة « بليق » .

(٢) بيّن ابن مسكويه في كتابه تجارب الأمم السبب الذي توصل به أبو القاسم الخاقاني إلى الوزارة قال : « كان أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقاني استتر في أيام وزارة ابن الفرات الثالثة وأبوه أبو علي شديد العلة وقد أسن وتغير فهمه ، ولما اضطرب أمر ابن الفرات عند ما جرى على إلحاج ما جرى سعى عليه أبو القاسم الخاقاني وعلى ابنه المحسن ، وعمل لهما عملاً وسعى له في ذلك نصر الحاجب إلخ .

الوزارة ، تاسع ربيع الأول وكان المقتدر يكرهه ، فلما سمع ابن الفرات ـ وهو محبوس ـ بولايته قال : الخليفة هو الذي نكب لا أنا ـ يعني أن الوزيرَ عاجزٌ لا يعرف أمر الوزارة ـ ولما وزرَ الخاقاني شَفعَ اليه مؤنس الخادم في إعادة عليّ بن عيسى من صنعاء إلى مكة . فكتب إلى جعفر عامل اليمن في الأذن لعليّ بن عيسى في العود إلى مكة ففعل ذلك . واذن لعليّ في الاطلاع على اعمال مصر والشام ، ومات أبو علي الخاقاني في وزارة ولده هذه .

ذكر قتل ابن الفرات وولده المحسن

وكان المحسن ابن الوزير ابن الفرات مختفياً كما ذكرنا ، وكان عند حماته حزانة[١] وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، وكانت تأخذه كل يوم الى المقبرة وتعود به الى المنازل التي يثق بأهلها عشاء وهو في زي امرأة فمضت يوماً الى مقابر قريش ، وأدركها الليل فبعد عليها الطريق ، فأشارت عليها امرأة معها ان تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير تختفي عندها . فأخذت المحسن وقصدت تلك المرأة ، وقالت لها : معنا صبية بكر نريد بيتاً نكون فيه . فأمرتهم بالدخول الى دارها وسلّمت اليهم قبة في الدار فأُدخِلْنَ المحسن اليها وجلسْنَ النساء الذين معه في صفة بين يدي باب القبة . فجاءت جارية سوداء قرأت المحسن في القبة فعادت الى مولاتها فأخبرتها أن في الدار رجلاً[٢] فجاءت صاحبتها فلما رأته عرفته ، وكان المحسن قد أخذ زوجها[٣] ليصادره فلما رأى الناس في داره يجلدون ويشقصون ويعذبون مات فجأة ، فلما رأت المرأة المحسن وعرفته ركبت في سفينة وقصدت دار الخليفة ، وصاحت معي نصيحة لأمير المؤمنين ، فأحضرها نصر الحاجب فأخبرته بخبر المحسن فانتهى ذلك الى المقتدر ، فأمر نازوك صاحب الشرطة ان يسير معها ، ويحضره فأخذها معه الى منزلها ودخل المنزل واخذ المحسن وعاد به الى المقتدر فردّه الى دار الوزير فعُذبَ بأنواع العذاب[٤] ليجيب الى مصادرة يبذلها فلم يجبهم إلى دينار واحد وقال: لا اجمع لكم بين نفسي

---

(١) في تجارب الأمم « حنزابة »

(٢) في تجارب الأمم « وكان المحسن قد نزع ثيابه فاطلعت الجارية السوداء من حيث لا يشعر المحسن ولا حنزابة في البيت وعلمت أنه رجل فانصرفت واخبرت مولاتها الخ .

(٣) وهو محمد بن نصر وكيل علي بن عيسى .

(٤) الذي تولى تعذيبه ابن بعدشر .

ومالي ، واشتدَّ العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام فلما علم ذلك المقتدر أمر بحمله مع ابيه الى دار الخلافة ، فقال الوزير ابو القاسم لمؤنس وهارون بن غريب الخال ونصر الحاجب ، ان ينقل ابن الفرات الى دار الخلافة بذل أمواله واطمع المقتدر في أموالنا ، وضمننا منه وتسلَّمنا فاهلكنا ، فواضعوا القواد والجند حتى قالوا للخليفة : « إنه لا بد من قتل ابن الفرات وولده فاننا لا نأمن على أنفسنا ما داما في الحياة » وترددت الرسائل في ذلك ، واشار مؤنس وهارون بن غريب ونصر الحاجب بموافقتهم وإجابتهم الى ما طلبوا ، فأمر نازوك بقتلهما فذبحهما كما يذبح الغنم .

وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الأحد صائماً فأتى بطعام فلم يأكله، فأتى أيضاً بطعام ليفطرَ عليه فلم يفطر وقال: رأيْتُ أخي العباس في النوم يقول لي : أنت وولدك عندنا يوم الاثنين ولا شك أننا نقتل، فقتل ابنه المحسن يوم الاثنين لثلاث عشرة خلَتْ من ربيع الآخر. وحُمِلَ رأسه إلى أبيه فارتاع لذلك شديداً، ثم عرض أبوه على السيف فقال: ليس إلاّ السيف راجعوا في أمري فإن عندي أموالاً جمة وجواهر كثيرة، فقيل له: جُلَّ الأمر عن ذلك وقتل. وكان عمره احدى وسبعين سنة وعمر ولده المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة، فلما قُتِلا حُمِل رأساهما إلى المقتدر بالله فأمر بتغريقهما. وقد كان أبو الحسن بن الفرات يقول: ان المقتدر بالله يقتلني فصح قوله، فمن ذلك أنه عاد من عنده يوماً وهو مفكر كثير الهمِّ فقيل له في ذلك فقال: كنت عند أمير المؤمنين فما خاطبته في شيء من الأشياء إلا قال لي : نعم فقلت له: الشيء وضده، ففي كل ذلك يقول: نعم فقيل له : هذا لحسن ظنه بك وثقته بما تقول واعتماده على شفقتك فقال: لا واللّهِ ولكنه اذنٌ لكل قائل وما يؤمني أن يقال له بقتل الوزير فيقول: نعم والله انه قاتلي(١). ولما قتِل ركب هارون بن غريب مسرعاً إلى الوزير الخاقاني وهنأه بقتله فأُغمِيَ عليه حتى ظن هارون ومن هناك أنه قد مات، وصرخ أهله وأصحابه عليه. فلما أفاق من غشيته لم يفارقه هارون حتى أخذ منه ألفي دينار. وأما أولاده سوى المحسن فإن مؤنساً المظفر شَفع في ابنيه عبدالله وأبي نصر، فأطلقا له فخلع عليهما ووصلهما بعشرين ألف دينار، وصودَر ابنه الحسن على عشرين ألف دينار وأطلق إلى منزله. وكان الوزير أبو

---

(١) في تجارب الامم « ان العاصمي المنجم حكم في تلك السنة انه يخاف فيها على ابن الفرات نكبة وتلفاً بالسيف.

الحسن بن الفرات كريماً ذا رياسة وكفاية في عمله حسن السؤال والجواب، ولم يكن له سيئة إلا ولده المحسن. ومن محاسنه أنه جرى ذكر أصحاب الأدب وطلبة الحديث، وما هم عليه من الفقر والتعفف فقال: أنا أحق من اعانهم، وأطلق لأصحاب الحديث عشرين ألف درهم، وللشعراء عشرين ألف درهم، ولأصحاب الأدب عشرين ألف درهم، وللفقهاء عشرين ألف درهم، وللصوفية عشرين ألف درهم، فذلك مائة ألف درهم. وكان إذا ولّي الوزارة ارتفعت اسعارُ الثلج والشمع والسكر والقراطيس لكثرة ما كان يستعملها ويخرج من داره للناس. ولم يكن فيه ما يُعابُ به إلاّ أن أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون ويظلمون فلا يمنعهم. فمن ذلك أن بعضهم ظلم امرأة في ملك لها فكتبت إليه تشكو منه غير مرة وهو لا يردُّ لها جواباً، فلقيته يوماً وقالت له: أسألك بالله أن تسمع مني كلمة فوقف لها فقالت: قد كتبت إليك في ظُلامتي غير مرة ولم تجبني وقد تركتك وكتبتها إلى الله تعالى. فلمّا كان بعد أيام ورأى تغير حالِهِ قال لمن معه من أصحابه: ما أظن إلاّ جواب رقعة تلك المرأةِ المظلومةِ قد خرج فكان كما قال.

ذكر دخول القرامطة الكوفة

وفي هذه السَّنة دخل أبو طاهر القرمطي إلى الكوفة. وكان سبب ذلك أن أبا طاهر أطلق من كان عنده من الأسرى الذين كان أسرهم من الحجاج، وفيهم ابن حمدان وغيره. وأرسل إلى المقتدر يطلب البصرة والأهواز فلم يجبه إلى ذلك. فسار من هجرٍ يريد الحاجّ، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني متقلداً أعمال الكوفة وطريق مكة. فلما سار الحجاج من بغدادَ سار جعفر بين أيديهم خوفاً من أبي طاهر، ومعه ألف رجل من بني شيبان، وسار مع الحجاج من أصحاب السلطان ثمال صاحب البحر وجني الصفواني وطريف السبكري، وغيرهم في ستة آلاف رجل. فلقي أبو طاهر القرمطي جعفراً الشيباني فقاتله جعفر فبينما هو يقاتله إذ طلع جمع من القرامطة عن يمينه فانهزم من بين أيديهم[1] فلقي القافلة الأولى وقد انحدرَت من العُقبة فردهم إلى الكوفة، ومعهم عسكر الخليفة وتبعهم أبو طاهر إلى باب الكوفة فقاتلهم، فانهزم عسكر الخليفة وقتل منهم وأسر جنياً الصفواني، وهرب الباقون والحجاج من الكوفة، ودخلها أبو طاهر،

---

(١) في تجارب الامم « طلع على جعفر قوم من أصحاب أبي طاهر على نُجب يقودون خيلاً فنزلوا عن النجب وركبوا الخيل وخالطوا جعفر بن ورقاء فلم يثبت لهم وانهزم بمن معه من بني شيبان » الخ .

وأقام ستة أيام بظاهر الكوفة يدخل البلد نهاراً فيقيم في الجامع إلى الليل ثم يخرج يبيت في عسكره وحمل منها ما قَدِرَ على حمله من الأموال والثياب وغير ذلك. وعاد إلى هجر ودخل المنهزمون بغدادَ، فتقدم المقتدر إلى مؤنس المظفر بالخروج إلى الكوفة، فسار إليها فبلغها وقد عاد القرامطة عنها فاستخلف عليها ياقوتاً. وسار مؤنس إلى واسط خوفاً عليها من أبي طاهر، وخاف أهل بغداد وانتقل الناس إلى الجانب الشرقي، ولم يحجّ في هذه السَّنة من الناس أحد.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة خلع المقتدر عليّ نجح الطولوني وولّي أصبهان. وفيها ورد رسولُ ملك الروم بهدايا كثيرة ومعه أبو عمر[1] بن عبد الباقي فطلبا من المقتدر الهدنة وتقرير الفداء فأجيبا إلى ذلك بعد غزاة الصائفة. وفي هذه السنة خلع على جني الصفواني بعد عوده من ديار مضر. وفيها استعمل سعيد بن حمدان على المعاون والحرب بنهاوند. وفيها دخل المسلمون بلادَ الروم، فنهبوا وسبوا وعادوا. وفيها ظهر عند الكوفة رجل ادَّعى أنه محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ وهو رئيس الإسماعيلية ـ وجمع جمعاً عظيماً من الأعراب وأهل السواد، واستفحل أمره في شوَّال فسيَّر إليه جيش من بغدادَ فقاتلوه فظفروا به وانهزم، وقتل كثير من أصحابه. وفيها في شهر ربيع الأول توفّي محمد بن نصر الحاجب، وقد كان استعمل على الموصل وتقدم ذلك. وفيها توفّي شفيع اللؤلؤي[2]، وكان عمل البريد وغيره من الأعمال فولى ما كان عليه شفيع المقتدري.

---

(١) في تجارب الأمم «أبو عمير».

(٢) قال الصولي: عرفته والله فتى كريماً عالي الهمة جميل الأمر بري الآلة كثير المحاسن قد اشتهى جمع العلم وكتب الحديث وتخلف كتباً بأكثر من ألفي دينار.

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة

ذكر عزل الخاقاني عن الوزارة، ووزارة الخصيبي

في هذه السَّنة في شهر رمضان عزل أبو القاسم الخاقاني عن وزارة الخليفة[1]، وكان سبب ذلكَ أن أبا العباس الخصيبي علم بمكان امرأة المحسن بن الفرات، فسأل أن يتولّى النظر في أمرها فأذن له المقتدر في ذلك فاستخلص منها سبعمائة ألف دينار، وحملها إلى المقتدر، فصار له معه حديث. فخافه الخاقاني فوضع من وقع عليه وسعى به فلم يصغ المقتدر إلى ذلك. فلما علم الخصيبي بالحال كتب إلى المقتدر يذكر معايبَ الخاقاني، وابنه عبد الوهاب وعجزهما وضَيَاع الأموال، وطمع العمال. ثم أن الخاقاني مَرِضَ مرضاً شديداً وطال به فوقفت الأحوال وطلب الجند أرزاقهم وشغبوا. فارسل المقتدر إليه في ذلك فلم يقدر على شيء، فحينئذ عزله واستوزر أبا العباس الخصيبي وخلع عليه[2]. وكان يكتب لأم المقتدر فلما وَزِرَ كتب لها بعده أبو يوسف عبْد الرحمن بن محمد. وكان قد تزهَّد وترك عمل السلطان ولَبس الصُّوفِ والفوط، فلما اشتد عليه هذا العمل ترك ما كان عليه من الزهد. فسماه الناس المرتدَّ. فلما ولي الخصيبي أقرّ عليّ بن عيسى على الأشراف على أعمال مصر. والشام فكان يتردّد من مكة إليها في الأوقات. واستعمل العمال في الأعمال، واستعمل أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي بعد أن صادره بثمانية وخمسين ألف دينار على الأشراف على الموصل وديار ربيعة.

---

(١) وقد تولى الوزارة سنة وستة اشهر ويومين.

(٢) قال في الصلة: «ثم ركب الوزير الخصيبي إلى القصر فرماه الجند بالنشاب من جزيرة بقرب قصر عيسى فلجأ الى الشط وتخلص منهم بجهد فلما جلس في مجلسه قال: لعن الله من أشار بي لهذا الأمر وحسن دخولي فيه فقد كان كرهه لي من اثق به وبرأيه وكرهته لنفسي ولكن القدر غالب وأمر الله نافذ.

ذكر ما فتحه أهل صقلية

في هذه السّنة سار جيش صقلية مع أميرهم سالم بن راشد، وأرسل إليهم المهدي جيشاً من أفريقية فسار إلى أرض انكبردة[١] ففتحوا غيران وأبرجة وغنموا غنائم كثيرة . وعاد جيش صقلية وساروا إلى أرض قلورية وقصدوا مدينة طارنت فحصروها وفتحوها بالسيف في شهر رمضان . ووصلوا إلى مدينة أدرنت[٢] فحصروها وخرّبوا منازلها فأصاب المسلمين مرض شديد كبير فعادوا ، ولم يزل أهل صقلية يغيرون على ما بأيدي الروم من جزيرة صقلية . وقلورية وينهبون ويخربون .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة فتح إبراهيم المسمعي ناحية القفص ـ وهي من حدود كرمان ـ وأَسَرَ منهم خمسة آلاف إنسان وحملهم إلى فارس وباعهم . وفيها كثرت الأرطاب ببغداد حتى عملوا منها التمور ، وحملت إلى واسط ، والبصرة ، فنسب أهل بغداد إلى البغي . وفيها كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يأمرهم بحمل الخراج إليه فان فعلوا وإلاّ قصدهم فقتل الرجال وسبى الذرية ، وقال : « إنني صحَّ عندي ضَعفُ وُلاتِكم». فلم يفعلوا ذلك . فسار إليهم وأخرب البلاد ودخل ملطية في سنع أربع عشرة وثلاثمائة فأخربوها وسبوا منها ونهبوا ، وأقام بها ستة عشر يوماً ، وفيها اعترض القرامطة الحاج بزبالة فقاتلهم أصحاب الخليفة فانهزموا ، ووضع القرامطة على الحاج قطيعة فأخذوها، وكفُّوا عنهم فساروا إلى مكة. وفيها آنقضَّ كوكبٌ كبير وقت المغرب له صوت مثل الرعد الشديد، وضوء عظيمٌ أضاءت له الدنيا . وفيها توفي محمد بن محمد بن سُليمان الباغندي في ذي الحجة وهو من حفاظ المحدثين ، وأبو العباس محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن مهران السراج النيسابوري وعمره تسع وتسعون سنة . وكان من العلماء الصالحين[٣] ، وعبدَ الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، توفّي ليلة

---

(١) انكبردة بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الكاف وضم الباء الموحدة وسكون الراء ودال مهملة وهاء هي بلاد واسعة بين القسطنطينية والأندلس تأخذ على طرف بحر الخليج من محاذاة جبل القلال وتمر على محاذاة ساحل المغرب مشرقاً إلى أن تتصل ببلاد قلورية . وابرجة الموجود في المعجم « برجة » مدينة بالاندلس .

(٢) في المعجم « ادريت » بالياء بدل النون .

(٣) هو محدث خراسان ومسندها مولده سنة ثمان عشرة ومائتين وله مصنفات كثيرة نافعة جداً.

الفطر، وكان عمره مائة سنة وسنتين ، وهـو ابن بنت أحمد بن منيـع[١] وفيها تـوفي عليّ بن بشًار أبو الحسن الزاهد [٢]

---

(١) هو ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العـزيز بن المـرزبان بن شـابور بن شـاهنشاه البغـوي الأصل البغدادي مسند الدنيا وبقية الحفاظ.

(٢) علي بن محمد بن بشار أبو الحسن وأبو صالح البغدادي الزاهد شيخ الحنابلة أخذ عن صالح ابن أحمد بن حنبل والمروذي .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة

ذكر مسير ابن أبي السّاج إلى واسط

وفي هذه السَّنة قلَّد المقتدر يوسف بن أبي السّاج نواحي المشرق ، وأذِنَ له في أخذ أموالها ، وصرفها إلى قواده وأجناده ، وأمره بالقدوم إلى بغداد من أذربيجان والمسير إلى واسطَ ليسيرَ إلى هجر ، لمحاربة أبي طاهر القرمطي فسار إلى واسطَ[1] ، وكان بها مؤنس المظفر فلما قاربها يوسف صَعدَ مؤنس إلى بغداد ليقيم بها وجعل له أموال الخراج بنواحي همذان ، وساوه ، وقاشان ، وماه البصرة ، وماه الكوفة ، وماسبذان ، لينفقها على مائدته ويستعينَ بذلك على محاربة القرامطة ، وكان هذا كله من تدبير الخصيبي .

ذكر الحرب بين عبد الله بن حمدان والأكراد، والعرب

وفي هذه السّنة أفسد الأكراد والعرب بأرضِ الموصل وطريق خراسان. وكان عبد الله بن حمدان يتولّى الجميع وهو ببغداد وابنه ناصر الدولة بالموصل . فكتب إليه أبوه يأمره بجمع الرِّجال والانحدار إلى تكريت ففعل ، وسار إليها فوصل إليها في رمضان ، واجتمع بأبيه وأحضر العرب ، وطالبهم بما أحدثوا في عمله بعد أن قتل منهم ونكّل ببعضهم فردُّوا على الناسِ شيئاً كثيراً . ورحل بهم إلى شهر زور فوطِيءَ الأكراد الجلالية ، فقاتلهم وانضاف إليهم غيرهم ، فاشتدَّتْ شوكَتُهُم ، ثم انهم انقادوا إليه لما رأوا قوته ، وكفُّوا عن الفساد والشر .

---

(١) في صلة الطبري : وفيها امر المقتدر ابن الخصيب وزيره باستقدام ابن أبي الساج من الجبل لمحاربة القرمطي فاستقدمه وأقبل يريد مدينة السلام فاشتد على نصر الحاجب ونازوك وشفيع المقتدري وهارون بن غريب الخال وغيرهم من الغلمان دخوله بغداد فكتب إليه مؤنس بأن يعدل إلى واسط ليكون مقامه بها وغزوه القرامطة منها فسار إليها » .

ذكر عزل الخصيبي ووزارة عليّ بن عيسى

في هذه السنة في ذي القعدة عزل المقتدر أبا العبَّاس الخصيبي عن الوزارة . وكان سبب ذلك أن الخصيبي أضاق أضاقةً شديدة، ووقفت أمور السلطان لذلك واضطرب أمر الخصيبي . وكان حين وُلّي الوزارة قد اشتغل بالشُّربِ كلَّ ليلة ، وكان يصبح سكران لا قصدَ فيه لعمل وسماعِ حديث ، وكان يترك الكتب الواردة الدواوين لا يقرؤها إلاّ بعد مدة ، ويهمل الأجوبة عنها فضاعت الأموال ، وفاتت المصالح ، ثم أنه لضجرِهِ ، وتبرُّمِهِ بها وبغيرها من الأشغال ، وكل الأمور إلى نوَّابه ، وأهمل الاطِّلاعَ عليهم ، فباعوا عليه مصلحته بمصلحة نفوسهم . فلما صار الأمر إلى هذه الصورة أشار مؤنس المظفر بعزله وولاية عليّ بن عيسى ، فقبض عليه وكانت وزارته سنة وشهرين ، وأخذ ابنه وأصحابه ، فحبِسُوا[1] . وأرسل المقتدر باللهِ بالغدِ إلى دمشق يستدعي عليّ بن عيسى وكان بها .

وأمر المقتدر ابا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوداني بالنيابة عن عليّ بن عيسى إلى أن يحضر . فسار عليّ بن عيسى إلى بغداد فقدمها أوائل سنة خمس عشرة ، واشتغل بأمور الوزارة ولازم النظر فيها فمشت الأمور ، واستقامت الأحوال . وكان من أقوم الأسباب في ذلك أنَّ الخصيبي ، كان قد اجتمع عنده رقاع المصادرين، وكفالات من كفل منهم وضمانات العمال ، بما ضمنوا من المال بالسَّواد، والأهواز، وفارس ، والمغرب فنظر فيها عليّ وأرسل في طلب تلك الأموال فأقبلت إليه شيئاً بعد شيء فأدّى الأرزاق، وأخرج العطاء وأسقط من الجند من لا يحمل السلاح ومن أولاد المرتزقة من هو في المهد ، فإنّ آباءهم أثبتوا أسماءهم . ومن ارزاق المغنين ، والمساخرة ، والندماء والصفاعنة ، وغيرهم مثل الشيخ الهرم ومن ليس له سلاح فانه أسقطهم، وتولّى الأعمال بنفسه ليلاً ونهاراً ، واستعمل العمال في الولايات المتحدة واختار الكفاة ، وأمر المقتدر بالله بمناظرة أبي العباس الخصيبي فأحضره وأحضر الفقهاء ، والقضاة، والكتّاب ، وغيرهم . وكان عليّ وقوراً لا يسفه فسأله عما صحّ من الأموال من الخراج والنواحي والأصقاع ، والمصادرات والمتكفلين بها ، ومن البواقي القديمة إلى

---

(١) حبسوا عند زيدان القهرمانية وفرق بين الخصيبي وبين ابنه وحمل باقي المعتقلين إلى دار الوزارة بالمخرم فاعتقلوا فيها .

غير ذلك فقال: لا أعلمه . وسأله عن الإخراجات والواصل إلى المخـزن فقال: لا اعرفه ، وقال له : « لم أحضرت يوسف بن أبي السّاج وسلّمت إليه أعمال المشرق سوى أصبهان وكيف تعتقد أنه يقدر هو وأصحابه ، وهم قد ألِفُوا البلادَ الباردة الكثيرة المياه على سلوك البرية القفراء والصبر على حرّ بلاد الإحساء والقطِيف؟ ولِمَ لا جعلت معه منفقاً يخرج المال على الأجناد؟ فقال : ظننت أنه يقدر على قتال القرامطة وامتنع من أن يكون معه منفق ، فقال له : كيف استخـرت في الدين والمروءة ضرب حرم المصادرين وتسليمهن إلى أصحابك كامرأة ابن الفرات وغيره فان كانوا فعلوا مـا لا يجوز ، ألست أنت السبب في ذلك » ؟ ثم سأله عن الحاصل له وعن اخراجاته فخلط في ذلك فقال له : « غررْتَ بنفسك ، وغررت بأمير المؤمنين ألا قلت له : انني لا أُصلحُ للوزارة . فقد كان الفرس إذا أرادوا أن يستوزروا وزيراً نظروا في تصرفه لنفسـه فإن وجدوه حازماً ضابطاً ولّوه وإلاّ قالوا : من لا يحسن أن يدبِّر نفسه فهو عن غير ذلك أعجز » وتركوه، ثم أعاده إلى محبسه .

ذكر استيلاء السّامانية على الري

لما استدعى المقتدر يوسف بن أبي السّاج إلى واسط ، كتب إلى السعيد نصر بن أحمد السّاماني بولاية الري وأمره بقصدها وأخذها من فاتك غلامُ يوسف .

فسار نصر بن أحمد إليها أوائل سنة أربع عشرة وثلاثمائة فوصل إلى جبل قارن فمنعه أبو نصر الطبري من العبور فأقام هناك . فراسله وبذل له ثلاثين ألف دينار حتى مكّنه من العبور . فسار حتى قارب الري فخرج فاتك عنها واستولى نصر بن أحمد عليها في جُمادى الآخرة ، وأقام بها شهرين وولّى عليها سيمجور الدواتي وعاد عنها . ثم استعمل عليها محمد بن عليّ صعلوك وسار نصر إلى بُخارى ، ودخل صعلوك الري فأقام بها إلى أوائل شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، فمرض فكاتب الحسن الداعي . وما كان بن كالي في القدوم عليه ليسلم الري إليهما فقدما عليه ، فسلّم الري إليهما ، وسار عنها فلما بلغ الدامغان مات .

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السّنة ضَمِنَ أبو الهيجاء عبد اللهِ بن حمدان أعمال الخراج ، والضِّياع

بالموصل ، وقردى، وبازندى وما يجري معها . وفيها سار ثمال إلى عمله بالثغور ، وكان في بغدادَ . وفيها في ربيع الآخر ، خرجت الروم إلى ملطية وما يليها مع الدمستق ، ومعه مليحُ الأرمني صاحب الدروب ، فنزلوا على ملطية وحصروها. فصبَرَ أهلُها ففتح الروم أبواباً من الربض فدخلوا فقاتلهم أهلها ، وأخرجوهم منه ، ولم يظفروا من المدينة بشيء وخربوا قرى كثيرة من قراها ونبشوا الموتى ، ومثَّلوا بهم ورحلوا عنهم .وقصد أهل ملطية بغداد مستغيثين في جُمادى الأولى فلم يغاثوا، فعادوا بغير فائدة . وغزا أهل طرسوس صائفة فغنِمُوا وعادوا . وفيها جَمُدَتْ دجلة عند الموصل من بلد إلى الحديثة حتى عَبَرَ عليها الدَّواب لشدَّةِ البرد، وفيها توفِّي الوزير أبو القاسم الخاقاني ، وهرب ابنه عبد الوهاب ولم يحضر غسل أبيه ، ولا الصَّلاة عليه ، وكان الوزير قد أطلق من محبسه قبل موته . وفيها توجَّه أبو طاهر القرمطي نحو مكة ، فبلغَ خَبَرَهُ إلى أهلها فنقلوا حرمهم ، وأموالهم إلى الطائف وغيره خوفاً منه . وفيها كتب الكلوذاني إلى الوزير الخصيبي قبل عزله بأن أبا طالب ، النوبندجاني[١] قد صار يجري مجرى أصحاب الأطراف ، وأنه قد تغلَّبَ على ضِياع السُّلطان ، وأستغل منها جملة عظيمة، فصُودِرَ أبو طالب على مائة ألف دينار .

---

(١) النُوبَنْدَجَاني : نسبة إلى نوبَنْدجَان : مدينة من أرض فارس من كورة سابور قريبة من شعب بوان .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة

ذكر ابتداء الوحشة بين المقتدر ، ومؤنس

في هذه السَّنة هاجت الرُّوم ، وقصدوا الثغور ، ودخلوا سميساط ، وغنموا جميع ما فيها من مالٍ وسلاحٍ وغير ذلك ، وضربوا في الجامع بالناقوس أوقات الصلاة . ثم إن المسلمين خرجوا في أثر الروم وقاتلوهم وغنموا منهم غنيمة عظيمة . فأمر المقتدر باللهِ بتجهيز العساكر مع مؤنسَ المظفر ، وخلع المقتدر عليه في ربيع الآخر ليسير . فلما لم يبقَ إلاّ الوداع امتنع مؤنس من دخول دار الخليفة للوَداع ، واستوحش من المقتدر باللهِ وظهر ذلك . وكان سببه أنَّ خادماً من خُدَّام المقتدر حَكَى لمؤنسَ ، أن المقتدر بالله أمر خواص خدمه أن يحفروا جُبًّا في دار الشجرة ، ويغطُّوه ببراية وتراب . وذكر أنه يجلس فيه لوداع مؤنس فاذا حضر وقاربها ألقاه الخدم فيها وخنقوه وأظهروه ميتاً . فامتنع مؤنس من دخول دار الخليفة وركب إليه جميع الأجناد ، وفيهم عبد الله بن حمدان ، وإخوته . وخَلَتْ دارُ الخليفةِ وقالوا لمؤنس : نحن نقاتل بين يديك إلى أن تنبت لك لحية فوجَّه إليه المقتدر رقعةً بخطِّه يحلِفُ له على بطلان ما بلغه . فصرف مؤنس الجيش ، وكتب الجوابَ ، أنه العبد المملوك وأنّ الذي أبلغَهُ ذلك قد كان وضعه من يريد إيحاشه من مولاه ، وأنه ما استدعى الجند وإنما هم حضروا وقد فرَّقهم . ثم إن مؤنساً قصد دار المقتدر في جمع من القواد ودخل إليه وقبَّلَ يده ، وحلف المقتدر على صفاء نيته له ، وودعه وسار إلى الثغر في العشر الآخر من ربيع الآخر . وخرج لوداعِهِ أبو العباس بن المقتدر ـ وهو الراضي بالله ـ عليّ بن عيسى .

ذكر وصول القرامطة إلى العراق ، وقتل يوسف بن أبي السَّاج

في هذه السّنة وردَتْ الأخبار بمسير أبي طاهر القرمطي من هجر نحو الكوفة . ثم وردت الأخبار من البصرة بأنه اجتاز قريباً منهم نحو الكوفة . فكتب المقتدر إلى

يوسف بن أبي السّاج يعرِّفه هذا الخبر ويأمره بالمبادرةِ إلى الكوفة . فسار إليها عن واسطَ آخر شهر رمضان وقد أعدّ له بالكوفة الإنزال له ولعسكره. فلما وصلها أبو طاهر الهجري هَرَبَ نُوّابُ السلطان عنها واستولى عليها أبو طاهر وعلى تلك الإنزال والعلوفات . وكان فيها مائة كر دقيقاً وألف كر شعيراً وكان قد فني ما معه من الميرة والعلوفة ، فقووا بما أخذوه. ووصل يوسف إلى الكوفة بعد وصول القرمطي بيوم واحد ، فحال بينه وبينها وكان وصوله يوم الجمعة ثامن شوال . فلما وصل إليهم أرسل إليهم يدعوهم إلى طاعة المقتدر فإن أبوا فموعدهم الحرب يوم الأحد فقالوا : « لا طاعة علينا إلا لله تعالى والموعد بيننا للحرب بكرة غد» . فلما كان الغد ابتدأ أوباش العسكر بالشَّتم ورمي الحجارة . ورأى يوسف قلةَ القرامطة فاحتقرهم ، وقال: إن هؤلاء الكِلاب بعد ساعة في يدي . وتقدَّم بأن يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر قبل اللقاء تهاوناً بهم . وزحف الناس بعضهم إلى بعض ، فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات فقال لصاحب له : ما هذا؟ فقال : فشل قال: أجل لم يزدْ على هذا . فاقتتلوا من ضحوة النهار يوم السبت إلى غروب الشمس وصبر الفريقان. فلما رأى أبو طاهر ذلك باشر الحرب بنفسه ومعه جماعة يثق بهم ، وحمل بهم فطحن أصحاب يوسف ودقَّهم، فانهزموا بين يديه . وأسر يوسف وعدداً كثيراً من أصحابه وكان أسره وقت المغرب ، وحملوه إلى عسكرهم ووكَّل به أبو طاهر طبيباً يعالج جراحه ، وورد الخبر إلى بغداد بذلك فخاف الخاص والعام من القرامطة خوفاً شديداً وعزموا على الهرب إلى حلوان ، وهمذان . ودخل المنهزمون بغداد أكثرهم رجالة حُفاة عُراة .

فبرز مؤنس المظفر ليسير إلى الكوفة فأتاهم الخبر بأنّ القرامطة قد ساروا إلى عين التمر فأُنفذ من بغداد خمسمائة سميرية فيها المقاتلة ، لتمنعهم من عبور الفرات ، وسيَّر جماعةً من الجيش إلى الأنبار لحفظها ومنع القرامطة من العبور هنالك، ثم إن القرامطة قصدوا الأنبار فقطع أهلها الجسر، ونزل القرامطة غرب الفرات . وأنفذ أبو طاهر أصحابه إلى الحُدَيثَة، فأتوه بسفن ، ولم يعلم أهل الأنبار بذلك وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة، فقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم، وقتلوا منهم جماعة واستولى القرامطة على مدينة الأنبار وعقدوا الجسر وعبر أبو طاهر جريدة ، وخلف سواده بالجانب الغربي .

ولما ورد الخبر بعبور أبي طاهر إلى الأنبار خرج نصر الحاجب في عسكر جرار فلحق بمؤنس المظفر فاجتمع في نيف وأربعين ألف مقاتل سوى الغلمان ومن يريد النهب . وكان ممن معه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ومن اخوته أبو الوليد ، وأبو السرايا في أصحابهم . وساروا حتى بلغوا نهر زبارا على فرسخين من بغداد عند عقرقوف . فاشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة التي عليه فقطعوها . وسار أبو طاهر ومن معه نحوهم فبلغوا نهر زبارا وفي أوائلهم رجل أسود [يقال له: صُبْحٌ] فما زال الأسود يدنو من القنطرة والنشاب يأخذه ولا يمتنع حتى اشرف عليها فرآها مقطوعة فعاد وهو مثل القنفذ . وأراد القرامطة العبور فلم يمكنهم لأن النهر لم يكن فيه مخاضة . ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير إلى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى ابن حمدان ذلك قال لمؤنس : كيف رأيت ما أشرت به عليكم ؟ فوالله لو عَبَرَ القرامطة النهر لأنهزم كل من معك ولأخذوا بغداد. ولما رأى القرامطة ذلك عادوا إلى الأنبار .

وسيّر مؤنس المظفر صاحبه يلبق في ستة آلاف مقاتل إلى عسكر القرامطة غربي الفرات ليغنموه ، ويخلّصوا ابن أبي السّاج فبلغوا إليهم ، وقد عبر أبو طاهر الفرات في زورق صيّاد ، وأعطاه ألف دينار ، فلما رآه اصحابه قويَتْ قلوبهم . ولما اتاهم عسكر مؤنس كان أبو طاهر عندهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عسكر الخليفة . ونظر أبو طاهر إلى ابن أبي السّاج وهو قد خرج من الخيمة ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه أبشر بالفرج فلما انهزموا حضره وقتله وقتل جميع الأسرى من اصحابه ، وسَلِمَتْ بغداد من نهب العيارين ، لأن نازوك كان يطوف هو واصحابه ليلاً ونهاراً ومن وجدوه بعد العتمة قتلوه فامتنع العيارون .

واكترى كثير من أهل بغداد سفناً ونقلوا إليها أموالهم وربطوها لينحدروا إلى واسطَ . وفيهم من نقل متاعه إلى واسطَ ، وإلى حلوان ليسيروا إلى خراسان . وكان عدَّةُ القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل ، وقيل : كانوا الفين وسبعمائة . وقصد القرامطة مدينة هيت[1] ، وكان المقتدر قد سيَّر إليها سعيد بن حمدان، وهارون بن غريب، فلما بلغها القرامطة رأوا عسكر الخليفة قد سبقهم فقاتلوهم

---

(١) هيت : بالكسر، بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار .

على السور فقتلوا من القرامطة جماعة كثيرة ، فعادوا عنها . ولما بلغ أهل بغداد عودهم من هيت سكنت قلوبهم . ولما عَلِمَ المقتدر بعدّةِ عسكره وعسكر القرامطة قال : « لَعَنَ اللهِ نيفاً وثمانين ألفاً يعجزون عن ألفين وسبعمائة » .

وجاء إنسان إلى عليّ بن عيسى ، وأخبره أنّ في جيرانه رجلاً من شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر بالأخبار ، فأحضره وسأله واعترف، وقال : ما صحبت أبا طاهر إلاّ لما صحَّ عندي أنه على الحق وأنت وصاحبك كفّار تأخذون ما ليس لكم ولا بدَّ للهِ من حجَّةٍ في أرضه ، وامامنا المهديّ محمـد بن فلان بن فـلان بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ، ولسنا كالرافضة والاثني‌عشرية الذين يقولون بجهلهم : ان لهم إماماً ينتظرونه ويكذب بعضهم لبعض ، فيقول : قد رأيته وسمعته وهو يقرأ ولا ينكرون بجهلهم وغباوتهم أنه لا يجوز أن يعطي من العمـر ما يظنونه. فقال له: قد خالطت عسكرنا وعرفتهم فمن فيهم على مذهبك؟ فقال: وأنت بهذا العقل تدبِّر الـوزارة كيف تطمـع مني أنني أسلم قومـاً مؤمنين إلى قوم كـافرين يقتلونهم؟ لا أفعل ذلك . فأمر به فضُرِب ضرباً شديداً ، ومُنِعَ الطعام والشرابِ فمات بعد ثلاثة أيام ، وقد كان ابن أبي الساج قبل قتاله القـرامطة ، قـد قبض على وزيره محمد بن خلفَ النيرماني وجعل مكانه أبا علي الحسن بن هارون وصادر محمداً على خمسمائة ألف دينار .

وكان سبب ذلك ان النيرماني عظم شأنه وكثر ماله فحدث نفسه بوزارة الخليفة ، فكتب إلى نصر الحاجب يخطب الوزارة ويسعى بابن ابي السّاج ويقول له: إنه قرمطي يعتقد إمامة العلوي الذي بأفريقية وانني ناظرته على ذلك، فلم يرجع عنه، وانه لا يسير إلى قتال أبي طاهر القرمطي، وإنما أخذ المال بهذا السبب ويَقوَى به على قصد حضرة السلطان وإزالة الخلافة عن بني العباس، وطول في ذلك وعرض. وكان لمحمد بن خلف أعداء قد أساء إليهم من أصحاب ابن أبي السّاج فسعوا به فأعلموا يوسف بن أبي السّاج ذلك وأرَوه كتباً جاءته من بغداد في المعني من نصر الحاجب ، وفيها رموز إلى قواعد قد تقدمت ، وتقرَّرت، وفيها الوعد له بالوزارة وعزل عليّ بن عيسى الوزير . فلمـا علم ذلك ابن أبي السّـاج قبض عليه. فلمـا أسـر ابن ابي السـاج تخلص من

الحبس ، وكان ابن أبي السّاج يسمى الشيخُ الكريم لما جمع اللهُ فيه من خلال الكمال والكرم .

ذكر استيلاء أسفار على جرجان

في هذه السنة استولى أسفار بن شيرويه الدّيلمي على جرجان ، وكان ابتداء أمره أنه كان من أصحاب ماكان بن كالي الديلمي وكان سيء الخلق والعشرة فأخرجه ماكان من عسكره، فاتصل ببكر بن محمد بن اليُسع ـ وهو بنيسابور ـ وخدمه فسيره بكر بن محمد إلى جرجان ليفتحها . وكان ما كان بن كالي ذلك الوقت بطبرستان ، وأخوه أبو الحسن بن كالي بجرجان وقد اعتقل أبا علي بن الحسين الأطروش العلوي عنده ، فشرب أبو الحسن بن كالي ليلة ومعه أصحابه ففرّقهم وبقي في بيتٍ هو والعلويّ . فقام إلى العلوي ليقتله فظفر به العلويّ وقتله وخرج من الدار واختفى . فلما أصبح أرسل إلى جماعة من القواد يعرِّفَهم الحال ففرحوا بقتل أبي الحسن بن كالي ، وأخرجوا العلويّ وألبسوه القلنسوة ، وبايعوه . فامسى أسيراً وأصبحَ أميراً . وجعل مقدم جيشه عليّ بن خرشيد ورضى به الجيش وكاتبوا أسفار بن شيرويه ، وعرَّفوه الحال واستقدموه إليهم فاستأذن بكر بن محمد وسار إلى جرجان واتفق مع عليّ بن خرشيد ، وضبطوا تلك الناحية . فسار إليهم ما كان بن كالي من طبرستان في جيشه فحاربوه وهزموه وأخرجوه عن طبرستان وأقاموا بها ومعهم العلويّ . فلعب يوماً بالكرة فسقط عن دابته فمات ثم مات عليّ بن خرشيد صاحب الجيش. وعاد ماكان بن كالي إلى أسفار فحاربه فانهزم أسفار منه ورجع إلى بكر بن محمد بن اليُسع ـ وهو بجرجان ـ وأقام بها إلى أن توفي بكر بها فولّاها الأمير السعيد نصر بن أحمد أسفار بن شيرويه وذلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة . وأرسل إلى مرداويج بن زيار الجيلي يستدعيه فحضر عنده وجعله أمير الجيش وأحسن إليه وقصدوا طبرستان ، واستولوا عليها . ونحن نذكر حال ابتداء مرداويج وكيف تقلبت به الأحوال .

ذكر الحرب بين المسلمين والروم

في هذه السنة خرجت سريَّة من طرسوس إلى بلاد الروم فوقع عليها العدو فاقتتلوا فاستظهر الروم وأسروا من المسلمين أربعمائة رجل فقتلوا صبراً . وفيها سار الدمستق في جيش عظيم من الروم إلى مدينة دبيل . وفيها نصر السبكي في عسكر يحميها وكان

مع الدمستق دبابات ومناجيق ومعه مزارق تزرق بالنار عدة اثني عشر رجلاً فلا يقوم بين يديه أحد من شدة ناره، واتصاله، فكان من أشدِّ شيء على المسلمين. وكان الرامي به مباشر القتال من أشجعهم، فرماه رجل من المسلمين بسهم فقتله وأراح الله المسلمين من شرِّه. وكان الدمستق يجلس على كرسي عال يشرف على البلد وعلى عسكره فأمرهم بالقتال على ما يراه فصبر له أهل البلد ـ وهو ملازم القتال ـ حتى وصلوا إلى سور المدينة فنقبوا فيها نقوباً كثيرة ودخلوا المدينة فقاتلهم أهلها ؛ ومن فيها من العسكر قتالاً شديداً ، فانتصر المسلمون وأخرجوا الروم منها ، وقتلوا منهم نحوَ عشرة آلاف رجل . وفيها في ذي القِعدَة عاد ثمال إلى طرسوس من الغزاة الصائفة سالماً هو ومن معه فلقوا جمعاً كثيراً من الروم فاقتتلوا، فانتصر المسلمون عليهم وقتلوا من الروم كثيراً وغنموا ما لا يحصى. وكان من جملة ما غنموا أنهم ذَبَحوا من الغنم في بلاد الروم ثلاثمائة ألف رأس سوى ما سلم معهم ـ ولقيهم رجل يعرف بابن الضحاك ـ وهو من رؤساء الأكراد ـ وكان له حصن يعرف بالجعفري فارتدَّ عن الإسلام وصار إلى ملك الروم فأجزل له العطية وأمره بالعود إلى حصنه فلقيه المسلمون ، فقاتلوه فأسروه وقتلوا كل من معه .

ذكر مسير جيش المهديّ إلى المغرب

في هذه السنة سيَّر المهديُّ العلويُّ صاحب أفريقية ابنه أبا القاسم من المهدية إلى المغرب في جيش كثير في صفر، لسبب محمد بن خرز الزناتي، وذلك أنه ظفر بعسكر من كتامة فقتل منهم خلقاً كثيراً فعظم ذلك على المهدي فسيَّر ولده ، فلما خرج تفرَّق الأعداء ، وسار حتى وصل إلى ما وراء تاهرت ، فلما عاد من سفرته هذه خطّ برمحه في الأرض صفة مدينة ، وسماها المحمدية ـ وهي المسيلة ـ وكانت خطَّتُهُ لبني كملان ، فأخرجهم منها ونقلهم إلى فحص القيروان كالمتوقع منهم أمراً . فلذلك أحبَّ أن يكونوا قريباً منه ، وهم كانوا أصحاب أبي يزيد الخارجي . وانتقل خلق كثير إلى المحمدية وأمر عاملها إن يُكثِرَ من الطعام ويخزِّنَهُ ويحتفظ به ففعل ذلك . فلم يزل مخزوناً إلى أن خرج أبو يزيد ولقيه المنصور . ومن المحمدية كان يمتاز ما يريد إذ ليس بالموضع مدينة سواها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة مات إبراهيم بن المسعي من حمًى حادةٍ وكان موته بالنوبندجان

فاستعمل المقتدر مكانه على فارس ياقوتاً واستعمل عوضه على كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد وخلع عليهما ، وعقد لهما لواءين . وفيها شغب الفرسان ببغداد وخرجوا إلى المصلى ، ونهبوا القصر المعروف بالثريا وذبحوا ما كان فيه من الوحش. فخرج إليهم مؤنس وضَمِنَ لهم أرزاقهم ، فرجعوا إلى منازلهم . وفيها ظَفِرَ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين اللهِ الأموي صاحب الأندلس بأهل طليطلة ، وكان قد حصرها مدة لخلاف كان عليه فيها . فلما ظفر بهم أخرب كثيراً من عماراتها وشعثها ، وكانت حينئذ دار إسلام . وفيها قَصَدَ الأعراب سواد الكوفة ، فنهبوه وخرَّبوه، ودخلوا الحيرة فنهبوها . فسيَّر إليهم الخليفة جيشاً، فدفعوهم عن البلاد. وفيها في ربيع الأوّل انقضَّ كوكب عظيمٌ وصار له صوتٌ شديد على ساعتين بقيتا من النهار . وفيها في جُمادى الآخرة احترق كثير من الرصافة ، ووصيف الجوهري، ومربعة الخرسي ببغدادَ . وفيها توفِّي أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السَّرَّاج النحوي صاحب كتاب الأصول في النحو[١] ، وقيل : توفي سنة ست عشرة . وفيها في شعبان توفي أبو الحسن عليّ بن سُليمان الأخفش فجأة[٢].

---

(١) ابو بكر بن السراج واسمه محمد بن السري البغدادي النحوي صاحب الأصول في العربية ، له مصنفات كثيرة ، منها شرح كتاب سيبويه . أخذ عن المبرد وغيره . فأخذ عنه السيرافي . شذرات الذهب ٢٧٣/٢ .

(٢) علي بن سليمان بن المفضل أبو الحسن الأخفش ، روى عن المبرد وثعلب واليزيدي وغيرهم . وعنه الروياني وغيره. كان ثقة فقيراً في ذات يده.

ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة

ذكر أخبار القرامطة

لما سار القرامطة من الأنبار عاد مؤنس الخادم إلى بغداد، فدخلها ثالث المحرم . وسار أبو طاهر القرمطي إلى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئاً ، فقتَل من أهلها جماعة . ثم سار إلى الرحبة ، فدخلها ثامن المحرم بعد أن حاربه أهلها ، فوضع فيهم السَّيفَ بعد أن ظفر بهم . فأمر مؤنس المظفر بالمسير الى الرّقة فسار إليها في صفر وجعل طريقه على الموصل ، فوصل إليها في ربيع الأول ونزل بها . وأرسل أهل قرقيسيا يطلبون من أبي طاهر الأمان ، فأمّنهم وأمرهم أن لا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوه إلى ذلك ، وسيّر أبو طاهر سرية إلى الأعراب بالجزيرة ، فنهبوهم وأخذوا أموالهم[1] فخافه الأعراب خوفاً شديداً وهربوا من بين يديه . وقرَّر عليهم أتاوة على كل رأس دينار يحملونه إلى هجر . ثم أُصعِدَ أبو طاهر من الرّحبة إلى الرّقة فدخل أصحابه الربض، وقتلوا منهم ثلاثين رجلًا . وأعان أهلُ الرقة أهلَ الربض ، وقتلوا من القرامطة جماعة، فقاتلهم ثلاثةُ أيام ثم انصرفوا[2] آخر ربيع الآخر . وبثّت القرامطة سرية إلى رأس عين ، وكفرتوثا ، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم . وساروا أيضاً إلى سنجار فنهبوا الجبال ونازلوا سنجار فطلب أهلها الأمان فأمّنوهم . وكان مؤنس قد وصل إلى الموصل فبلغه قصد القرامطة إلى الرقة فجدَّ السَّير إليها فسار أبو طاهر عنها ، وعاد إلى الرَّحبةِ. ووصل مؤنس إلى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها . ثم إن القرامطة ساروا إلى هيت ، وكان أهلها قد أحكموا سورها فقاتلوهم فعادوا عنهم إلى الكوفة ،

---

(١) في صلة تاريخ الطبري : واستاقوا خمسة آلاف جمل ومواشي كثيرة .

(٢) في صلة تاريخ الطبري : فحاربوهم أشد محاربة ورموهم من أعالي دورهم بالماء والتراب والآجر ، ورموهم بسهام مسمومة فمات منهم مائة رجل وانصرفوا عنها مغلولين .

فبلغ الخبر إلى بغداد فأخرج هارون بن غريب ، وبني بن نفيس ، ونصر الحاجب إليها . ووصلت خيل القرمطي إلى قصر ابن هُبيرةَ فقتلوا منه جماعة . ثم إنّ نصراً الحاجب حُمّ في طريقه حمىً حادةً فتجلّد وسار ؛ فلما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوّة على النهوض والمحاربة ، فاستخلف أحمد بن كيغلغ . واشتد مرض نصر وأمسك لسانه لشدة مرضه ، فردوه إلى بغداد فمات في الطريق أواخر شهر رمضان . فجعل مكانه على الجيش هارون بن غريب ورتَّبَ ابنه أحمد بن نصر في الحجبة للمقتدر مكان أبيه . فانصرف القرامطة إلى البرية وعاد هارون إلى بغداد في الجيش فدخلها لثمان بقين من شوّال .

ذكر عزل عليّ بن عيسى ، ووزارة أبي عليّ بن مقلة

في هذه السّنة عزل عليّ بن عيسى عن وزارة الخليفة، ورتّب فيها أبو علي بن مقلة . وكان سبب ذلك أن عليّاً لما رأى نقص الإرتفاع وإختلال الأعمال بوزارة الخاقاني والخصيبي ، وزيادة النفقات ، وأن الجند لما عادوا من الأنبار زادهم المقتدر في أرزاقهم مائتي ألف وأربعين ألف دينار في السنّة . ورأى أيضاً كثرة النفقاتِ للخدم والحرم ، لا سيما والدة المقتدر هاله ذلك وعَظم عليه . ثم أنه رأى نصراً الحاجب يقصده وينحرف عنه لميل مؤنس إليه فإن نصراً كان يخالف مؤنساً في جميع ما يشير به فلما تبين له ذلك استعفى من الوزارة ، واحتجَّ بالشيخوخة وقلة النهضة . فأمره المقتدر بالصبر وقال له : أنت عندي بمنزلة والدي المعتضد فالحَّ عليه في الاستعفاء، فشاور مؤنساً في ذلك وأعلمه أن قد سمّى للوزارة ثلاثة نفر الفضل بن جعفر بن الفرات الذي أمه حيرانة وأخته زوجة المحسن بن الفرات وأبو عليّ بن مقلة ، ومحمد بن خلف النيرماني الذي كان وزير ابن أبي الساج . فقال مؤنس : «أما الفضل فقد قتلنا عمَّه الوزير أبا الحسن ، وابن عمِّه زوج اخته المحسن ابن الوزير ، وصادرنا أخته فلا نأمنه، وأما ابن مقلة فحدث غر لا تجربة له بالوزارة ولا يَصلح لها ، وأما محمد بن خلف فجاهل متهور لا يحسن شيئاً، والصواب مداراة عليّ بن عيسى .» ثم لقي مؤنس عليّ بن عيسى وسكنه، فقال عليّ : ولو كنت مقيماً بالحضرة لاستعنْت بك ولكنَّك سائر إلى الرقة ثم إلى الشام .وبلغ الخبر أبا عليّ بن مقلة فجدَّ في السعي وضَمَّنَ على نفسه الضمانات. وشاور المقتدر نصراً الحاجب في هؤلاء الثلاثة فقال : « أما

الفضل بن الفرات فلا يدفع عن صناعة الكتابة والمعرفة والكفاية ، ولكنَّك بالأمس قتلت عمه وابن عمه وصهره وصادرت أخته وأمه ، ثم ان بني الفرات يدينون بالرفض ويعرفون بولاء آل عليّ ، وأما أبو عليّ بن مقلة فلا هيبة له في قلوب الناس ولا يرجع إلى كفاية ولا تجربة ». وأشار بمحمد بن خلف لمودة كانت بينهما فنفر المقتدر من محمد بن خلف لما علمه من جهله وتهوره ، وواصل ابن مقلة بالهدية إلى نصر الحاجب فأشار على المقتدر به فاستوزره . وكان ابن مقلة لما قرب الهجري من الأنبار قد أنفذ صاحباً له معه خمسون طائراً وأمره بالمقام بالأنبار وارسال الأخبار إليه وقتاً بوقت ففعل ذلك ، فكانت الأخبار ترِدُ من جهته إلى الخليفة على يد نصر الحاجب. فقال نصر : هذا فعله فيما لا يلزمه فكيف يكون إذا اصطنعته، فكان ذلك من أقوى الأسباب في وزارته، وتقدم المقتدر في منتصف ربيع الأول بالقبض على الوزير عليّ بن عيسى[1] وأخيه عبد الرحمٰن ؛ وخلع على أبي عليّ بن مقلة ، وتولّى الوزارة[2] وأعانه عليها أبو عبد الله البريدي لمودة كانت بينهما.

ذكر ابتداء حال أبي عبد الله واخوته

لما وَلِيَ عليّ بن عيسى الوزارة كان أبو عبد الله بن البريدي قد ضَمِنَ الخاصة ، وكان أخوه أبو يوسف عليّ سرق . فلما استعمل عليّ بن عيسى العمال ، ورتَّبهم في الأعمال قال أبو عبد الله : تقلد مثل هؤلاء على هذه الأعمال الجليلة وتقتصر بي على ضمان الخاصة بالأهواز وبأخي يوسف عليّ سرق لعن الله من يقنع بهذا منك ، فإن لطبلي صوتاً سوف يسمَعُ بعد أيام، فلما بلغه اضطراب أمر عليّ بن عيسى ارسل أخاه أبا الحسين إلى بغداد، وأمره أن يخطب له أعمال الأهواز ، وما يجري معها إذا تجددت وزارة لمن يأخذ الرشا ويرتفق، فلما وزر أبو علي بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على ذلك فقَلَّدَ أبا عبد الله الأهواز جميعها سوى السوس ، وجنديسابور. وقلد أخاه أبا

---

(١) في صلة تاريخ الطبري : « قبض على علي بن عيسىٰ الوزير ووكل به في دار الخليفة في يوم الثلاثاء لأثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

(٢) في صلة الطبري : « وتوجه هارون بن غريب الخال إلى أبي علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن مقلة فحمله إلى دار المقتدر بعد مراسلات كانت بينهما وضمانات فقلده المقتدر وزارته وفوّض إليه أموره وخلع عليه الوزارة يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

الحسين الفراتية . وقلد أخاهما أبا يوسف الخاصة والأسافل على أن يكون المال في ذمة أبي أيوب السمسار إلى أن يتصرفوا في الأعمال .

وكتب أبو عليّ بن مقلة إلى أبي عبد الله في القبض على ابن أبي السلاسل ، فسار بنفسه فقبض عليه بتستر وأخذ منه عشرة آلاف دينار ، ولم يوصلها وكان متهوراً لا يفكر في عاقبة أمر . وسيردُ من أخباره ما يعلم به دهاؤه ومكره ، وقلة دينه وتهوُّرِهِ ، ثم إن أبا عليّ بن مقلة جعل أبا محمد الحسين بن أحمد الماذرائي مشرفاً على أبي عبد الله فلم يلتفت إليه . (البريدي) بالباء الموحدة والراء المهملة منسوب إلى البريد ـ هكذا ذكره الأمير ابن ماكولا ، وقد ذكره ابن مسكويه ـ بالياء المعجمة باثنتين من تحت والزاي ـ وقال: كان جدُّه يخدم يزيد بن منصور الحَميري ، فنسب إليه والأول أصح . وما ذكرنا قول ابن مسكويه : إلا حتى لا يظن ظانٍ أننا لم نقف عليه واخطأنا الصواب .

ذكر من ظهر بسواد العراق من القرامطة

لما كان من أمر أبي طاهر القرمطي ما ذكرناه ، واجتمع من كان بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة فيكتم اعتقاده خوفاً فأظهروا اعتقادهم ، فاجتمع منهم بسواد واسطَ أكثر من عشرة آلاف رجل وولّوا أمرهم رجلاً يعرَفُ بحريثَ بن مسعود ، واجتمع طائفة أخرى بعين التمر ونواحيها في جمع كثير وولوا أمرهم إنساناً يسمّى عيسى بن موسى ، وكانوا يدعون إلى المهدي . وسار عيسى إلى الكوفة ونزل بظاهرها وجبى الخراج، وصرف العمال عن السواد. وسار حُرَيثُ بن مسعود إلى أعمال الموفقي وبنى بها داراً سمَّاها دار الهجرة، واستولى على تلك الناحية ، فكانوا ينهبون ويسبون ويقتلون . وكان يتقلد الحرب بواسط بني بن نفيس ، فقاتلهم فهزموه ، فسيَّر المقتدر باللهِ إلى حُرَيثَ بن مسعود ومن معه هارون بن غريب . وإلى عيسى بن موسى ومن معه بالكوفة صافياً البصري ، فأوقع بهم هارون وأوقع صافي بمن سار إليهم فانهزمت القرامطة وأُسِرَ منهم كثير ، وقُتِلَ أكثر ممن أُسِرَ. وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب (ونريد أن نمنَّ على الذين استضعِفُوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم

---

(١) في البداية والنهاية ١١/١٦٩ : « ودعوا الى المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب جد الفاطميين ، وهم أدعياء كذبة ، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء » .

الوارثين) فأدخلت بغداد منكوسة . واضمحلّ أمر من بالسواد منهم ، وكفّى الله الناسَ شرَّهم .

ذكر الحرب بين نازوك وهارون بن غريب

وفيها وقعت الفتنة بين نازوك صاحب الشرطة وهارون بن غريب ، وسبب ذلك أن ساسة دواب هارون بن غريب وساسة نازوك تغايروا على غلام أمرد وتضاربوا بالعصي، فحبس نازوك ساسة دواب هارون بعد أن ضربهم . فسار أصحاب هارون إلى محبس الشرطة، ووثبوا على نائب نازوك به وانتزعوا أصحابه من الحبس. فركب نازوك وشكى إلى المقتدر. فقال: كِلاكُما عزيزٌ عليَّ ولستُ أدخلُ بينكما. فعاد وجمعَ رجالَه وجمع هارون رجاله وزحف أصحاب نازوك إلى دار هارون، فأغلق بابه، وبقي بعض أصحابه خارج الدَّار فقتل منهم أصحاب نازوك ، وجَرِحُوا ففتح هارون الباب وخرج أصحابه ، فوضعوا السلاح في أصحاب نازوك فقتلوا منهم وجَرحوا واشتبكت الحرب بينهم. فكفَّ نازوك أصحابه وأرسل الخليفة إليهما ينكِرُ عليهما ذلك . فكفَّا وسكنت الفتنة واستوحش نازوك واستدلَّ بذلك على تغير المقتدر ، ثم ركب إليه هارون وصالحه وخرج هارون بأصحابه، ونزل بالبستان النجمي ليبعدَ عن نازوك فأكثر الناس ، الأراجيف وقالوا : قد صار هارون أمير الأمراء ، فعظم ذلك على أصحاب مؤنس ، وكتبوا إليه بذلك ـ وهو بالرِّقة ـ فأسرع العود إلى بغدادَ فنزل بالشَّماسية في أعلى بغداد، ولم يلق المقتدر . فصَعِدَ إليه الأمير أبو العبّاس بن المقتدر . والوزير ابن مقلة فأبلغاه سلام المقتدر واستيحاشه له وعادا . واستشعر كلُّ واحدٍ منُ المقتدر ومؤنس من صاحبه . وأحضر المقتدر هارون بن غريب ـ وهو ابن خاله ـ فجعله معه في داره ـ فلما عَلِمَ مؤنس بذلك ازداد نفوراً واستيحاشاً . وأقبل أبو الهيجاء بن حمدان من بلاد الجبل فنزل عند مؤنس ومعه عسكر كبير . وصارت المراسلاتُ بين الخليفة ومؤنس تتردد والأمراء يخرجون إلى مؤنس وانقَضَتِ السّنة ، وهم على ذلك .

ذكر قتل الحسن بن القاسم الدّاعي

في هذه السنة قُتِلَ الحسن بن القاسم الدّاعي العلويّ . وقد ذكرنا استيلاء أسفار شيرويه الديلمي على طبرستان، ومعه مرداويج . فلما استولوا عليها كان الحسن بن

القاسم بالرّيّ واستولى عليها وأخرج منها أصحاب السعيد نصر بن أحمد ، واستولى على قزوين، وزنجان ، وأبهر وقم وكان معه ما كان بن كالي الدَّيلمي ، فسار نحو طبرستان والتقوا هم وأسفار عند سارية ، فأقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزم الحسن ، وما كان بن كالي فلحِقَ الحسن فقُتِلَ. وكان انهزام معظمِ أصحاب الحسن على تعمُّدٍ منهم للهزيمة . وسبب ذلك أنه كان يأمر أصحابه الإستقامة ومنعهم عن ظلم الرّعية وشُربِ الخمورِ ، وكانوا يبغضونه لذلك . ثم اتفقوا على أن يستقدموا هروسندان ـ وهو أحد رؤساء الجبل وكان خال مرداويج ، ووشمكير ـ ليقدموه عليهم ويقبضوا على الحسن الدّاعي وينصبوا أبا الحسين بن الأطروش ، ويخطبوا له .

وكان هروسندان مع أحمد الطويل بالدامغان بعد موت صعلوك ، فوقف أحمد على ذلك فكتب إلى الحسن الدّاعي يعلمه فأخذ حذره ، فلما قدم هروسندان لقيه مع القواد وأخذهم إلى قصره بجرجان ليأكلوا طعاماً، ولم يعلموا أنه قد اطَّلع على ما عزموا عليه . وكان قد وافق خواص أصحابه على قتلهم وأمرهم بمنع أصحاب أولئك القوّاد من الدخول . فلما دخلوا دارَه قابلهم على ما يريدون أن يفعلوه وما أقدموا عليه من المنكرات التي أحلَّتْ له دماءهم ، ثم أمر بقتلهم عن آخرهم . وأخبر أصحابهم الذين ببابه بقتلهم وأمرهم بنهب أموالهم فاشتغلوا بالنَّهب ، وتركوا أصحابهم وعظم قتلهم على أقربائهم ونفروا عنه . فلما كانت هذه الحادثة تخلوا عنه حتى قُتِلَ . ولما قُتِلَ استولى اسفار على بلادطبرستان ، والرِّي ، وجرجان ، وقزوين ، وزنجان ، وأبهر ، وقم ، والكرخ ودعا لصاحب خراسان ـ وهو السعيد نصر بن أحمد ـ وأقام بسارية واستعمل على آمل هارون بن بهرام ، وكان هارون يحتاج ان يخطب فيها لأبي جعفر العلوي . وخاف أسفار ناحية أبي جعفر أن يجدّد له فتنة وحرباً فاستدعى هارون إليه وأمره أن يتزوج إلى أحد أعيان آمل، ويحضرَ عرسَهُ أبا جعفر وغيره من رؤساء العلويين ، ففعل ذلك في يوم ذكره أسفار.

ثم سار أسفار من سارية مجدًا فوافى آمل وقت الموعد ، وهاجم دار هارون على حين غفلة وقبض على أبي جعفر وغيره من أعيان العلويين وحملهم إلى بُخارى، فاعتقلوا بها إلى أن خلصوا أيام فتنة أبي زكريا ـ على ما نذكره ـ ولما فرغ أسفار من أمر طبرستان سار إلى الرِّي وبها ما كان بن كالي فأخذها منه واستولى عليها وسار ما كان إلى

طبرستان ، فأقام هناك . وأحب أسفار أن يستوليَ على قلعةِ الموت - وهي قلعة على جبل شاهق من حدود الدّيلم - وكانت لسياه جشم بن مالك الديلّمي - ومعناه الأسود العين - لأنه كان على إحدى عينيه شامة سوداء . فراسله أسفار وهنأه ، فقدم عليه فسأله أن يجعل عياله في قلعة الموت وولّاه قزوين ، فأجابه إلى ذلك فنقلهم إليها ثم كان يرسل إليهم من يثق به من أصحابه . فلما حصل فيها مائة رجل استدعاه من قزوين ، فلما حضر عنده قبض عليه وقتله بعد أيام . وكان أسفار لما اجتاز بسمنان استأمن إليه ابن أمير كان صاحب جبل دنباوند . وامتنع محمد بن جعفر السمناني من النزول إليه وامتنع بحصن بقرية رأس الكلب فحقدها عليه أسفار . فلما استولى على الرّي أنفذ عليه جيشاً يحصرونه وعليهم إنسان يقال له : عبد الملك الديلمي فحصروه ، ولم يمكنهم الوصول إليه . فوضع عليه عبد الملك من يشير عليه بمصالحته ففعل ، وأجابه عبد الملك الديلمي فحصروه ، ولم يمكنهم الوصول إليه . فوضع عليه عبد الملك من يشير عليه بمصالحته ففعل ، وأجابه عبد الملك إلى المسألة ، ثم وضع عليه من يحسن له أن يضيف عبد الملك ، فأضافه فحضر في جماعة من شجعان أصحابه فتركهم تحت الحصن ، وصعد وحده إلى محمد بن جعفر فتحادثا ساعة . ثم استخلاه عبد الملك ليشيرَ إليه شيئاً ففعل ذلك ولم يبقَ عندهما أحد غير غلام صغير . فوثب عليه عبد الملك فقتله ، وكان محمد منقرساً زمناً ، وأخرج حبل ابرشيم ، كان قد أعدّه فشدَّهُ في نافِذةٍ في تلك الغرفة ونزل وتخلّص .

واستغاث ذلك الغلام فجاء أصحاب محمد بن جعفر ، وكسروا الباب وكان عبد الملك قد أغلقه فلما دخلوا رأوه مقتولاً فقتلوا به كل من عندهم من الديلم ، وحفظوا نفوسهم ، وعظمت جيوش أسفار وجلّ قدره فتجبَّر وعصا على الأمير السعيد صاحب خراسان ، وأراد أن يجعل على رأسه تاجاً وينصب بالرّي سرير ذَهَبَ للسلطة ويحارب الخليفة وصاحب خراسان ، فسيَّر المقتدر إليه هارون بن غريب في عسكر نحو قزوين فحاربه أصحاب أسفار بها فانهزم هارون وقتل من أصحابه جمع كثير بباب قزوين . وكان أهل قزوين قد ساعدوا أصحاب هارون فحقدها عليهم أسفار، ثم إن الأمير السَّعيد صاحب خراسان سار من بُخارى قاصداً نحو أسفار ، ليأخذ بلاده فبلغ نيسابور ، فجمع أسفار عسكره وأشار على أسفار وزيره مطرف بن محمد الجرجاني ، بمراسلة صاحب خراسان والدخول في طاعته، وبذل المال له فإن أجابَ وإلّا فالحرب

بين يديه ، وكان في عسكره ، جماعة من أتراك صاحب خراسان قد ساروا معه فخوَّفه وزيرَه منهم فرجِعَ إلى رأيِهَ وراسله فأبى أن يجيبه إلى ذلك وعزم على المسير اليه . فأشار عليه أصحابه أن يقبل الأموال وإقامة الخطبة له وخوّفوه الحرب وأنه لا يدري لمن النصر ، فرجع إلى قولهم وأجاب أسفار الى ما طلب وشرط عليه شروطاً من حمل الأموال وغير ذلك واتفقا. فشرع أسفار بعد اتمام الصلح ، وقسط على الري وأعمالها على كل رجل ديناراً سواء كان من أهل البلاد أم من المجتازين ، فحصل له مال عظيم ارضى صاحب خراسان ببعضه ، ورجع عنه . فعظم أمر أسفار خلاف ما كان وزاد تجبُّرَهُ ، وقصد قزوين لما في نفسه على أهلها فأوقع بهم وقعة عظيمة ، أخذ فيها أموالهم وعذّبهم، وقَتَلَ كثيراً منهم ، وعسَّفَهُم عسفاً شديداً وسلّط الدّيلمَ عليهم ، فضاقت الأرض عليهم وبلغت القلوب الحناجر . وسمع مؤذن الجامع يؤذن ، فأمر به فأُلقي من المنارة إلى الأرض، فاستغاث الناس من شرِّه وظلمه . وخرج أهل قزوين إلى الصحراء الرجال ، والنساء، والولدان يتضرعون ويدعون عليه ويسألون الله كشف ما هم فيه فبلغه ذلك ، فضحك منهم وشتمهم إستهزاء بالدُّعاء. فلما كان الغد انهزم على ما نذكره .

ذكر قتل اسفار

كان في أصحاب أسفار قائد من أكبر قوّاده يقال له : مرداويج بن زيار الدّيلمي . فأرسله إلى سلار صاحب شميران الطرم ، يدعوه الى طاعته، وهذا سلار هو الذي صار ولده فيما بعد صاحب اذربيجان وغيرها . فلما وصل مرداويج إليه تشاكيا ما كان الناس فيه من الجهد والبلاء، فتحالفا وتعاقدا على قصده والتساعد على حربه وكان أسفار قد وصل إلى قزوين ، وهو ينتظر وصول مرداويج بجوابه . فكتب مرداويج إلى جماعة من القوّاد يثق بهم ويعرّفهم ما اتفق هو وسلار عليه ، فأجابوه إلى ذلك، وكان الجند قد سَئِمُوا أسفار لسوء سِيرتِـهِ وظُلْمِهِ وجوره . وكان في جملة من أجاب إلى مساعدة مرداويج مِطرَفُ بن محمد وزير أسفار ، وسار مرداويج ، وسلار ، وأسفار ، وبلّغهُ الخبرَ ، وأن أصحابه قد بايعوا مرداويج فأحسّ بالشرّ ، وكان ذلك عُقَيْبَ حادثته مع أهل قزوين ودعائهم . وثار الجند بأسفار ، فهرب منهم في جماعة من غلمانه ، وورد الري فأراد أن يأخذ من مال كان عند نائبه بها شيئاً فلم يُعطِه غير خمسة آلاف دينار وقال له :

أنت أمير ولا يعوزك مال . فتركه وانصرف إلى خراسان فأقام بناحية بيهق . واما مرداويج فإنه عاد من قزوين نحو الري ، وكتب إلى ما كان بن كالي وهو بطبرستان يستدعيه ليتساعدا ويتعاضدا . فسرى ما كان بن كالي إلى أسفار. وكان قد عسف أهل الناحية التي هو بها فلما أحسَّ بما كان سار إلى بِسْتَ، وركب المفازة نحو الرّي ليقصدَ قلعة الموت التي بها أهله وأمواله . فانقطع عنه بعض أصحابه ، وقصد مرداويج فأعلمه خبره . فخرج مرداويج من ساعته في أثره وقدم بعض قوّاده بين يديه فلحِقَهُ ذلك القائدُ ، وقد نزل يستريح فسلَّم عليه بالأمرة . فقال له أسفار : لعلَّكم اتصل بكم خبري وبعثت في طلبي . قال : نعم . فبكى أصحابُهُ فأنكر عليهم أسفار ذلك . وقال : بمثل هذه القلوبِ تتجندون ، أما علمتم أن الولايات مقرونة بالبليات . ثم أقبل على ذلك القائد ـ وهو يضحك ـ وسأله عن قوّاده الذي أسلموا وخذلوه فأخبره أن مرداويج قتلهم فتهلل وجهه ، وقال: كانت حياة هؤلاء غصة في حلقي ، وقد طابت الآن نفسي فامضِ فيما أمرت به وظنَّ أنه أمر بقتله ، فقال : « ما أمرت فيك بسوء » . وحمله الى مرداويج فسلَّمه إلى جماعة أصحابه ليحمله إلى الري فقال له بعض أصحابه : « ان أكثر من معك كانوا أصحاب هذا ، فأنحرفوا عنه إليك وقد اوحشت أكثرهم بقتل قوادهم فما يؤمنك أن يرجعوا إليه غداً ، ويقبضوا عليك » . فحينئذ أمر بقتله وانصرف الى الري ، وقيل في قتله : أنه لما عاد نحو قلعة الموت نزل في واد هناك يستريح ، فاتفق أن مرداويج خرج يتصيّد ويسأل عن أخباره فرأى خيلاً يسيرة في وادٍ هناك، فأرسل بعض أصحابه ليأخذ خبرها فرأوا أسفار بن شيرويه في عدَّةٍ يسيرة من أصحابه يريد الحصن ، ليأخذَ ماله فيه ويستعين به على جمع الجيوش ، ويعود إلى محاربة مرداويج ، فأخذوه ومن معه وحملوه إلى مرداويج . فلما رآه نزل إليه فذبحه واستقرّ أمر مرداويج في البلاد، وعاد إلى قزوين بعد قتل أسفار ، فأحسن إلى أهلها ووعدَهُم الجميل . وقيل : بل دخل أسفار إلى رحا وقد نال منه الجوع ، فطلب من الطّحان شيئاً يأكله ، فقدَّمَ له خبزاً ولبناً فأكل منه هو وغلام له ليس معه غيره، فأقبل مرداويج إلى تلك الناحية ، فأشرف على الرّحا فرأى اثر حوافر الدَّواب ، فسأل عنها فقيل له : قد دخل فارسان إلى هذه الرّحا فكبس مرداويج الرّحا فرآه ، وقتله .

ذكر ملك مرداويج

ولما انهزم أسفار من مرداويج، ابتدأ في ملك البلاد، ثم إنه ظفر بأسفار فقتله، فتمكن ملكه وثبت، وتنقَّلَ في البلاد يملكها مدينة مدينة وولاية ولاية فملك قزوين ووعدهم الجميل، فأحبُّوه، ثم سار إلى الريّ فملكها وملك همذان، وكنكور، والدينور، ويزدجرد، وقم، وقاشان، وأصبهان، وجرباذقان، وغيرها، ثم إنه أساء السِّيرة في أهل أصبهان خاصة، وأخذ الأموال وهَتَك المحارمَ، وطغى وعمل له سريراً من ذهب يجلس عليه وسريراً من فضة يجلس عليه أكابر قواده، وإذا جلس على السرير يقف عسكره صفوفاً بالبعد منه، ولا يخاطبه أحد إلا الحُجَّاب الذين رتَّبهم لذلك، وخافه الناس خوفاً شديداً.

ذكر ملك مرداويج طبرستان

قد ذكرنا إتفاق ماكان بن كالي مع مرداويج ومساعدته على أسفار، فلما استقرَّ ملك مرداويج وقويَ أمره وكَثُرَتْ أمواله وعساكره، وطمع في جرجان، وطبرستان وكانتا مع ماكان بن كالي. فجمع عساكره وسار إلى طبرستان، فثبت له ماكان، فاستظهر عليه مرداويج واستولى على طبرستان ورتّب فيها بلقسم بن بانجين - وهو اسفهسلار - عسكره وكان حازماً شجاعاً جيدَ الرأي، ثم سار مرداويج نحو جرجان وكان بها من قبل ما كان شيرزيل بن سلار، وأبو علي بن تركي فهربا من مرداويج، وملكها مرداويج، ورتَّب سرخاب بن باوس خال ولد بلقسم بن بانجين خليفة عن بلقسم. فجمع لبلقسم، جرجان، وطبرستان. وعاد مرداويج إلى أصبهان ظافراً غانماً، وسار ما كان إلى الدَّيلم واستنجد أبا الفضل الثائر بها فأكرمه، وسار معه إلى طبرستان، فلقيهما بلقسم وتحاربوا فانهزم ماكان، والثائر، فأما الثائر فقصد الديلم. وأما ماكان فسار إلى نيسابور فدخل في طاعة السعيد نصر واستنجده فأمدَّهُ بأكثر جيشه وبالغ في تقويته، ووصل إليه ماكان، وأبو علي فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم أبو علي، وماكان، وعادا إلى نيسابور، ثم عاد ماكان بن كالي إلى الدامغان ليتملكها فسار نحوه بلقسم، فصدَّه عنها فعاد إلى خراسان، وسنذكر باقي أخبار ماكان فيما بعد.

ذكر عدة حوادث

فيها كان ابتداء أمر أبي يزيد الخارجي بالمغرب، وسنذكر أمره سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، مستقصى. وفيها ظهر بسجستان خارجي ، وسار في جمع إلى بلاد فارس يريد التغلُّب عليها فقتله أصحابه قبل الوصول إليها وتفرقوا . وفيها صرف أحمد بن نصر العشوري عن حجبة الخليفة وقلَّدها ياقوت، وكان يتولى الحرب بفارس - وهو بها - فاستخلف على الحجبة ابنه أبا الفتح المظفر. وفيها وصل الدمستق في جيش كثير من الروم إلى أرمينية فحصروا خلاط فصالحه أهلها ورحل عنهم بعد أن أخرج المنبر من الجامع وجعل مكانه صليباً، وفعل ببدليس كذلك ، وخافه أهل أرزن وغيرهم ففارقوا بلادهم وانحدر أعيانهم إلى بغداد واستغاثوا إلى الخليفة فلم يغاثوا . وفيها وصل سبعمائة رجل من الروم والأرمن إلى ملطية ومعهم الفؤوس والمعاول وأظهروا أنهم يتكسبون بالعمل ، ثم ظهر أن مليحاً الأرمني صاحب الدروب وضعهم ليكونوا بها فإذا حصرها سلّموها إليه ، فعلم بهم أهل ملطية فقتلوهم وأخذوا ما معهم: وفيها في منتصف ربيع الأول قلّد مؤنس المؤنسي الموصل وأعمالها . وفيها مات أبو بكر بن أبي داود السجستاني[١]، وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الأسفرايني وله مسند مخرج على صحيح مسلم[٢] . وفيها أبو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السرَّاج صاحب كتاب الأصول في النحو[٣] .

---

(١) هو محدث العراق وابن محدثها وله بسجستان سنة ثلاثين ومائتين ورحل به أبوه وطوف به البلاد شرقاً وغرباً واستوطن بغداد وصنف السنن والمسند والتفاسير والقراءات والناسخ والمنسوخ وغير ذلك : وابوه ابو داود صاحب السنن أحد الكتب الستة وكان أحفظ من أبيه .

(٢) كان من الحفاظ المكثرين والائمة المشهورين طاف البلاد وحج عدة حجات وكان زاهداً عابداً .

(٣) تقدم ذكره في حوادث سنة خمس عشرة وثلاثمائة ولعل المصنف تردد في قوله . وله من المؤلفات الشعر والشعراء ، الجمل ، الرياح والهوى والنار ، الخط والهجاء ، المواصلات والمذاكرات في الأخبار ، الاشتقاق لم يتم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة

ذكر خلع المقتدر

في هذه السنة خلع المقتدر بالله من الخلافة وبويع أخوه القاهر بالله محمد بن المعتضد فبقي يومين ثم أعيد المقتدر، وكان سبب ذلك ما ذكرنا في السَّنة التي قبلها من استيحاش مؤنس ونزوله بالشماسية، وخرج إليه نازوك صاحب الشرطة في عسكره وحضر عنده أبو الهيجاء بن حمدان في عسكره من بلد الجبل، وبني بن نفيس، وكان المقتدر قد أخذ منه الدينور فأعادها إليه مؤنس عند مجيئه إليه، وجمع المقتدر عنده في داره هارون بن غريب، وأحمد بن كيغلغ، والغلمان الحجرية، والرجلة المصافية، وغيرهم. فلما كان آخر النهار ذلك اليوم انفضَّ أكثر من عند المقتدر وخرجوا إلى مؤنس، وكان ذلك أوائل المحرم.

ثم كتب مؤنس إلى المقتدر رقعة يذكر فيها أن الجيش عاتب منكر للسرف، فيما يطلق بإسم الخدم والحرم من الأموال والضياع، ولدخولهم في الرأي وتدبير المملكة، ويطالبون بإخراجهم من الدار وأخذ ما في أيديهم من الأموال والأملاك، وإخراج هارون بن غريب من الدار[1] فأجابه المقتدر أنه يفعل من ذلك ما يمكنه فعله ويقتصر على ما لا بد له منه واستعطفهم وذكرهم بيعته في أعناقهم مرة بعد أخرى، وخوَّفهم عاقبة النكث، وأمر هارون بالخروج من بغداد وأقطعه الثغور الشامية والجزرية وخرج من بغداد تاسع المحرم من هذه السنة. وراسلهم المقتدر وذكرهم نعمه عليهم وإحسانه

---

(١) جاء في صلة تاريخ الطبري: «وذلك أن مؤنساً المظفر لما قدم من الرقة عند إخراجه إلى القرامطة وقرب من بغداد لقيه عبد الله بن حمدان ونازوك الحاجب فأغرباه بالمقتدر وأعلماه بأنه يريد عزله عن الإمارة وتقديم هارون بن غريب مكانه» . . .

إليهم وحذَّرهم كفر إحسانه والسعي في الشرّ والفتنة[١]. فلما أجابهم إلى ذلك دخل مؤنس وابن حمدان، ونازوك إلى بغداد، وأرجف الناس بأن مؤنساً ومن معه قد عزموا على خلع المقتدر وتولية غيره. فلما كان الثاني عشر من المحرم خرج مؤنس والجيش إلى باب الشماسية فتشاوروا ساعة، ثم رجعوا إلى دار الخليفة بأسرهم. فلما زحفوا إليها وقربُوا منها هرب المظفر بن ياقوت، وسائر الحجاب، والخدم، وغيرهم، والفراشون، وكلّ من في الدّارِ.

وكان الوزير أبو علي بن مقلة حاضراً فهرب ودخل مؤنس والجيش دار الخليفة. وأخرج المقتدر ووالدته وخالته وخواص جواريه، وأولاده من دار الخلافة، وحملوا إلى دار مؤنس فاعتقلوا بها[٢]. وبلغ الخبر هارون بن غريب ـ وهو بقطربل ـ فدخل بغداد واستتر. ومضى ابن حمدان إلى دار ابن طاهر فأحضر محمد بن المعتضد وبايعوه بالخلافة، ولقبوه القاهر بالله؛ وأحضروا القاضي أبا عمر عند المقتدر ليشهدَ عليه بالخلع وعنده مؤنس، ونازوك، وابن حمدان، وبني بن نفيس. فقال: مؤنس للمقتدر ليخلع نفسه من الخلافة، فأشهدَ عليه القاضي بالخلع فقام ابن حمدان وقال للمقتدر: «يا سيدي يعزّ عليّ أن أراك على هذه الحال وقد كنت أخافها عليك واحذرها وانصحُ لك واحذرك عاقبة القبول من الخدم والنساء فتؤثر أقوالهم على قوليّ وكأني كنت أرى هذا وبعد فنحن عبيدك وخدمك». ودمعت عيناه وعينا المقتدر وشهد الجماعة على المقتدر بالخلع، وأودعوا الكتاب بذلك عند القاضي أبي عمر فكتمه ولم يظهر عليه أحداً. فلما عاد المقتدر إلى الخلافة سلّمه إليه، وأعلمه إنه لم يطلع عليه غيره فاستحسن ذلك منه، وولاه قضاء القضاة، ولما استقرَّ الأمر للقاهر أخرج مؤنس المظفر عليّ بن عيسى من الحبس ورتَّبَ أبا علي ابن مقلة في الوزارة، وأضاف إلى نازوك مع الشرطة حجبة الخليفة، وكتب إلى البلاد بذلك. وأقطع ابن حمدان مضافاً إلى ما بيده من أعمال طريق خراسان، وحلوان، والدينور، وهمذان، وكنكور، وكرمان، وشاهان، والراذنات،

---

(١) جاء في صلة الطبري: «وكتب المقتدر إلى مؤنس وأهل الجيش كتاباً كان فيه: وأما نازوك فلست أدري سبب عتبه واستيحاشه فوالله ما أعنت عليه هارون حين حاربه ولا قبضت يده حين طالبه . . .»

(٢) في صلة تاريخ بغداد: «ونهب الجند الدار ومحوا رسم الخلافة وهتكوا الحرمة، وصاروا في أخذ الجوهر والثياب والفرش والطيب إلى ما لا قدر له . . .».

ودقوقي، وخانيجار، ونهاوند، والصيمرة، والسيروان، وماسبذان، وغيرها. ونهبت دار الخليفة. ومضى بني بن نفيس إلى تربة لوالدة المقتدر، فأخرج من قبر فيها ستمائة ألف دينار، وحملها إلى دار الخليفة. وكان خلع المقتدر للنصف من المحرم، ثم سكن النهب وانقطعت الفتنة. ولما تقلّد نازوك حجبة الخليفة، أمر الرجالة المصافية بقلع خيامهم من دار الخليفة، وأمر رجاله وأصحابه أن يقيموا بمكان المصافية، فعظَّمَ ذلك عليهم، وتقدَّم إلى خلفاء الحجاب ألا يمكِّن أحداً يدخل إلى دار الخليفة إلاّ من له مرتبة فاضطربت الحجبة من ذلك.

ذكر عود المقتدر إلى الخلافة

لما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكر الناس إلى دار الخليفة لأنه يوم موكب دولة جديدة فامتلأت الممرات، والمراحات، والرحاب، وشاطىء دجلة من الناس. وحضر الرّجالة المصافية في السلاح الشاك يطالبون بحق البيعة ورزق سنة وهم حنقون بما فعل بهم نازوك، ولم يحضر مؤنس المظفر ذلك اليوم وارتفعت زعقات الرجالة فسمع بها نازوك، فاشفق أن يجري بينهم وبين أصحابه فتنة وقتال فتقدَّم إلى أصحابه وأمرهم أن لا يعرضوا لهم، ولا يقاتلوهم، وزاد شغب الرجالة وهجموا يريدون الصَّحنَ التسعيني، فلم يمنعهم أصحاب نازوك. ودخل من كان على الشطِّ بالسِّلاح، وقَرُبَتْ زعقاتهم من مجلس القاهر بالله وعنده أبو علي بن مقلة الوزير، ونازوك، وأبو الهيجاء بن حمدان فقال القاهر لنازوك: أخرج إليهم فسكِّنهُم وطيِّبَ قلوبهم. فخرج إليهم نازوك وهو مخمور قد شرب طول ليلته فلما رآه الرجالة تقدموا إليه ليشكوا حالهم إليه في معنى أرزاقهم فلما رآهم بأيديهم السيوف يقصدونه، خافهم على نفسه فهرب فطمعوا فيه فتبعوه. فانتهى به الهرب إلى باب كان هو سده أمس، فأدركوه عنده فقتلوه عند ذلك الباب، وقتلوا قبله خادمه عجيباً. وصاحوا يا مقتدر يا منصور فهرب كل من كان في الدّار من الوزير، والحجّابِ، وسائرِ الطبقات. وبقيت الدار فارغة، وصَلَبُوا نازوك، وعجيباً بحيث يراهما من على شاطىء دجلة.

ثم صار الرجالة إلى دار مؤنس يصيحون ويطالبونه بالمقتدر، وبادر الخدم فأغلقوا أبواب دار الخليفة. وكانوا جميعهم خدم المقتدر ومماليكه وصنائعه، وأراد أبو الهيجاء بن حمدان أن يخرجَ من الدار، فتعلق به القاهر وقال: انا فيْ ذمامِكَ فقال:

والله لا أسلِّمك أبداً. وأخذ بيد القاهر وقال: «قُمْ بنا نخرجُ جميعاً، وأدعو أصحابي وعشيرتي فيقاتلون معك ودونك». فقاما ليخرجا فوجدا الأبواب مغلقة، فتبعهما فائق وجه القصعة يمشي معهما. فأشرف القاهر من سطحٍ، فرأى كثرة الجمع فنزل هو، وابن حمدان، وفائق. فقال ابن حمدان للقاهر: قِفْ حتى أعود إليك. ونـزعَ سواده وثيابه، وأخذ جبّة صوفٍ لغلام هناك فلبسها، ومشى نحو باب النـوبي، فرآه مغلقـاً والناس من ورائه، فعاد إلى القاهر وتأخر عنهما وجه القصعة ومن معه من الخدم فأمرهم وجه القصعة بقتلهما أخذاً بثأر المقتدر وما صنعا بـه، فعاد إليهمـا عشرة من الخـدم بالسلاح، فعاد إليهم أبو الهيجـاء وسيفه بيـده ونزعَ الجبَّـةَ الصوف، وأخـذها بيـدِهِ الأخرى، وحمل عليهم فانجفلوا بين يديه وغشِيَهُمُ، فرموه بالنشاب ضرورة فعاد عنهم. وانفرد عنه القاهر ومشى إلى آخر البستان فاختفى فيه. ودخل أبو الهيجاء إلى بيت من ساج وتقدم الخدم إلى ذلك البيت فخرج إليهم أبو الهيجاء فولُّوا هاربين. ودخل إليهم بعض أكابر الغلمان الحجرية ومعه سودان بسلاح، فقصدوا أبا الهيجاء فخرج إليهم فرمي بالسِّهام، فسقط فقصده بعضهم، فضربه بالسَّيف فقطع يده اليُمنى، وأخذ رأسه فحمله بعضهم ومشى وهو معه.

وأما الرجالة فإنهم لما انتهوا إلى دار مؤنس وسمع زعقاتهم قال: ما الذي تريدون؟ فقيل له: نريد المقتدر فأمر بتسليمه إليهم، فلما قيل للمقتدر ليخرج، خاف على نفسه أن تكون حيلة عليه فامتنع، وحُمِلَ وأُخرِجَ إليهم، فحمله الرجالة على رقابهم حتى أدخلوه دار الخلافة، فلما حصل في الصحن التسعيني اطمأن وقعد، فسأل عن أخيه القاهر وعن ابن حمدان فقيل: هما أحياء. فكتب لهما أمانا بخطِّهِ وأمرَ خادماً بالسرعة بكتاب الأمان لئلا يحدث على ابي الهيجاء حادث، فمضى بالخطِّ إليه فلقيه الخادم الآخر ومعه رأسه فعاد معه، فلما رآه المقتدر وأخبره بقتله قال: إنا لله وإنَّا إليه راجعون. من قتله؟ فقال الخدم: ما نعرفُ قاتِلَهُ. وعظم عليـه قتله وقال: مـاكان يـدخل علي ويسليني، ويُظهِرُ لي الغمَّ هذه الأيام غيره.

ثم أخذ القاهر وأحضر عند المقتدر فاستدناه، فأجلسه عنده وقبَّلَ جبينه وقال له: يا أخي قد علمت أنه لا ذنب لك، وأنك قهرت ولو لقَّبوكَ بالمقهور لكـان أولى من القاهر، والقاهر يبكي، ويقول: يا أميرَ المؤمنين نفسي نفسي، أذكر الرَّحمَ التي بيني

وبينك، فقال له المقتدر: «وحقِّ رسول الله ﷺ لاجرى عليك سوء مني أبداً ولا وصل أحد إلى مكروهك، وأنا حي». فشكر، وأخرج رأس نازوك، ورأس أبي الهيجاء وشهرا. ونوديَ عليهما هذا جزاء من عصي مولاه.

وأما بني بن نفيس فإنه كان من أشدِّ القومِ على المقتدر فأتاه الخبر برجوعِهِ إلى الخلافة، فركِبَ جواداً، وهرب عن بغدادَ وغيَّر زيه، وسار حتى بلغ الموصل وسار منها إلى أرمينية، وسار حتى دخل القسطنطينية وتنصَّر، وهرب أبو السرايا نصر بن حمدان أخو أبي الهيجاء إلى الموصل وسكنت الفتنة، وأحضر المقتدر أبا علي بن مقلة وأعاده إلى وزارته، وكتب إلى البلاد بما تجدد له، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم؛ وباع ما في الخزائن من الأمتعة والجواهر، وأذن في بيع الأملاك من الناس فبيع ذلك بأرخص الأثمان، ليتمَّ أُعطِيات الجند. وقد قيل: إن مؤنساً المظفر لم يكن مؤثراً لما جرى على المقتدر من الخلع. وإنما وافق الجماعة مغلوباً على رأيه ولعلمه أنه إن خالفهم لم ينتفعْ به المقتدر، ووافقهم ليأمنوه، وسعى مع الغلمان المصافية والحجرية، ووضع قوّادهم على أن عملوا ما عملوا وأعادوا المقتدر إلى الخلافة. وكان هو قد قال للمقتدر لما كان في داره: ما تريدون أن نصنع؟ فلهذا أمَّنه المقتدر. ولما حملوه إلى دار الخلافة من دار مؤنس، ورأى فيها كثرة الخلق والاختلاف، عاد إلى دار مؤنس لثقتِهِ به واعتماده عليه، ولولا هوى مؤنس مع المقتدر لكان حضر عند القاهر مع الجماعة فإنه لم يكن معهم، كما ذكرناه، ولكان أيضاً قتل المقتدر لما طلب من داره ليُعادَ إلى الخلافة. وأما القاهر، فإن المقتدر حبسه عند والدته فأحسنت إليه وأكرمته ووسعت عليه النفقة، واشترت له السراري، والجواري للخدمة وبالغت في إكرامه والإحسان إليه بكل طريق.

ذكر مسير القرامطة إلى مكة وما فعلوه بأهلها وبالحجاج وأخذهم الحجر الأسود

حج بالناس في هذه السنة منصور الدَّيلمي، وسار بهم من بغدادَ إلى مكة فسلموا في الطريق، فوافاهم أبو طاهر القُرمطي بمكة يوم التروية، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه[1] وقلع الحجر الأسود

---

(١) قال ابو الفدا: فانتهب ـ القرمطي ـ اموالهم واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها، وفي =

ونفّذه إلى هجر، فخرج إليه ابن محلب أمير مكة في جماعة من الأشراف فسألوه في أموالهم، فلم يشفعهم، فقاتلوه فقتلهم أجمعين. وقلع باب البيت، وأَصْعَدَ رجلاً ليقلعَ الميزاب، فسقط فمات. وطرح القتلى في بئر زمزم ودفِنَ الباقين في المسجد الحرام، حيث قتلوا بغير كفن ولا غسل ولا صلّي على أحد منهم، وأخذ كسوة البيت فقسَّمها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة. فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيدالله العلويّ بأفريقية كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه، ويقيم عليه القيامة. ويقول: «قد حقّقْتَ على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر، والإلحاد بما فعلت، وان لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم وتردَّ الحجر الأسود إلى مكانه، وتردَّ كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة». فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود على ما نذكره، واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة فردَّه، وقال: «إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجّاج ولا أقدر على منعهم».

ذكر خروج أبي زكريا واخوته بخراسان

في هذه السَّنة خرج أبو زكريا يحيى، وأبو صالح منصور، وأبو إسحاق إبراهيم أولاد أحمد بن إسماعيل السّاماني على أخيهم السعيد نصر بن أحمد. وقيل: كان ذلك سنة ثمان عشرة وهو الصحيح، وكان سبب ذلك أن أخاهم نصراً كان قد حبسهم في القهندز ببُخارى، ووكّل بهم من يحفظهم فتخلصوا منه. وكان سبب خلاصهم ان رجلاً يُعرَفُ بأبي بكر الخباز الأصبهاني، كان يقول: «إذا جرىٰ ذكر السعيد نصر بن أحمد إن

= المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً، وجلس أميرهم أبو طاهر ـ لعنه الله ـ على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول:

انا لله وبالله أنا يخلق الخلق وافنيهم أنا

فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون.

ودخل رجل من القرامطة إلى حاشية الطواف وهو راكب سكران قبال فرسه عند البيت ثم ضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه، وألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه. والذي حملهم على ذلك شدة كفرهم وغلو زندقتهم. وكانت اقامة القرمطي بمكة أحد عشر يوماً فلما عاد القرمطي الى بلاده رماه الله تعالى في جسده حتى طال عذابه وتقطعت أوصاله وأطرافه وهو ينظر إليها وتناثر الدود من لحمه.

له مني يوماً طويل البلاء والعناء »، فكان الناس يضحكون منه .

فخرج السعيد إلى نيسابور واستخلف ببُخارى أبا العباس الكوسج ، وكانت وظيفة اخوته تحمل إليهم من عند هذا أبي بكر الخباز، وهم في السجن، فسعى لهم أبو بكر مع جماعة من أهل العسكر ليخرِجُوهم ، فأجابوه إلى ذلك، وأعلمهم ما سعى لهم فيه . فلما سار السعيد عن بُخارى تواعد هؤلاء للاجتماع بباب القهندز يوم جمعة. وكان الرَّسمُ أن لا يفتح باب القهندز أيام الجمع إلاّ بعد العصر. فلما كان الخميس دخل أبو بكر الخباز إلى القهندز قبل الجمعة التي اتعدوا الاجتماع ، فيها بيوم فبات فيه ، فلما كان الغد، وهو الجمعة جاء الخبّاز إلى باب القهندز وأظهر للبوابِ زهداً وديناً واعطاه خمسة دنانير ليفتحَ له الباب ليخرجه لئلا تفوته الصلاة، ففتح له الباب. فصاح أبو بكر الخباز ممن وافقه على إخراجهم، وكانوا على الباب فأجابوه، وقبضوا على البوّاب ودخلوا وأخرجوا يحيى ، ومنصوراً، وإبراهيم بني أحمد بن إسماعيل من الحبس مع جميع مَن فيه من الدّيلم، والعلويين، والعيارينَ. فاجتمعوا واجتمع إليهم من كان وافقهم من العسكر، ورأسهم شروين الجيلي وغيره من القوّاد. ثم إنهم عظمت شوكتهم ونهبوا خزائن السعيد نصر بن أحمد، ودُورَه وقصورَه، واختصَّ يحيى بن أحمد أبا بكر الخباز وقدمه وقواده. وكان السعيد إذ ذاك بنيسابور، وكان أبو بكر محمد بن المظفر صاحب جيش خراسان بجرجان. فلما خرج يحيى وبلغ خبره السعيد عاد من نيسابور إلى بُخارى.

وبلغ الخبر إلى محمّد بن المظفر، فراسل ماكان بن كالي وصاهره وولاّه نيسابور وأمره بمنعها ممن يقصدها، فسار ما كان إليها. وكان السعيد قد سار من نيسابور إلى بُخارى وكان يحيى وكّل بالنهر أبا بكر الخباز فأخذه السعيد أسيراً، وعبر النهر إلى بُخارى، فبالغ في تعذيب الخباز ثم ألقاه في التنُّور الذي كان يخبز فيه فاحترق.

وسار يحيى من بُخارى إلى سمرقند ثم خرج منها، واجتاز بنواحي الصغانيان، وبها أبو عليّ بن أبي بكر محمد بن المظفر. وسار يحيى إلى ترمذ فعبر النهر إلى بلخ، وبها قراتكين فوافقه قراتكين، وخرجا إلى مرو، ولما ورد محمد بن المظفر بنيسابور كاتبه يحيى واستماله فأظهر له محمد الميل إليه ووعده المسير نحوه.

ثم سار عن نيسابور واستخلف بها ماكان بن كالي ، وأظهر أنه يريد مرو، ثم عدل عن الطريق نحو بوشنج ، وهَراة مسرعاً في سيره، واستولى عليهما.

وسار محمد عن هَراة نحو الصغانيان على طريق غرشتان فبلغ خبره يحيى فسيَّر إلى طريقه عسكراً، فلقيهم محمد فهزمهم، وسار عن غرشتان. واستمدّ ابنه ابا عليّ من الصغانيان فأمدَّهُ بجيش.

وسار محمد بن المظفر إلى بلخ وبها منصور بن قراتكين، فالتقيا واقتتلا قتالاً شديداً، فانهزم منصور إلى الجوزجان.

وسار محمد إلى الصغانيان فاجتمع بولده، وكتب إلى السعيد بخبره فسرَّهُ ذلك، وولّاه بلخ ، وطخارستان. واستقدمه، فولّاها محمد ابنه على أحمد وأنفذه إليها، ولحق محمد بالسعيد فاجتمع به ببلخ رستاق وهو في أثر يحيى وهو بِهَراة، وكان يحيى قد سار إلى نيسابور وبها ما ماكان بن كالي ، فمنعه عنها ونزلوا عليها فلم يظفروا بها. وكان مع يحيى محمد بن إلياس فاستأمن إلى ماكان واستأمن منصور، وابراهيم أخو يحيى إلى السعيد نصر، فلما قارب السعيد هراة وبها يحيى، وقراتكين سارا عن هَراة إلى بلخ. فاحتال قراتكين ليصرف السعيد عن نفسه، فأنفذ يحيى من بلخ إلى بُخارى، وأقام هو ببلخ.

فعطف السعيد إلى بخارى فلما عبر النهر هرب يحيى من بُخارى إلى سمرقند ثم عاد من سمرقند ثانياً فلم يعاونه قراتكين، فسار إلى نيسابور وبها محمد بن إلياس قد قوّى أمره، وسار عنها ماكان إلى جرجان ووافقه محمد بن إلياس، وخطب له وأقاموا بنيسابور، وكان السعيد في أثر يحيى لا يمكِّنه من الاستقرار. فلما بلغهم خبر مجيء السعيد إلى نيسابور تفرقوا. فخرج ابن إلياس إلى كرمان، وأقام بها وخرج قراتكين ومعه يحيى إلى بست والرخج فأقاما بها؛ ووصل نصر بن أحمد نيسابور في سنة عشرين وثلاثمائة، فأنفذ إلى قراتكين وولّاه بلخ، وبذل الأمان ليحيى، فجاء إليه وزالت الفتنة، وانقطع الشر، وكان قد دام هذه المدة كلها.

وأقام السعيد بنيسابور إلى أن حضر عنده يحيى فأكرمه وأحسنَ إليه ثم مضى بها لسبيله هو وأخوه أبو صالح منصور. فلما رأى أخوهما إبراهيم ذلك هرب من عند السعيد

إلى بغداد ثم منها إلى الموصل وسيأتي خبره إن شاء الله تعالى . وأما قراتكين فإنه مات ببست، ونقل إلى اسبيجاب فدُفِنَ بها في رباطه المعروف برباط قراتكين ولم يملك ضيعة قطِ. وكان يقول: «ينبغي للجنديّ أن يصحبه كل ما ملك أين سار حتى لا يعتقله شيء».

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة منتصف المحرم وقعت فتنة بالموصل بين أصحاب الطعام وبين أهل المربعة والبزازين، فظهر أصحاب الطعام عليهم أول النهار. فانضمَّ الأساكفةُ إلى أهل المربعة والبزازين فاستظهروا بهم وقهروا أصحاب الطعام، وهزموهم وأحرقوا أسواقهم، وتتابعت الفتنة بعد هذه الحادثة. واجترأ أهل الشر وتعاقد أصحاب الخلقان والأساكفة على أصحاب الطعام واقتتلوا قتالاً شديداً دام بينهم. ثم ظفر أصحاب الطعام فهزموا الأساكفة ومن معهم وأحرقوا سوقَهم وقتلوا منهم، وركب أمير الموصل ـ وهو الحسن بن عبدالله بن حمدان الذي لُقِّب بعد بناصر الدولة ـ ليسكن الناس، فلم يسكنوا ولا كفوا، ثم دخل بينهم ناس من العلماء وأهل الدين فأصلحوا بينهم.

وفيها وقعت فتنة عظيمة ببغدادَ بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجند فيها. وسبب ذلك أن أصحاب المروزي قالوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾[1] هو أن الله سبحانه يقعد النبي ﷺ معه على العرش، وقالت الطائفة الأخرى: «إنما هو الشفاعة». فوقعت الفتنة واقتتلوا، فقتل بينهم قتلى كثيرة.

وفيها ضعفت الثغور الجزرية عن دفع الرُّوم عنهم، منها ملطية، وميافارقين، وآمد، وأرزن، وغيرها. وعزموا على طاعة ملك الروم والتسليم إليه لعجز الخليفة المقتدر بالله عن نصرهم. وأرسلوا إلى بغداد يستأذنون في التسليم ويذكرون عجزهم ويستمدون العساكر، لتمنع عنهم فلم يحصلوا على فائدة فعادوا.

وفيها قُلِّدَ القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن إسحاق بن حمَّاد بن زيد قضاء القضاة.

وفيها قُلِّدَ ابنا رائق شرطة بغداد مكان نازوك.

---

(١) سورة الإسراء ٧٠.

وفيها مات أحمد بن منيع وكان مولده سنة أربع عشرة ومائتين.

وفيها أقرَّ المقتدر بالله ناصرَ الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان على ما بيده من أعمال قردى وبازبدي وعلى أقطاع أبيه وضياعه.

وفيها قُلِّدَ نحرير الصغير أعمال الموصل فسار إليها فمات بها في هذه السّنة، ووليها بعده ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان في المحرم من سنة ثمان عشرة وثلاثمائة. وفيها سار حاج العراق إلى مكة على طريق الشام فوصلوا إلى الموصل أوّل شهر رمضان ثم منها إلى الشام لإنقطاع الطريق بسبب القرمطي معه كسوة الكعبة مع ابن عبدوس الجهشياري لأنه كان من أصحاب الوزير. وفيها في شعبان ظهر بالموصل خارجيٌّ يُعرَفُ بابن مطر، وقصد نصيبين فسار إليه ناصر الدولة بن حمدان فقاتله فأسره. وظهر فيه أيضاً خارجيّ اسمه محمد بن صالح بالبوازيج فسار إليه أبو السرايا نصر بن حمدان فأخذه أيضاً. وفيها التقى مفلح الساجي والدمستق فاقتتلوا فانهزم الدمستق، ودخل مفلح وراءه إلى بلاد الروم. وفيها آخر ذي القعدة انقض كوكب عظيم وصار له ضوء عظيم جداً. وفيها هبَّتْ ريح شديدة وحملت رملاً أحمر شديد الحمرة فعمَّ جانبي بغداد وامتلأت منه البيوت والدروب يشبه رمل طريق مكة. وفيها توفِّي أبو بكر أحمد بن الحسن بن الفرج بن سقير النحوي[1]، وكان عالماً بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف.

---

(١) الذي في بغية الوعاة ١/٣٠٢ : «أحمد بن الحسن بن العباس بن المفجر بن شقير النحوي الشقيري».

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلاثمائة

ذكر هلاك الرجالة المصافية

في هذه السنة في المحرم هلك الرجالة المصافية، وأخرجوا من بغداد بعد ما عظم شرّهم وقوي أمرهم. وكان سبب ذلك أنهم لما أعادوا المقتدر إلى الخلافة على ما ذكرنا، زاد إذلالهم واستطالتهم، وصاروا يقولون أشياء لا يحتملها الخلفاء. منها أنهم يقولون: من أعان ظالم سلّطَهُ الله عليه، ومن يُصعِدُ الحمار إلى السطح يقدر أن يحطّهُ وان لم يفعل المقتدر معنا ما نستحقه قاتلناه بما يستحق إلى غير ذلك. وكَثُرَ شغبهم ومطالبتهم، وادخلوا في الأرزاق أولادهم وأهليهم ومعارفهم وأثبتوا أسماءهم فصار لهم في الشهر مائة ألف وثلاثون ألف دينار[١]. واتفق أن شغب الفرسان في طلب أرزاقهم فقيل لهم: إن بيت المال فارغ وقد انصرفت الأموال إلى الرجالة؛ فثار بهم الفرسان فاقتتلوا، فقتل من الفرسان جماعة، واحتجَّ المقتدر بقتلهم على الرجالة، وأمر محمد بن ياقوت فركب، وكان قد استعمل على الشرطة فطرد الرجالة عن دار المقتدر ونوديَ فيهم بخروجهم عن بغداد ومن أقام قبض عليه وحبس. وهُدِمَتْ دُورُ غرمائِهِم، وقُبِضَتْ أملاكُهم، وظفر بعد النداء بجماعة منهم فضربهم وحلق لحاهم وشهَّر بهم، وهاج السودان تعصباً للرجالة فركب محمد أيضاً في الحجرية وأوقع بهم وأحرق منازلهم فاحترق فيها جماعة كثيرة منهم ومن أولادهم ومن نسائهم فخرجوا إلى واسطَ واجتمع بها منهم جمع كثير وتغلّبوا عليها وطرحوا عامل الخليفة، فسار إليهم مؤنس فأوقع بهم وأكثر القتل فيهم[٢] فلم تَقِمْ لهم بعدها راية.

---

(١) في صلة تاريخ الطبري: «وانضوى إليهم من لم يكن منهم وزادت عدتهم على عشرين ألفاً وبلغ المال المدفوع إليهم لكل شهر مائة ألف وثلاثين ألف دينار . . .».

(٢) في صلة تاريخ الطبري: «وقصد الفرسان من العامة إلى الموضع الذي كان فيه مستقر السودان بباب عمار فنهبوهم وأحرقوا منازلهم فطلبوا الأمان وسألوا الصفح فرفع عنهم القتل وحبس منهم الوجوه وأسقطت عنهم الجرايات . . .».

ذكر عزل ناصر الدولة ابن حمدان عن الموصل وولاية عمَّيهِ سعيد ونصر

في هذه السنة في ربيع الأول عزل ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان عن الموصل ووليها عماه سعيد ونصر ابنا حمدان. وولي ناصر الدولة ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين، ومعها من ديار بكر ميافارقين، وارزن ضمن ذلك بمال مبلغه معلوم. فسار إليها ووصل سعيد إلى الموصل في ربيع الآخر.

ذكر عزل ابن مقلة ووزارة سليمان بن الحسن

وفي هذه السنةعزل الوزير أبو عليّ محمد بن مقلة من وزارة الخليفة. وكان سببُ عزله أن المقتدر كان يتهمُه بالميل إلى مؤنس المظفر وكان المقتدر مستوحشاً من مؤنس ويظهر له الجميل، فأتفق أن مؤنساً خرج إلى أوانا وعكبرا[١] فركب ابن مقلة إلى دار المقتدر آخر جُمادى الأولى فقبض عليه. وكان بين محمد بن ياقوت وبين ابن مقلة عداوة، فأنفذ إلى دارِهِ بعد أن قبض عليه وأحرقها ليلاً[٢]، وأراد المقتدر أن يستوزر الحسين بن القاسم بن عبدالله. وكان مؤنس قد عاد فأنفذ إلى المقتدر مع عليّ بن عيسى يسأل أن يعاد ابن مقلة فلم يجبْهُ المقتدر إلى ذلك، وأراد قتل ابن مقلة فردَّه عن ذلك. فسأل مؤنس أن لا يستوزر الحسين فتركه واستوزر سُليمان بن الحسن منتصف جُمادى الأولى. وأمر المقتدر بالله عليّ بن عيسى بالاطِّلاع على الدواوين وأن لا ينفرد سُليمان عنه بشيء، وصُودِرَ أبو عليّ بن مقلة بمائتي ألف دينار، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

ذكر القبض على أولاد البريدي

كان أولاد البريدي وهم أبو عبدالله وأبو يوسف وأبو الحسين قد ضَمِنُوا الأهواز كما تقدم، فلما عزل الوزير ابن مقلة كتب المقتدر بخطٍّ يده إلى أحمد بن نصر القشوري الحاجب يأمره بالقبض عليهم ففعل وأودعهم عنده في داره[٣]. ففي بعض الأيام سمع

---

(١) كان خرج متنزهاً.

(٢) ذكر في صلة الطبري ان احتراق الدار كان ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادىٰ الاولى. وكانت الدار بالزاهر على شاطىء دجلة.

(٣) بذل ابو عبد الله البريدي لأبي يعقوب حاجب احمد بن نصر خمسين ألف دينار على أن يفرج عنهم فما أجابه ثم سأله أن يفرج عن أحد أخويه ويقبل منه عشرين ألف دينار فأبى.

ضجة عظيمة وأصواتاً ماثلة فسأل ما الخبر؟ فقيل: إن الوزير قد كَتب بإطلاق بني البريدي، وأنفذ إليه أبو عبدالله كتاباً مزوراً يأمر فيه باطلاقهم وإعادتهم إلى أعمالهم. فقال لهم أحمد: «هذا كتاب الخليفة بخَطّهِ يقول فيه، لا تطلقهم حتى يأتيك كتاب آخر بخطّي ثم ظهر أن الكتاب مزوَّرٌ». ثم أنفذ المقتدر فاستحضرهم إلى بغداد وصودروا على أربعمائة ألف دينار وكان لا يطمع فيها منهم. وإنما طلب منهم هذا القدر ليجيبوا إلى بعضه فأجابوا إليه جميعه ليتخلصوا ويعودوا إلى عملهم.

ذكر خروج صالح والأغر

وفي هذه السَّنة في جُمادى الأولى خرج خارجيّ من بجيلة من أهل البوازيج اسمه صالح بن محمود، وعبر إلى البرية، واجتمع إليه جماعة من بني مالك. وسار إلى سنجار فأخذ من أهلها مالاً فلقيه قوافل فأخذ عشرها، وخطب بسنجار فذكر بأمر الله وحذَّر وأطال في هذا، ثم قال: نتولى الشيخين ونبرأ من الخبيثين ولا نرى المسح على الخفين». وسار منها إلى الشجاجية من أرض الموصل فطالب أهلها وأهل أعمال الفرج بالعشر وأقام أياماً. وانحدر إلى الحُديثة تحت الموصل فطالبَ المسلمين بزكاة أموالهم والنصارى بجزية رؤوسهم، فجرى بينهم حرب، فقُتِلَ من أصحابه جماعة، ومنعوه من دخولها فأحرق لهم ست عروب، وعبرَ إلى الجانب الغربي.

وأسر أهل الحُديثة ابناً لصالح اسمه محمد فأخذه نصر بن حمدان بن حمدون ـ وهو الأمير بالموصل ـ فأدخله إليها. ثم سار صالح إلى السن فصالحه أهلها على مال أخذه منهم. وانصرف إلى البوازيج، وسار منها إلى تل خوسا ـ قرية من أعمال الموصل عند الزاب الأعلى ـ وكاتب أهل الموصل في أمر ولده وتهددهم إن لم يردوه إليه. ثم رحل إلى السلامية، فسار إليه نصر بن حمدان لخمسٍ خلونَ من شعبان من هذه السنة، ففارقها صالح إلى البوازيج. فطلبه نصر، فأدركه بها فحاربه حرباً شديدة قُتِلَ فيها من رجال صالح نحو مائة رجل وقُتِلَ من أصحاب نصر جماعة. وأُسِرَ صالح ومعه ابنان له وأُدخِلُوا إلى الموصل وحُمِلُوا إلى بغداد فأُدخِلوا مشهورين.

وفيها في شعبان خرج بأرض الموصل خارجيّ اسمه الأغر بن مطر التغلبي وكان يُذكَرُ أنه من ولد عتاب بن كلثوم التغلبي أخي عمرو بن كلثوم الشاعر. وكان خروجه

بنواحي رأس العين وقصد كفرتوثا وقد اجتمع معه نحو ألفَي رجل فدخلها، ونهبها وقتل من فيها. وسار إلى نصيبين فنزل بالقرب منها فخرج إليه ومعه جمع من الجند ومن العامة فقاتلوه، فقتلَ الشاري منهم مائة رجل وأُسِرَ ألف رجل فباعهم نفوسهم وصالحه أهل نصيبين علىّ أربعمائة ألف درهم. وبلغ خبره ناصر الدولة ابن حمدان ـ وهو أمير ديار ربيعة ـ فسيَّر إليه جيشاً فقاتلوه فظفروا به وأسروه وسيَّره ناصر الدولة إلى بغداد.

ذكر مخالفة جعفر بن أبي جعفر وعوده

كان جعفر بن أبي جعفر بن أبي داود مقيماً بالختَّل والياً عَليها للسّامانية، فبدت منه أمور نسب بسببها إلى الاستعصاء، فكُوتِبَ أبو عليّ أحمد بن محمد بن المظفر بقصده، فسار إليه وحاربه فقَبَضَ عليه وحَمله إلى بُخارى وذلك قبل مخالفة أبي زكريا يحيى. فلما حُمِلَ إلى بُخارى حُبِسَ فيها، فلما خالف أبو زكريا يحيى أخرجه من الحبس وصحبه، ثم استأذنه في العود إلى ولاية الختل، وجمْعِ الجيوش له بها فأذِنَ له فسار إليها وأقام بها وتمسك بطاعة السعيد نصر بن أحمد فصلح حاله، وذلك سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ـ الختل، بالخاء المعجمة والتاء فوقها نقطتان والخاء مضمومة والتاء مشددة مفتوحة ـ

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة شغب الفرسان وتهددوا بخلع الطاعة. فأحضر المقتدر قوادهم بين يديه ووعدهم الجميل وان يطلق أرزاقهم في الشهر المقبل فسكنوا. ثم شغب الرجالة فاطلقت أرزاقهم.

وفيها خلع المقتدر على ابنه هارون(١) وركب معه الوزير والجيش وأعطاه ولاية فارس وكرمان وسجستان ومكران. وفيها أيضاً خلع على ابنه ابي العبّاس(٢) وأقطعه بلاد الغرب ومصر والشام وجعل مؤنساً المظفر يخلفه فيها. وفيها صرف إبنا رائق عن الشرطة

---

(١) عيّن في الصلة اليوم وهو يوم الأثنين لست بقين من شوّال في ركب في الخلع الى داره المعروفة بجرادة بقرب الجسر، وكان المقتدر قد ثقف ولده هذا بنصرالحاجب وجعل في حجره، فلما مات نصر تكفل أمره ياقوت كما كان يتكفله نصر قبله إلا أن نصراً كان يهدي له ويتقرب إليه.

(٢) وكان ذلك في ذي القعدة منها، وركب معه الوزير ومؤنس المظفر وجميع الجند.

وقلّدها أبو بكر محمد بن ياقوت. وفيها وقعت فتنة بنصيبين بين أهل باب الروم والباب الشرقي واقتتلوا قتالاً شديداً وأدخلوا إليهم قوماً من العرب والسَّواد فقتل بينهم جماعة، وأحرقت المنازل والحوانيت ونُهِبَت الأموال، ونـزل بهم قافلة عظيمة تريد الشام فنهبوها. وفيها توفي يحيى بن محمد بن صاعد البغدادي وكان عمره تسعين سنة وهو من فضلاء المحدثين(١). والقاضي أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي الفقيه الحنفي وكان عالماً بالأدب ونحو الكوفيين وله شعر حسن.

(١) كان من كبار الحفاظ وشيوخ الرواية له تصانيف تدل على حفظه وفقهه وفهمه توفي بالكوفة، وبنو صاعد ثلاثة: يوسف، وأحمد، ويحيى.

ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة

ذكر تجدد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

في هذه السّنة تجددت الوحشة بين مؤنس المظفر وبين المقتدر بالله، وكان سببها أن محمد بن ياقوت كان منحرفاً على الوزير سُليمان ومائلاً إلى الحسين بن القاسم. وكان مؤنس يميل إلى سُليمان بسبب عليّ بن عيسى وثقتهم به. وقَوِيَ أمر محمد بن ياقوت وقلد مع الشرطة الحسبة، وضمَّ إليه رجالاً فقوي بهم، فعظم ذلك على مؤنس وسأل المقتدر صرف محمد عن الحسبة، وقال: «هذا شغل لا يجوز أن يتولّاه غير القضاة والعدول». فأجابه المقتدر. وجمع مؤنس إليه أصحابه فلما فعل ذلك جمع ياقوت وابنه الرجال في دار السلطان وفي دار محمد بن ياقوت. وقيل لمؤنس: «إن محمد بن ياقوت قد عزم على كبس دارِك ليلاً». ولم يزلْ به أصحابه حتى أخرجوه إلى باب الشماسية فضربوا مضاربهم هناك، وطالب المقتدر بصرف ياقوت عن الحجبة وصرف ابنه عن الشرطة وابعادهما عن الحضرة فأخرِجَا إلى المدائن. وقلد المقتدر ياقوتاً أعمال فارس وكرمان، وقلد ابنه المظفر بن ياقوت أصبهان. وقلد أبا بكر محمد بن ياقوت سجستان. وتقلد ابنا رائق إبراهيم ومحمد مكان ياقوت وولده الحجبة والشرطة. وأقام ياقوت بشيراز مدة. وكان عليّ بن خلف بن طياب ضامناً أموال الضيّاع والخراج بها فتظافرا وتعاقدا وقطعا الحمل عن المقتدر إلى أن ملك عليّ بن بويه الدَّيلمي بلاد فارس سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ذكر قبض الوزير سليمان ووزارة أبي القاسم الكلوذاني

وفي هذه السنة قبض المقتدر على وزيره سُليمان بن الحسن. وكان سبب ذلك أن سليمان ضاقت الأموال عليه إضاقة شديدة، وكَثُرَتْ عليه المطالبات، ووقفت وظائف السّلطان، واتصلت رقاع من يرشِّح نفسه للوزارة بالسعاية به والضمان بالقيام بالوظائف

وأرزاق الجند وغير ذلك، فقَبضَ عليه ونَقَلَه إلى داره، وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة، فامتنع مؤنس من ذلك واشار بوزارة أبي القاسم الكلوذاني، فآضطر المقتدر إلى ذلك فاستوزره لثلاث بقين من رجب[١]، فكانت وزارة سليمان سنة واحدة وشهرين، وكانت وزارته غيره متمكنة أيضاً فإنه كان عليّ بن عيسى معه على الدواوين وسائر الأمور وأُفرِدَ عليّ بن عيسى عنه بالنظر في المظالم، واستعمِلَ على ديوان السواد غيره فانقطعت مواد الوزير. فإنه كان يقيم من قبله من يشتري توقيعات أرزاق جماعة لا يمكنهم مفارقة ماهم عليه بصدده من الخدمة، فكان يعطيهم نصف المبلغ، وكذلك ادرارات الفقهاء وأرباب البيوت إلى غير ذلك[٢].

وكان أبو بكر بن قرابة منتمياً إلى مفلح الخادم فأوصله إلى المقتدر فذكر له أنه يعرف وجوه مرافق الوزراء، فاستعمله عليها ليصلحها للخليفة فسعى في تحصيل ذلك من العمال والضمان والتناء وغيرهم. فأخلق بذلك الخلافة وفضح الديوان ووقفت أحوال الناس، فإن الوزراء وأرباب الولايات لا يقومون بأشغال الرعايا والتعب معهم إلاّ لرفق يحصل لهم، وليس لهم من الدين ما يحملهم على النظر في أحوالهم، فإنه بعيد منهم، فإذا منعوا تلك المرافق تركوا الناس يضطربون ولا يجدون من يأخذ بأيديهم ولا يقضي حوائجهم، فإني قد رأيت هذا عياناً في زماننا هذا وفات به من المصالح العامة والخاصة مالا يحصى.

ذكر الحرب بين هارون وعسكر مرداويج

قد ذكرنا فيما تقدم قتل أسفار وملك مرداويج وأنه استولى على بلد الجبل والرّي. وغيرهما؛ وأقبلت الديلم إليه من كل ناحية لبذله وإحسانه إلى جنده فعظمت جيوشه وكثرت عساكره. وكَثُرَ الخرج عليه فلم يكفِهِ ما في يده، ففرَّق نوّابه في النواحي المجاورة له. فكان ممن سيَّره إلى همذان ابن أخت له في جيش كثير. وكان بها أبو عبدالله محمد بن خلف في عسكر الخليفة فتحاربوا حروباً كثيرة، وأعان أهل همذان عسكر الخليفة فظفروا بالديلم، وقتل ابن أخت مرداويج. فسار مرداويج من الرّي إلى

---

(١) في الصلة «لأربع بقين من رجب».

(٢) وظهر من سليمان في وزارته ما كان مستوراً من سخف الكلام وضرب الأمثال المضحكة واظهار اللفظ القبيح بين يدي الخليفة مما يجل الوزراء عنه فاستنقصه الخلق وهجاه الشعراء واستعظموا الوزارة لمثله.

همذان فلما سمع أصحاب الخليفة بمسيره انهزموا من همذان فجاء إلى همذان، ونزل على باب الأسد فتحصَّن منه أهلها فقاتلهم فظفر بهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأحرقَ وسبى، ثم رفع السَّيفَ عنهم وأمَّن بقيتهم، فأنفذ المقتدر هارون بن غريب الخال في عساكر كثيرة إلى محاربته، فالتقوا بنواحي همذان فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم هارون وعسكر الخليفة واستولى مرداويج على بلاد الجبل جميعها وما وراء همذان. فسيَّر قائداً كبيراً من أصحابه يعرف بابن علاّن القزويني إلى الدينور ففتحها بالسَّيف وقتل كثيراً من أهلها. وبلغت عساكره إلى نواحي حلوان فغنمت ونهبت وقتلت وسبت الأولاد والنساء وعادوا إليه.

ذكر ما فعله لشكري[1] من المخالفة

كان لشكري الديلمي من أصحاب أسفار واستأمن إلى الخليفة، فلما انهزم هارون بن غريب من مرداويج سار معه إلى قرميسين، وأقام هارون بها واستمد المقتدر ليعاود محاربة مرداويج، وسيَّر هارون لشكري هذا إلى نهاوند لحمل مال بها إليه. فلما صار لشكري بنهاوند ورأى غِنَى أهلها طَمِعَ فيهم، وصادرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم واستخرجها في مدة اسبوع وجنَّد بها جُنداً، ثم مضى إلى أصبهان هارباً من هارون في الجند الذين انضموا إليه في جُمادى الآخرة. وكان الوالي على أصبهان حينئذ أحمد بن كيغلغ وذلك قبل استيلاء مرداويج عليها. فخرج إليه أحمد فحاربه فانهزم أحمد هزيمة قبيحة وملك لشكري أصبهان، ودخل أصحابه إليها فنزلوا في الدُّور والخانات وغيرها ولم يدخل لشكري معهم.

ولما انهزم أحمد نجا إلى بعض قرى أصَبهان في ثلاثين فارساً، وركب لشكري يطوف بسور أصبهان من ظاهره فنظر إلى أحمد في جماعته فسأل عنه فقيل: لا شكَّ أنه من أصحاب أحمد بن كيغلغ، فسار فيمن معه من أصحابه نحوهم وكانوا عدَّةً يسيرة، فلما قَرُبَ منهم تعارفوا فاقتتلوا، فقتل لشكري قتله أحمد بن كيغلغ ضربه بالسّيف على رأسه فقدَّ المغفر والخوذة، ونزل السيف حتى خالط دماغه فسقط ميتاً. وكان عمر أحمد إذ ذاك قد جاوز السبعين، فلما قتل لشكري انهزم من معه فدخلوا أصبهان واعلموا

---

(١) في الصلة «الأشكري».

أصحابهم فهربوا على وجوههم وتركوا أثقالهم وأكثر رحالهم ودخل أحمد إلى أصبهان، وكان هذا قبل استيلاء مرداويج على أصبهان، وكان هذا من الفتح الظريف، وكان جزاؤه أن صرف عن أصبهان وولّى عليها المظفر بن ياقوت.

ذكر ملك مرداويج أصبهان

ثم أنفذ مرداويج طائفة أخرى إلى أصبهان فملكوها واستولوا عليها وبنوا له فيها مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي والبساتين، فسار مرداويج إليها فنزلها، وهو في أربعين ألفاً، وقيل: خمسين ألفاً، وأرسل جمعاً آخر إلى الأهواز، فاستولوا عليها وعلى خوزستان وجبوا أموال هذه البلاد والنواحي وقسّمها في أصحابه وجمع منها الكثير فادَّخره، ثم إنه أرسل إلى المقتدر رسولاً يقرر على نفسه مالاً على هذه البلاد كلها ونزل المقتدر عن همذان وماه الكوفة فأجابه المقتدر إلى ذلك، وقوطع على مائتي ألف دينار كل سنة.

ذكر عزل الكلوذاني ووزارة الحسين بن القاسم

في هذه السَّنة عُزِلَ أبو القاسم الكلوذاني عن وزارة الخليفة، ووزر الحسين بن القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب، وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد إنسان يعرف بالدانيالي وكان زراقاً ذكياً محتالاً، وكان يعتق الكاغد، ويكتب فيه بخطِّهِ ما يشبه الخطَّ العتيق، ويذكر فيه إشارات ورموزاً يودعها أسماء أقوام من أرباب الدولة فيحصلُ له بذلك رفق كثير. فمن جملة ما فعله أنه وضع في جملة كتاب ميم ميم ميم يكون منه كذا وكذا وأحضره عند مفلح، وقال: هذا كناية عنك فإنك مفلح مولى المقتدر، وذكر له علامات تدل عليه فأغناهُ، فتوصل الحسين بن القاسم معه حتى جعل اسمه في كتاب وضعه وعتقه، وذكر فيه علامةَ وجهه وما فيه من الآثار ويقول: إنه يزر للخليفة الثامن عشر من خلفاء بني العبّاس، وتستقيم الأمور على يديه ويقهر الأعادي وتتعمر الدنيا في أيامه. وجعل هذا كله في جملة كتاب ذكر فيه حوادث قد وقعت وأشياء لم تقع بعد ونسب ذلك إلى دانيال وعتق الكتاب وأخذه وقرأه على مفلح. فلما رأى ذلك أخذ الكتاب وأحضره عند المقتدر وقال له: أتعرف في الكتاب من هو بهذه الصفة؟ فقال: ما أعرفه إلا الحسين بن القاسم فقال: «صدقت وإنّ قلبي ليميل إليه، فإن جاءك منه رسول برقعة

فاعرضها عليّ واكتم حاله، ولا تطلع على أمره أحداً». وخرج مفلح إلى الدانيالي فسأله هل تعرف أحداً من الكتاب بهذه الصفة؟ فقال: لا أعرف أحداً قال: فمن أين وصل إليك هذا الكتاب؟ فقال: من أبي وهو ورثه من آبائه وهو من ملاحم دانيال عليه السلام. فأعاد ذلك على المقتدر فقبله، فعرف الدانيالي ذلك الحسين بن القاسم، فلما أعلَمَهُ كتب رقعة إلى مفلح فأوصلها إلى المقتدر، ووعده الجميل وأمره بطلب الوزارة وإصلاح مؤنس الخادم فكان ذلك من أعظم الأسباب في وزارته مع كثرة الكارهين له. ثم اتفق أن الكلوذاني عمل حسبة بما يحتاج إليه من النفقات، وعليها خطُّ أصحاب الديوان فبقي يحتاج إلى سبعمائة ألف دينار وعرضها على المقتدر وقال: «ليس لهذه جهة إلا ما يطلقه أمير المؤمنين لأنفقه». فعظم ذلك على المقتدر، وكتب الحسين بن القاسم لما بلغه ذلك يضمن جميع النفقات ولا يطالبه بشيء من بيت المال وضمن أنه يستخرج سوى ذلك ألف ألف دينار يكون في بيت المال. فعرضت رقعته على الكلوذاني، فاستقال وأذِنَ له في وزارة الحسين[1]. ومضى الحسين إلى يلبق وضمن له مالاً ليصلح له قلب مؤنس ففعل. فعُزِلَ الكلوذاني في رمضان وتولّى الحسين الوزارة لليلتين بقيتا من رمضان أيضاً وكانت ولاية الكلوذاني شهرين وثلاثة أيام؛ واختصَّ بالحسين بنو البريدي، وابن قرابة وشرط أن لا يطلع معه عليّ بن عيسى فأجِيبَ ذلك وشرع في إخراجه من بغداد، فأجِيبَ إلى ذلك فأخرج إلى الصافية.

ذكر تأكد الوحشة بين مؤنس والمقتدر

في هذه السَّنة في ذي الحجَّة تجدَّدَت الوحشة بين مؤنس المقتدر، حتى آل ذلك إلى قتل المقتدر. وكان سببها ما ذكرنا أولاً في غير موضع. فلما كان الآن بلغ مؤنساً أن الوزير الحسين بن القاسم قد وافق جماعة من القوَّاد في التدبير عليه فتنكَّرَ له مؤنس، وبلغ الحسين أن مؤنساً قد تنكَّر له، وأنه يريد أن يكبسَ دارهُ ليلاً ويقبض عليه فتنقَّلَ في عدَّةِ مواضع، وكان لا يحضر دارَه إلّا بكرة، ثم إنه انتقل إلى دارِ الخلافة. فطلب مؤنس

---

(١) بيّن في صلة الطبري سبب عزل الكلوذاني من الوزارة قال: وكان عبيد الله بن محمد الكلوذاني احد الكتاب الكبار، وجليلاً في نفوس الناس فقدروا أن فيه كفاية وقياماً بالأمر فأقام على الوزارة شهرين وهو متبرم بها لضيق الأموال وكثرة الاعتراضات واتصال الشغب وقعود العمال عن حمل المال فاستعفى وقال: ما أصلح أن أكون وزيراً فصرف عنها ولم يعنف ولا نكب ولا تعرض أحد من حاشيته وانصرف إلى داره واستقر فيها فامر الخليفة بحفظها وصيانتها.

من المقتدر عزل الحسين ومصادرته فأجاب إلى عزله، ولم يصادره، وأمر الحسين بلزوم بيته فلم يقنع مؤنس بذلك فبقي في وزارته ـ وأوقع الحسين عند المقتدر أن مؤنساً يريد أخذ ولده أبي العباس ـ وهو الراضي ـ من داره بالمخرم والمسير به إلى الشام والبيعة له فردّه المقتدر إلى دار الخلافة. فعلم ذلك أبو العباس فلما أفضت الخلافة إليه فعل بالحسين ما نذكر، وكتب الحسين إلى هارون ـ وهو بدير العاقول ـ بعد انهزامِهِ من مرداويج ليستقدمه إلى بغدادَ. وكتب إلى محمد بن ياقوت ـ وهو بالأهواز ـ يأمره بالإسراع إلى بغداد فزاد استشعار مؤنس وصحَّ عنده أن الحسين يسعى في التدبير عليه. وسنذكر تمام أمره سنة عشرين وثلاثمائة.

ذكر الحروب بين المسلمين والروم

في هذه السّنة في ربيع الأول غزا ثمال والي طرسوس بلادَ الرومِ فعبَر نهراً، ونزل عليهم ثلج إلى صدور الخيل، وأتاهم جمع كثير من الروم فواقعوهم، فنصَر اللّهُ المسلمينَ. فقتلوا من الرُّوم ستمائة وأسروا نحواً من ثلاثة آلاف، وغنموا من الذَّهب والفضَّة والدِّيباج وغيره شيئاً كثيراً.

وفيها في رجب، عاد ثمال إلى طرسوسُ ودخل بلاد الروم صائفةَ في جمع كثيرٍ من الفارس والرَّاجل، فبلغوا عمورية، وكان قد تجمَّع إليها كثيرٌ من الروم، ففارقوها لما سَمِعُوا خبرَ ثمال. ودخلها المسلمون فوجدوا فيها من الأمتعة والطعام شيئاً كثيراً فأخذوه واحرقوا ما كانوا عمروه منها.

وأوغلوا في بلاد الروم ينهبون ويقتلون ويخرِّبون حتى بلغوا انقرة وهي التي تسمى الآن انكورية، وعادوا سالمين لم يلقوا كيداً. فبلغت قيمة السبي مائة ألف دينار وستة وثلاثين ألف دينار، وكان وصولهم إلى طرسوس آخر رمضان.

وفيها كاتب ابن الديراني وغيره من الأرمن وهم بأطراف ارمينية الروم وحثوهم على قصد بلاد الاسلام ووعدوهم النصرة، فسارت الروم في خلق كثير فخربوا بزكرى وبلاد خلاط وما جاورها، وقُتِلَ من المسلمين خلقٌ كثير وأسروا كثيراً منهم. فبلغ خبرهم مُفلِحاً غلام يوسف ابن أبي السّاج ـ وهو والي اذربيجان ـ فسار في عسكر كبير وتبعه كثير من المتطوعة إلى ارمينية فوصلها في رمضان. وقصد بلد ابن الديراني ومن

وافقه لحربه وقتل أهله ونهب أموالهم. وتحصن ابن الديراني بقلعة له وبالغ الناس في كثرة القتلى من الأرمن حتى قيل: إنهم كانوا مائة ألف قتيل ـ والله أعلم ـ وسارت عساكر الروم إلى سميساط فحصروها فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان وكان المقتدر قد ولاه الموصل وديار ربيعة وشَرَطَ عليه غزو الروم وان يستنقذ ملطية منهم وكـان أهلها قـد ضعفوا فصالحوا الروم وسلموا مفاتيح البلد إليهم، فحكموا على المسلمين. فلما جاء رسول أهل سميساط إلى سعيد بن حمدان تجهز وسار إليهم مسرعاً فوصل وقد كاد الروم يفتحونها فلما قاربهم هربوا منه. وسار منها إلى ملطية وبها جمع من الروم ومن عسكر مليح الأرمني، ومعهم بني بن نفيس صاحب المقتدر، وكان قد تنصر ـ وهو مع الروم ـ فلما أحسُّوا بإقبال سعيد خرجوا منها وخافوا أن يـأتيَهُم سعيد في عسكـره من خارج المدينة ويثورَ أهلها بهم فيهلكوا ففارقوها ودخلها سعيد ثم استخلف عليها أميراً وعاد عنها. فدخل بلد الروم غازياً في شوّال وقدم بين يديه سريتين فقتلا من الروم خلقاً كثيراً قبل دخوله إليها.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في شوال جاء إلى تكريت سيلٌ كبير من المطر نزل في البرِّ، فغرِقَ منها أربعمائة دار ودكان. وارتفع الماء في أسواقها أربعة عشر شبراً، وغرق خلق كثير من الناس ودُفِنَ المسلمون والنصارى مجتمعين لا يعرف بعضهم من بعض.

وفيها هاجت بالموصل ريحٌ شديد فيها حمرةٌ شديدةٌ ثم اسودَّتْ حتى لا يعرف الإنسان صاحبه، وظنَّ الناس أن القيامة قد قامت ثم جاء الله تعالى بمطر فكشف ذلك. وفيها توفي أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود البلخي في شعبان وهو من متكلمي المعتزلة البغداديين.

ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة

ذكر مسير مؤنس إلى الموصل

في هذه السنة في المحرم سار مؤنس المظفر إلى الموصل مغاضباً للمقتدر، وسبب مسيره أنه لما صحَّ عنده إرسال الوزير الحسين بن القاسم إلى هارون بن غريب، ومحمد ابن ياقوت يستحضرهما زاد استيحاشه. ثم سمع بأن الحسين قد جمع الرجال والغلمان الحجرية في دار الخليفة وقد اتفق فيهم، وأن هارون بن غريب قد قَرُب من بغداد أظهر الغضب وسار نحو الموصل. ووجه خادمه بشري برسالة إلى المقتدر فسأله الحسين عن الرسالة فقال: لا أذكرها إلا لأمير المؤمنين. فأنفذ إليه المقتدر يأمره بذكر ما معه من الرسالة للوزير فامتنع وقال: ما أمرني صاحبي بهذا، فسبَّهُ الوزير وشتم صاحبه، وأمر بضربه وصادره بثلاثمائة ألف دينار وأخذ خطه بها، وحبسه ونهب دارِه، فلما بلغ. مؤنساً ما جرى على خادمه وهو ينتظر أن يطيب المقتدر قلبه ويعيده. فلما علم ذلك سار نحو الموصل ومعه جميع قوَّاده، فكتب الحسين إلى القواد، والغلمان يأمرهم بالرجوع إلى بغدادَ فعاد جماعة، وسار مؤنس نحو الموصل في أصحابه ومماليكه ومعه من الساجية ثمانمائة رجل، وتقدم الوزير بقبض أقطاع مؤنس وأملاك من معه فحصل من ذلك مال عظيم، وزاد ذلك في محلِّ الوزير عند المقتدر فلقبه عميد الدولة وضرب اسمه على الدينار والدِّرهم وتمكَّن من الوزارة وولى وعزل، وكان فيمن تولى أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي ولّاه الوزير البصرة وجميع أعمالها بمبلغ لا يفي بالنفقات على البصرة وما يتعلق بها بل فضل لأبي يوسف. مقدار ثلاثين ألف دينار أحاله الوزير بها، فلما علم ذلك الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات، استدرك على أبي يوسف، وأظهر له الغلط في الضمان وأنه لا يمضيه. فأجاب إلى أن يقوم بنفقات البصرة، ويحمل إلى بيت المال كل سنة ثمانين ألف دينار، وانتهى ذلك إلى المقتدر

فحسَّنَ موقعه عنده ، فقصَدَهُ الوزير فاستتر وسعى بالوزير إلى المقتدر إلى أن افسدَ حاله .

ذكر عزل الحسين عن الوزراة

وفيها عزل الحسين بن القاسم عن الوزارة ، وسبب ذلك أنه ضاقت عليه الأموال وكثرت الإخراجات فاستسلف في هذه السنة جملة وافرة أخرجها في سنة تسع عشرة ، فانهى هارون بن غريب ذلك إلى المقتدر فرتب معه الخصيبي ، فلما تولى معه نظر في أعماله فرآه قد عمل حسبة إلى المقتدر ليس فيها عليه وجه وموه وأظهر ذلك للمقتدر فأمر بجمع الكتَّاب وكشف الحال فحضروا واعترفوا بصدق الخصيبي بذلك . وقابلوا الوزير بذلك ، فقُبِضَ عليه في شهر ربيع الآخر . وكانت وزارته سبعة أشهر . واستوزر المقتدر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلّم إليه الحسين فلم يؤاخذه بإساءته.

ذكر استيلاء مؤنس على الموصل

قد ذكرنا مسير مؤنس إلى الموصل، فلما سمع الحسين الوزير بمسيره كتب إلى سعيد ، وداود ابني حمدان وإلى ابن اخيهما ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان ، يأمرهم بمحاربة مؤنس وصدِّه عن الموصل . وكان مؤنس كتب في طريقه إلى رؤساء العرب يستدعيهم ويبذل لهم الأموال والخلع ويقول لهم : إن الخليفة قد ولّاه الموصل ، وديار ربيعة ، واجتمع بنو حمدان على محاربة مؤنس إلا داود بن حمدان فإنه امتنع من ذلك لإحسان مؤنس إليه فإنه كان قد أخذه بعد أبيه وربّاه في حجرِهِ ، وأحسَنَ إليه احساناً عظيماً ، فلما امتنع من محاربته لم يزل به أخوته حتى وافقهم على ذلك . وذكروا له إساءة الحسين ، وأبي الهيجاء ابني حمدان إلى المقتدر مرة بعد مرة . وأنهم يريدون أن يغسلوا تلك السيئة. ولما أجابهم قال لهم : « واللهِ إنكم لتحملونني على البغي وكفران الإحسان وما آمن أن يجيئني سهم عائر فيقع في نحري فيقتلني » . فلما التقوا أتاه سهم كما وصف فقتله. وكان مؤنس إذا قيل له: إن داود عازم على قتالك ينكره ويقول : « كيف يقاتلني وقد أخذته طفلاً وربيته في حجري » ؟ ولما قرب مؤنس من الموصل كان في ثمانمائة فارس واجتمع بنو حمدان في ثلاثين ألفاً والتقوا واقتتلوا فانهزم بنو حمدان ولم يقتل منهم غير دواد وكان يلقب بالمجفجف . وفيه يقول بعض الشعراء وقد هجا أميراً :

لـو كنتَ في ألفِ ألفِ كلُّهم بـطلُ   مثـل المجفجفَ داود بـن حمـدانِ
وتحتكَ الرِّيحُ تجري حيثُ تـأمرْهـا   وفي يمينُـكَ سيفُ غيـر خَـوانِ
لـكـنْـتَ أول فـرَّار إلـى عـدن   إذا تـحـرك سيـفٌ من خراسـانِ

وكان دواد هذا من أشجع الناس ،ودخل مؤنس الموصل ثالث صفر واستولى على أموال بني حمدان وديارهم ، فخرج إليه كثير من العساكر من بغداد والشام ومصر من أصناف الناس لإحسانه كان إليهم . وعاد إليه ناصر الدولة بن حمدان فصار معه ، وأقام بالموصل تسعة أشهر وعزم على الإنحدار إلى بغداد.

ذكر قتل المقتدر

لما اجتمعت العساكر على مؤنس بالموصل قالوا له : اذهب بنا إلى الخليفة فان أنصفنا وأجرى أرزاقنا وإلاّ قاتلناه . فانحدر مؤنس من الموصل في شوّال وبلغ خبره جند بغداد فشغبوا وطلبوا أرزاقهم ففرَّقَ المقتدر فيهم أموالاً كثيرة إلا أنه لم يشبعهم ، وأنفذ أبا العلاء سعيد بن حمدان . وصافياً البصري في خيل عظيمة إلى سُرَّ من رُأى . وأنفذ أبا بكر محمد بن ياقوت في ألفي فارس ومعه الغلمان الحجرية إلى المعشوق . فلما وصل مؤنس إلى تكريت أنفذ طلائعه . فلما قربوا من المعشوق جعل العسكر الذين مع ابن ياقوت يتسللون ويهربون إلى بغداد. فلما رأى ذلك رجع إلى عكبرا ، وسار مؤنس فتأخر ابن ياقوت وعسكره وعادوا إلى بغداد ، فنزل مؤنس بباب الشماسية ، ونزل ابن ياقوت وغيره مقابلهم . واجتهد المقتدر بابن خاله هارون بن غريب ليخرجَ فلم يفعل ، وقال : أخافُ من عسكري فإنّ بعضهم أصحاب مؤنس وبعضهم قد انهزم أمس من مرداويج ، فأخافُ أنْ يسلِّموني وينهزموا عنِّي ، فأنفذ إليه الوزير فلم يزلْ به حتى أخرجه. وأشاروا على المقتدر بإخراج المال منه ومن والدته ليرضي الجند ومتى سمعَ أصحابُ مؤنس بتفريق الأموال تفرقوا عنه واضطر إلى الهرب فقال : لم يبقَ لي ولا لوالدتي جهة شيء ، وأراد المقتدر أن ينحدر إلى واسطَ ويكاتب العساكر من جهة البصرة والأهواز ، وفارس ، وكرمان وغيرها ويترك بغدادَ لمؤنس إلى أن يجتمع عليه العساكر ويعود إلى قتاله فردَّه ابن ياقوت عن ذلك وزيَّنَ له اللقاء وقوّى نفسه ، بأن القومَ متى رأوه عادوا بـأجمعهم إليـه فـرجـع إلى قـولـه ـ وهـو كـارهٌ ـ ثم أشـار عليه بحضـور الحـرب فخرج ـ وهو كارهٌ ـ وبين يديه الفقهاء والقرّاء معهم والمصاحف مشهورة وعليه البردة

والناس حوله فوقف على تلٍّ عال بعيد عن المعركة فارسل قوّاد أصحابه يسألونه التقدُّمَ مرة بعد أخرى وهو واقف. فلما ألحُّوا عليه تقدم من موضعه فانهزم أصحابه قبل وصوله إليهم ، وكان قد أمِرَ فنودي من جاء بأسيرٍ فَلَهُ عشرةَ دنانير ، ومن جاء برأس فَلَهُ خمسة دنانير . فلما انهزم أصحابه لقيه عليّ بن يلبق ـ وهو من أصحاب مؤنس ـ فترجَّل وقبَّل الأرض وقال له: إلى أين تمضي ؟ أرجع فلعن الله من أشار عليك بالحضور ، فأرادَ الرِّجوعَ فلقيه قوم من المغاربة والبربر ، فتركه علي معهم وسار عنه . فشهـروا عليه سيوفهم فقال: ويحَكُم أنـا الخليفة . فقالوا : قد عرفناك يا سفلة أنت خليفة ابليس تبذل في كل رأس خمسة دنانير وفي كل أسير عشرة دنانير وضربه أحدهم بسيفه على عـاتقه فسقط إلى الأرض وذَبَحَـهُ بعضهم ، فقيـل : إنّ عليّ بن يلبق غمـز بعضهم فقتله[1] .

وكان المقتدرُ ثقيلُ البدنِ عظيمُ الجثةِ فلما قتلوه رفعوا رأسـه على خشبة وهم يكبِّرون ويلعنونه ، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله ، وتركوه مشكوف العورة إلى أن مرَّ به رجلٌ من الأكرة فستره بحشيش ثم حُفر له موضعه ودُفِنَ وعفِّي قبره .

وكان مؤنس في الراشدية لم يشهد الحرب فلما حُمِلَ رأس المقتدر إليه بكى ولَطَمَ وجهه ورأسه وقال : يا مفسدون ما هكذا أوصيتكم وقال : قتلتموه وكان هذا آخر أمره والله لنقتلن كلنا ، وأقل ما في الأمر أنكم تظهرون انكم قتلتموه خطأ ولـم تعرفوه، وتقدَّم مؤنس إلى الشماسية وأنفذ إلى دار الخليفة من يمنعها من النهب . ومضى عبد الـواحد بن المقتـدر ، وهارون بن غـريب ، ومحمـد بن يـاقـوت ، وابنـا رائق إلى المدائن ، وكان ما فعله مؤنس سبباً لجراءة أصحاب الأطراف على الخلفاء وطمعِهم فيما لم يكن يخطر لهم على بال وانخرقت الهيبة وضَعُفَ أمر الخلافة حتى صار الأمر إلى ما نحكيه ، على أن المقتدر أهمل من أحوال الخلافـة كثيراً وحكم فيهـا النساء

---

(١) في تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي رواية عن الصولي « قتل المقتدر البربري : وقيل : كان غلاماً ليلبق وكان بطلاً شجاعاً تعجب الناس منه يومئذ مما فعل من صناعات الفروسية من اللعب بالرمح والسيف ثم حمل المقتدر وضربه بحربة أخرجها من ظهره، فصاح الناس عليه فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر ، فصادفه حمل شوك فزحمه وهو يسوق حمل الشوك إلى قنار لحمام فعلقه كلاب وجرح الفرس في مشواره من تحته فمات فحطه الناس واحرقوه بالحمل الشوك .

والخدم وفرَّط في الأموال ، وعزلَ من الوزراء وولى ما أوجبَ طَمعَ أصحاب الأطراف والنُّواب وخروجهم عن الطَّاعة . وكان جملة ما أخرَجَه من الأموال تبذيراً وتضييعاً في غير وجه نيفاً وسبعين ألف ألف دينار سوى ما أنفقه في الوجوه الواجبة ، وإذا اعتبرت أحوال الخلافة في أيامه وأيام أخيه المكتفي ووالده المعتضد رأيت بينهم تفاوتاً بعيداً ، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة واحدَ عشر شهراً وستة عشر يوماً ، وكان عمره ثمانيةَ وثلاثينَ سنة نحواً من شهرين(١) .

ذكر خلافة القاهر بالله

لما قُتِلَ المقتدرُ باللهِ عظم قتله على مؤنس، وقال: «الرأي أن ننصب ولده أبا العباس أحمد في الخلافة فإنه تربيتي وهو صبي عاقلٌ وفيه دينٌ كريمٌ ووفاء بما يقول فاذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدّته والدة المقتدر وإخوته . وغلمان أبيه ببذل الأموال، ولم ينتطحْ في قتل المقتدر عنزان» . فاعترض عليه أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي وقال: بعد الكدِّ والتعب استرحنا من خليفة له أمٌ وخالة وخدم يدبرونه فنعود إلى تلك الحال ، والله لا نرضى إلاّ برجل كاملٍ يدبِّر نفسه ويدبِّرنا. وما زال حتى ردَّ مؤنساً عن رأيه وذكر له أبا منصور محمد بن المعتضد ، فأجابه مؤنس إلى ذلك. وكان النوبختي في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه. فإن القاهر قتله كما نذكره. وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم ، وأمر مؤنس بإحضار محمد بن المعتضد فبايعوه بالخلافة لليلتين بقيتا من شوّال ولقَّبوه القاهر بالله ، وكان مؤنس كارهاً لخلافتِهِ والبيعة له ويقول : إنني عارفٌ بشرِّهِ وسوء نيَّتِهِ، ولكن لا حيلة ،ولما بُويع استحلفه مؤنس لنفسه ، ولحاجبه يلبق ، ولعليّ بن يلبق وأخذوا خطه بذلك واستقرَّت الخلافة له وبايعه الناس ، واستوزر أبا عليّ بن مقلة ـ وكان بفارس ـ فاستقدمه ووزرَ له واستحجب القاهر عليّ بن يلبق .

وتشاغل القاهر بالبحث عمَّن استتر من أولاد المقتدر وحرمه ، وبمناظرةِ والدة المقتدر ، وكانت مريضة قد ابتدأ بها الاستسقاء وقد زاد مرضُها بقتل ابنها . ولما

---

(١) وكان له من الولد ابو العباس الراضي محمد ، والعباس أبو أحمد ، وهارون ابو عبد الله ، وعبد الواحد ابو علي ، وابراهيم ابو اسحاق المتقي ، والفضل ابو القاسم المطيع . وعلي ابو الحسن ، واسحاق ابو يعقوب ، وعبد الملك ابو محمد . وعبد الصمد.

سمِعَتْ أنه بقيَ مكشوف العورةِ جزعَتْ جزعاً شديداً وامتنعت من المأكول والمشروب حتى كادت تهلك فوعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخبز والملح ، ثم أحضرها القاهر عنده وسألها عن مالها فأعترفت له بما عندها من المصوغ ، والثياب ولم تعترف بشيء من المال والجوهر ، فضربها أشد ما يكون من الضرب وعلّقها برجلِها ، وضرب المواضع الغامضة من بدنها فحلفت أنها لا تملك غير ما أطلعته عليه وقالت : لو كان عندي مال لما أسلمت ولدي للقتل ولم تعترف بشيء ، وصادر جميع حاشية المقتدر ، وأصحابه . وأخرجَ القاهرُ والدةَ المقتدرَ لتشهدَ على نفسها القضاة ، والعدول بأنها قد حلَّتْ أوقافها ووكّلَتْ في بيعها ، فامتنعت من ذلك وقالت : قد أوقفتها على أبواب البر والقرب بمكة ، والمدينة ، والثغور وعلى الضَّعفَى ، والمساكين ولا استحلّ حِلَّها ولا بيعها ، وإنما أوكل على بيع أملاكي . فلما علم القاهر بذلك أحضر القاضي والعدول ، وأشهدهم على نفسه أنه قد حل وقوفها جميعها ، ووكَّل في بيعها فبيع ذلك جميعه مع غيره ، واشتراه الجند من أرزاقهم . وتقدم القاهر بكبسِ الدُور التي سعى إليه ، أنه اختفى فيها ولد المقتدر فلم يزل كذلك إلى أن وجدوا منهم أبا العباس الراضي ، وهارون ، وعلياً والعبّاس ، وإبراهيم ، والفضل فحُمِلُوا إلى دار الخليفة فصودروا على مال كثير ، وسلمهم عليّ بن يلبق إلى كاتبه الحسن بن هارون فأحسن صحبتهم ، واستقرَّ أبو عليّ بن مقلة في الوزارة وعزل وولي . وقبض على جماعة من العمال وقبض على بني البريدي وعزلهم عن أعمالهم وصادرهم .

ذكر وصول وشمكير إلى أخيه مرداويج

وفيها أرسل مرداويج إلى أخيه وشمكير ـ وهو ببلاد جيلان ـ يستدعيه إليه . وكان الرسول ابن الجعد قال : أرسلني مرداويج وأمرني بالتلطُّفِ لإخراج أخيه وشمكير إليه ، فلما وصلْتُ سألْتُ عنه فدُللت عليه فإذا هو مع جماعة يزرعون الأرز ، فلما رأوني قصدوني ـ وهم حُفاةٌ عُراةٌ عليهم سراويلات ملونة الخرق واكسية ممزقة ـ فسلّمْتُ عليه وأبلغته رسالة أخيه ، وأعلمته بما ملك من البلاد والأموال وغيرها . فضرط بفمه في لحية أخيه وقال : إنه لبس السواد وخدم المسوّدة ـ يعني الخلفاء من بني العباس ـ فلم أزل أمنِّيَهُ وأطمِعَهُ حتى خرج معي ، فلما بلغنا قزوين اجتهدْتُ به ليلبس السواد ، فامتنع ثم لبس بعد الجهد قال : « فرأيْتُ من جهلِهِ أشياءَ استحي من ذكرها» ثم أعطته

السعادة ما كان له في الغيب ، فصار من أعرف الملوك بتدبير الممالك وسياسة الرعايا .

ذكر عدة حوادث

فيها توفِّي القاضي أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد وكان عالماً فاضلاً حليماً[١] ، وأبو عليّ الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الشافعي وكان عابداً ورِعاً أرتِيدَ على القضاء فلم يفعل[٢] . وفيها توفّي أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عديّ الفقيه الشافعي الجرجاني المعروف بالأسترابادي .

---

(١) كان مولى جرير بن حازم ولي قضاء مدينة المنصور وكان عاملاً ديناً متفنناً وهو من ائمة الاسلام علماً ومعرفة وفصاحة وبلاغة وعقلاً ورياسة بحيث كان يضرب بعقله المثل توفي في رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة .

(٢) كان من افاضل الشيوخ واماثل الفقهاء ، وقع في نسخة الأصل « بن خيزران » وهو غلط .

ثم دخلت سنة احدى وعشرين وثلاثمائة

ذكر حال عبد الواحد بن المقتدر ومن معه

قد ذكرنا هرب عبد الواحد بن المقتدر ، وهارون بن غريب ، ومفلح ، ومحمد بن ياقوت ، وابنا رائق بعد قتل المقتدر إلى المدائن . ثم انهم انحدروا منها إلى واسط وأقاموا بها وخافهم الناس ، فابتدأ هارون بن غريب وكتب إلى بغداد يطلب الأمان ، ويبذل مصادرة ثلاثمائة ألف دينار على أن يطلق له أملاكه ، وينزل عن الأملاك التي استأجرها ويؤدي من أملاكه حقوقَ بيت المال القديمة ، فأجابه القاهر ومؤنس إلى ذلك، وكتبوا له كتاب أمان وقلد أعمال ماه الكوفة وماسبذان ومهرجانقذق ، وسار إلى بغداد .

وخرج عبد الواحد بن المقتدر من واسط فيمن بقي معه ومضوا إلى السوس وسوق الأهواز وجبوا المال وطردوا العمال وأقاموا بالأهواز فجهَّز مؤنس إليهم جيشاً كثيفاً، وجعل عليهم يلبق، وكان الذي حرَّضهم على أنفاذ الجيش أبو عبد الله البريدي فإنه كان قد خرج من الحبس ، فخوَّفَهُم عاقبة إهمال عبد الواحد ، ومن معه وبذل مساعدة معجلة خمسين ألف دينار ، على أن يتولّى الأهواز ، وعند استقراره بتلك البلاد يعجِّل باقي المال . وأمر مؤنس بالتجهُّزِ وأنفق ذلك المال وسار العسكر ، وفيهم أبو عبد الله . وكان محمد بن ياقوت قد استبد بالأموال والأمر فنفرت لذلك قلوب من معه من القواد والجند ، فلما قرب العسكر من واسطَ أظهر من معه من القواد ما في نفوسهم وفارقوه .

ولما وصل يلبق إلى السوس فارق عبد الواحد ، ومحمد بن ياقوت الأهواز وسارا إلى تستر فعلم القراريطي . وكان مع العسكر بأهل الأهواز ما لم يفعله أحد،نَهَبَ أموالهم وصادرهم جميعهم ولم يسلم منهم أحد ، ونزل عبد الواحد . وابن ياقوت بتستر

وفارقهما من معهما من القواد إلى يلبق بأمان . وبقي مفلح . ومسرور الخادم مع عبد الواحد فقالا لمحمد بن ياقوت : « أنت معتصم بهذه المدينة وبمالِكَ ورجالِكَ ، وأما نحن فلا مال معنا ولا رجال ، ومقامنا معك يضرّك ولا ينفعكَ وقد عزمنا على أخذ الأمان لنا ولعبد الواحد بن المقتدر » . فأذِنَ لهما في ذلك ، فكتب إلى يلبق فأمّنهم فعبروا إليه ، وبقي محمد بن ياقوت منفرداً فضَعُفَتْ نفسُهُ وتحيَّر فتراسل هو ويلبق واستقرَّ بينهما أنه يخرج إلى يلبق على شرط أنه يؤمنه ويضمن له امان مؤنس والقاهر ، ففعل ذلك وحلف له .

وخرج محمد بن ياقوت معه إلى بغدادَ واستولى أبو عبد الله البريدي على البلاد وعسف أهلها وأخذ أموال التجار ، وعمل بأهل البلاد ما لا يعمله الفرنج ولم يمنعه أحد عما يريد ولم يكن عنده من الدين ما يزغه عن ذلك ، وعاد اخوته إلى أعمالهم . ولما عاد عبد الواحد ومحمد بن ياقوت وَفَى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لوالدته المصادرة التي صادرها بها .

ذكر استيحاش مؤنس وأصحابه من القاهر

في هذه السّنة استوحش مؤنس المظفر ، ويلبق الحاجب ، وولده علي والوزير أبو علي بن مقلة من القاهر وضيقوا عليه وعلى أسبابه . وكان سبب ذلك أن محمد بن ياقوت تقدم عند القاهر وعلت منزلته وصار يخلو به ويشاوره فغلظ ذلك على ابن مقلة لعداوة كانت بينه وبين محمد . فألقى إلى مؤنس أن محمداً يسعى به عند القاهر وأن عيسى الطبيب يسفر بينهما في التدبير عليه . فوجّه مؤنس عليّ بن يلبق لإحضار عيسى الطبيب فوجده بين يدي القاهر ، فأخذه وأحضره عند مؤنس فسيَّره من ساعته إلى الموصل ، واجتمعوا على الإيقاع بمحمد بن ياقوت ، وكان في الخيام فركب عليّ بن يلبق في جنده ليكبِسَهُ ، فوجده قد اختفى فنهب أصحابه واستتر محمد بن ياقوت . ووكل عليّ بن يلبق على دار الخليفة أحمد بن زيرك وأمره بالتضييق على القاهر ، وتفتيش كل من يدخل من الدار ويخرج منها وأن يكشف وجوه النساء المنقَّبات ، وإن وجد مع أحد رقعة دفعها إلى مؤنس . ففعل ذلك وزاد عليه حتى أنه حُمِلَ إلى دار الخليفة لبن ، فأدخَلَ يدَهُ فيه لئلا يكون رقعة . ونقل يلبق من كان بدار القاهر محبوساً إلى داره كوالدة المقتدر وغيرها ، وقطع أرزاق حاشيته ، فأما والدة المقتدر فأنها كانت قد اشتدَّتْ علَّتها

لشدَّةِ الضَّربِ الذي ضربها القاهر ، فأكرمها عليّ بن يلبق، وتركها عند والدته فماتت في جُمادى الآخرة وكانت مكرَّمة مرفَّهة(١) ودُفِنَتْ بتربتها بالرُّصافة .

وضيَّق عليّ بن يلبق على القاهر فعلم القاهر أن العتاب لا يفيد وأن ذلك برأي مؤنس. وابن مقلة ، فأخذ في الحيلة والتدبير على جماعتهم . وكان قد عرف فساد قلب طريف السبكري وبشري خادم مؤنس ليلبق ، وولده عليّ وحسدهما على مراتبهما فشرع في إغرائهما بيلبق . وابنه ، وعلم أيضاً أن مؤنساً ، ويلبق أكثر اعتمادهما على الساجية أصحاب يوسف بن أبي الساج ، وغلمانه المنتقلين إليهما بعده ، وكانا قد وعدا الساجية بالموصل مواعيد أخلفاها، فأرسل القاهر إليهم يغريهم بمؤنس ، ويلبق ويحلف لهم على الوفاء بما أخلفاهم فتغيَّرتْ قلوب الساجية ، ثم إنه راسَلَ أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، وكان من أصحاب ابن مقلة وصاحب مشورته ، ووعده الوزارة فكان يطالعه بالأخبار ، وبلغ ابن مقلة أن القاهر قد تغيَّر عليه وأنه مجتهد في التدبير عليه وعلى مؤنس ، ويلبق وابنه عليّ ، والحسن بن هارون فأخبرهم ابن مقلة بذلك.

ذكر القبض على مؤنس ويلبق

في هذه السَّنة أول شعبان قبض القاهر بالله على يلبقَ وابنهِ ومؤنسَ المظفَّر . وسبب ذلك أنه لما ذكر ابن مقلة لمؤنس ويلبق ما هو عليه القاهر من التدبير في استئصالهم خافوه ، وحملهم الخوف على الجدِّ في خلعه . واتفق رأيهم على استخلاف أبي أحمد بن المكتَفي وعقدوا له الأمر سراً . وحَلَفَ له يلبق وابنه عليّ ، والوزير أبو عليّ بن مقلة ، والحسن بن هارون وبايعوه ، ثم كشفوا الأمر لمؤنس فقال لهم : لستُ أشكُّ في شرِّ القاهر وخُبثِهِ ، ولقد كنْتُ كارهاً لخلافته ، وأشرت بابن المقتدر فخالفتم ، وقد بلغتم الآن في الاستهانة به وما صبر على الهوان إلّا من خبث طوبته ليدبرَ عليكم . فلا تعجلوا على أمر حتى تؤنسوه وينبسط إليكم ثم فتشوا لتعرفوا من واطأه من القوّاد ومن الساجية ، والحجرية(٢) ثم اعملوا على ذلك . فقال عليّ بن يلبق . والحسن بن هارون : « ما

---

(١) وكان اسمها شغب كان متحصلها في السنة ألف ألف دينار فتصدق بها وتخرج من عندها مثلها وكانت صالحة وكان لها الأمر والنهي في دولة ابنها .

(٢) نسبة إلى حجر ـ بالفتح ـ وهي قبيلة مشهورة.

يحتاج إلى هذا التطويل ، فانّ الحجبة لنا والدار في أيدينا وما يحتاج أن نستعين في القبض عليه بأحد لأنه بمنزلة طائر في قفص » . وعملوا على معاجلته ، فاتفق أن سقط يلبق عن الدابة فاعتل ولزم منزله ، واتفق ابنه عليّ وأبو عليّ بن مقلة وزينا لمؤنس خلع القاهر وهوّنا عليه الأمر فأذِنَ لهما . فاتفق رأيهما على أن يظهروا أن أبا طاهر القرمطي قد ورد الكوفة في خلق كثير ، وأن عليّ بن يلبق سائر إليه في الجيش ليمنعه عن بغداد . فإذا دخل على القاهر ليوَدِّعَهُ ويأخذ أمره فيما يفعل قبض عليه . فلما اتفقا على ذلك جلس ابن مقلة وعنده الناس فقال لأبي بكر بن قرابة : « أعلمت أن القرمطي قد دخل الكوفة في ستة آلاف مقاتل بالسِّلاح التام ؟ » قال : لا . قال ابن مقلة : « قد وصلنا كُتُبُ النوّاب بها بذلك. فقال ابن قرابة : « هذا كذب ومحال فإن في جوارنا إنساناً من الكوفة وقد أتاه اليوم كتاب على جناح طائر تاريخه اليوم يخبر فيه بسلامه » . فقال له ابن مقلة : « سبحان الله أنتم أعرف منّا بالأخبار » . فسكت ابن قرابة . وكتب ابن مقلة إلى الخليفة يعرِّفه ذلك ، ويقول له : « إني قد جهَّزتُ جيشاً مع عليّ بن يلبق ليسيرَ يومنا هذا والعصر ، يحضر إلى الخدمة ليأمره مولانا بما يراه » . فكتب القاهر في جوابه يشكره ويأذن له في حضور ابن يلبق فجاءت رقعة القاهر ـ وابن مقلة نائم ـ فتركوها ولم يوصلوها إليه. فلما استيقظ عاد ، وكتب رقعة أخرى في المعنى فأنكر القاهر الحال حيث قد كتب جوابه وخاف أن يكون هناك مكرٌ . وبينا هو في هذا إذا وصلت رقعة طريف السبكري يذكر أن عنده نصيحة ، وأنه قد حضر في زيٍّ امرأة لينهيها إليه . فاجتمع به القاهر فذكر له جميع ما قد عزموا عليه ، وما فعلوه من التدبير ليقبضَ ابن يلبق عليه إذا اجتمع به ، وأنهم قد بايعوا أبا أحمد بن المكتفي . فلما سمع القاهر ذلك أخذ حذره وأنفذ إلى السّاجية أحضرهم متفرقين وكمنهم في الدهاليز والممرات ، والرواقات ، وحضر عليّ بن يلبق بعد العصر . وفي رأسه نبيذ ، معه عدد يسير من غلمانه بسلاح خفيف في طيارة، وأمر جماعة من عسكره بالرِّكوبِ إلى أبواب دار الخليفة ، وصعد من الطيارة وطلب الإذن فلم يأذنْ له القاهر ، فغضب وأساء أدبه . وقال : « لا بد من لقائه شاء أو أبى » . وكان القاهر قد أحضر الساجية كما ذكرنا ـ وهم عنده في الدار ـ فأمرهم القاهر برده فخرجوا إليه وشتموه وشتموا أباه وشَهَرُوا سلاحهم وتقدموا إليه جميعهم ، ففر أصحابه عنه وألقى نفسه في الطَّيارةِ وعبر إلى الجانب الغربي واختفى من ساعته .

فبلغ ابن مقلة الخبر فاستتروا واستتر الحسن بن هارون أيضاً، فلما سمع طريف الخبر ركب في أصحابه وعليهم السلاح وحضروا دار الخليفة ووقف القاهر فعظم الأمر حينئذ على ابن يلبق وجماعتهم ، وأنكر يلبق ما جرى على ابنه وسبَّ السّاجية وقال : « لا بد من المضي إلى دار الخليفة فإن كان الساجية فعلوا هذا بغير تقدم قابلتهم بما يستحقونه وإن كان بتقدم سألته عن سبب ذلك » . فحضر دار الخليفة ومعه جميع القواد الذين بدار مؤنس ، فلم يوصله القاهر إليه وأمر بالقبض عليه وحبسه . وأمر بالقبض على أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وحصل الجيش كلهم في الدار فانفذ القاهر وطيَّبَ نفوسهم ووعدهم الزيادة وأنه يوقف هؤلاء على ذنوبهم ثم يطلقهم ويحسن إليهم فعادوا .

وراسل القاهر مؤنساً يسأله الحضور عنده ليعرضَ عليه ما رَفَعَ عليهم ليفعل ما يراه وقال: أنه عندي بمنزلة الوالد وما أحبُّ أن أعمل شيئاً إلّا عن رأيه . فاعتذر مؤنس عن الحركة، ونهاه أصحابه عن الحضور عنده . فلما كان الغد أحضر القاهر طريفاً السبكري وناوله خاتمه وقال له : قد فُوِّضْت إلى ولدي عبد الصمد ما كان المقتدر فوضه إلى ابنه محمد وقلدتك خلافته ورياسة الجيش، وإمارة الأمراء، وبيوت الأموال كما كان ذلك إلى مؤنس ويجب أن تمضي إليه وتحمله إلى الدار فإنه ما دام في منزله يجتمع إليه من يريد الشرّ ولا نأمن تولُّد شغل فيكون ههنا مرفهاً ومعه من أصحابه من يخدمه على عادته، فمضى إلى دار مؤنس وعنده أصحابه في السلاح ـ وهو قد استولى عليه الكِبَرُ والضعف ـ فسأله أصحاب مؤنس عن الحال فذكر سوء صنيع يلبق وابنه فكلهم سبَّهُما وعرفهم ما أخذ لهم من الأمان والعهود فسكتوا، ودخل إلى مؤنس وأشار عليه بالحضور عند القاهر وحَمَلَهُ عليه وقال له : إنْ تأخرْتَ طمع ولو رآك نائماً ما تجاسر أنْ يوقظَك. وكان موافقاً مؤنس وأصحابه لما نذكره.

فسار مؤنس إليه فلما دخل الدار قبض القاهر عليه وحبسه ولم يرَه ، قال طريف : لما أعلمت القاهر بمجيء مؤنس ارتعد وتغيرت أحواله وزحف من صدر فراشِهِ فخِفْتُه أن أكلمه في معناه ، وعلمت أنني قد أخطأت ونَدِمْتُ وتيقَّنْتُ أنني لاحق بالقوم عن قريب وذكرت قول مؤنس فيه : إنه يعرِّفه بالهوج والشرِّ والأقدام والجهل وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وكانت وزارة ابن مقلة هذه تسعة أشهر وثلاثة أيام ؛ واستوزر القاهر أبا

جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله مستهل شعبان وخلع عليه . وأنفذ القاهر وختم على دور مؤنس ويلبق وابنه عليّ وابن مقلة وأحمد بن زيرك ، والحسن بن هارون ونقل دوابهم ووكل بحرمِهم ، وأنفذ استقدم عيسى المتطبب من الموصل ، وأمر بنقل ما في دار ابن مقلة وإحراقها فنهب ، وأحرِقَتْ ونُهِبَتْ دور المتعلقين بهم . وظهر محمد بن ياقوت وقام بالحجبة ، ثم رأى كراهية طريف السبكري والسّاجية له فاختفى وهرب إلى أبيه بفارس ، فكاتبه القاهر يلومه على عجلته بالهرب وقلَّده كور الأهواز .

وكان السبب في ميل طريف السبكري ، والسّاجية والحجرية إلى القاهر ومواطأتهم على مؤنس، ويلبق ، وابنه ما نذكره. وهو أن طريفاً كان قد أخذ قوّاد مؤنس وأعلاهم منزلة . وكان يلبق وابنه ممن يقبِّل يده ويخدمه. فلما استخلف القاهر بالله تقدم يلبق ، وابنه وحكما في الدولة كما ذكرناه . وأهمل ابن يلبق جانب طريف وقصده وعطله من أكثر أعمالها . فلما طالت عطلته استحيا منه يلبق وخاف جانبه فعزم على استعماله على ديار مصر ليقضيَ حقه ويبعده ومعه أعيان رفقائه ليأمنهم . وقال ذلك للوزير أبي عليّ بن مقلة فرآه صوابا، فاعتذر يلبق إلى طريف لسبب عطلته ، وأعلمه بحديث مصر فشكره ، وشكر الوزير أيضاً . فمنع عليّ بن يلبق من إتمامه وتولى هو العمل وأرسل إليه من يخلفه فيه فصار طريف عدواً يتربص بهم الدوائر .

وأما الساجية فانهم كانوا عدة مؤنس وعضده وساروا معه إلى الموصل وعادوا معه إلى قتال المقتدر ووعدهم مؤنس المظفر بالزيادة. فلما قتل المقتدر لم يرَوا لميعاده وفاء ثناه عنه ابن يلبق واطرحهم ابن يلبق أيضاً وأعرض عنهم . وكان من جملتهم خادم أسود اسمه صندل ، وكان من أعيانهم، وكان له خادم اسمه مؤتمن فباعه ، فاتصل بالقاهر قبل خلافته . فلما استخلف قدمه وجعله لرسائله ، فلما بلي القاهر بابن يلبق وسوء معاملته كان كالغريق يتمسك بكل شيء ، وكان خبيراً بالدهاء والمكر . فأمر مؤتمناً أنْ يقصد صندلاً السّاجي الذي باعه، ويشكو من القاهر، فإنْ رأى منه ردّاً لما يقوله أعلمه بحال القاهر وما يقاسي من ابن يلبق وابنه ، وإنْ رأى منه خلاف ذلك سكت ، فجاء إليه وفعل ما أمره فلما شكا قال له صندل : وفي أي شيء؟ هو الخليفة حتى يعطيك ويوسع عليك إنْ فرج الله عنه من هذا المفسد احتجت أنا وغيري إليك والله على صوم وصدقة إن ملك الخليفة أمره واستراح وارحنا من هذا الملعون . فأعاد

مؤتمن الحديث على القاهر فأرسل على يده هدية جميلة من طيب وغيره إلى زوجة صندل وقال له : تحمله إليها وزوجها غائبٌ عنها وتقول لها : إن الخليفةَ قسَّمَ فينا شيئاً وهذا من نصيبي أهديته إليكم ففعل هذا فقبلته ، ثم عاد إليها من الغد وقال : أي شيء قال صندل لما رأى انبساطي عليكم ؟ فقالت : اجتمع هو وفلان وفلان وذكرت ستة نفر من أعيانهم ورأوا ما أهديت إلينا فاستعملوا منه ودعوا للخليفة . فبينما هو عندها إذ حضر زوجها فشكر مؤتمناً، وسأله عن أحوال الخليفة فأثنى عليه ، ووصفه بالكرم وحسن الأخلاق وصلابته في الدين. فقال صندل : إنّ ابن يلبق نسبه إلى قلة الدين ويرميه بأشياء قبيحة . فحلف مؤتمن على بطلان ذلك وأن جميعه كذب .

ثم أمر القاهر مؤتمناً أن يقصد زوجة صندل ويستدعيها إلى قهرمانة القاهر ، فتحضر متنكرة على أنها قابلة يأنس بها من عند القاهر لما كانوا بدار ابن طاهر وقد حضرت لحاجة بعض أهل الدار إليها . ففعلت ذلك ودخلت الدار، وباتت عندهم . فحمَّلها القاهر رسالة إلى زوجها ورفقائه ، وكتب إليهم رقعة بخطِّه ويَعِدَهُم بالزيادة في الأقطاع والجاري ، وأعطاها لنفسها مالاً فعادت إلى زوجها وأخبرته بما كان جميعه . فوصل الخبر إلى ابن يلبق أن امرأة من دار ابن طاهر دخلت إلى دار الخليفة . فلهذا منع ابن يلبق من دخول امرأة حتى تُبصَرُ وتُعرَفُ .

وكان للساجية قائد كبير اسمه سِيما وكلُّهم يرجعون إلى قوله، فاتفق صندل ومن معه على إعلام سيما بذلك إذ لا بد لهم منه وأعلموه برسالة القاهر إليهم فقال: هذا صواب والعاقبة فيه جميلة ولكنْ لا بدَّ من أن يدخلوا في الأمر بعض هؤلاء القوم ـ يعني أصحاب يلبق ومؤنس ـ وليكنْ من أكابرهم ـ فاتفقوا على طريف السبكري ، وقالوا : هو أيضاً متسخط فحضروا عنده وشكوا إليه ما هُم فيه وقالوا : لو كان الاستاذ ـ يعنون مؤنساً ـ يملك أمره لبلغنا مرادنا ولكن قد عجز وضعف واستبدّ عليه ابن يلبق بالأمور . فوجدوا عنده من كراهتهم أضعاف ما أرادوا فأعلموه حينئذ حالهم ، فأجابهم إلى موافقتهم واستحلفهم أنه لا يلحق مؤنساً ويلبق ، وابنه مكروه وأذى في أنفسهم ، وأبدانهم وأموالهم ، وإنما يلزم يلبق وابنه بيوتهم ويكون مؤنس على مرتبته لا يتغير . فحلفوا على ذلك وحلف لهم على الموافقة، وطلب خط القاهر بما طلب فأرسلوا إلى القاهر بما كان فكتب إليهم بما أرادوا وزاد بأن قال: إنه يصلِّي بالناس ويخطب أيام

الجمع ويحجُّ بهم ويغزو معهم ويقعد للناس، ويكشف مظالمهم إلى غير ذلك من حُسْنِ السيرة .

ثم إن طريفا اجتمع بجماعة من رؤساء الحجرية ، وكان ابن يلبق قد أبعدهم عن الدار وأقام بها أصحابه فهم حنقون عليه . فلما أعلمهم طريف الأمر أجابوه إليه ، فظهر شيء من هذا الحديث إلى ابن مقلة وابن يلبق ولم يعلموا تفصيله ، فاتفقوا على أنْ يقبضوا على جماعة من قوّاد الساجية والحجرية فلم يقدموا عليهم خوف الفتنة ، وكان القاهر قد أظهر مرضاً من دماميلَ وغيرها ، فاحتجب عن الناس خوفاً منهم فلم يكن يراه أحد إلّا خواصَ خدمه في الأوقات النادرة ، فتعذر على ابن مقلة ، وابن يلبق الاجتماع به ليبلغوا منه ما يريدون ، فوضعا ما ذكرناه من أخبار القرامطة ليظهرَ لهم ويفعلوا به ما أرادوا ولما قبض القاهر على مؤنس وجماعته استعمل القاهر على الحجبة سلامة الطولوني، وعلى الشرطة أبا العباس أحمد بن خاقان ، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، وأمر بالنداء على المستترين وإباحة مال من أخفاهم وهدم داره ، وجدَّ في طلب أحمد بن المكتفي فظفر به فبنى عليه حائطاً وهو حي فمات ، وظفر بعليّ ابن يلبق فقتله .

ذكر قتل مؤنس ويلبق وولده عليّ والنوبختي

وفيها في شعبان قتل القاهر مؤنساً المظفر ويلبق وعليّ بن يلبق. وكان سبب قتلهم أن أصحاب مؤنس شغبوا وثاروا وتبعهم سائر الجند وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر ونادوا بشعار مؤنس، وقالوا: لا نرضى إلا بإطلاق مؤنس. وكان القاهر قد ظفر بعليّ بن يلبق، وأفرد كل واحد منهم في منزل، فلما شغب الجند دخل القاهر إلى عليّ بن يلبق فأُمِرَ به فذُبِحَ واحتز رأسه فوضعوه في طُشْتٍ ثم مضى القاهر والطشت يُحمَلُ بين يديه حتى دخل على يلبق فوضع الطشت بين يديه، وفيه رأس ابنه. فلما رآه بكى وأخذ يقبله، ويترشفه فأمر به القاهر فذُبِحَ أيضاً. وجعل رأسه في طشتٍ، وحُمِلَ بين يدي القاهر، ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه، فلما رأى الرأسين تشهَّد واسترجع ولَعَنَ قاتلهما، فقال القاهر: جُرُّوا برجل الكلب الملعون فجرُّوه، وجعلوا رأسه في طشتٍ. وأمر بالرؤوس. فطِيفَ بها في جانبي بغداد ونوديَ عليها هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى في فساد دولته. ثم أُعِيدَتْ ونُظِّفَتْ وجُعِلَتْ في خزانة

الرؤوس كما جرت العادة ،وقيل : إنه قتل يلبق وابنه مستخف، ثم ظفر بابنه بعد ذلك فأمر به فضُرِبَ، فأقبل ابن يلبق على القاهر وسبَّه أقبح سبٍّ وأعظم شتمٍ ، فأمر به القاهر فقتل، وطِيْفَ برأسه في جانبي بغداد. ثم أرسل إلى ابن يعقوب النوبختي وهو في مجلس وزيره محمد بن القاسم فأخذه وحبسه. ورأى الناس من شدَّةِ القاهر ما علموا معه أنهم لا يسلمون من يده، ونَدِمَ كل من أعانه من سبك والساجية والحجرية حيث لم ينفعهم الندم.

ذكر وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم للخليفة وعزله ووزارة الخصيبي

لما قبض القاهر بالله على مؤنس ويلبق. وابنه سأل عمَّن يصلح للوزارة فدُلّ على أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيدالله فاستوزره فبقي وزيراً إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة من السنة. فأرسل القاهر فقبض عليه وعلى أولاده وعلى أخيه عبيدالله وحرمه، وكان مريضاً بقولنج فبقي محبوساً ثمانية عشر يوماً ومات، فحُمِلَ إلى منزله، وأطلق أولاده. واستوزر أبا العباس أحمد بن عبيدالله بن سليمان الخصيبي. وكانت وزارة أبي جعفر ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً.

ذكر القبض على طريف السبكري

لما تمكّن القاهر وقبض على مؤنس وأصحابه وقَتَلَهُم ولم يقفْ على اليمين والأمان اللذين كتبهما لطريف، وكان القاهر يسمع طريفاً ما يكره ويستخفّ به، ويعرض له بالأذى، فلما رأى ذلك خافه وتيقّن القبض عليه والقتل فوصّى وفرغ من جميع ما يريده. واشتغل القاهر عنه بقبض من قبض عليه من وزير وغيره. ثم أحضره بعد أن قبض على وزيره أبي جعفر فقبض عليه، فتيقَّنَ القتل إسوة بمن قتل من أصحابه، ورفقائه فبقي محبوساً يتوقع القتل صباحاً ومساء إلى أن خُلع القاهر.

ذكر أخبار خراسان

في هذه السّنة سار مرداويج من الرّي إلى جرجان وبها أبو بكر محمد بن المظفر مريضاً فلما قصده مرداويج عاد إلى نيسابور. وكان السعيد نصر بن أحمد بنيسابور، فلما بلغها محمد بن المظفر سار السعيد نحو جرجان، وكاتب محمّد بن عبيدالله البلغمي، مطرف بن محمد وزير مرداويج واستماله، فمال إليه فانتهى الخبر بذلك إلى

مرداويج فقبض عليه مِطرفَ وقتله. وأرسل محمد بن عبيدالله البلغمي إلى مرداويج يقول له: «أنا أعلم أنك لا تستحسن كفر ما يفعله معك الأمير السّعيد، وإنك إنما حملك على قصد جرجان وزيرك مطرف ليرى أهلها محلّه منكَ، كما فعله أحمد بن أبي ربيعة كاتب عمرو بن الليث. حمل عمراً على قصد بلخ ليشاهد أهلها منزلته من عمرو فكان منه ما بلغك، وأنا لا أرى لك مناصبة ملك يطيف به مائة ألف رجل من غلمانه ومواليه وموالي أبيه. والصواب أنك تترك جرجان له، وتبذل عن الري مالاً تصالحه عليه». ففعل مرداويج ذلك وعاد عن جرجان وبذل عن الريِّ مالاً، وعاد إليها وصالحه السعيد عليها.

ذكر ولاية محمد بن المظفر على خراسان

ولما فرغَ السعيد من أمر جرجان وأحكمه استعمل أبا بكر محمد بن المظفر بن محتاج على جيوش خراسان. وردّ إليه تدبير الأمور بنواحي خراسان جميعِها، وعاد إلى بُخارى مقرِّ عزِّه وكرسِّي مُلكِهِ، وكان سبب تقدم محمد بن المظفر، أنه كان يوماً عند السعيد وهو يحادثه في بعض مهماته خالياً، فلسعَتْهُ عقربٌ في إحدى رجليه عدة لسعات، فلم يتحرك ولم يظهر عليه أثر ذلك. فلما فرغ من حديثه وعاد محمد إلى منزله نزع خفه فرأى العقرب فأخذها. فانتهى خبر ذلك إلى السعيد فأُعجِبَ به وقال: ما عَجِبْتُ إلاّ من فراغ بالك لتدبيرِ ما قلته لك فهلاّ قمْتَ وأزلْتَها؟ فقال: ما كنت لأقطع حديث الأمير بسبب عقرب، وإذا لم أصبر بين يديك على لسعةِ عقرب، فكيف أصبر وأنا بعيد منك على حدِّ سيوف أعداء دولتك إذا دفعتهم عن مملكتك؟ فعظم محلّه عنده وأعطاه مائتي ألف درهم.

ذكر ابتداء دولة بني بويه

وهم عماد الدولة أبو الحسن عليّ، وركن الدولة أبو عليّ الحسن، ومعز الدولة أبو الحسن أحمد أولاد أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر ابن شير كِنْدَه بن شيرزيل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرويه بن سشتان شاه بن سيس فيروز بن شيروزيل بن سنباد بن بهرام جور الملك ابن يزدجرد الملك ابن هرمز الملك ابن شابور الملك ابن شابور ذي الأكتاف. وباقي النسب قد تقدم في أوّل الكتاب عند ذكر ملوك الفرس. هكذا ساق نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكولا رحمه الله. وأما ابن

مسكويه فإنه قال: انهم يزعمون انهم من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس، إلاّ أن النفس أكثر ثقة بنقل ابن ماكولا لأنه الامام العالم بهذه الأمور، وهذا نسب عريق في الفرس ولا شك أنهم نسبوا إلى الديلم حيث طال مقامهم ببلادهم، وأما ابتداء أمرهم فإن والدهم أبا شجاع بويه كان متوسط الحال فماتت زوجته وخلّفَتْ له ثلاثة بنين وقد تقدم ذكرهم، فلما ماتت اشتدَّ خزنَهُ عليها. فحكى شهريار بن رستم الدّيلمي قال: كنت صديقاً لأبي شجاع بويه فدخلت إليه يوماً فعذلته على كثرةِ حزنه، وقلت له: «أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن وربما مات أحدهم فيجدد ذلك من الأحزان ما ينسيك المرأة». وسلَّيتُهُ بجهدي وأخذته ففرحته وأدخلته ومعه أولاده إلى منزلي ليأكلوا طعاماً وشغلْتهُ عن حزنِهِ.

فبينما هم كذلك اجتاز بنا رجل يقول عن نفسه: انه منجِّم ومعزم ومعبِّر للمنامات، ويكتب الرقي والطلسمات وغير ذلك. فأحضره أبو شجاع وقال له: «رأيْتُ في منامي كأنني أبوِّل فخرج من ذكري نارٌ عظيمة استطالت، وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفجرت، فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب، فأضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد، والعباد خاضعين لتلك النيران». فقال المنجم: هذا منام عظيم لا أفسره إلاّ بخلعة وفرس ومركب فقال أبو شجاع: والله ما أملك إلاّ الثيابَ التي على جسدي، فإنْ أخذتها بقيْتُ عرياناً قال المنجم: فعشرة دنانير قال: والله ما أملك ديناراً فكيف عشرة فأعطاه شيئاً فقال المنجم: «أعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيْتَ من تلك الشعب». فقال أبو شجاع: أما تستحي تسخر منا أنا رجلٌ فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكاً؟ فقال المنجم: أخبرني بوقت ميلادهم فأخبره فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن عليّ فقبَّلها وقال: «هذا والله الذي يملك البلاد ثم هذا من بعده، وقبض على يد أخيه أبي عليّ الحسن. فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لأولاده: إصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السُّخرية بنا فصفعوه ـ وهو يستغيث ـ ونحن نضحك منه. ثم أمسكوا فقال لهم: «اذكروا لي هذا إذا قصدتُكُم وأنتم ملوك». فضحكنا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم.

ثم خرج من بلاد الدَّيلم جماعة تقدَّم ذكرهم لتملك البلاد، منهم ماكان بن كالي وليلى بن النعمان وأسفار بن شيرويه ومرداويج بن زيار. وخرج مع كل واحدٍ منهم خلقٌ

كثير من الديلم. وخرج أولاد أبي شجاع في جملة من خرج وكانوا من جملة قوّاد ماكان بن كالي ـ فلما كان من أمر ماكان ما ذكرناه من الإتفاق، ثم الاختلاف بعد قتل أسفار واستيلاء مرداويج على ما كان بيد ماكان من طبرستان وجرجان، وعود ما كان مرة أخرى إلى جرجان والدامغان وعوده إلى نيسابور مهزوماً. فلما رأى أولاد بويه ضعْفه وعَجْزه قال له عماد الدولة وركن الدولة: «نحنُ في جماعة وقد صِرْنا ثقلاً عليك وعيالاً وأنت مضيق والأصلح لك أن نفارقك لنخفِّفَ عنك مؤنتنا فإذا صَلُحَ أمرنا عُدْنا إليك». فأذن لهما فسارا إلى مرداويج واقتدى بهما جماعة من قوّاد ماكان وتبعوهما؛ فلما صاروا إليه قبلهم أحسن قبول وخلع على بني بويه، وأكرمهما وقلّد كل واحد من قوّاد ماكان الواصلين إليه ناحية من نواحي الجبل. فأما عليّ بن بويه فإنه قلده كرج.

ذكر سبب تقدم عليّ بن بويه

كان السبب في ارتفاع عليّ بن بويه من بينهم بعد الأقدار أنه كان سمحاً حليماً شجاعاً، فلما قلّده مرداويج، كرج وقلد جماعة القواد المستأمنة معه الأعمال، وكتب لهم العهود ساروا إلى الريِّ وبها وشمكير بن زيار أخو مرداويج ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد ـ وهو والد أبي الفضل الذي وزِرَ لركن الدولة بن بويه ـ وكان العميد يومئذ وزير مرداويج. وكان مع عماد الدولة بغلة شهباء من أحسن ما يكون فعرضها للبيع فبلغ ثمنها مائتي دينار. فعُرِضَتْ على العميد فأخذها وأنفذ ثمنها. فلما حمل الثمن إلى عماد الدولة أخذ منه عشرة دنانير، وردّ الباقي وجعل معه هدية جميلة. ثم إنّ مرداويج ندم على ما فعل من توليه أولئك القوّاد البلاد فكتب إلى أخيه وشمكير والي العميد يأمرهما بمنعهم من المسير إلى أعمالهم وإنْ كان بعضهم قد خرج فيرد. وكانت الكتب تصل إلى العميد قبل وشمكير فيقرؤها ثم يعرضها على وشمكير. فلما وقف العميد على هذا الكتاب أنفذ إلى عماد الدولة يأمره بالمسير من ساعته إلى عمله ويطوي المنازل، فسار من وقته وكان المغرب. وأما العميد، فلما أصبح عرض الكتاب على وشمكير فمنع سائر القواد من الخروج من الري واستعاد التوقيعات التي معهم بالبلاد، وأراد وشمكير أنْ ينفذ خلف عماد الدولة من يرده فقال العميد: إنه لا يرجع طوعاً وربما قاتل من يقصده ويخرج عن طاعتنا فتركه.

وسار عماد الدولة إلى كرج وأحسن إلى الناس ولَطَفَ بعمال البلاد. فكتبوا إلى

مرداويج يشكرونه ويصفون ضبطه البلد وسياسته. وافتتح قلاعاً كانت للخرمية وظفر منها بذخائر كثيرة صرفها جميعها إلى استمالة الرجال والصِّلات والهبات، فشاع ذكره وقصدَهُ الناس وأحبوه. وكان مرداويج ذلك الوقت بطبرستان فلما عاد إلى الرّي أطلق مالاً لجماعة من قوّاده على كرج، فاستمالهم عماد الدولة ووصلهم وأحسَنَ إليهم حتى مالوا إليه وأحبوا طاعته، وبلغ ذلك مرداويج فاستوحش وندم على انفاذ أولئك القواد إلى الكرج. فكتب إلى عماد الدولة وأولئك يستدعيهم إليه وتلطَّفَ بهم فدافعه عماد الدولة واشتغل بأخذ العهود عليهم وخوّفهم من سطوة مرداويج، فأجابوه جميعهم، فجبى مال كرج واستأمن إليه شيرزاد ـ وهو من أعيان قواد الديلم ـ فقويت نفسه بذلك. وسار بهم عن كرج إلى أصبهان وبها المظفر بن ياقوت في نحو من عشرة آلاف مقاتل وعلى خراجها أبو عليّ بن رستم. فأرسل عماد الدولة إليهما يستعطفهما ويستأذنهما في الانحياز إليهما والدخول في طاعة الخليفة ليمضي إلى الحضرة ببغداد فلم يجيباه إلى ذلك. وكان أبو علي أشدهما كراهة، فاتفَّق للسعادة أن أبا عليّ مات في تلك الأيام وبرز ابن ياقوت عن أصبهان ثلاثة فراسخ. وكان في أصحابه جيل وديلم مقدار ستمائة رجل فاستأمنوا إلى عماد الدولة لما بلغهم من كرمه، فضَعُفَ قلب ابن ياقوت وقوي جنانَ عماد الدولة فواقعه، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم ابن ياقوت واستولى عماد الدولة على أصبهان، وعَظُمَ في عيون الناس، لأنه كان في تسعمائة رجل، هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف رجل. وبلغ ذلك الخليفة فاستعظَمَهُ. وبلغ خبر هذه الوقعة مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيدِهِ من البلاد واغتمَّ لذلك غماً شديداً.

ذكر استيلاء ابن بويه على ارجان وغيرها وملك مرداويج أصبهان

لما بلغ الوقعة إلى مرداويج خاف عماد الدولة بن بويه، فشرع في أعمال الحيلة. فراسله يعاتبه ويستميله، ويطلب منه أنْ يظهر طاعته حتى يمدَّه بالعساكر الكثيرة، ليفتحَ بها البلاد ولا يكلّفه سوى الخطبة له في البلاد التي يستولي عليها. فلما سار الرَّسول جهَّز مرداويج أخاه وشمكير في جيش كثيف ليكبسَ ابن بويه، وهو مطمئن إلى الرسالة التي تقدمت. فعلم ابن بويه بذلك فرحل عن أصبهان بعد أن جباها شهرين. وتوجَّه إلى أرجان وبها أبو بكر بن ياقوت، فانهزم أبو بكر من غير قتال، وقصد رامهرمز، واستولى ابن بويه على أرجان في ذي الحجة. ولما سار عن أصبهان دخلها وشمكير وعسكر أخيه

مرداويج وملكوها. فلما سمع القاهر أرسل إلى مرداويج قبل خلعه ليمنعَ أخاه عن أصبهان ويسلمها إلى محمّد بن ياقوت، ففعل ذلك ووليها محمد.

وأما ابن بويه فإنه ملك أرجان استخرج منها أموالاً فقوي بها. ووردت عليه كتب أبي طالب زيد بن علي النوبندجاني يستدعيه ويشيرُ إليه بالمسير إلى شيراز ويهوِّن عليه أمر ياقوت، وأصحابه ويعرفه تهوره واشتغاله بجباية الأموال وكثرة مؤنته ومؤنة أصحابه، وثِقْلِ وطأتهم على الناس مع فشلهم وجبنهم. فخاف ابن بويه أن يقصد ياقوتاً مع كثرةِ عساكرِهِ وأمواله، ويحصل بين ياقوت وولده فلم يقبل مشورته فلم يبرح من مكانه. فعاد أبو طالب وكتب إليه يشجِّعهُ ويُعلِمهُ أن مرداويج قد كتب إلى ياقوت يطلب مصالحته فإن تم ذلك اجتمعا على محاربته ولم يكن له بهما طاقة، ويقول له: إن الرأي لمن كان في مثل حاله أن يعاجل من بين يديه ولا ينتظر بهم الاجتماع والكثرة أن يحدقوا به من كل جانب، فإنه إذا هزم من بين يديه خافه الباقون ولم يقدموا عليه. ولم يزل أبو طالب يراسله إلى أن سار نحو النوبندنجان في ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. وقد سبقه إليهما مقدم ياقوت في نحو ألفي فارس من شجعان أصحابه، فلما وافاهم ابن بويه لم يثبتوا له لمَّا لقيهم وانهزموا إلى كركان. وجاءهم ياقوت في جميع أصحابه إلى هذا الموضع، وتقدَّم أبو طالب إلى وكلائه بالنوبندنجان بخدمة ابن بويه والقيام بما يحتاج إليه وتنحّى هو عن البلد إلى بعض القرى حتى لا يعتقد فيه المواطأة له. فكان مبلغ ما خسر عليه في أربعين يوماً مقدار مائتي ألف دينار. وأنفذ عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن إلى كازرون وغيرها من أعمال فارس فاستخرج منها أموالاً جليلة. فأنفذ ياقوت عسكراً إلى كازرون فواقعهم ركن الدولة فهزمهم ـ وهو في نفر يسير ـ وعاد غانماً سالماً إلى أخيه، ثم إنّ عماد الدولة انتهى إلى مُراسلة مرداويج، وأخيه وشمكير إلى ياقوت ومراسلته إليهما فخاف اجتماعهم، فسار من النوبندجـان إلى إصطخـر ثم إلى البيضاء وياقوت يتبعه، وانتهى إلى قنطرة على طريق كرمان، فسبقه يـاقوت إليهـا ومنعه من عبورها واضطر إلى الحرب، وذلك في آخر سنة إحدى وعشرين، ودخلت سنة اثنتين وعشرين.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة اجتمعت بنو ثعلبة إلى بني أسد القاصدين إلى أرض الموصل،

ومن معهم من طيء، فصاروا يداً واحدة على بني مالك، ومن معهم من تغلب وقرب بعضهم من بعض للحرب، فركب ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان في أهله ورجاله، ومعه أبو الأغرّ بن سعيد بن حمدان للصلح بينهم. فتكلّم أبو الأغرّ فطعنه رجل من حزب بني ثعلبة فقتله. فحمل عليهم ناصر الدولة ومن معه فانهزموا وقَتَلَ منهم وملك بيوتهم، وأخذ حريمهم وأموالهم. ونجوا على ظهور خيولهم وتبعهم ناصر الدولة إلى الحديثة. فلما وصلوا إليها لقيهم يأنس غلام مؤنس وقد ولي الموصل، وهو مصعد إليها فانضمَّ إليه بنو ثعلبة، وبنو أسد وعادوا إلى ديار ربيعة.

وفيها ورد الخبر إلى بغداد بوفاة تكين الخاصة بمصر، وكان أميراً عليها فوَلي مكانه ابنه محمد وأرسل له القاهر بالله الخلع. وثار الجند بمصرَ فقاتلهم محمد وظفر بهم. وفيها أمر عليّ بن يلبق قبل قبضه وكاتبه الحسن بن هارون بلعن معاوية بن أبي سفيان، وابنه يزيد على المنابر ببغداد، فاضطربت العامة. فأراد عليّ بن يلبق أن يقبض على البربهاري رئيس الحنابلة[1] وكان يثير الفتن هو وأصحابه فعلم بذلك فهرب. فأخذ جماعة من أعيان أصحابه وحبسوا وجُعِلُوا في زورق وأحدروا إلى عمَّان. وفيها أمر القاهر بتحريم الخمر والغناء وسائر الأنبذة ونفى بعض من كان يعرف بذلك إلى البصرة والكوفة. وأما الجواري المغنيات فأمر ببيعهن على أنهن سواذج لا يعرفن الغناء. ثم وضع من يشتري له كل حاذقة في صنعة الغناء فاشترى منها ما أراد بأرخص الأثمان. وكان القاهر مشتهراً بالغناء والسماع، فجعل ذلك طريقاً إلى تحصيل غرضه رخيصاً نعوذ بالله من هذه الأخلاق التي لا يرضاها عامة الناس. وفيها توفِّي أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوي في شعبان[2]، وأبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم

---

(١) هو الحسن بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري الفقيه العابد شيخ الحنابلة بالعراق مات سنة ٣٢٩ وسيأتي زيادة لذلك في حوادث سنة ٣٢٩ هـ عند ذكر وفاته.

(٢) هو نزيل بغداد. تنقل في جزائر البحر وفارس، وطلب الأدب واللغة حتى صار رأساً فيهما وفي أشعار العرب وله شعر كثير وتصانيف. وكان أبوه من رؤساء زمانه وحدث ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل العباس الرياشي، وابن أخي الأصمعي وروى عنه أبو سعيد السيرافي، وأبو بكر بن شاذان، وابو الفرج صاحب الأغاني، وأبو عبد الله المرزباني، وعاش ابن دريد بضعاً وتسعين سنة، فمن تآليفه كتاب الجمهرة ـ طبع في الهند ـ والامالي. واشتقاق اسماء القبائل ـ طبع في اوروبا ـ والمجتبىٰ، وكتاب الخيل وغير ذلك، ولما مات هو وابو هاشم في يوم واحد فقال الناس: مات اليوم عالم اللغة، وعالم الكلام وكان ذلك يوماً مطيراً.

المعتزلي[1] في يوم واحد، ودُفِنَا بمقابر الخيزران. وفيها توفّي محمد بن يوسف بن مطر الفربري وكان مولده سنة إحدى وثلاثين ومائتين؛ وهو الذي روى صحيح البُخاري عنه وكان قد سمعه عشرات ألوف من البُخاري فلم ينتشر إلّا عنه. وهو منسوب إلى فربر - بالفاء والراءين المهملتين وبينهما باء معجمة موحدة - وهي من قُرى بُخارى.

(١) هو عبد السلام ابو هاشم بن محمد أبي علي الجبائي من أبناء ابان مولى عثمان عالم بالكلام من كبار المعتزلة له آراء اتفرد بها وتبعته فرقة تسمى - البهشمية - نسبة إلى أبي هاشم مولده ووفاته ببغداد.

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

ذكر استيلاء ابن بويه على شيراز

في هذه السّنة ظفر عماد الدولة بن بويه بياقوت وملك شيراز، وقد ذكرنا مسير عماد الدولة ابن بويه إلى القنطرة وسبق ياقوت إليها. فلما وصلها ابن بويه وصدَّهُ ياقوت عن عبورها، اضطرَّ إلى محاربته فتحاربا في جُمادى الآخرة. وأحضر عليّ بن بويه أصحابه، ووعدهم أنه يترحل معهم عند الحرب ويقاتل كأحدهم ومنّاهم ووعدَهُم الإِحسان. وكان من سعادته أنّ جماعة من أصحابه استأمنوا إلى ياقوت فحين رآهم ياقوت أمرَ بضربِ رقابهم فأيقن من مع ابن بويه أنهم لا أمان لهم عنده فقاتلوا قتال مستقتل. ثم إن ياقوتاً قدَّمَ أمام أصحابه رجالة كثيرة يقاتلون بقوارير النفطِ فانقلبت الرِّيحُ في وجوههم، واشتدَّتْ. فلما القوا النار عادت النار عليهم فعلقت بوجوههم، وثيابهم فاختلطوا وأكبَّ عليهم أصحاب ابن بويه فقتلوا أكثر الرجالة، وخالطوا الفرسان فانهزموا، فكانت الدائرةُ على ياقوت وأصحابه. فلما انهزم صعد على نشز مرتفع ونادى في أصحابه الرجعة، فاجتمع إليه نحو أربعة آلاف فارس فقال لهم: «اثبتوا فإنّ الدّيلم يشتغلون بالنهب ويتفرقون فنأخذهم». فثبتوا معه[1]، فلما رأى ابن بويه ثباتهم نهى أصحابه عن النهب، وقال: «إن عدُوكُم يرصدكم لتشتغلوا بالنهب فيعطف عليكم ويكون هلاككم، فاتركوا هذا وافرغوا من المنهزمين، ثم عودوا إليه». ففعلوا ذلك، فلما رأى ياقوت أنهم على قصده ولى منهزماً واتبعه أصحاب ابن بويه يقتلون ويأسرون ويغنمون الخيل والسِّلاح.

وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه في ذلك اليوم من أحسن الناس أثراً

---

(١) وهذه المكيدة والتدبير طالما نجحت وظفر مدبروها ولا يخفى عليك يوم غزوة احد عند ما اشتغل المسلمون بالغنيمة وانقض عليهم خيل المشركين وعلى رأسهم خالد بن الوليد فقتلوا وجرحوا.

وكان صبياً لم تنبت لحيته، وكان عمره تسع عشرة سنة. ثم رجعوا إلى السواد فغنموا، ووجدوا في سواده برانس لبود عليها أذناب الثعالب ووجدوا قيوداً وأغلالاً، فسألوا عنها فقال أصحاب ياقوت: إن هذه أعدَّتْ لكم لتجعل عليكم ويطاف بكم في البلاد. فأشار أصحاب ابن بويه أن يفعل بهم مثل ذلك فامتنع وقال: إنه بغيٌّ ولؤمُ ظفر ولقد لقي ياقوت بغيه. ثم أحسن إلى الأسارى وأطلقهم، وقال: هذه نعمة والشكر عليها واجب يقتضي المزيد، وخير الأسارى بين المقام عنده واللحوق بياقوت، فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم وأحسن إليهم، وسار من موضع الوقعة حتى نزل بشيراز، ونادى في الناس بالأمان وبثَّ العدل، وأقام لهم شحنة يمنع من ظلمهم. واستولى على تلك البلاد وطلبَ الجند أرزاقهم فلم يكنْ عنده ما يعطيهم، فكاد ينحلُّ أمره، فقعد في غرفةٍ في دار الإمارة بشيراز يفكر في أمره، فرأى حيةً خرجت من موضع في سقف تلك الغرفة، ودخلت في ثُقبِ هناك. فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين، ففتحوا الموضع فرأوا وراءه باباً فدخلوه إلى غرفة أخرى وفيها عشرة صناديق مملوءة مالاً ومصوغاً. وكان فيها ما قيمته خمسمائة ألف دينار فأنفقها وثبت ملكه بعد أن كان قد أشرف على الزوال.

وحُكِيَ أنه أراد أن يفصِّل ثياباً فدلوه على خياط كان لياقوت فأحضره فحضر خائفاً وكان أصمٌّ فقال له عماد الدولة: لا تخفْ فإنما أحضرناك لتفصِّل ثياباً فلم يعلم ما قال، فابتدأ وحلف بالطلاق والبراءة من دين الإسلام أن الصناديق التي عنده لياقوت ما فتحها. فتعجب الأمير من هذا الاتفاق، فأمره بإحضارها فأحضر ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ثلاثمائة ألف دينار. ثم ظهر له من ودائع ياقوت وذخائر يعقوب وعمرو بني الليث جملة كثيرة فامتلأت خزائنه وثبت ملكه. فلما تمكَّن من شيراز وفارس كتب إلى الراضي بالله وكانت قد افضت إليه الخلافة على ما نذكره وإلى وزيره أبي عليّ بن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة، ويطلب منه أن يقاطعَ على ما بيدِهِ من البلاد، وبذل ألف ألف درهم، فأجِيْبَ إلى ذلكَ. فانفذوا له الخِلَعَ وشَرَطُوا على الرسول أن لا يسلِّم إليه الخلع إلا بعد قبض المال، فلما وصل الرسول خرج عماد الدولة إلى لقائه وطلب منه الخلع واللواء فذكر له الشرط، فأخذهما منه قهراً ولبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ودخل البلد وغالط الرسول بالمال، فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. وعظَّمَ شأنه وقصده الرجال من الأطراف، ولما سمع مرادويج بما ناله من ابن بويه قام لذلك وقعد وسار إلى أصبهان للتدبير عليه، وكان بها أخوه وشمكير، لأنه لما خلع القاهر وتأخر

محمد بن ياقوت عنها عاد إليها وشمكير بعد أن بقيت تسعة عشر يوماً خالية من أمير. فلما وصلها مرداويج ردَّ أخاه وشمكير إلى الرّي.

ذكر استيلاء نصر بن أحمد على كرمان

في هذه السّنة خرج أبو عليّ محمد بن إلياس من ناحية كرمان إلى بلاد فارس، وبلغ اصطخر، فأظهر لياقوت أنه يريد أن يستأمن إليه حيلة ومكراً، فعلم ياقوت مكره فعاد إلى كرمان، فسيَّر إليه السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان ماكان بن كالي في جيش كثيف فقاتله فانهزم ابن إلياس واستولى ماكان على كرمان نيابة من صاحب خراسان. وكان هذا محمد بن إلياس من أصحاب نصر بن أحمد فغضب عليه وحبسه، ثم شفع فيه محمد بن عبيدالله البلغمي فأخرجه وسيَّره مع محمد بن المظفر إلى جرجان. فلما خرج يحيى بن أحمد واخوته ببُخارى على ما ذكرناه، سار محمد بن إلياس إليه فصار معه، فلمّا دبَّر أمره سار محمد من نيسابور إلى كرمان فاستولى عليها إلى هذه الغاية، فأزاله ما كان عنها فسار إلى الدينور وأقام ماكان بكرمان. فلما عاد عنها على ما نذكره رَجِعَ إليها محمد بن إلياس.

ذكر خلع القاهر بالله

وفيها خلع القاهر بالله في جُمادى الأولى، وكان سبب ذلك ان أبا علي بن مقلة كان مستتراً من القاهر والقاهر يتطلبه، وكذلك الحسن بن هارون، فكانا يراسلان قواد الساجية والحجرية ويخوّفانهم من شرِّه ويذكران لهم غدره ونكّثه مرة بعد أخرى، كقتل مؤنس ويلبق وابنه عليّ بعد الإيمان لهم. وكقبضه على طريف السبكري بعد اليمين له مع نصح طريف له إلى غير ذلك. وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ليلاً تارة في زيٍّ أعمى وتارة في زيّ مكديّ وتارة في زيٍّ امرأة ويغرّيهم به. ثم إنه أعطى منجماً كان لسِيما مائتي دينار، وأعطاه الحسن مائة دينار، وكان يذكر لسيما أن طالعه يقتضي ان ينكبه القاهر ويقتله. وأعطى ابن مقلة أيضاً لمعبر كان لسيما يعبِّر له المنامات، فكان يحذره أيضاً من القاهر ويعبِّر له على ما يريد فازداد نفوراً من القاهر.

ثم إن القاهر شرع في عمل مطامير في الدّار فقيل لسيما ولجماعة قواد الساجية والحجرية: إنما عملها لأجلكم، فازداد نفوراً، ونقل إلى سيما أن القاهر يريد قتله

فجمع السّاجية، وكان هو رئيسهم المقدَّم عليهم وأعطاهم السلاح، وأنفذوا إلى الحجرية، إن كنتم موافقين لنا فجيئوا إلينا حتى يحلف بعضنا لبعض، وتكون كلمتنا واحدة. فاجتمعوا جميعهم وتحالفوا على اجتماع الكلمة وقتل من خالف منهم. فاتصل ذلك بالقاهر ووزيره الخصيبي، فأرسل إليهم الوزير ما الذي حملكم على هذا؟ فقالوا: قد صحَّ عندنا أن القاهر يريد القبضَ على سِيما وقد عمل مطامير ليحبسَ فيها قوادنا ورؤساءنا. فلما كان يوم الأربعاء لستٍ خلونَ من جُمادى الأولى اجتمع الساجية والحجرية عند سيما وتحالفوا على الاجتماع على القبض على القاهر فقال لهم سِيما: قوموا بنا الساعة حتى نمضي هذا العزم، فإنه إنْ تأخَّر علم به واحترز وأهلكنا. وبلغ ذلك الوزير فأرسل الحاجب سلامة وعيسى الطبيب ليعلماه بذلك فوجداه نائماً قد شرب أكثر ليلته فلم يقدرا على إعلامه بذلك. وزحف الحجرية والساجية إلى الدار ووكّل سيمابأبوابها من يحفظها وبقي هو على باب العامة، وهجموا على الدار من سائر الأبواب. فلما سمع القاهر الأصوات والغلبة استيقظ مخموراً وطلب باباً يهرب منه، فقيل له: إن الأبواب جميعها مشحونةٌ بالرجال فهرب إلى سطح حمام، فلما دخل القوم لم يجدوه فأخذوا الخدم وسألوهم عنه فدلّهم عليه خادم صغير فقصدوه، فرأوه وبيده السيف فاجتهدوا به فلم ينزل لهم، فألانو له القول وقالوا: نحو عبيدك وإنما نريد أن نأخذ عليك العهود فلم يقبل منهم وقال: من صعد إلي قتلته. فأخذ بعضهم سهماً وقال: إن نزلت وإلاّ وضعته في نحرك، فنزل حينئذ إليهم فأخذوه، وساروا به إلى الموضع الذي فيه طريف السبكري ففتحوه وأخرجوه منه وحبسوا القاهر مكانه ثم سملوه، وهرب وزيره الخصيبي وسلامة حاجبه.

وقيل في سبب خلعه وقيام الساجية والحجرية: غير ما تقدم، وهو أن القاهر لما تمكَّنَ من الخلافة أقبل ينقص الساجية والحجرية على ممر الأيام ولا يقضي لإكابرهم حاجة ويلزمهم النوبة في داره. ويؤخر أعطياتهم ويغلظ لمن يخاطبه منهم في أمر ويحرمه فأقبل بعضهم ينظر بعضاً ويتشاكون بينهم. ثم إنه كان يقول لسلامة حاجبه: «يا سلامة أنت بين يدي كنز مال يمشي فأيّ شيء يبين في مالك لو أعطيتني ألف ألف دينار». فيحملُ ذلك منه على الهزل، وكان وزيره الخصيبي أيضاً خائفاً لما يرى منه.

ثم إنه حفر في الدّار نحو خمسين مطمورة تحت الأرض وأحكم أبوابها فكان

يقال: إنه عملها لمقدمي الساجية والحجرية فازداد نفورهم منه وخوفهم. ثم إن جماعة من القرامطة أُخِذُوا بفارسَ، وأُرسِلُوا إلى بغداد كما تقدم، فحُبِسُوا في تلك المطامير. ثم تقدّم سراً بفتح الأبواب عليهم والإحسان إليهم وعزم على أن يقوى بهم على القبض على مقدمي الحجرية والساجية وبمن معه من غلمانه.

وأنكر الحجرية والساجية حال القرامطة وكونهم معه في داره محسناً إليهم. وقالوا لوزيره الخصيبي وحاجبه سلامة في ذلك فقالا له، فأخرجهم من الدار فسلمهم إلى محمد بن ياقوت ـ وهو على شرطة بغداد ـ فأنزلهم في دارٍ وأحسنَ إليهم. وكان يدخل إليهم من يريد فعظم استيحاشهم، ثم صار يذمُّهم في مجلسه ويظهر كراهتهم حتى تبينوا ذلك في وجهه وحركاته معهم. فأظهروا أنّ لبعض قوادهم عرساً فاجتمعوا بحجته وقرروا بينهم ما أرادوا، وافترقوا وأرسلوا إلى سابور خادم والدة المقتدر، فقالوا له: «قد علمت ما فعله بمولاتِكَ وقد ركبَتْ في موافقته كل عظيم فإن وافقتنا على ما نحن عليه وتقدمت إلى الخدم بحفظه، فعفا الله عما سلف منك وإلّا فنحن نبدأ بك». فأعلمهم ما عنده من الخوف والكراهة للقاهر وأنه موافقهم. وكان ابن مقلة مع هذا يصنع عليه ويسعى فيه إلى أن خلع كما ذكرنا. وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام.

ذكر خلافة الراضي بالله

هو ابن العباس أحمد بن المقتدر بالله، ولما قبض القاهر سألوا الخدم عن المكان الذي فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلّوهم عليه. وكان هو ووالدته محبوسين فقصدوه، وفتحوا عليه ودخلوا فسلَّموا عليه بالخلافة وأخرجوه، وأجلسوه على سرير القاهر يوم الأربعاء لستٍ خلون من جُمادى الأولى ولقَّبوه بالراضي بالله وبايعه القوّاد والناس. وأمر بإحضار عليّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وصدر عن رأيهما فيما يفعله واستشارهما، وأراد عليّ بن عيسى على الوزارة فامتنع لكبرِهِ، وعجزِهِ وضُعفِهِ وأشار بابن مقلة. ثم أن سيما قال للراضي إن الوقت لا يحتمل أخلاق عليّ وابن مقلة أليق بالوقت، فكتب له أماناً وأحضره واستوزره. فلما وزرَ أحسن إلى كل من أساء إليه وأحسنَ سيرتَهُ وقال: «عاهدت الله عند استتاري بذلك، فوفى به وأحضر الشهود والقضاة» وأرسلهم إلى القاهر ليشهدوا عليه بالخلع فلم يفعلْ فسمّل من ليلته فبقي أعمى لا يبصر.

وأرسل ابن مقلة إلى الخصيبي وعيسى المتطبب بالأمان فظهرا وأحسن إليهما واستعمل الخصيبي وولاه، واستعمل الراضي بالله على الشرطة بدراً الخرشني؛ واستعمل ابن مقلة أبا الفضل بن جعفر بن الفرات في جُمادى الأولى نائباً عنه على سائر العمال بالموصل وقردى وبازبدى، وماردين وطور عبدين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشّامية وأجناد الشام وديار مضر يصرف من يرى ويستعمل من يرى في الخراج والمعاون والنفقات والبريد وغير ذلك، وأرسل إلى محمد بن رائق يستدعيه ليوليه الحجبة وكان قد استولى على الأهواز وأعمالها، ودفع عنها ابن ياقوت، ولم يبقَ بيد ابن ياقوت من تلك الولاية إلا السوس وجند يسابور وهو يريد المسير إلى أصبهان أميراً عليها على ما ذكرناه، وكان ذلك آخر أيام القاهر. فلما ولّي الراضي واستحضره سار إلى واسطَ وأرسل محمد بن ياقوت يخطب الحجبة فأُجيب إليها فسار في إثر ابن رائق. وبلغ ابن رائق الخبرَ فلم يقفْ، وسار من واسطَ مصعداً إلى بغدادَ يسابق ابن ياقوت، فلما وصل إلى المدائن لقيه توقيع الراضي يأمره بترك دخول بغداد، وتقليده الحرب والمعاون بواسطَ مضافاً إلى ما بيده من البصرة. وغيرها. فعاد منحدراً في دجلة، ولقيه ابن ياقوت مصعداً فيها أيضاً فسلم بعضهم على بعض. وأصعد ابن ياقوت إلى بغداد فتولّى الحجبة على ما نذكره.

ذكر وفاة المهدي صاحب افريقية وولاية ولده القائم

في هذه السّنة في شهر ربيع الأول توفي المهدي أبو محمد عبيدالله العلويّ بالمهدية. وأخفى ولده أبو القاسم موته سنة لتدبير كان له، وكان يخاف أن يختلفَ الناس عليه إذا علموا بموته. وكان عمر المهديّ لما توفي ثلاثاً وستين سنة، وكانت ولايته منذ دخل رقادة ودُعي له بالإمامة إلى أن توفي أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً. ولما توفيَ مَلَكَ بعدَهُ ابنه ابو القاسم محمّد، وكان أبوه قد عَهِدَ إليه. ولما أظهر وفاة والده كان قد تمكن وفرغ من جميع ما أراده واتبع سنة أبيه، وثار عليه جماعة فتمكن منهم، وكان من أشدهم رجل يقال له: ابن طالوت القرشي في ناحية طرابلس، ويزعم أنه ولد المهدي فقاموا معه وزحف إلى مدينة طرابلس، فقاتله أهلها ثم تبين للبربر كذبه فقتلوه وحملوا رأسه إلى القائم، وجهّز القائم أيضاً جيشاً كثيفاً مع ميسور الفتى إلى المغرب فانتهى إلى فاس وإلى تكرور، وهزم خارجياً هناك وأُخِذَ ولده أسيراً. وسيّر أيضاً

جيشاً في البحر وقدِمَ عليهم رجلاً اسمه يعقوب بن إسحاق إلى بلد الدوم فسبى وغنم في بلد جنوه، وسيَّر جيشاً آخر مع خادمه زيدان وبالغ في النفقة عليهم وتجهيزهم إلى مصر، فدخلوا الإسكندرية، فأخرج إليهم محمد الإخشيد عسكراً كثيفاً فقاتلهم وهزموا المغاربة، وقتلوا فيهم وأسروا وعاد المغاربة مفلولين.

ذكر استيلاء مرداويج على الأهواز

لما بلغ مرداويج استيلاء عليّ بن بويه على فارس اشتدَّ ذلك عليه، فسار إلى أصبهان للتدبير على ابن بويه فرأى أن ينفذ عسكراً إلى الأهواز ليستولي عليها ويسدَّ الطريق على عماد الدولة بن بويه اذا قصده فلا يبقى له طريق إلى الخليفة ويقصده هو من ناحية أصبهان، ويقصده عسكره من ناحية الأهواز فلا يثبت لهم، فسارت عساكر مرداويج في شهر رمضان حتى بلغت إيذج فخاف ياقوت أن يحصل بينهم وبين ابن بويه، فسار إلى الأهواز ومعه ابنه المظفَّر، وكتب إلى الراضي ليقلده أعمال الأهواز فقلده ذلك. وصار أبو عبدالله بن البريدي كاتبه مضافاً إلى ما بيده من أعمال الخراج بالأهواز. وصار أخوه أبو الحسين يخلف ياقوتاً ببغداد. ثم استولى عسكر مرداويج على رامهرمز أول شوّال من هذه السنة، وساروا نحو الأهواز فوقف لهم ياقوت على قنطرة اربق، فلم يمكنهم من العبور لشدة جرية الماء. فأقاموا بإزائه أربعينَ يوماً ثم رحلوا، فعبروا على الأطواف نهر المسرقان فبلغ الخبر إلى ياقوت، وقد أتاه مدد من بغداد قبل ذلك بيومين فسار بهم إلى قرية الرِّيخ، وسار منها إلى واسطَ وبها حينئذ محمد بن رائق فأخلى له غربي واسط، فنزل فيه ياقوت. ولما بلغ عماد الدولة استيلاء مرداويج على الأهواز كاتب نائب مرداويج يستميله، ويطلب منه أن يتوسَّط الحال بينه وبين مرداويج، ففعل ذلك وسعى فيه فأجابه مرداويج إلى ذلك على أن يطيعهُ، ويخطبَ له، فاستقرَّ الحال بينهما وأهدى له ابن بويه هدية جليلة وأنفذ أخاه ركن الدولة رهينة، وخطب لمرداويج في بلاده فرضي مرداويج منه، واتفق أنه قتل على ما نذكره فقوي أمر ابن بويه.

ذكر عود ياقوت إلى الأهواز

ولما وصل ياقوت إلى واسطَ أقام بها إلى أن قتل مرداويج، ومعه أبو عبدالله البريدي، يكتب له، فلما قتل مرداويج عاد ياقوت إلى الأهواز واستولى على تلك

الولاية، ولما وصل ياقوت إلى عسكر مَكرَم بعد قتل مرداويج كانت عساكر ابن بويه، قد سبقته فالتقوا بنواحي أرجان. وكان ابن بويه قد لَحِق بأصحابه واشتدَّ قتالهم بين يديه، فانهزم ياقوت ولم يفلح بعدها. وراسل أبو عبدالله البريدي ابن بويه في الصُّلح فأجاب إلى ذلك. وكَتَب به إلى الراضي فأجاب إلى ذلك، وقرَّر بلاد فارس عليّ ابن بويه، واستقرَّ بشيراز. واستقرّ ياقوت بالأهواز ومعه ابن البريدي. وكان محمد بن ياقوت قد سار إلى بغداد، وتولّى الحجبة وخلع الراضي عليه وتولّى مع الحجبة رياسةَ الجيش، وأدخل يده في أمر الدواوين، وتقدَّم إليهم بأن لا يقبلوا توقيعاً بولاية ولا عزل، واطلاق إلّا إذا كان خطّه عليه، وأمرهم بحضورِ مجلسه. فصبر أبو علي بن مقلة على ذلك، وألزم نفسه بالمصير إلى دار ابن ياقوت في بعض الأوقات وبقي كالمتعطل.

ولقد كان في هذه الأيام القليلة حوادث عظيمة. منها إنصراف وشمكير أخي مرداويج عن أصبهان بكتاب القاهر بعد أن ملكها، واستعمال القاهر محمد بن ياقوت عليها. وخلع القاهر وخلافة الراضي، وأمر الحجبة لمحمد بن رائق ثم انفساخه، ومسير محمد بن ياقوت من رامهرمز إلى بغداد وولايته الحجبة بعد أن كان سائراً إلى أصبهان ليتولّاها، وإعادة مرداويج أخاه وشمكير إليها، وملك عليّ بن بويه أرجان، هذا جميعه في هذه اللحظة القريبة في سبعين يوماً، فتبارك الله الذي بيده الملك والملكوت يصرف الأمور كيف يشاء لا إله إلّا هو.

ذكر قتل هارون بن غريب

في هذه السنة قتل هارون بن غريب. وكان سبب قتله أنه كان كما ذكرنا قد استعمله القاهر على ماه الكوفة وقصبتها الدينور وعلى ماسبذان، وغيرها. فلما خلع القاهر واستخلف الراضي، رأى هارون أنه أحقُّ بالدولة من غيره لقرابته من الراضي، حيث هو ابن خال المقتدر. فكاتب القوّاد ببغداد يعدهم الإحسان والزيادة في الأرزاق.

ثم سار من الدينور إلى خانقين، فعظم ذلك على ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساجية والمؤنسية واجتمعوا وشكوه إلى الراضي، فأعلمهم أنه كارهٌ له، وأذن لهم في منعه. فراسلوه أولاً وبذلوا له طريق خراسان زيادة على ما في يده، فلم يقنع به[1].

---

(١) في تجارب الامم « فنفذ ابو جعفر ومعه ابو اسحاق القراريطي بهذا الجواب » .

وتقدَّم إلى النهروان وشرع في جباية الأموال، وظُلم الناس، وعسفهم وقويت شوكته. فخرج إليه محمد بن ياقوت في سائر جيوش بغداد ونزل قريباً منه، ووقعت الطلائع بعضها على بعض. وهرب بعض أصحاب محمد بن ياقوت إلى هارون، وراسله محمد يستميله ويبذل له فلم يجب إلى ذلك، وقال: لا بدَّ من دخول بغداد. فلما كان يوم الثلاثاء لستٍ بقين من جُمادى الآخرة، تزاحف العسكران واشتدَّ القتال واستظهر أصحاب هارون لكثرتهم، فانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت ونهب أكثر سوادهم، وكَثُرَ فيهم الجراح والقتل. فسار محمد بن ياقوت حتى قطع قنطرة نهربين، فبلغ ذلك هارون فسار نحو القنطرة منفرداً عن أصحابه طمعاً في قتل محمّد بن ياقوت أو أُسرِه، فتقنطَرَ به فرسه فسقط عنه في ساقيةٍ. فلحقه غلام له اسمه يمن، فضربه بالطبرزين حتى أثخنه، وكسر عظامه ثم نزل إليه فذبحه[١] ثم رفع رأسه وكبَّر، فانهزم أصحابه وتفرقوا ودخل بعضهم بغداد سراً. ونهب سواد هارون وقتل جماعة من قوّاده وأسر جماعة. وسار محمد إلى موضع جثة هارون فأمر بحملها إلى مضربه فحُمِلَتْ وأمر بغسله وتكفينه ثم صلّى عليه ودفنه، وأنفذ إلى داره من يحفظها من النهب. ودخل بغداد ورأس هارون بين يديه ورؤوس جماعة من قوّاده، فنصب ببغدادَ.

ذكر ظهور إنسان ادّعى النبوة

في هذه السّنة ظهر بباسند من أعمال الصغانيان رجل ادّعى النبوة، فقصده فوجٌ بعد فوج واتّبعه خلق كثير. وحارب من خالفه، فقتل خلقاً كثيراً ممن كذبه فَكَثُرَ اتباعه من أهل الشاش خصوصاً. وكان صاحب حيل ومخاريق وكان يُدخِلُ يده في حوض ملآن ماء فيُخرِجُها مملوءة دنانير إلى غير ذلك من المخاريق، فكَثُرَ جمعُهُ. فأنفذ إليه أبو علي بن محمد بن المظفر جيشاً فحاربوه، وضيّقوا عليه - وهو فوق جبل عالٍ - حتى قبضوا عليه وقتلوه، وحملوا رأسه إلى أبي علي وقتلوا خلقاً كثيراً ممن اتّبعه وآمن به. وكان يدّعي أنه متى مات عاد إلى الدنيا. فبقي بتلك الناحية جماعة كثيرة على ما دعاهم إليه مدة طويلة ثم اضمحلّوا وفنوا.

---

(٢) في تجارب الامم « فلحقه يمن غلامه فضربه حتى اثخنه بالطبرزينات » .

ذكر قتل الشلمغاني وحكاية مذهبه

وفي هذه السّنة قُتِلَ أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بـابن أبي القراقر . وشلمغان التي ينسب اليها قرية بنواحي واسط ، وسبب ذلك أنه قد أحدَثَ مذهباً غالياً في التشييع والتناسخ وحلول الإلهية فيه إلى غير ذلك مما يحكيه ، وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن روح ـ الذي تسميه الإمامية الباب ـ متداول وزارة حامد بن العباس ،ثم اتصل أبو جعفر الشلمغاني بالمحسن بن أبي الحسن بن الفرات في وزارة أبيه الثالثة .

ثم أنه طلب في وزارة الخاقاني فاستتر ، وهرب إلى الموصل فبقي سنين عند ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان في حياة أبيه عبد الله بن حمدان ، ثم انحدر إلى بغداد واستتر، وظهر عنده ببغدادَ أنه يدّعي لنفسه الربوبية. وقيل: إنه اتبعه على ذلك الحُسين بن القاسم بن عبد الله بن سُليمان بن وهب الذي وَزِرَ للمقتدر بالله ، وأبو جعفر . وأبو عليّ ابنا بسطام وإبراهيم بن محمد بن أبي عون ، وابن شبيب الزيات ، وأحمد بن محمد بن عبدوس ، كانوا يعتقدون ذلك فيه وظهر ذلك عنهم وطلبوا أيام وزارة ابن مقلة للمقتدر بالله فلم يوجدوا .

فلما كان في شوّال سنة إثنتين وعشرين وثلاثمائة ، ظهر الشلمغاني فقبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه ، وكبس داره، فوجد فيها رقاعاً وكتباً ممن يدّعي عليه أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطَبُ به البشر بعضهم بعضاً . وفيها خطُّ الحسين بن القاسم ، فعرضت الخطوط فعرفها الناس وعُرِضَتْ على الشلمغاني فأقرّ أنها خطوطهم، وأنكر مذهبه، وأظهَرَ الإسلام وتبرَّأ مما يقال فيه. وأخذ ابن أبي عون، وابن عبدوس معه وأحضرا معه عند الخليفة وأمرا بصفعهِ فامتنعا ، فلما أكرها مدَّ ابن عبدوس يده وصفعه . وأما ابن أبي عون فإنه مدَّ يدَهُ إلى لحيته ورأسه فارتعدت يده ، فقبَّل لحية الشلمغاني ورأسه ثم قال : إلهي وسيدي ورازقي ، فقال له الراضي : « قد زعمت أنك لا تدَّعي الإلهية فما هذا ؟ » فقال : « وما علي من قول ابن أبي عون والله يعلم إنني لا قلْتُ له إنني إلهٌ قط ». فقال ابن عبدوس : « إنه لم يدَّع الإلهية ، وإنما ادّعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر مكان ابن روح، وكنت أظنُّ أنه يقول ذلك تقية ». ثم أحضروا عدة مرات ومعهم الفقهاء، والقضاة، والكتَّاب، والقواد.

وفي آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فصُلِبَ ابن الشلمغاني ، وابن أبي عون في ذي القعدة وأُحرِقَا بالنار ، وكان من مذهبه أنه إله الآلهة يحق الحق وأنه الأول القديم الظاهر الباطن الرازق التام المومأ إليه بكل معنى ، وكان يقول : « إنّ الله سبحانه وتعالى يحلُّ في كل شيء على قدر ما يحتمل ، وأنه خلق الضدَّ ليدلَّ على المضدود . فمن ذلك أنه حلّ في آدم لما خلقه وفي ابليسه أيضاً وكلاهما ضد لصاحبه لمضادته إياه في معناه ، وأن الدليل على الحقِّ أفضل من الحق ، وأن الضدَّ اقرب إلى الشيء من شبهه ، وأن الله عز وجل إذا حلَّ في جسد ناسوتي ظهر من القدرة والمعجزة ما يدلّ على أنه هو ، وأنه لما غاب آدم ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتية ، كلما غاب منهم واحد ظهر مكانه آخر ، وفي خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة » . ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس وإبليسه وتفرّقت بعدهما كما تفرقت بعد آدم ، واجتمعت في نوح عليه السلام وابليسه وتفرقت عند غيبتهما ، واجتمعت في هود وابليسه وتفرقت بعدهما ، واجتمعت في صالح عليه السلام وابليسه عاقر الناقة وتفرّقت بعدهما واجتمعت في إبراهيم عليه السلام ، وابليسه نمروذ وتفرقت لما غابا ، واجتمعت في هارون وابليسه فرعون وتفرّقت بعدهما . واجتمعت في سُليمان وابليسه وتفرّقت بعدهما ، واجتمعت في عيسى وإبليسه فلما غابا تفرّقت في تلامذة عيسى وأبالستهم ، ثم اجتمعت في عليّ بن أبي طالب وابليسه ، ثم ان الله يظهر في كل شيء وكل معنى ، وأنه في كلّ أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه فيتصور له ما يغيب عنه حتى كأنه يشاهده ؛ وأن الله اسم لمعنى ، وان من احتاج الناس إليه فهو إله ، ولهذا المعنى يستوجب كل أحد أن يُسمّى إلهاً ؛ وأن كلَّ أحد من أشياعه يقول : إنه ربٌّ لمن هو في دون درجته ، وأن الرجل منهم يقول : أنا ربٌّ لفلان وفلان ربٌّ لفلان وفلان ربُّ ربي حتى يقع الإنتهاء إلى ابن أبي القراقر فيقول : أنا ربُّ الأرباب لا ربوبية بعده ، ولا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى عليّ كرم الله وجهه ، لأن من اجتمعت له الربوبية لا يكون له ولد ولا والد ، وكانوا يسمون موسى ، ومحمداً ﷺ الخائنين لأنهم يدّعون أن هارون أرسل موسى وعلياً أرسل محمداً فخاناهما ، ويزعمون أن علياً أمهل محمداً عدة سنين أصحاب الكهف . فإذا انقضت هذه العدة وهي ثلاثمائة وخمسون سنة انتقلت الشريعة ، ويقولون : إن الملائكة كلُّ من ملك نفسه وعَرَفَ الحقَّ ، وأن الجنة معرفتهم وانتحال مذهبهم ، والنار الجهل بهم والعدول عن مذهبهم ويعتقدون ترك الصلاة والصيام ، وغيرهما من

العبادات، ولا يتناكحون بعقد ويبيحون الفروج، ويقولون: أن محمداً ﷺ بعث إلى كُبراءِ قريش وجبابرة العرب ونفوسهم أبية، فأمرهم بالسجود، وان الحكمة الآن أن يمتحن الناس بإباحة فروج نسائهم، وأنه يجوز أن يجامع الإنسان من شاء من ذوي رحمه وحرّم صديقه وابنه بعد أن يكون على مذهبه. وأنه لا بدَّ للفاضل منهم أن ينكِحَ المفضول ليولج النور فيه ومن امتنع من ذلك قلب في الدور الذي يأتي بعد هذا العالم امرأة إذ كان مذهبهم التناسخ، وكانوا يعتقدون اهلاك الطالبيين والعباسيين تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً، وما أشبه هذه المقالة بمقالة النصيرية ولعلها هي هي، فإن النصيرية يعتقدون في ابن الفرات ويجعلونه رأساً في مذهبهم. وكان الحسين بن القاسم بالرقة فأرسل الراضي بالله إليه فقُتِلَ آخر ذي القعدة وحُمِلَ رأسه إلى بغدادَ.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة أرسل محمد بن ياقوت حاجب الخليفة رسولاً إلى أبي طاهر القرمطي يدعوه إلى طاعة الخليفة ليقرَّهُ على ما بيدِهِ من البلاد ويقلِّدَهُ بعد ذلك ما شاء من البلدان ويحسن إليه، ويلتمس منه أن يكفَّ عن الحاج جميعهم، وأن يردَّ الحجر الأسود إلى موضعه بمكة، فأجاب أبو طاهر إلى أنه لا يعترض للحاجِّ ولا يصيبهم بمكروه، ولم يجبْ إلى ردِّ الحجر الأسود إلى مكة، وسأل أن يطلق له الميرة من البصرة ليخطبَ للخليفة في أعمال هجر، فسار الحاج إلى مكة وعاد ولم يعترضْ لهم القرامطة.

وفيها في ذي القعدة عزم محمد بن ياقوت على المسير إلى الأهواز لمحاربة عسكر مرداويج، فتقدّم إلى الجند الحجرية، والساجية بالتجهُّز للمسير معه وبذل مالاً يتجهزون به فامتنعوا وتجمَّعوا وقصدوا دار محمد بن ياقوت فأغلظ لهم في الخطاب، فسبوا ورموا داره بالحجارة، ولما كان الغد قصدوا داره أيضاً وأغلظوا له في الخطاب وقاتلوا مَنْ بداره من أصحابه، فرماهم أصحابه وغلمانه بالنشاب، فانصرفوا وبَطُلَتْ الحركةُ إلى الأهواز.

وفيها سار جماعةٌ من أصحاب أبي طاهر القرمطي إلى نواحي توج في مراكبَ، وخرجوا منها الى تلك الأعمال. فلما بعدوا عن المراكب أرسل الوالي في البلاد إلى

المراكب وأحرقها ، وجمع الناس وحارب القرامطة فقتل بعضاً وأسر بعضاً فيهم ابن الغمر ـ وهو من أكابر دعاتهم ـ وسيَّرهم إلى بغدادَ أيام القاهر ، فدخلوها ، مشهورين وسجنوا ، وكان من أمرهم ما ذكرناه في خلع القاهر .

وفيها قُتِلَ القاهر بالله اسحاق بن اسماعيل النوبختي ـ وهو الذي أشار باستخلافه ـ فكان كالباحث عن حتفه بظلفه ، وقُتِلَ أيضاً أبا السرايا بن حمدان، وهو أصغر ولد أبيه . وسبب قتلهما أنه أراد أن يشتريَ مغنيتين قبل أن يلي الخلافة فزادا عليه في ثمنهما فحقدَ ذلك عليهما ، فلما أراد قتلهما استدعاهما للمنادمة فتزينا وتطيبا وحضرا عنده فأمر بالقائهما إلى بئر في الدار ـ وهو حاضر ـ فتضرَّعا وبكيا فلم يتلفت إليهما والقاهما فيها وطمَّها عليهما . وفيها أحضر أبو بكر بن مقسم ببغدادَ في دار سلامة الحاجب وقيل له : إنه قد ابتدع قراءةً لم تُعرفْ وأحضر ابن مجاهد . والقضاة ، والقراء وناظروه فاعترفَ بالخطأ وتاب منه وأُحرِقَتْ كتبه[1] .

وفيها سار الدمستق قرقاش في خمسين ألفاً من الروم ، فنازل ملطية وحضرها مدة طويلة هلك أكثر أهلها بالجوع وضرب خيمتين على إحداهما صليب وقال : من أراد النصرانية إنحاز إلى خيمة الصليب ليردَّ عليه أهله وماله ، ومن أراد الإسلام انحاز إلى الخيمة الأخرى وله الأمان على نفسه ، ونبلغه مأمنه فإنحاز أكثر المسلمين إلى الخيمة التي عليها الصليب طمعاً في أهليهم وأموالهم ، وسيَّر مع الباقين بطريقاً يبلغهم مأمنهم وفتحها بالأمان مستهل جُمادى الآخرة يوم الأحد ، وملكوا سميساط وخرّبوا الأعمال وأكثروا القتل وفعلوا الأفاعيل الشنيعة ، وصار أكثر البلاد في أيديهم . وفيها توفي عبد الملك بن محمد بن عدي أبو نعيم الفقيه الجرجاني الأسترأباذي ، وأبو علي الروذباري الصوفي ، واسمه محمد بن أحمد بن القاسم ، وقيل : توفي سنة ثلاث وعشرين[2] وفيها توفي خير بن عبد الله النسّاج الصوفي من أهل سامراء وكان من

---

(١) ساق الحادثة في النجوم الزاهرة بأوسع من هذا قال: وفيها بلغ الوزير أبا الحسين علي بن مقلة أن ابن شنبود المقرىء ـ وشنبود بشين معجمة ونون مشددة وباء موحدة مضمومة ودال ـ يغير حروفاً من القرآن ويقرأ بخلاف ما انزل فأحضره وأحضر عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف القاضي ، وأبا بكر بن مجاهد ، وجماعة من القراء ونوظر فأغلظ للوزير في الخطاب وللقاضي ولابن مجاهد ، ونسبهم إلى الجهل .

(٢) اصله من بغداد وسكن مصر وكان من ابناء الرؤساء والوزراء والكتبة صحب الجنيد ولزمه وأخذ عنه حتى صار احد ائمة الزمان وأقام بمصر وصار شيخ الصوفية بها إلى أن مات بها وكان ثقة صدوقاً .

الإبدال[1] ومحمد بن علي بن جعفر أبو بكـر الكناني الصـوفي المشهور ، وهـو من أصحاب الجنيد ، وأبي سعيد الخراز (الخراز) بالخاء المعجمة والراء والزاي .

(١) واسمه محمد بن اسماعيل كان من كبار المشايخ ذوي الأحوال الصالحة والكرامات المشهورة

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

ذكر قتل مرداويج

في هذه السنة قُتِلَ مرداويج الدّيلمي صاحب بلاد الجبل وغيرها. وكان سبب قتله أنه كان كثير الإساءة للأتراك وكان يقول: إن روح سليمان بن داود عليه السلام حلَّتْ فيه وأن الأتراك هم الشياطين والمردة فإن قهرهم وإلّا افسدوا فَثَقُلَتْ وطأته عليهم وتمنُّوا هلاكه. فلمَّا كان ليلة الميلاد من هذه السنة ـ وهي ليلة الوقود ـ أمر بأن يُجمَعَ الحطبُ من الجبال والنواحي، وأن يجعل على جانبي الوادي المعروف بـزندروذ كـالمنابـر والقِبابِ العظيمة، ويعمل مثل ذلك على الجبل المعروف بكريم كوه المشرف على أصبهان من أسفله إلى أعلاه بحيث اذا اشتعلت تلك الأحطاب يـصير الجبل كلُّه ناراً، وعمل مثل ذلك بجميع الجبال والتلال التي هناك. وأمر فجُمِعَ له النفط ومن يلعب به، وعمل من الشُّموع ما لا يحصى، وصِيدَ له من الغربان والحدأ، زيادة على ألفي طائر ليجعلَ في أرجُلِها النفط،[1] وتُرسَلُ لتطيرُ بالنار في الهواء، وأمر بعمل سماط عظيم، كان من جملة ما فيه مائة فرس ومائتان من البقر مشوية صِحَاحـاً سوى مـا شوي من الغنم، فإنها كانت ثلاثة آلاف رأس سوى المطبوخ. وكان فيه من الدجاج وغيره من أنواع الطير زيادة على عشرة آلاف عدد. وعمل من ألوان الحلواء ما لا يحدُّ، وعزم على أن يجمع الناس على ذلك السماط، فإذا فرغوا قام إلى مجلس الشَّراب ويشعل النيران فيتفرج. فلما كان آخر النهار ركب وحده وغلمانه رجالة وطاف بالسماط، ونظر إليه وإلى تلك الأحطاب فاستحقر الجميع لسعةِ الصحراء، وتضجَّـر، وغَضِبَ ولَعَنَ من صنعه ودبّرُهُ فخافه من حضر، فعاد ونزل ودخل خركاة[2] له فنام فلم يجسر أحد أن

---

(١) في تجارب الأمم « وعلق بمناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقة ونفطاً »

(٢) في نسخة « خركاه ».

يكلمه واجتمع الأمراء والقواد وغيرهم ، وأرجفوا عليه فمن قائل : إنه غضب لكثرته لأنه كان بخيلاً ومن قائل : إنه قد اعتراه جنون ، وقيل : بل أوجعه فؤاده ، وقيل : غير ذلك ، وكادت الفتنة تثور .

وعرف العميد وزيره صورة الحال فأتاه ولم يزلْ حتى استيقظ ، وعرفه ما الناس فيه فخرج وجلس على الطعام ، وأكل ثلاث لقم ، ثم قام ونهب الناس الباقي ، ولم يجلس للشراب وعاد إلى مكانه ، وبقي في معسكره بظاهر أصبهان ثلاثة أيام لا يظهر ، فلما كان اليوم الرابع[١] تقدَّم بأسراج الدواب ليعودَ من منزلته إلى داره بأصبهان فاجتمع ببابه خلق كثير ، وبقيت الدواب مع الغلمان وكَثُرَ صهيلها ولعبها والغلمان يصيحون بها لتسكنَ من الشغب ، وكانت مزدحمة فارتفع من الجميع أصوات هائلة ، وكان مرداويج نائماً فاستيقظ فصعد فنظر فرأى ذلك فسأل ، فعرف الحال فازداد غضباً ، وقال : أما كفى من إخراق الحرمة ما فعلوه في ذلك الطعام وما أرجفوا به حتى انتهى أمري إلى هؤلاء الكلاب . ثم سأل عن أصحاب الدُّواب فقيل : أنها للغلمان الأتراك وقد نزلوا إلى خدمتك . فأمر أن تحطَّ السروج عن الدَّواب وتجعل على ظهور أصحابها الأتراك ويأخذون بارسان الدَّواب إلى الإسطبلات ، ومن امتنع من ذلك ضربه الدّيلم بالمقارع حتى يطيع ؛ ففعلوا ذلك بهم وكانت صورة قبيحة يأنف منها أحقر الناس .

ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الأتراك حتى صار إلى داره قرب العشاء ، وكان قد ضرب قبل ذلك جماعة من أكابر الغلمان الأتراك فحقدوا عليه وأرادوا قتله فلم يجدوا أعواناً . فلما جرت هذه الحادثة انتهزوا الفرصة[٢] وقال بعضهم : ما وجه صبرنا على هذا الشَّيطان ، فاتفقوا وتحالفوا على الفتك به ، فدخل الحمام وكان كورتكين يحرسه في خلواته وحمَّامِهِ فأمره ذلك اليوم أن لا يتبعه فتأخَّر عنه مغضباً وكان هو الذي يجمع الحرس ، فلشدة غضبه لم يأمر أحداً أن يحضر حراسته وإذا أراد الله أمراً هيَّأ أسبابه ، وكان له أيضاً خادم أسود يتولّى خدمته بالحمام فاستمالوه فمال إليهم فقالوا للخادم : لا تحمل معه سلاحاً وكانت العادة أن يحمل معه خنجراً طوله نحو ذراع ملفوفاً

---

(١) في تجارب الامم « فلما كان اليوم الثالث » الخ .

(٢) وقد حكى الصولي في الأوراق سبباً آخر في قتله وهو أن مرداويج جعل عسكره صنفين : صنف منهم جيل وديلم وهم خواصه وأهل بلده والذين فتح بهم الري ونواحيها ، صنف الأتراك وأهل خراسان .

في منديل ، فلما قالوا ذلك للخادم قال : ما أجسر ، فاتفقوا على أن كسروا حديد الخنجر وتركوا النّصاب في الغلاف بغير حديد ولفُّوه في المنديل كما جرت العادة لئلا ينكر الحال .

فلما دخل مرداويج الحمام فعل الخادم ما قيل له؛ وجاء خادم آخر ـ وهو أستاذ داره ـ فجلس على باب الحمام فهجم الأتراك إلى الحمام فقام أستاذ داره ليمنعهم ، وصاح بهم فضربه بعضهم بالسيف ، فقطع يده فصاح الأسود وسقط، وسمع مرداويج الضجّة فبادر إلى الخنجر ليدفعَ به عن نفسه فوجده مكسوراً ، فأخذ سريراً من خشب كان يجلس عليه اذا اغتسل فترس به باب الحمام من داخل ، ودفع الأتراك الباب فلم يقدروا على فتحه فصعد بعضهم إلى السطح وكسروا الجامات ورمُوهُ بالنشاب ، فدخل البيت الحار ، وجعل يتلطفهم ويحلف لهم على الإحسان فلم يلتفتوا إليه وكسروا باب الحمام ، ودخلوا عليه فقتلوه[1]، وكان الذين ألبوا الناس عليه وشرعوا في قتله توزون ـ وهو الذي صار أمير العساكر ببغدادَ ـ وياروق، وابن بغرا، ومحمد بن ينال الترجمان، ووافقهم بحكم ـ وهو الذي ولي أمر العراق قبل توزون ـ سيردّ ذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

فلما قتلوه بادروا فأعلموا أصحابهم ، فركبوا ونهبوا قصره وهربوا ولم يعلمْ بهم الدّيلم لأن أكثرهم كانوا قد دخلوا المدينة ليلحقَ بهم وتخلّفَ الأتراك معه لهذا السبب . فلما عَلمَ الدّيلم والجيل ، ركبوا في أثرهم فلم يلحقوا منهم إلاّ نفراً يسيراً وقفت دوابهم فقتلوهم . وعادوا لينهبوا الخزائن فرأوا العميد قد ألقى النار فيها فلم يصلوا إليها فبقيت بحالها .

ومن عجيب ما يُحكى أن العساكر في ذلك اليوم لما رأوا غضب مرداويج قعدوا يتذاكرون ما هم فيه معه من الجورِ وشدّة عتوه وتمرُّدِهِ عليهم ، ودخل بينهم رجل شيخ لا يعرفه منهم أحد ـ وهو راكب ـ فقال : « قد زاد أمر هذا الكافر واليوم تكفونه ويأخذه الله » ، ثم سار فلحقت الجماعة دهشة ، ونظر بعضهم في وجوه بعض ومرّ الشيخ

---

(١) في تجارب الامم « فحمل بعضهم على ناحية الباب الذي وراءه السرير حتى كسروه ودخلوا عليه فشق بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم بكرنيب فضة في يده فأثر فيه اثراً قبيحاً وخرجوا من عنده وعندهم أنه قد فرغوا منه ».

فقالوا : « المصلحة أننا نتبعه ونأخذه ونستعيده الحديث لئلا يسمع مرداويج ما جرى فلا نلقى منه خيراً . فتبعوه فلم يروا أحداً ، وكان مرداويج قد تجبَّر قبل أن يقتل وعتا وعُمِلَ له كرسياً من ذهب يجلس عليه وعُمِلَ كراسي من فضة يجلس عليها أكابر قواده ؛ وكان قد عمل تاجاً مرصَّعاً على صفة تاج كسرى، وقد عزم على قصد العراق والاستيلاء عليه وبناء المدائن ودور كسرى ومساكنه ، وأن يخاطب إذا فعل ذلك بشاهنشاه فأتاه أمر الله ـ وهو غافل عنه ـ واستراح الناس من شره . ونسأل الله تعالى أن يريحَ الناس من كل ظالم سريعاً .

ولما قُتِلَ مرداويج اجتمع أصحابه الدّيلم والجيل وتشاوروا وقالوا : إن بقينا بغير رأس ، هلكنا فاجتمعوا على طاعة أخيه وشمكير بن زيار ـ وهو والد قابوس ـ وكان بالرّي فحملوا تابوت مرداويج وساروا نحو الرّي فخرج من بها من أصحابه مع أخيه وشمكير ، فالتقوه على أربعة فراسخ مُشاة حُفاة وكان يوماً مشهوداً .

وأما أصحابه الذين كانوا بالأهواز وأعمالها فإنهم لما بلغهم الخبر كتموه وساروا نحو الري فأطاعوا وشمكير أيضاً واجتمعوا عليه، ولما قتل مرداويج كان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده كما ذكرناه فبذل للموكلين مالاً فأطلقوه فخرج إلى الصحراء ليفكَّ قيودَهُ ، فأقبلت بغال عليها تبن وعليها أصحابه وغلمانه فألقى التبن وكسر أصحابه قيوده وركبوا الدّواب ونجوا إلى أخيه عماد الدولة بفارس .

ذكر ما فعله الأتراك بعد قتله

لما قَتَلَ الأتراك مرداويج هربوا وافترقوا فرقتين، ففرقة سارت إلى عماد الدولة بن بويه مع خجخج الذي سمله توزون فيما بعد وسنذكره ، وفرقةٌ سارت نحو الجبل مع بجكم ـ وهي أكثرها ـ فجبوا خراج الدِّينور وغيرها وساروا إلى النهروان ، فكاتبوا الراضي في المسير إلى بغدادَ فأذن لهم ، فدخلوا بغداد فظنَّ الحجرية أنها حيلة عليهم ، فطلبوا ردّة الأتراك إلى بلد الجبل . فأمرهم ابن مقلة بذلك وأطلق لهم مالاً فلم يرضوا به وغضبوا . فكاتبهم ابن رائق ـ وهو بواسط ـ وله البصرة أيضاً فاستدعاهم فمضوا إليه ، وقَدِمَ عليهم بجكم وأمره بمكاتبة الأتراك والديلم من أصحاب مرداويج فكاتبهم، فأتاه منهم عدة وافرة فأحسن إليهم وخلع عليهم، وإلى بجكم خاصة وأمره أن يكتب إلى الناس بجكم الرائقي ، فأقام عنده . وكان من أمرهما ما نذكره .

ذكر حال وشمكير بعد قتل أخيه

وأما وشمكير فإنه لما قُتِلَ أخوه وقصدته العساكر التي كانت لأخيه واطاعته وأقام بالرّي ، فكتب الأمير نصر بن أحمد السّاماني إلى أمير جيشه بخُراسان محمد بن المظفر بن محتاج بالمسير إلى قومس . وكتب إلى ما كان بن كالي ـ وهو بكرمان ـ بالمسير عنها إلى محمد بن المظفر ليقصدوا جرجان ، والرّي . فسار ماكان إلى الدامغان على المفازة ، فتوجَّه إليه بانجين الديلمي من أصحاب وشمكير في جيش كثيف . واستمدّ ما كان محمد بن المظفر ـ وهو ببسطامَ ـ فأمدَّه بجمع كثير ، أمرهم بترك المحاربة إلى أن يصل إليهم. فخالفوه وحاربوا بانجين فلم يتعاونوا وتخاذلوا فهزمهم بانجين فرجعوا إلى محمد بن المظفر وخرجوا إلى جرجان . فسار إليهم بانجين ليصدَّهم عنها فانصرفوا إلى نيسابور، وأقاموا بها وجعلت ولايتها لما كان بن كالي ، وأقام بها . وكان ذلك آخر سنة ثلاث وعشرين وأول سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، ولما سار ماكان عن كرمان عاد إليها أبو علي محمد بن إلياس ، فاستولى عليها وصفَت له بعد حروب له مع جنود نصر بكرمان ، وكان الظفر له أخيراً وسنذكر باقي خبرهم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

ذكر القبض على ابني ياقوت

في هذه السّنة في جُمادى الاولى قبض الراضي بالله على محمد ، والمظفر ابني ياقوت ، وكان سبب ذلك أن الوزير أبا علي بن مقلة كان قد قَلِقَ لتحكّم محمد بن ياقوت في المملكة بأسرها وأنه هو ليس حكم في شيء،فسعى به إلى الراضي وأدام السعاية فبلغ ما أراده ، فلما كان خامس جُمادى الاولى ركب جميع القواد إلى دار الخليفة على عادتهم . وحضر الوزير وأظهر الراضي أنه يريد أن يقلد جماعة من القوّاد أعمالاً. وحضر محمد بن ياقوت للحجبة ومعه كاتبه أبو اسحاق القراريطي ، فخرج الخدم إلى محمد بن ياقوت ، فاستدعوه إلى الخليفة فدخل مبادراً فعدلوا به إلى حجرة هناك فحبسوه فيها. ثم استدعوا القراريطي فدخل فعدلوا به إلى حجرة أخرى . ثم استدعوا المظفر بن ياقوت من بيته وكان مخموراً فحضر فحبسوه أيضاً ، وأنفذ الوزير أبو علي بن مقلة إلى دار محمد يحفظها من النهب . وكان ياقوت حينئذ مقيماً بواسط فلما بلغه القبض على ابنيه ، انحدر يطلب فارس ليحارب ابن بويه ، وكتب إلى الراضي

يستعطفه ويسأله انفاذ ابنيه ليساعداه على حروبه فاستبدّ ابن مقلة بالأمر .

ذكر حال البريدي

وفيها قُوِي أمر عبد الله البريدي وعظم شأنه . وسبب ذلك أنه كان ضامناً أعمال الأهواز فلما استولى عليها عسكر مرداويج ، وانهزم ياقوت كما ذكرنا ، عاد البريدي إلى البصرة ، وصار يتصرَّفُ في أسافل أعمال الأهواز مضافاً إلى كتابة ياقوت ، وسار إلى ياقوت فأقام معه بواسط . فلما قَبَضَ على ابني ياقوت ، كتب ابن مقلة إلى ابن البريدي يأمره أن يسكن ياقوتاً ويعرفه أن الجند اجتمعوا، وطلبوا القبض على ولديه، فقبضا تسكيناً للجند وانهما يسيران إلى أبيهما عن قريب . وان الرأي أن يسير هو لفتح فارس . فسار ياقوت من واسط على طريق السوس ، وسار البريدي على طريق الماء إلى الأهواز وكان إلى أخويه ، أبي الحسين ، وأبي يوسف ضمان السوس، وجند يسابور ، وادّعيا أن دخل البلاد لسنة اثنتين وعشرين ، أخذه عسكر مرداويج وأن دخل سنة ثلاث وعشرين لا يحصل منه شيء ، لأن نواب مرداويج ظلموا الناس فلم يبقَ لهم ما يزرعونَهُ وكان الأمر بضد ذلك في السنتين ، فبلغ ذلك الوزير ابن مقلة فأنفذ نائباً له ليحقّقَ الحال ، فواطأ ابني البريدي ، وكتب بصدقهم فحصل لهم بذلك مال عظيم، وقويت حالهم ؛ وكان مبلغ ما أخذوه أربعة آلاف ألف دينار . وأشار ابن البريدي على ياقوت بالمسير إلى أرجان لفتح فارس وأقام هو بجباية الأموال من البلاد فحصل منها ما أراد .

فلما سار ياقوت إلى فارس في جموعه لقيه ابن بويه بباب أرجان ، فانهزم أصحاب ياقوت وبقي إلى آخرهم ثم انهزم . وسار ابن بويه خلفه إلى رامهرمز وسار ياقوت إلى عسكر مكرم. وأقام ابن بويه برامهرمز إلى أن وقع الصلح بينهما .

ذكر فتنة الحنابلة ببغداد

وفيها عَظُمَ أمر الحنابلة وقويت شوكتهم ، وصاروا يكبسون من دُورِ القوّاد والعامة . وإن وجدوا نبيذاً أراقوه ، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء ، واعترضوا في البيع والشّراء. ومشى الرجال مع النساء، والصبيان ، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو؟ فإن أخبرهم وإلاّ ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة فأرهجوا بغداد، فركب بدر الخرْشَني ـ وهو صاحب الشرطة ـ عاشر جُمادى

الآخرة ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البربهاري الحنابلة لا يجتمع منهم اثنان ولا يناظرون في مذهبهم ولا يصلّي منهم أمام إلّا إذا جهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم ، في صلاة الصّبح والعشاءين ، فلم يفد فيهم وزاد شرّهم وفتنتهم . واستظهروا بالعميان الذين كان يأوون المساجد ، وكانوا إذا مرّ بهم شافعي المذهب أغروا به العميان فيضربونه بعصيهم حتى يكاد يموت . فخرج توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبِّخهم باعتقاد التشبيه وغيره ، فمنه تارة إنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم الرذلة على هيئته ، وتذكرون الكف ، والأصابع ، والرجلين ، والنعلين المذهبين ، والشعر القطط ، والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ، ثم طعنكم على خيار الأئمة ونسبتكم شيعة آل محمد ﷺ إلى الكفر والضلال ، ثم استدعاؤكم المسلمين إلى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القرآن. وإنكاركم زيارة قبور الأئمة وتشنيعكم على زوارها بالإبتداع، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجل من العوام ليس بذي شرفٍ ولا نسبٍ ولا سبب برسول الله ﷺ وتأمرون بزيارته وتدعون له معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء. فلعَنَ اللّهُ شيطاناً زيَّن لكم هذه المنكرات وما أغواه . وأمير المؤمنين يقسم بالله قسماً جهداً إليه يلزم الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوِّج طريقتكم ليوسعنكم ضرباً وتشريداً وقتلاً وتبديداً وليستعملن السّيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالكم .

ذكر قتل أبي العلاء بن حمدان

وفيها قتل ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان عمه أبا العلاء بن حمدان ، وسبب ذلك أن أبا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل ، وديار ربيعة سراً ، وكان بها ناصر الدولة ابن أخيه أميراً ، فسار عن بغداد في خمسين رجلاً ، وأظهر أنه متوجه ليطلب مال الخليفة من ابن أخيه ، فلما وصل إلى الموصل خرج ابن أخيه إلى تلقيه ، وقصد مخالفة طريقه ، فوصل أبو العلاء ودخل دار ابن أخيه وسأل عنه فقيل : إنه خرج إلى لقائك فقعد ينتظره . فلما علم ناصر الدولة بمقامه في الدار انفذ جماعة من غلمانه فقبضوا عليه ثم أنفذ جماعة غيرهم فقتلوه .

ذكر مسير ابن مقلة إلى الموصل وما كان بينه وبين ناصر الدولة

لما قتل ناصر الدولة عمه أبا العلاء واتصّل خبره بالراضي عظم ذلك عليه وأنكره وأمر ابن مقلة بالمسير إلى الموصل ، فسار إليها في العساكر في شعبان ، فلما قاربها رحل عنها ناصر الدولة بن حمدان، ودخل الزوزان وتبعه الوزير إلى جبل التنين ، ثم عاد عنه وأقام بالموصل يجبي مالها، «ولما طال مقامه بالموصل احتال بعض اصحاب ابن حمدان على ولد الوزير وكان ينوب عنه في الوزارة ببغداد، فبذل له عشرة آلاف دينار ليكتب إلى أبيه يستدعيه فكتب إليه يقول : « إن الأمور بالحضرة قد اختلت وإنْ تأخرت لم نأمن حدوث ما يبطل الأمر ». فانزعج الوزير لذلك واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طباب ـ وما كرد الديلمي ـ وهو من الساجية ـ وانحدر إلى بغداد منتصف شوّال.

فلما فارق الموصل عاد إليها ناصر الدولة بن حمدان فاقتتل هو وماكرد الديلمي فانهزم ابن حمدان، ثم عاد وجمع عسكراً آخر فالتقوا على نصيبين في ذي الحجة فانهزم ماكرد إلى الرقة وانحدر منها إلى بغداد وانحدر أيضاً ابن طباب، واستولى ابن حمدان على الموصل ، والبلاد وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح وأن يضمن البلاد ، فأجيب إلى ذلك واستقرَّتْ البلاد عليه.

ذكر فتح جنوة وغيرها

في هذه السّنة سيَّر القائم العلوي جيشاً من أفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج ففتحوا مدينة جنوة ومروا بسردانية فأوقعوا بأهلها وأحرقوا مراكب كثيرة . ومروا بقرقيسيا فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين .

ذكر القرامطة

في هذه السّنة خرج الناس إلى الحج فلما بلغوا القادسية اعترضهم أبو طاهر القرمطي ثاني عشر ذي القعدة ، فلم يعرفوه فقاتله أصحاب الخليفة وأعانهم الحجّاج ثم التجؤا إلى القادسية ، فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبي طاهر فسألوه أن يكفَّ عن الحجاج ، فكفَّ عنهم وشَرَط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد فرجعوا ولم يحج بهذه السنة من العراق أحد ، وسار أبو طاهر إلى الكوفة فأقام بها عدة أيام ورحل عنها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة في المحرم قلّد الراضي بالله ولديه أبا جعفر ، وأبا الفضل ناحيتي المشرق والمغرب مما بيده وكتب بذلك إلى البلاد[١] وفيها في الليلة الثانية عشرة من ذي القعدة ـ وهي الليلة التي أوقع القرمطي بالحجاج ـ انقضت الكواكب من أول الليل إلى آخره انقضاضاً دائماً مسرفاً جداً لم يعهد مثله . وفيها مات أبو بكر محمد بن ياقوت في الحبس في دار السلطان بنفث الدّم فأحضر القاضي ، والشهود وعرض عليهم فلم يروا به أثر ضرب ولا خنق وجذبوا شعره فلم يكن مسموماً فسلّم إلى أهله ، وأخذوا ماله ، وأملاكه، ومعامليه، ووكلاءه . وكلّ من يخالطه . وفيها كان بخراسان غلاء شديد ومات من أهلها خلق كثير من الجوع فعجز الناس عن دفنهم فكانوا يجمعون الغرباء والفقراء في دار إلى أن يتهيأ لهم دفنهم وتكفينهم . وفيها جهَّزَ عماد الدولة ابن بويه أخاه ركن الدولة الحسن إلى بلاد الجبل وسيَّر معه العساكر بعد عوده لما قتل مرداويج فسار إلى اصبهان فاستولى عليها وأزال عنها وعن عدة من بلاد الجبل نواب وشمكير. وأقبل وشمكير وجهز العساكر نحوه وبقي هو ووشمكير يتنازعان تلك البلاد وهي أصبهان، وهمذان وقم ، وقاشان[٢] ، وكرج، والريّ ، وكنكور، وقزوين، وغيرها .

وفيها في آخر جُمادى الآخرة، شغب الجند ببغداد وقصدوا دار الوزير أبي علي بن مقلة وابنه وزاد شغبهم ، فمنعهم أصحاب ابن مقلة فاحتال الجند ونقبوا دار الوزير من ظهرها، ودخلوها وملكوها، وهرب الوزير وابنه إلى الجانب الغربي ، فلما سمع السّاجية بذلك ركبوا إلى دار الوزير ، ورفقوا بالجند فردوهم وعاد الوزير وابنه إلى منازلهما ، واتهم الوزير بإثارة هذه الفتنة بعض أصحاب ابن ياقوت فأمر فنودي أن لا يقيم أحد منهم بمدينة السلام ، ثم عاود الجند الشغب حادي عشر ذي الحجة ونقبوا دار الوزير عدة نقوب فقاتلهم غلمانه ومنعوهم ، فركب صاحب الشرطة وحفظ السجون حتى لا تفتح ثم سكنوا من الشغب .

---

(١) واستكتب لهما أبا الحسين علي بن أبي علي مقلة وخع على أبي الحسين لذلك يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم واستخلف أبو الحسين على كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وكتب به الكتب.

(٢) في نسخة « قاجان » بالجيم بدل الشين وهو تصحيف .

وفي هذه السنة أطلق المظفر بن ياقوت من حبس الراضي بالله بشفاعة الوزير ابن مقلة ، وحلف للوزير أنه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له ولا لولده بمكروه فلم يفِ له ولا لولده . ووافق الحجرية عليه فجرى في حقّه ما يكره . وكان المظفر حقد على الوزير حين قتل أخيه ، لأنه اتهمه أنه سمه .

وفيها أرسل ابن مقلة رسولاً إلى محمد بن رائق بواسطَ وكان قد قطع الحمل عن الخليفة فطالبه بارتفاع البلاد، واسط، والبصرة ، وما بينهما . فأحسن إلى الرسل وردّهم ، برسالة ظاهرة إلى ابن مقلة مغالطة وأخرى باطنة إلى الخليفة الراضي بالله وحده مضمونها ، أنه إن استدعي إلى الحضرة وفُوِّضَتْ إليه الأمور وتدبير الدولة قام بكل ما يحتاج إليه من نفقات الخليفة وأرزاق الجند ، فلما سمع الخليفة الرسالة لم يعدْ إليه جوابها . وفيها توفي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس الهذلي من ولد عتبة(١) بن مسعود بالكوفة ـ وهو من نيسابور ـ وإبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه النحوي ، وله مصنفات وهو من ولد المهلب بن أبي صفرة(٢) .

(١) في النجوم الزاهرة « منْ ولد عبد الله » ولد بنيسابور ورحل في طلب العلم وصنف الكتب وخرج حاجاً فأصابه جراح في نوبة القرمطي ورد إلى الكوفة فمات بها.

(٢) كان نفطويه عالماً بالعربية واللغة والحديث أخذ عن ثعلب والمبرد وكان زاهر الأخلاق حسن المجالسة صادقاً فيما يرويه ، حافظاً للقرآن فقيهاً على مذهب داود الظاهري رأساً فيه مسنداً في الحديث ، حافظاً للسير وأيام الناس والتواريخ والوفيات ، ذا مروءة وظرف ، من تصانيفه إعراب القرآن . المقنع في النحو ، الأمثال ، المصادر ، أمثال القرآن ، الرد على القائل بخلق القرآن ، القوافي وغير ذلك . ولقب نفطويه لشبهه بالنفط لدمامته وادمته ، وهجاه ابو عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم فقال :

من سره أن لا يرى فاسقاً فليجتهد ألاّ يرى نفطويه

احرقه الله بنصف اسمه وصير الباقي صراخا عليه

توفي عن ثلاث وثمانين سنة وصلى عليه البربهاري رئيس الحنابلة.

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة

ذكر القبض على ابن مقلة ووزارة عبد الرحمن بن عيسى

لما عاد الرسل من عند ابن رائق بغير مال رأى الوزير أن يسيِّر ابنه فتجهز وأظهر أنه يريد الأهواز . فلما كان منتصف جُمادى الاولى حضر الوزير دار الراضي لينفذ رسولاً إلى ابن رائق يعرفه عزمه على قصد الأهواز ، لئلا يستوحش لحركته فيحتاط ، فلما دخل الدار قبض عليه المظفر بن ياقوت ، والحجرية ـ وكان المظفر قد أطلق من محبسه على ما نذكره ـ ووجهوا إلى الراضي يعرفونه ذلك فاستحسن فعلهم ، واختفى أبو الحسين بن أبي علي بن مقلة وسائر أولاده وحرمه ، وأصحابه ، وطلب الحجرية ، والساجية من الراضي أن يستوزر وزيراً فرد الاختيار إليهم ، فأشاروا بوزارة علي بن عيسى فأحضره الراضي للوزارة فامتنع وأشار بأخيه عبد الرحمن ، فاستوزره وسلم إليه ابن مقلة فصادره وصرف بدراً الخرشني عن الشرطة ، ثم عجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور وضاق عليه فاستعفى من الوزارة .

ذكر القبض على عبد الرحمن ووزارة أبي جعفر الكرخي

لما ظهر عجز عبد الرحمن إلى الراضي ووقوف الأمور قبض عليه وعلى أخيه علي بن عيسى فصادره على مائة ألف دينار وصادر أخاه بعد الرحمن بسبعين ألف دينار .

ذكر قتل ياقوت

وفي هذه السنة قتل ياقوت بعسكر مكرم ، وكان سبب قتله ثقته بأبي عبد الله البريدي فخانه وقابل إحسانه بالإساءة على ما نذكره ، وقد ذكرنا أن أبا عبد الله ارتسم بكتابة ياقوت مع ضمان الأهواز ، فلما كتب إليه وثق إليه وعوّل على ما يقوله ، وكان إذا

قيل له شيء في أمره وخوف من شرّه يقول : إن أبا عبد الله ليس كما تظنون لأنه لا يحدِّث نفسه بالأمرة وقود العساكر وإنما غايته الكتابة . فاغترّ بهذا منه ، وكان رحمه الله سليم القلب حسن الاعتقاد، فهذا لم يخرج عن طاعة الخليفة حين قبض على ولديه بل دام على الوفاء ، فأما حاله مع البريدي فإنه لما عاد مهزوماً من عماد الدولة بن بويه إلى عسكر مكرم ، كتب إليه أبو عبد الله أن يقيمَ بعسكر مكرم ليتسريحَ ويقع التدبير بعد ذلك ـ وكان بالأهواز وهو يكره الاجتماع معه في بلد واحد ـ فسمِعَ ياقوت قوله وأقام فأرسل إليه أخاه أبا يوسف البريدي يتوجّع له ويهنيه بالسّلامة ، وقرر القاعدة على أن يحمل له أخوه من مال الأهواز خمسين ألف دينار ، واحتجّ بأن عنده من الجند خلقاً كثيراً ، منهم البربر، والشفيعية، والنازوكية ، واليلبقية، والهارونية ، كان ابن مقلة قد ميَّز هذه الأصناف من عكسر بغداد وسيّرهم إلى الأهواز لتخفَّ عليه مؤنتهم. فذكر أبو يوسف أن هؤلاء متى رأوا المال يخرج عنهم إليك شغبوا ويحتاج أبو عبد الله إلى مفارقة الأهواز ، ثم يصير أمرهم إلى أنهم يقصدونك، ولا نعلم كيف يكون الحال . ثم قال له : إن رجالك مع سوء أثرهم يقنعون بالقليل فصدقه ياقوت ، فيما قال وأخذ ذلك المال وفرّقه وبقي عدة شهور لم يصله منه شيء إلى أن دخلت سنة أربع وعشرين، فضاق الرزق على أصحاب ياقوت، واستغاثوا وذكروا ما فيه أصحاب البريدي بالأهواز من السّعة وما هم فيه من الضيق .

وكان قد اتصل بياقوت طاهر الجيلي ـ وهو من كبار أصحاب ابن بويه ـ في ثمانمائة رجل ـ وهو من أرباب المراتب العالية وممن يسمو إلى معالي الأمور ـ وسبب اتصاله به خوفه من ابن بويه أن يقبض عليه خوفاً منه فلما رأى حال ياقوت انصرف عنه إلى غربي تستر وأراد أن يتغلّب على ماه البصرة، وكان معه أبو جعفر الصيمري ـ وهو كاتبه ـ فسمع به عماد الدولة بن بويه فكبسه فانهزم هو وأصحابه.

واستولى ابن بويه على عسكره وغنمه ، وأسر الصيمري فأطلقه الخياط وزير عماد الدولة بن بويه فمضى إلى كرمان ، واتصل بالأمير معز الدولة أبي الحسن بن بويه، وكان ذلك سبب اقباله، فلما سار طاهر من عند ياقوت ضعفت نفسه واستطال عليه أصحابه فخّافهم . وراسل البريدي وعرَّفَهُ ما هو فيه وأعمله أن معوله على ما يدبره به ، فانفذ إليه البريدي يقول : « إن عسكرك قد فسدوا وفيهم من ينبغي أن يخرج والرأي أن

ينفذهم إليه ليستصلحهم فإنه له أشغال تمنعه أن يحضر عنده ، ولو حضر عنده الجند مجتمعين لم يتمكن من الإنتصاف منهم لأنهم يظاهر بعضهم بعضاً ، وإذا حضروا عنده بالأهواز متفرقين فعل بهم ما أراد ولا يمكنهم خلافه ». ففعل ذلك ياقوت وأنفذ أصحابه إليه فاختار منهم من اراد لنفسه ، وردّ من لا خير فيه إلى ياقوت بعد أن كسرهم، وأسقط من أرزاقهم ، فقيل ذلك لياقوت فأُشِيرَ عليه بمعاجلة البريدي قبل أن يستفحل أمره ، فلم يلتفت وقال : « إنما جعلتهم عنده عدّة إليّ ». وأحسن البريدي إلى من عنده من الجند فقال أصحاب ياقوت له في ذلك وطلبوا أرزاقهم التي قرَّرها البريدي . فكتب إليه فلم ينفذ شيئاً فراجعه فلم ينفذ شيئاً. فسار ياقوت إليه جريدة لئلا يستوحش منه ، فلما بلغه ذلك خرج إلى لقائه وقبّل يده وقدمه وأنزله داره وقام بين يديه وقدّم بنفسه الطعام ليأكل ، وكان قد وضع الجند على إثارة الفتنة فحضروا الباب وشغبوا واستغاثوا، فسأل ياقوت عن الخبر فقيل له : إن الجند بالأبواب قد شغبوا، ويقولون : قد اصطلح ياقوت والبريدي ولا بدّ لنا من قتل ياقوت فقال له البريدي : قد ترى ما دفعنا إليه فانجُ بنفسك وإلّا قتلنا جميعاً . فخرج من باب آخر خائفاً يترقَّبُ ولم يفاتحْ البريدي بكلمة واحدة وعاد إلى عسكر مكرم، فكتب إليه البريدي يقول له: إن العسكر الذي شغبوا قد اجتهدْتُ في اصلاحهم وعجِزْت عن ذلك ولسْت آمنهم أن يقصدوك ، وبين عسكر مكرم والأهواز ثمانية فراسخ والرأي أن تتأخر إلى تستر لتبعد عنهم - وهي حصينة - وكتب له على عامل تستر بخمسين ألف دينار ، فسار ياقوت إليها وكان له خادم اسمه مؤنس فقال: «أيها الأمير إن البريدي يحزّ مفاصلنا ويفعل بنا ما ترى ، وأنت مغتر به ، وهو الذي وضع الجند بالأهواز حتى فعلوا ذلك ، وقد شرع في إبعادك بعد أن أخذ وجوه أصحابك ، وقد أطلق لك ما لا يقوم بأودِ أصحابك الذين عندك وما أعطاك ذلك أيضاً إلّا حتى تتبلّغ به وتضيِّق الأرزاق علينا ، ويفنى ما لنا من دابة وعدّة فننصرف عنك على أقبح حال فحينئذ يبلغ منك ما يريده ، فاحفظْ نفسك منه ولا تأمنه ، ولم يثق للجند الحجرية ببغداد شيخٌ غيرك وقد كاتبوك فَسِرْ إليهم ، فكلّ من ببغداد يسلّم إليك الرياسة ، فان فعلت وإلّا فَسِرْ بنا إلى الأهواز لنطردَ البريدي عنها وأن أكثر منا فأنت أمير - وهو كاتب » . فقال: « لا تقل في أبي عبد الله هذا فلو كان لي أخ ما زال على محبته » .

ثم إن ياقوتاً ظهر منه ما يدل على ضعفه وعجزه عن البريدي فضعفت نفوس

أصحابه ، وصار كل ليلة يمضي منهم طائفة إلى البريدي فإذا قيل ذلك لياقوت يقول : إلى كاتبي يمضون ، فلم يزل كذلك حتى بقي في ثمانمائة رجل ، ثم إن الراضي قبض على المظفر بن ياقوت في جُمادى الأولى وسجنه أسبوعاً ثم أطلقه وسيّره إلى أبيه . فلما اجتمع به بتستر أشار عليه بالمسير إلى بغداد فإن دخلها فقد حصل له ما يريد وإلّا سار إلى الموصل ، وديار ربيعة ، فاستولى عليها ، فلم يسمع منه ففارقه ولده إلى البريدي فأكرمه وجعل موكلين يحفظونه. ثم أن البريدي خاف من عنده من أصحاب ياقوت أن يعاودوا الميل والعصبية له وينادوا بشعاره فيهلك . فأرسل إلى ياقوت يقول له : « ان كتاب الخليفة ورد علي يأمرني أن لا أتركك تقيم بهذه البلاد ، وما يمكنني مخالفة السلطان ، وقد أمرني أن أخيِّرك إما أن تمضي إلى حضرته في خمسة عشر غلاماً ، وإما إلى بلاد الجبل ليولّيكَ بعض الأعمال، فإن خرجت طائعاً وإلّا أخرجتُكَ قهراً . فلما وصلت الرسالة إلى ياقوت تحير في أمره واستشار مؤنساً غلامه فقال له : « قد نهيتك عن البريدي وما سمعت وما بقي للرأي وجه » . فكتب ياقوت يستمهله شهراً ليتأهب وعلم حينئذ خبث البريدي حيث لا ينفعه علمه . فلما وصل كتاب ياقوت بطلب المهلة أجابه: أنه لا سبيل إلى المهلة وسيّر العساكر من الأهواز إليه ، فأرسل ياقوت الجواسيس ليأتوه بالأخبار فظفر البريدي بجاسوس، فأعطاه مالاً على أن يعود إلى ياقوت ويخبره أن البريدي وأصحابه قد وافوا عسكر مكرم ونزلوا في الدور متفرقين مطمئنين، فمضى الجاسوس وأخبر ياقوتاً بذلك فأحضر مؤنساً وقال : قد ظفرنا بعدونا وكافر نعمتنا وأخبره بما قال الجاسوس ، وقال : نسير من تستر العتمة ونصبح عسكر مكرم ـ وهم غارون ـ فنكبسهم في الدور فإن وقع البريدي فالله مشكور وإن هرب اتبعناه . فقال مؤنس : ما أحسن هذا إن صحّ وان كان الجاسوس صادقاً فقال ياقوت : إنه يحبني ويتولاني وهو صادق. فسار ياقوت فوصل إلى عسكر مكرم طلوع الشمس فلم يرَ للعسكر اثراً فعبر البلد إلى نهر جارود ، وخيَّم هناك وبقي يومه ولا يرى لعسكر البريدي اثراً فقال له مؤنس إن الجاسوس كذبنا وأنت تسمع كلام الكاذبين ، وإنني خائف عليك. فلما كان بعد العصر أقبلت عساكر البريدي فنزلوا على فرسخ من ياقوت وحجز بينهم الليل وأصبحوا الغد فكانت بينهم مناوشة ، واتعدوا للحرب الغد . وكان البريدي قد سير عسكراً من طريق أخرى ليصيروا وراء ياقوت من حيث لا يشعر فيكون كميناً يظهر عند القتال، فهم ينتظرونه، فلما كان الموعد باكروا القتال فاقتتلوا من بكرة إلى الظهر

وكان عسكر البريدي قد أشرف على الهزيمة مع كثرتهم، وكان مقدمهم أبا جعفر الحمال ، فلما جاء الظهر ظهر الكمين من وراء عسكر ياقوت فردّ إليهم مؤنساً في ثلاثمائة رجل فقاتلهم وهم في ثلاثة آلاف رجل فعاد مؤنس منهزماً فحينئذ انهزم أصحاب ياقوت وكانوا سوى الثلاثمائة خمسمائة ، فلما رأى ياقوت ذلك نزل عن دابته وألقى سلاحه وجلس بقميص إلى جانب جدار رباط ، ولو دخل الرباط واستتر فيه لخفي أمره وكان أدركه الليل ، فربما سلم ، ولكن الله اذا أراد أمراً هيّأ أسبابه وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

فلما جلس مع الحائط غطّى وجهه بكمِّه ومدَّ يده كأنه يتصدَّق ويستحي يكشف وجهه ، فمرّ به قوم من البربر من أصحاب البريدي فأنكروه فأمروه بكشف وجهه ، فامتنع فنخسه أحدهم بمزراق معه فكشف وجهه وقال : « أنا ياقوت فما تريدون مني ؟ احملوني إلى البريدي » فاجتمعوا عليه فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى العسكر . وكتب أبو جعفر الحمال كتاباً إلى البريدي على جناح طائر يستأذنه في حمل رأسه إلى العسكر فأعاد الجواب بإعادة الرأس إلى الجثة وتكفينه ودفنه ، وأسر غلامه مؤنس وغيره من قواده فقتلوا ، وأرسل البريدي إلى تستر فحمل ما فيها لياقوت من جوار ، ومال ، وغير ذلك فلم يظهر لياقوت غير اثني عشر ألف دينار فحمل الجميع إليه ، وقبض على المظفر بن ياقوت فبقي في حبس البريدي مدة ثم نفذه إلى بغداد، وتجبّر البريدي بعد قتل ياقوت وعصى ، وقد أطلنا في ذكر هذه الحادثة ، وإنما ذكرناها على طولها لما فيها من الأسباب المحرضة على الاحتياط والاحتراز، فإنها أولها إلى آخرها فيها تجارب وأمور يكثر وقوع مثلها .

ذكر عزل أبي جعفر ووزارة سليمان بن الحسن

لما تولى الوزير أبو جعفر الكرخي على ما تقدم رأى قلة الأموال وانقطاع المواد فازداد عجزاً إلى عجزه وضاق عليه الأمر ، وما زالت الإضاقة تزيد وطمع من بين يديه من المعاملين فيما عنده من الأموال، وقطع ابن رائق حمل واسط ، والبصرة وقطع البريدي حمل الأهواز وأعمالها . وكان ابن بويه قد تغلب على فارس فتحيَّر أبو جعفر وكَثُرَتْ المطالبات عليه ، ونَقَصَتْ هيبته واستتر بعد ثلاثة أشهر ونصف من وزارته . فلما استتر استوزر الراضي أبا القاسم سُليمان بن الحسن فكان في الوزارة كأبي جعفر

في وقوف الحال وقلة المال .

ذكر استيلاء ابن رائق على أمر العراق وتفرق البلاد

لما رأى الراضي وقوف الحال عنده الجأته الضرورة إلى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق ـ وهو بواسط ـ يعرض عليه إجابته إلى ما كان بذله من القيام بالنفقات وأرزاق الجند ببغداد ، فلما أتاه الرسول بذلك فرح به وشرع يتجهَّز للمسير إلى بغداد، فأنفذ إليه الراضي السّاجية وقلّده إمارة الجيش ، وجعله أمير الأمراء ، وولّاه الخراج والمعاون في جميع البلاد والدواوين ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر وأنفذ إليه الخلع ، وانحدر إليه أصحاب الدواوين ، والكتّاب والحجّاب ، وتأخر الحجرية عن الانحدار . فلما استقر الذين انحدروا إلى واسطَ قبض ابن رائق على الساجية سابع ذي الحجة ونهب رحلهم ومالهم، ودوابهم ، وأظهر أنه إنما فعل ذلك لتتوفر أرزاقهم على الحجرية ، فاستوحش الحجرية من ذلك وقالوا : اليوم لهؤلاء وغداً لنا ، وخيّموا بدار الخليفة ، فأصعد ابن رائق إلى بغداد ومعه بجكم وخلع الخليفة عليه أواخر ذي الحجة ، وأتاه الحجرية يسلّمون عليه فأمرهم بقلع خيامهم فقلعوها ، وعادوا إلى منازلهم ، وبَطُلَتْ الدواوين من ذلك الوقت وبَطُلَتْ الوزارة فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الأمور . إنما كان ابن رائق وكاتبه ينظران في الأمور جميعها وكذلك كل من تولى إمرة الأمراء بعده، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنهم فيتصرفون فيها كما يريدون ويطلقون للخليفة ما يريدون وبطلت بيوت الأموال ، وتغلّب أصحاب الأطراف وزالت عنهم الطاعة ولم يبقَ للخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم . وأما باقي الأطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولةبن بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمد بن إلياس، والري ، واصبهان ، والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخي مرداويج يتنازعان عليها ، والموصل ، وديار بكر ، ومضر ، وربيعة في يد بني حمدان، ومصر، والشام في يد محمد بن طغج ، والمغرب وافريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي ـ وهو الثاني منهم ـ ويلقَّب بأمير المؤمنين ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد السّاماني ، وطبرستان ، وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي .

ذكر مسير معز الدولة بن بويه إلى كرمان وما جرى عليه بها

في هذه السّنة سار أبو الحسين أحمد بن بويه ، الملقَّب بمعز الدولة إلى كرمان، وسبب ذلك أن عماد الدولة ابن بويه . وأخاه ركن الدولة لما تمكنا من بلاد فارس ، وبلاد الجبل ، وبقي أخوهما الأصغر أبو الحسين أحمد بغير ولاية يستبدّ بها رأيا أن يسيِّراه إلى كرمان ففعلا ذلك . وسار إلى كرمان في عسكر ضخم شجعان . فلما بلغ السيرجان استولى عليها وجبى أموالها وأنفقها في عسكره ، وكان إبراهيم بن سيمجور الدواتي يحاصر محمد بن إلياس بن اليُسع بقلعةٍ هناك بعساكر نصر بن أحمد صاحب خراسان، فلما بلغه إقبال معز الدولة سار عن كرمان إلى خراسان ونفس عن محمد بن إلياس فتخلَّص من القلعة، وسار إلى مدينة بم ـ وهي على طرف المفازة بين كرمان ، وسجستان ـ فسار إليه أحمد بن بويه فرحل من مكانه إلى سجستان بغير قتال » فسار أحمد إلى جيرفت ـ وهي قصبة كرمان ـ واستخلف على بم بعض أصحابه ، فلما قارب جيرفت أتاه رسول عليّ بن الزنجي ـ المعروف بعلي كلويه ـ وهو رئيس القفص، والبلوص ـ وكان هو وأسلافه متغلبين على تلك الناحية إلا أنهم يجاملون كلَّ سلطان يردُ البلاد ويطيعونه ، ويحملون إليه مالاً معلوماً ولا يطؤون بساطه ، فبذل لابن بويه ذلك المال فامتنع أحمد من قبوله إلّا بعد دخول جيرفت. فتأخر عليّ بن كلويه نحو عشرة فراسخ ونزل بمكان صعب المسلك ودخل أحمد بن بويه جيرفت واصطلح وخطب هو وعليّ وأخذ رهائنه وخطب له ، فلما استقرَّ الصلح وانفصل الأمر أشار بعض أصحاب ابن بويه عليه بأن يقصد عليّاً ويغدُرَ به ويسري إليه سراً على غفلة وأطمعه في أمواله وهوّن عليه أمره بسكونه إلى الصلح ، فأصغى الأمير أبو الحسين أحمد إلى ذلك لحداثة سنِّهِ وجمع أصحابه وأسرى نحوهم جريدة، وكان عليّ محترزاً ومن معه قد وضعوا العيون على ابن بويه ، فساعة تحرك بلغته الأخبار، فجمع أصحابه ورتَّبَهُم بمضيق على الطريق. فلما اجتاز بهم ابن بويه، ثاروا به ليلاً من جوانبه فقتلوا في أصحابه وأسروا ولم يفلتّ منهم إلّا اليسير.

ووقعت بالأمير ابي الحسين ضربات كثيرة ووقعت ضربة منها في يده اليسرى فقطعتها من نصف الذِّراع وأصاب يده اليمنى ضربة أخرى سقط منها بعض أصابعه ، وسقط مثخناً بالجراح بين القتلى . وبلغ الخبر بذلك إلى جيرفت فهرب كل من كان بها

من أصحابه . ولما أصبح علي كلويه تتبع القتلى فرأى الأمير أبا الحسين قد اشرف على التلف، فحمله إلى جيرفت وأحضر له الأطباء وبالغ في علاجه واعتذر إليه . وأنفذ رسله يعتذر إلى أخيه عماد الدولة بين بويه، ويعرِّفهُ أخيه ويبذل من نفسه الطاعة فأجابه عماد الدولة إلى ما بذله واستقرّ بينهما الصلح . وأطلق على كل من عنده من الأسرى وأحسن إليهم .

ووصل الخبر إلى محمد بن إلياس بما جرى على أحمد بن بويـه ، فسار من سجستان إلى البلد المعروف بجنابة . فتوجَّه إليه ابن بويه وواقعه ودامت الحرب بينهما عدة أيام ، فانهزم ابن إلياس وعاد أحمد بن بويه ظافراً . وسار نحو عليّ كلويـه لينتقمَ منه ، فلما قاربه أسرى إليه في اصحابه الرجالة، فكبسوا عسكره ليلاً في ليلة شديدة المطر فأثروا منهم وقتلوا ونهبوا وعادوا . وبقي ابن بويه باقي ليلته ، فلما اصبح سار نحوهم فقتل منهم عدداً كثيراً ، وانهزم عليّ كلويه . وكتب ابن بويه إلى أخيه عماد الدولة بما جرى له معه ومع ابن إلياس وهزيمته فأجابه أخوه يأمره بالوقوف بمكانه ولا يتجاوز ه. وأنفذ إليه قائداً من قوّاده يأمره بالعود إليه إلى فارس ويلزمه بذلك . فعاد إلى أخيه وأقام عنده باصطخر ، إلى أن قصدهم أبو عبد الله البريدي منهزماً من ابن رائق ، وبجكم. فأطمع عماد الدولة في العراق وسَهُلَ عليه ملكه . فسيِّر معه أخاه معز الدولة أبا الحسين ، على ما نذكره سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

ذكر استيلاء ما كان على جرجان

وفي هذه السّنة استولى ماكان بن كالي على جرجان . وسبب ذلك أننا ذكرنا أولاً أن ماكان لما عاد من جرجان أقام بنيسابور ، وأقام بانجين بجرجان . فلما كان بعد ذلك خرج بانجين يلعب بالكرة فسقط عن دابته فوقع ميتاً . وبلغ خبرُه ماكان بن كالي ـ وهو بنيسابور ـ وكان قد استوحش من عارض جيش خراسان ، فاحتج على محمد بن المظفر صاحب الجيش بخُراسان ، بأن بعض أصحابه قد هرب منه ، وأنه يُريدُ أن يخرج في طلبه ، فأذِنَ له في ذلك . وسار عن نيسابور إلى أسفرايين فأنفذ جماعة من عسكره إلى جرجان واستولوا عليها فأظهر العصيان على محمد بن المظفر ، وسار من أسفرايين إلى نيسابور مغافصة، وبها محمد بن المظفر فخذل محمداً أصحابه ولم يعاونوه وكان في قلـة من العسكر غير مستعدٍّ له، فسار نحو سرخس . وعاد ماكان من نيسابور خوفاً من

اجتماع العساكر عليه ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

ذكر وزارة الفضل بن جعفر للخليفة

وفيها كَتَبَ ابن رائق كتاباً عن الراضي الى أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات يستدعيه ليجعلَهُ وزيراً ، وكان يتولى الخراج بمصر ، والشام ، وظن ابن رائق انه إذا استوزر ه جبى له أموال الشام ، ومصر ، فقدم إلى بغداد، ونفذت له الخلع قبل وصوله فلقيته بهيت ، فلبسها ودخل بغداد وتولّى وزراة الخليفة ووزارة ابن رائق جميعاً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قلّدَ الراضي محمد بن طغج أعمال مصر مضافاً إلى ما بيده من الشام وعزل أحمد بن كيغلغ عن مصر . وفيها انخسف القمر جميعه ليلة الجمعة لأربع عشرة خلت من ربيع الأول ، وانكسف جميعه أيضاً لأربع عشرة خلت من شوّال . وفيها قُبِضَ على أبي عبد الله بن عبدوس الجهشياري وصُودِرَ على مائتي ألف دينار . وفيها وُلِدَ عَضَدُ الدولة أبو شجاع ، فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بأصبهان . وفيها توفي أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك المعروف بجحظة وله شعر مطبوع وكان عارفاً بفنون شتى من العلوم .

وفيها توفي أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد في شعبان وكان إماماً في معرفة القراآت. وعبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس[1] أبو الحسن الفقيه الظاهري صاحب التصانيف المشهورة . وفيها توفيّ عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل أبو بكر النيسابوري الفقيه الشافعي في ربيع الأول . وكان مولده سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، وكان قد جالس الربيع بن سليمان ، والمزني ، ويونس بن عبد الأعلى أصحاب الشافعي وكان إماماً.

---

(١) هو بالغين المعجمة وتشديد اللام المكسورة وهو الذي نشر علم داود الظاهري في تلك البلاد .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ثلاثمائة

ذكر مسير الراضي بالله إلى حرب البريدي

في هذه السّنة أشار محمد بن رائق على الراضي بالله بالانحدار معه إلى واسط ليقرُبَ من الأهواز ويراسل أبا عبد الله بن البريدي ، فإن أجاب إلى ما يطلب منه والأقرب قصده عليه . فأجاب الراضي إلى ذلك وانحدر أول المحرم فخالف الحجرية وقالوا : هذه حيلة علينا ليعمل بنا مثل ما عمل بالساجية . فلم يلتفت ابن رائق إليهم وانحدر ، وتبعه بعضهم ثم انحدروا بعده . فلما صاروا بواسطَ اعترضهم ابن رائق فأسقط أكثرهم ، فأضطربوا وثاروا ، فقاتلهم قتالاً شديداً فانهزم الحجرية . وقتل منهم جماعة . ولما وصل المنهزمون إلى بغداد ركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغدادَ ولقيهم ، فأوقع بهم فاستتروا . فنُهِبَتْ دورهم وقُبِضَتْ أموالهم ، وأملاكهم وقُطِعَتْ أرزاقهم . فلما فرغ منهم ابن رائق قتل من كان اعتقله من الساجية سوى صافي الخازن ، وهارون بن موسى . فلما فرغ أخرج مضاربه ومضارب الراضي نحو الأهواز لاجلاء ابن البريدي عنها ، فأرسل إليه في معنى تأخير الأموال وما قد ارتكبه من الاستبداد بها . وإفساد الجيوش وتزيين العصيان لهم إلى غير ذلك ، من ذكر معايبه ، ثم يقول بعد ذلك : وإنه إن حمل الواجب عليه وسلم الجند الذين أفسدهم أقرّ على عمله وإن أبي قُوبِلَ بما استحقه . فلما سمع الرسالة جدّد ضمان الأهواز كل سنة بثلاثمائة وستين ألف دينار يحمل كل شهر قسطه، وأجاب إلى تسليم الجيش إلى من يؤمر بتسليمه إليه ممن يسير بهم إلى قتال ابن بويه إذ كانوا كارهين للعود إلى بغداد لضيق الأموال بها واختلاف الكلمة . فكتب الرسل ذلك إلى ابن رائق فعرضه على الراضي وشاور فيه أصحابه . فأشار الحسين بن علي النوبختي بأن لا يقبل منه ذلك ، فإنهُ خدَّاع ومكر للقرب منه ومتى عذْتُم عنه لم يفِ بما بذله . وأشار أبو بكر بن مقاتل بإجابته إلى ما التمس من

الضمان وقال : إنـه لا يقوم غيره مقامه وكان يتعصَّب للبريدي . فسمع قولـه وعقد الضمان على البريدي ، وعاد وهو والراضي إلى بغداد فدخلاها ثامن صفر . فأما المال فما حمل منه ديناراً واحداً ، وأما الجيش فإنّ ابن رائق أنفذ جعفر بن ورقاء ليتسلمه منه ، وليسيرَ بهم إلى فارس . فلما وصل إلى الأهواز لقيه ابن البريدي في الجيش جميعه ، ولما عاد سار الجيش مع البريدي إلى داره واستصحب معه جعفراً، وقدَّم لهم طعاماً كثيراً ، فأكلوا وانصرفوا، وأقام جعفر عدة أيام . ثم إن جعفراً أمر الجيش فطالبوه بمال يفرقه فيهم ليتجهزوا به إلى فارس ، فلم يكن معه شيء فشتموه وتهددوه بالقتل فاستتر منهم ولجأ إلى البريدي ، فقال له البريدي : ليس العجب ممن أرسلك وإنما العجب منك كيف جئت بغير شيء فلو أن الجيش مماليك لما ساروا إلاّ بمال ترضيهم به . ثم أخرجه ليلاً وقال : أنجُ بنفسك فسار إلى بغداد خائباً .

ثم إن ابن مقاتل شرع مع ابن رائق في عزل الحسين بن علي النوبختي وزيره ، وأشار عليه بالإعتضاد بالبريدي ، وأن يجعله وزيراً له . عوض النوبختي وبذل له ثلاثين ألف دينار ، فلم يجبْهُ إلى ذلك . فلم يزل ابن مقاتل يسعى ويجتهد إلى أن أجابه إليه . فكان من أعظم الأسباب في بلوغ ابن مقاتل غرضه أن النوبختي كان مريضاً فلما تحدَّث ابن مقاتل مع ابن رائق في عزله امتنع من ذلك ، وقال له : على حق كثير هو الذي سعى لي حتى بلغْتُ هذه الرتبة فلا أبتغي به بديلاً ، فقال ابن مقاتل : فإن النوبختي مريضٌ لا مطمع في عافيته . قال له ابن رائق : فإن الطبيب قد أعلمني أنه قـد صلح ، وأكل الدراج ، فقال : إن الطبيب يعلم منزلته منك ، وأنه وزير الدولة فلا يلقاك في أمره بما تكره ، ولكن احضر ابن أخي النوبختي وصهره علي بن أحمد وأسأله عنه سراً ، فهو يخبرك بحاله فقال : افعل . وكان النوبختي قد استناب ابن أخيه هذا عند ابن رائق ليقومَ بخدمته في مرضه .

ثم إن ابن مقاتل فارق ابن رائق على هذا واجتمع بعليّ بن أحمد وقال له : قد قرَّرتُ لك مع الأمير ابن رائق الوزارة ، فإذا سألك عن عمِّك، فأعلمه أنه على الموت ولا يجيء منه شيء لتتم لك الوزارة ، فلما اجتمع ابن رائق بعلي بن أحمد سأله عن عمه فغشي عليه ، ثم لطم برأسه ووجهه وقال : يُبقي الله الأمير ويعظِّم أجره فيه ، فلا يعده الأمير إلاّ في الأموات . فاسترجع وحوقل وقـال : لو فـدي بجميع مـا أملكه

لفعلت . فلما حضر عنده ابن مقاتل قال له ابن رائق : قد كان الحقُّ معك وقد يئسنا من النوبختي ، فأكتبْ إلى البريدي ليرسلَ من ينوب عنه في وزارتي ففعل ، وكتب إلى البريدي بإنفاذ أحمد بن علي الكوفي لينوبَ عنه في وزارة ابن رائق فأنفذه فاستولى على الأمور، وتمشي حال البريدي بذلك فإن النوبختي كان عارفاً به لا يتمشى معه محاله .

فلما استولى الكوفي ، وابن مقاتل شرعاً في تضمين البصرة من أبي يوسف بن البريدي أخي أبي عبد الله . فامتنع ابن رائق من ذلك فخدعاه إلى أن أجاب إليه . وكان نائب ابن رائق بالبصرة محمد بن يزداد وقد أساء السيرة وظلم أهلها . فلما ضَمِنَها البريدي حضر عنده بالأهواز جماعة من أعيان أهلها فوعدهم ومنّاهم وذمّ ابن رائق عندهم : بما كان يفعله ابن يزداد ، فدعوا له . ثم أنفذ البريدي غلامه إقبالاً في ألفي رجل وأمرهم بالمقام بحصن مهدي إلى أن يأمرهم بما يفعلون . فلما علم ابن يزداد بهم قامت قيامته من ذلك ، وعلم أن البريدي يريد التغلب على البصرة ، وإلّا لو كان يريد التصرف في ضمانه لكان يكفيه عاملٌ في جماعته . وأمر البريدي بإسقاط بعض ما كان ابن يزداد يأخذه من أهل البصرة حتى اطمأنوا وقاتلوا معه عسكر ابن رائق . ثم عطف عليهم فعمل بهم أعمالاً تمنّوا أيام ابن رائق وعدوها أعياداً .

ذكر ظهور الوحشة بين ابن رائق ، والبريدي والحرب بينهما

في هذه السّنة أيضاً ظهرت الوحشة بين ابن رائق ، والبريدي وكان لذلك عدة أسباب ، منها أن ابن رائق لما عاد من واسطَ إلى بغداد أمر بظهور من اختفى من الحجريين ، فظهروا فاستخدم منهم نحو الفي رجل وأمر الباقين بطلب الرزق أين أرادوا، فخرجوا من بغداد واجتمعوا بطريق خراسان . ثم ساروا إلى أبي عبد الله البريدي ، فأكرمهم وأحسن إليهم وذمَّ ابن رائق وعابه . وكتب إلى بغداد يعتذر عن قبولهم ويقول : إنني خفتهم فلهذا قبلتهم وجعلهم طريقاً إلى قطع ما استقر عليه من المال ، وذكر أنهم اتفقوا مع الجيش الذي عنده ومنعوه من حمل المال الذي استقرَّ عليه ، فأنفذ إليه ابن رائق يلزمه بإبعاد الحجرية فاعتذر ولم يفعل .

ومنها أن ابن رائق بلغه ما ذمّه به ابن البريدي عند أهل البصرة فساءه ذلك ، وبلغه مقام إقبال في جيشه بحصن مهدي فعظم عليه ، واتهم الكوفي بمحاباة البريدي ، وأراد عزله فمنعه عنه أبو بكر محمد بن مقاتل ، وكان مقبول القول عند ابن رائق . فأمر

الكوفي أن يكتب إلى البريدي يعاتبه على هذه الأشياء ويأمره بإعادة عسكره من حصن مهدي فكتب إليه في ذلك. فأجاب بأن أهل البصرة يخفون القرامطة وابن يزداد عاجز عن حمايتهم ، وقد تمسكوا بأصحابي لخوفهم . وكان أبو طاهر الهجري قد وصل إلى الكوفة في الثالث والعشرين من ربيع الآخر فخرج ابن رائق في عساكره الى قصر ابن هبيرة وأرسل الى القرمطي ، فلم يستقرّ بينهم أمر ، فعاد القرمطي إلى بلده فعاد حينئذ ابن رائق وسار إلى واسط. فبلغ ذلك البريدي فكتب إلى عسكره بحصن مهدي يأمرهم بدخول البصرة ، وقتال من منعهم ، وأنفذ إليهم جماعة من الحجرية معونة لهم ، فأنفذ ابن يزداد جماعة من عنده ليمنعهم من دخول البصرة ، فاقتتلوا بنهر الأمير فانهزم أصحاب ابن يزداد ، فأعادهم وزاد في عدتهم كل متجند بالبصرة ، واقتتلوا ثانياً فانهزموا أيضاً ، ودخل إقبال وأصحاب البريدي البصرة ، وانهزم ابن يزداد إلى الكوفة ، وقامت القيامة على ابن رائق ، وكتب إلى أبي عبد الله البريدي يتهدده ويأمره باعادة أصحابه من البصرة فاعتذر ولم يفعل . وكان أهل البصرة في أوّل الأمر يريدون البريدي لسوء سيرة ابن يزداد .

ذكر استيلاء بجكم على الأهواز

لما وصل جواب الرسالة من البريدي إلى ابن رائق بالمغالطة عن اعادة جنده من البصرة استدعى بدراً الخرشني وخلع عليه وأحضر بجكم أيضاً وخلع عليه وسيرهما في جيش وأمرهم أن يقيموا بالجامدة . فبادر بجكم ولم يتوقفْ على بدر ومن معه وسار إلى السوس . فبلغ ذلك البريدي فأخرج إليه جيشاً كثيفاً في ثلاثة آلاف مقاتل ، ومقدمهم غلامه محمد المعروف بالحمال[١] فاقتتلوا بظاهر السوس . وكان مع بجكم مائتان وسبعون رجلاً من الأتراك[٢]، فانهزم أصحاب البريدي وعادوا إليه ، فضرب البريدي محمداً الحمال وقال : « انهزمْت بثلاثة آلاف من ثلاثمائة[٣]» . فقال له : « أنت ظننت أنكَ تُحاربُ ياقوتاً المدبر ، قد جاءك خلاف ما عهدت » . فقام إليه وجعل يلكمه

---

(١) في تجارب الأمم « واخرج البريدي محمداً غلامه المعروف بأبي جعفر الجمال ـ بالجيم ـ في عشرة آلاف رجل بأتم آلة وأكمل سلاح للحرب » .

(٢) في تجارب الامم « ومع بجكم مائتان وتسعون غلاماً من الأتراك » .

(٣) في تجارب الامم « انهزمت مع عشرة آلاف من بين يدي ثلاثمائة غلام » .

بيديه ، ثم جمع عسكره وأضاف إليهم من لم يشهد الوقعة فبلغوا ستة آلاف رجل ، وسيَّرهم مع الحمال أيضاً فالتقوا عند نهر تستر ، فبادر بجكم فعبر النهر هو وأصحابه فلما رآه أصحاب البريدي انهزموا من غير حرب . فلما رآهم أبو عبد الله البريدي ركب هو وأخوته ومن يلزمه في السفن ، فأخذ معه ما بقي عنده من المال وهو ثلاثمائة ألف دينار ، فغرقت السفينة بهم فأخرجهم الغوّاصون ، وقد كادوا يغرقون ، وأخرج بعض المال ، وأخرج باقي المال لبجكم ووصلوا إلى البصرة ، فأقاموا بالأبلة وأعدُّوا المراكب للهرب ، إن انهزم اقبال وسيَّر أبو عبد الله البريدي غلامه إقبالاً إلى مطارا وسيِّر معه جمعاً من فتيان البصرة فالتقوا بمطارا مع أصحاب ابن رائق . فانهزمت الرائقية وأُسِرَ منهم جماعة ، فأطلقهم البريدي . وكتب إلى ابن رائق يستعطفه ، وأرسل إليه جماعة من أعيان أهل البصرة ، فلم يجبْهُم وطلبوا منه أن يحلف لأهل البصرة ليكونوا معه ويساعدوه ، فامتنع وحلف لئن ظفر بها ليحرقنها ويقتل كل من فيها ، فازدادوا بصيرة في قتاله ، واطمأن البريديون بعد انهزام عسكر ابن رائق وأقاموا حينئذ بالبصرة ، واستولى بجكم على الأهواز .

فلما بلغ ابن رائق هزيمة أصحابه جهَّز جيشاً آخر وسيَّره إلى البر والماء فالتقى عسكره الذي على الظهر مع عسكر البريدي فانهزم الرائقيّة . وأما عسكره الذي في الماء فإنهم استولوا على الكلإ . فلما رأى ذلك أبو عبد الله البريدي ركب في السفن وهرب إلى جزيرة أوّال ، وترك أخاه أبا الحسين بالبصرة في عسكر يحميها ، فخرج أهل البصرة مع أبي الحسين لدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فقاتلوهم حتى أجلوهم عنه . فلما اتصل ذلك ابن رائق سار بنفسه من واسطَ إلى البصرة على الظهر . وكتب إلى بجكم ليلحقَ به فأتاه فيمن عنده من الجند فتقدَّموا وقاتلوا أهل البصرة ، فاشتدَّ القتال وحامى أهل البصرة ، وشتموا ابن رائق . فلما رأى بجكم ذلك هاله وقال لابن رائق : ما الذي عملت بهؤلاء القوم حتى أحوجتهم إلى هذا ؟ فقال : والله لا أدري ، وعاد ابن رائق ، وبجكم إلى معسكرهما ، وأما أبو عبد الله البريدي فإنه سار من جزيرة أوال إلى عماد الدولة بن بويه واستجار به ، وأطمعه في العراق وهوّن عليه أمر الخليفة ، وابن رائق فنفّذ معه أخاه معز الدولة على ما نذكره . فلما سمع ابن رائق بإقبالهم من فارس إلى الأهواز سيَّر بجكم فامتنع من المسير إلاّ أن يكون إليه الحرب والخراج ، فأجابه إلى ذلك وسيَّره إليها .

ثم أن جماعة من أصحاب البريدي قصدوا عسكر ابن رائق ليلاً فصاحوا في جوانبه فانهزموا . فلما رأى ابن رائق ذلك أمر بإحراق سواده وآلاته لئلا يغنمه البريدي وسار إلى الأهواز جريدة ، فأشار جماعة على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل . وأقام ابن رائق أياماً وعاد إلى واسطَ وكان باقي عسكره قد سبقوه إليها .

ذكر الفتنة بين أهل صقلبة وأمرائهم

في هذه السّنة خالف أهل جرجنت ـ وهي من بلاد صقلية ـ على أميرهم سالم بن راشد ، وكان استعمله عليهم القائم العلوي صاحب أفريقية ، وكان سيىء السيرة في الناس، فأخرجوا عامله عليهم . فسيَّر إليهم سالم جيشاً كثيراً من أهل صقلية ، وإفريقية فاقتتلوا أشدَّ قتال فهزمهم أهل جرجنت وتبعهم . فخرج إليهم سالم ولقيهم واشتدَّ القتال بينهم ، وعظم الخطب فانهزم أهل جرجنت في شعبان . فلما رأى أهل المدينة خلاف أهل جرجنت خرجوا أيضاً على سالم وخالفوه وعظم شغبهم عليه ، وقاتلوه في ذي القعدة من هذه السنة ، فهزمهم وحصرهم بالمدينة .

فأرسل إلى القائم بالمهدية يعرفه أن أهل صقلية قد خرجوا عن طاعته وخالفوا عليه ويستمده ، فأمدَّهُ القائم بجيش واستعمل عليهم خليل بن اسحاق فساروا حتى وصلوا إلى صقلية فرأى خليل من طاعة أهلها ماسره وشكوا إليه من ظلم سالم وجورِهِ ، وخرج إليه النساء ، والصبيان يبكون ويشكون ، فرَقَ الناس لهم وبكوا لبكائهم، وجاء أهل البلاد إلى خليل وأهل جرجنت ، فلما وصلوا اجتمع بهم سالم ، وأعلمهم أنّ القائم قد أرسل خليلاً لينتقمَ منهم بمن قتلوا من عسكره فعاودوا الخلاف . فشرع خليل في بناء مدينة على مرسى المدينة وحصنها ونقض كثيراً من المدينة ، وأخذ أبوابها وسمّاها الخالصة ونال الناس شدة في بناء المدينة فبلغ ذلك أهل جرجنت فخافوا ، وتحقَّقَ عندهم ما قال لهم سالم ، وحصَّنوا مدينتهم ، واستعدوا للحرب .

فسار إليهم خليل في جُمادى الأولى سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، وحصرهم فخرجوا إليه والتحم القتال واشتدَّ الأمر وبقي محاصراً لهم ثمانية أشهر لا يخلو يوم من قتال، وجاء الشتاء فرَحَلَ عنهم في ذي الحجة إلى الخالصة فنزلها .

ولما دخلت سنة سبع وعشرين خالف على خليل جميع القلاع وأهل مازر كل

ذلك بسعي أهل جرجنت وبثّوا سراياهم واستفحل أمرهم ، وكاتبوا ملك القسطنطينية يستنجدونه فأمدَّهم بالمراكب فيها الرجال والطعام . فكتب خليل إلى القائم يستنجده فبعث إليه جيشاً كثيراً فخرج خليل بمن معه من أهل صقلية فحصروا قلعة أبي ثـور فملكوها ، وكذلك أيضاً البلوط ملكوها ، وحصروا قلعة ابلاطنو وأقامـوا عليها حتى انقضت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .

فلما دخلت سنة ثمان وعشرين رحل خليل عن ابلاطنو وحصر جرجنت ، وأطال الحصار ، ثم رحل عنها وترك عليها عسكراً يحاصرها مقدمهم أبو خلف بن هارون ، فدام الحصار إلى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، فسار كثيرٌ من أهلها إلى بلاد الروم ، وطلب الباقون الأمان فأمّنهم على أن ينزلوا من القلعة فلما نزلوا غَدَرَ بهم ، وحملهم إلى المدينة . فلما رأى أهل سائر القلاع ذلك أطاعوا . فلما عادت البلاد الإسلامية إلى طاعته رحل إلى أفريقية في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وأخذ معه وجوه أهل جرجنت وجعلهم في مركب، وأمر بنقبه وهو في لجةِ البحر ، فغرقوا .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة خرجَتْ الفرنج إلى بلاد الأنـدلس التي للمسلمين فنهبوا وقتلوا وسبوا ، وممن قتل من المشهورين حجاف بن يمن قـاضي بلنسية[١] . وفيهـا توفي عبد اللهبن محمد بن سفيان أبو الحسين الخزاز النحوي في ربيع الأول وكان صحب ثعلباً والمبرد وله تصانيف في علوم القرآن[٢] .

---

(١) قال في الديباج المذهب : ذو البيت النبيه فيه من العلم والجلالة الى وقتنا هذا ؛ يكنى أبا جعفر ، مذكور بالفقه موصوف بالعلم .

(٢) كان معلماً في دار الوزير أبي الحسن علي بن عيسى بن الجراح . ومن تآليفـه المختصر في النحـو ، المقصور والممدود ، معاني القرآن المذكور والمؤنث. ووقع في البغية « الخراز » .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة

ذكر استيلاء معز الدولة على الأهواز

في هذه السّنة سار معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه إلى الأهواز ، وتلك البلاد فملكها، واستولى عليها . وكان سبب ذلك ما ذكرناه ، من مسير أبي عبد الله البريدي إلى عماد الدولة كما سبق، فلما وصل إليه أطمعه في العراق والاستيلاء عليه . فسيَّر معه أخاه معز الدولة إلى الأهواز ، وترك أبو عبد الله البريدي ولديه أبا الحسن محمداً وأبا جعفر الفياض عند عماد الدولة بن بويه رهينة ، وساروا فبلغ الخبر إلى بجكم بنزولهم أرجان ، فسار لحربهم فانهزم من بين أيديهم . وكان سبب الهزيمة أن المطر اتصل أياماً كثيرة ، فعطلت أوتار قسي الأتراك ، فلم يقدروا على رمي النشاب . فعاد بجكم وأقام بالأهواز وجعل بعض عسكره بعسكر مكرم فقاتلوا معز الدولة بها ثلاثة عشر يوم ، ثم انهزموا إلى تستر فاستولى معز الدولة على عسكر مكرم .

وسار بجكم إلى تستر من الأهواز وأخذ معه جماعة من أعيان الأهواز ، وسار هو وعسكره إلى واسط ، وأرسل من الطريق إلى ابن رائق يعلمه الخبر ويقول له : « إن العسكر محتاج إلى المال فإن كان معك مائتا ألف دينار فتقيم بواسط حتى نصل إليك وتنفق فيهم المال ، وان كان المال قليلاً فالرأي أنك تعود إلى بغداد لئلا يجري من العسكر شغب » .

فلما بلغ الخبرُ إلى ابن رائق عاد من واسطَ إلى بغدادَ ، ووصل بجكم إلى واسط فأقام بها ، واعتقل من معه من الأهوازيين ، وطالبهم بخمسين ألف دينار وكان فيهم أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسي . قال أبو زكريا اردْتُ أن أعلم ما في نفس بجكم فأنفذْتُ إليه أقول : عندي نصيحة فأحضرني عنده ، فقلت : « أيها الأمير أنت تحدِّث نفسك بمملكة الدنيا وخدمة الخلافة ، وتدبير الممالك كيف يجوز أن تعتقل قوماً

منكوبين قد سلبوا نعمتهم ، وتطالبهم بمال وهم في بلد غربة وتأمر بتعذيبهم حين جعل أمس طشت فيه نار على بطن بعضهم[١] ، أما تعلم أن هذا إذا سمع عنك استوحش منك الناس ، وعاداك من لا يعرفك ، وقد أنكرت على ابن رائق إيحاشه لأهل البصرة أتراه أساء إلى جميعهم ؟ لا والله بل أساء إلى بعضهم فأبغضوه كلهم وعوام بغداد لا تحتمل أمثال هذا. وذكرت له فعل مرداويج ». فلما سمع ذلك قال : صدقتني ونصحتني ثم أمر بإطلاقهم .

ولما استولى ابن بويه والبريدي على عسكر مكرم سار أهل الأهواز إلى البريدي يهنئونه، وفيهم طبيب حاذق[٢] . وكان البريدي يحمُّ بحمى الربع فقال لذلك الطبيب : أما ترى يا أبا زكريا حالي وهذه الحمى ؟ فقال له : خلط ـ يعني في المأكول ـ فقال له : أكثر من هذا التخليط قد رهجت الدنيا[٣] ، ثم ساروا إلى الأهواز فاقاموا بها خمسة وثلاثين يوماً ، ثم هرب البريدي من ابن بويه في الماء إلى الباسيان، فكاتبه بعتب كثير ويذكر غدره في هربه.

وكان سبب هربه ان ابن بويه طلب عسكره الذين بالبصرة ليسيروا إلى أخيه ركن الدولة بأصبهان معونة له على حرب وشمكير ، فأحضر منهم أربعة آلاف ، فلما حضروا قال لمعز الدولة : « أن أقاموا وقع بينهم وبين الديلم فتنة والرأي أن يسيروا إلى السوس ، ثم يسيروا إلى أصبهان. فأذن له في ذلك » . ثم طالبه بأن يحضر عسكره الذين بحصن مهدي ليسيرهم في الماء إلى واسطَ، فخاف البريدي أن يعمل به مثل ما عمل هو بياقوت . وكان الديلم يهينونه ولا يلتفتون إليه فهرب ، وأمر جيشه الذين بالسوس ، فساروا إلى البصرة ، وكاتب معز الدولة بالإفراج له عن الأهواز حتى يتمكن من ضمانه، فإنه كان قد ضمن الأهواز والبصرة من عماد الدولة بن بويه كل سنة بثمانية عشر الف ألف درهم فرحل عنها إلى عسكر مكرم خوفاً من أخيه عماد الدولة لئلا يقول له : كسرت المال. فانتقل البريدي إلى بناباذ ، وأنفذ خليفته إلى الأهواز وأنفذ إلى

---

(١) عين في تجارب الامم اسم البعض وهو « سهل بن نظير الجهبذ » .

(٢) واسم الطبيب يوحنا صرح به ابن مسكويه .

(٣) في تجارب الأمم « قد أرهجت ما بين فارس والحضر فإن اقنعك ذلك وإلا ملت إلى الجانب الآخر وارهجت الى خراسان »

معز الدولة يذكر له حاله ، وخوفه منه ويطلب أن ينتقل إلى السوس من عسكر مكرم ، ليبعد عنه ويأمن بالأهواز[١] ، فقال له أبو جعفر الصيمري . وغيره : « إن البريدي يريد أن يفعل بك كما فعل بياقوت ، ويفرِّق أصحابك عنك ، ثم يأخذك فيتقرب بك إلى بجكم وابن رائق ، ويستعيد أخاك لأجلك » . فامتنع معز الدولة من ذلك ، وعلم بجكم بالحال فأنفذ جماعة من أصحابه فاستولوا على السوس وجنديسابور. وبقيت الأهواز بيد البريدي ، ولم يبقَ بيد معز الدولة من كور الأهواز إلاّ عسكر مكرم ، فأشتد الحال عليه وفارقه بعض جنده وأرادوا الرجوع إلى فارس فمنعهم أصفهدست[٢] وموسى قياذه[٣] ـ وهما من أكابر القواد ـ وضمنا لهم أرزاقهم ، ليقيموا شهراً فأقاموا .

وكتب إلى أخيه عماد الدولة يعرِّفه حاله فأنفذ له جيشاً فقوي بهم ، وعاد واستولى على الأهواز . وهرب البريدي إلى البصرة ، واستقرّ فيها فاستقرّ ابن بويه بالأهواز ، وأقام بجكم بواسط طامعاً في الإستيلاء على بغداد، ومكان ابن رائق ، ولا يظهر له شيئاً من ذلك . وأنفذ ابن رائق عليّ بن خلف بن طياب ، إلى بجكم ليسيرَ معه إلى الأهواز ، ويخرج منها ابن بويه، فإذا فعل ذلك كانت ولايتها لبجكم والخراج إلى عليّ بن خلف . فلما وصل عليّ إلى بجكم بواسطَ استوزره بجكم ، وأقام معه وأخذ بجكم جميع مال واسط . ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الأمور أطمع ابن رائق في مصر والشام وصاهره وعقد بينه وبين ابن طغج عهداً وصهراً[٤]. وقال لابن رائق : أنا اجبي إليك مال مصر والشام إن سيّرتني إليهما ، فأمره بالتجهز للحركة ففعل ، وسار أبو الفتح إلى الشام في ربيع الآخر .

ذكر الحرب بين بجكم والبريدي والصلح بعد ذلك

لما أقام بجكم بواسط وعظم شأنه خافه ابن رائق لأنه ظنَّ ما فعله بجكم من

---

(١) في تجارب الامم « فتراسل في ذلك القاضي ابو القاسم التنوخي ، وابو علي العارض واستقرت الحال على أن يحمل البريدي ثلاثين ألف دينار إليه لينهضه فرد غلامي هذين الرسولين مع غلام له بأربعة عشر ألف دينار وكتب بأنه يوفيه تتمة الثلاثين ألف دينار بالسوس » .

(٢) في ابن مسكويه « اسفهدوست » بالسين المهملة بدل الصاد المهملة .

(٣) في تجارب الامم « وموسى فياذة » بالفاء .

(٤) بأن زوج ابنه ابا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طغج صهراً.

التغلب على العراق . فراسل أبا عبد الله البريدي وطلب منه الصلح على بجكم فإذا انهزم تسلّم البريدي واسطاً وضمَّنها بستمائة ألف دينار في السنة على أن ينفذ أبو عبد الله عسكراً ، فسمع بجكم بذلك فخاف واستشار أصحابه في الذي يفعله ، فأشاروا عليه بأن يبتدىء بأبي عبد الله البريدي وأن لا يهجم إلى حضرة الخلافة ولا يكاشف ابن رائق إلا بعد الفراغ من البريدي ، فجمع عسكره ، وسار إلى البصرة يريد البريدي ، فسيَّر أبو عبد الله جيشاً بلغت عدَّتهم عشرة آلاف رجل عليهم غلامه أبو جعفر محمد الحمال[1] . فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم عسكر البريدي ولم يتبعْهُم بجكم بل كفَّ عنهم .

وكان البريديون بمطارا ينتظرون ما ينكشف من الحال فلما انهزم عسكرهم خافوا ، وضَعُفَتْ نفوسهم إلاّ أنه لما رأى عسكره سالماً لم يقتل منهم أحد ولا غرق طاب قلبه . وكانت نية بجكم إذلال البريدي وقطعه عن ابن رائق ونفسه معلقة بالحضرة . فأرسل ثاني يوم الهزيمة إلى البريدي يعتذر إليه مما جرى ، ويقول له : « أنت بدأت وتعرَّضْتَ بي وقد عفوتُ عنك وعن أصحابك ، ولو تبعتهم لغرِقَ وقُتِلَ أكثرهم ، وأنا أصالحك على أن أقلِدكَ واسطاً إذا ملكت الحضرة ، وأصاهرُكَ » . فسجد البريدي شكراً لله وحلف لبجكم وتصالحا ، وعاد إلى واسطَ ، وأخذ في التدبير على ابن رائق والإستيلاء على الحضرة ببغداد .

ذكر قطع يد ابن مقلة ولسانه

في هذه السّنة في منتصف شوّال قُطِعَتْ يدُ الوزير أبي عليّ بن مقلة ، وكان سبب قطعها أن الوزير أبا الفتح بن جعفر بن الفرات لما عجز عن الوزارة ، وسار إلى الشام استوزر الخليفة الراضي بالله أبا علي بن مقلة وليس له من الأمر شيء إنما الأمر جميعه إلى ابن رائق . وكان ابن رائق قبض أموال ابن مقلة وأملاكه وأملاك ابنه فخاطبه فلم يردها . فاستمال أصحابه وسألهم مخاطبته في ردها ، فوعدوه فلم يقضوا حاجته ؛ فلما رأى ذلك سعى بابن رائق فكاتب بجكم يُطمِعهُ في موضع ابن رائق ، وكتب إلى وشمكير بمثل ذلك وهو بالري . وكتب إلى الراضي[2] يشير عليه بالقبض على ابن رائق

(١) في تجارب الامم « الجمال » .

(٢) وكانت مكاتبته للراضي على يد علي بن هارون بن المنجم النديم .

وأصحابه ، ويضمن أنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار . وأشار عليه باستدعاء بجكم وإقامته مقام ابن رائق فأطمعه الراضي ـ وهو كارهٌ لما قاله ـ فعجَّل ابن مقلة وكتب إلى بجكم يعرفه إجابة الراضي ويستحثه على الحركة والمجيء إلى بغداد .

وطلب ابن مقلة من الراضي أن ينتقل، ويقيم عنده بدار الخلافة إلى أن يتمّ على ابن رائق ما اتفقا عليه فأُذِنَ له في ذلك . فحضر متنكراً آخر ليلة من رمضان وقال : إن القمر تحت الشعاع، وهو يصلح للأسرار، فكانت عقوبته حيث نظر إلى غير الله أن ذاع سرّه وشَهُرَ أمره . فلما حصل بدار الخليفة لم يوصلْهُ الراضي إليه ، واعتقله في حجرة . فلما كان الغد أنفذ إلى ابن رائق يعرِّفه الحال ، ويعرض عليه خط ابن مقلة فشكر الراضي، وما زالت الرسل تتردد بينهما في معنى ابن مقلة إلى منتصف شوّال، فأُخرِجَ ابن مقلة من محبّسِهِ وقُطِعَتْ يدُهُ ثم عُولِجَ فبرأ[1] ، فعاد يكاتب الراضي ويخطب الوزارة ، ويذكر أن قطع يده لم يمنعه من عمله ، وكان يشدُّ القلم على يده المقطوعة ، ويكتب . فلما قَرُبَ بجكم من بغداد سمع الخدم يتحدثون بذلك ، فقال : إن وصل بجكم فهو يستخلصني ، وأكافىء ابن رائق . وصار يدعو على من ظَلَمُه وقَطَعُ يدَهُ فوصل خبره إلى الراضي ، وإلى ابن رائق فأمرا بقطع لسانه . ثم نُقِلَ إلى محبس ضيِّق ثم لحقه ذرب في الحبس ، ولم يكن عنده من يخدمه فآل به الحال إلى أن كان يستقي الماء من البئر بيده اليسرى ، ويمسك الحبل بفيه . ولحِقَهُ شقاءٌ شديدٌ إلى أن مات ، ودُفِنَ بدار الخليفة . ثم إن أهله سألوا فيه فنبش وسُلِّمَ إليهم فدفنوه في داره ثم نبش فنُقِلَ إلى دار أخرى . ومن العجب أنه وَلي الوزارة ثلاث دفعات ، ووزرَ لثلاث خلفاء ، وسافر ثلاث سفرات اثنتين منفياً إلى شيراز ، وواحدة في وزارته إلى الموصل . ودُفِنَ بعد موته ثلاث مرات ، وخصَّ به من خدمه ثلاث .

ذكر استيلاء بجكم على بغداد

وفي هذه السَّنة دخل بجكم بغداد ولقي الراضي وقلّده امرة الأمراء مكان ابن رائق . ونحن نذكر إبتداء أمر بجكم ، وكيف بلغ إلى هذه الحال فإن بعض أمره قد تقدم ، وإذا تفرَّق لم يحصل الغرض منه .

---

(١) وكان يقول : قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع أيدي اللصوص .

كان هذا بجكم من غلمان أبي علي العارض ، وكان وزيراً لما كان بن كالي الديلمي ،نطلبه ما كان فوهبه له . ثم إنه فارق ماكان مع من فارقه من أصحابه ، والتحق بمرداويج وكان في جملة من قتله . وسار إلى العراق واتصل بابن رائق وسيَّره إلى الأهواز ، فاستولى عليها وطرد البريدي عنها . ثم خرج البريدي مع معز الدولة بن بويه من فارس إلى الأهواز، فأخذوها من بجكم . وانتقل بجكم من الأهواز إلى واسط . وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً .

فلما استقرَّ بواسطَ تعلقت همته بالاستيلاء على حضرة الخليفة ـ وهو مع ذلك يظهر التبعية لابن رائق ـ وكان على أعلامه ، وترأسه بجكم الرائقي . فلما وصلته ، كتب ابن مقلة يعرِّفه أنه قد استقرَّ مع الراضي أن يقلده أمرة الأمراء ، فطمع في ذلك وكاشف ابن رائق ، ومحا نسبته إليه من أعلامه . وسار من واسط نحو بغداد غرة ذي القعدة ، واستغذَّ ابن رائق له وسأل الراضي أن يكتب إلى بجكم يأمره بالعود إلى واسط. فكتب الراضي إليه وسيَّر الكتاب ، فلما قرأه ألقاه عن يدِهِ ، ورمى به وسار حتى نزل شرقي نهر ديالى . وكان أصحاب ابن رائق على غربيه فألقى أصحاب بجكم نفوسهم في الماء ، فانهزم أصحاب ابن رائق وعبر أصحاب بجكم وساروا إلى بغداد، وخرج ابن رائق عنها إلى عَكبرا . ودخل بجكم بغداد ثالث عشر ذي القعدة ، ولقي الراضي من الغد وخلع عليه وجعله أمير الأمراء ، وكتب كتباً عن الراضي إلى القواد الذي مع ابن رائق يأمرهم بالرجوع إلى بغداد ، ففارقوه جميعهم وعادوا ، فلما رأى ابن رائق ذلك عاد إلى بغداد واستتر ، ونزل بجكم بدار مؤنس واستقرّ أمره ببغداد، فكانت مدة إمارة أبي بكر بن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً ، ومن مكر بجكم أنه كان يراسل ابن رائق على لسان أبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي .

قال أبو زكريا : أشرت على بجكم أنه لا يكاشف ابن رائق فقال : لمَ أشرْت بهذا؟ فقلت له : إنه قد كان له عليك رياسة ، وأمرة وهو أقوى منك وأكثر عدداً والخليفة معه ، والمال عنده كثير فقال : أما كثرة رجاله فهم جوز فارغ وقد بلوتهم فما أبالي بهم قلّوا أم كثِروا. وأما كون الخليفة معه فهذا لا يضرّني عند أصحابي وأما [ما توهمتُه من] قلّة

المال معي فليسَ الأمر كذلك قد وفيت أصحابي مستحقهم ومعي ما يستظهر به فكم تظن مبلغه ؟ فقلت : لا أدري فقال : على كل حال فقلت : مائة ألف درهم فقال : غفر الله لك معي خمسون ألف دينار لا أحتاج إليها . فلما استولى على بغداد قال لي يوماً . أتذكر إذ قلت لك : معي خمسون ألف دينار ، والله لم يكن معي غير خمسة آلاف درهم[1]. فقلت: هذا يدل على قلة ثقتك بي ، قال: لا ، ولكنك كنْتَ رسولي إلى ابن رائق فإذا علمت قلة المال معي ضعفت نفسك ،[2] فطمع العدوّ فينا فأردت أن تمضي إليه بقلب قوي فتكلمه بما تخلع قلبه ، ويضعف نفسه قال : فعجبت من مكره وعقله .

ذكر استيلاء لشكري[3] على أذربيجان وقتله

وفيها تغلّب لشكري بن مردي على اذربيجان ، وهذا لشكري أعظم من الذي تقدم ذكره . فإن هذا كان خليفة وشمكير على أعمال الجبل . فجمع مالاً ورجالاً وسار إلى أذربيجان وبها يومئذ ديسم بن إبراهيم الكردي ـ وهو من أصحاب ابن أبي السّاج ـ فجمع عسكراً وتحارب هو ولشكري فانهزم ديسم . ثم عاد وجمع وتصافا مرة ثانية فانهزم أيضاً. واستولى لشكري على بلاده إلا أردبيل فإنّ أهلها امتنعوا بها لحصانتها، ولهم بأس ونجدة ـ وهي دار المملكة بأذربيجان ـ فراسلهم لشكري ووعدهم الإحسان لما كان يبلغهم من سوء سيرة الديلم مع بلاد الجبل همذان . وغيرها فحصرهم وطال الحصار . ثم صعد أصحابه السور ونقبوه أيضاً في عدة مواضع ، ودخلوا البلد . وكان لشكري يدخله نهاراً ويخرج منه ليلاً إلى عسكره ، فبادر أهل البلد وأصلحوا ثلم السور ،وأظهروا العصيان ، وعاودوا الحرب فَنَدِمَ على التفريط وإضاعة الحزم .

فأرسل أهل أردبيل إلى ديسم يعرفونه الحال ويواعدونه يوماً يجيء فيه ليخرجوا فيه إلى قتال لشكري ، ويأتي هو من ورائه ففعل ، وسار نحوهم . وظهروا يوم الموعد في عدد كثير ، وقاتلوا لشكري وأتاه ديسم من خلف ظهره ، فانهزم أقبح هزيمة، ، وقتل

---

(١) في تجارب الامم « خمسين ألف درهم » وهي أظهر لأن فيه موافقة في العدد دون الصفة .

(٢) في تجارب الأمم « فكرهت أن تعلم صحته في القلة فيضعف قلبك وإذا ضعف قلبك ضعف كلامك » الخ .

(٣) في تجارب الامم « اللشكري» .

من أصحابه خلق كثير . وانحاز إلى موقان فأكرمه اصبهبذها ويعرف بـابن دولة[(١)] ، وأحسن ضيافته ، وجمع لشكري وسار نحو ديسم وساعده ابن دولة ، فهرب ديسم وعبر نهر ارس[(٢)] . وعبر بعض أصحاب لشكري إليهم فانهزم ديسم . وقصد وشمكير ـ وهو بالري ـ وخوفه من لشكري ، وبـذل له مالاً كل سنة ليسيرَ معه عسكراً فأجابـه إلى ذلك ، وسيَّر معه عسكراً ، وكاتب عسكر لشكري ، وشمكير يعلمونه بما هم عليه من طاعته ، وأنهم متى رأوا عسكره صاروا معه على لشكري ، فظفر لشكري بالكتب ، فكَتم ذلك عنهم . فلما قَرُبَ منه عسكر وشمكير جمع أصحابه ، وأعلمهم ذلك وأنه لا يقوى بهم ، وأنه يسيِّر بهم نحو الزوزان ، وينهب من على طريقه من الأرمن ويسيرَ نحو الموصل ، ويستولي عليها وعلى غيرها ، فأجابوه إلى ذلك ، فسـار بهم إلى أرمينية وأهلها غافلون ، فنهب وغنم وسبى . وانتهى إلى الزوزان ومعهم الغنائم فنزل بولاية إنسان أرمني[(٣)] وبذل له مالاً ليكفَّ عنه وعن بلاده ، فأجابه إلى ذلك . ثم أن الأرمني كمن كميناً في مضيق هناك ، وأمـر بعض الأرمن أن ينهب شيئـاً من أموال لشكـري ويسلك ذلك المضيق ، ففعلوا . وبلغ الخبر إلى لشكري ، فركب في خمسة أنفس[(٤)] فسار وراءهم ، فخرج عليه الكمين فقتلوه ومن معه . ولحِقَهُ عسكره فرأوه قتيلاً ومن معه فعادوا ، وولوا عليهم ابنه لشكرستان . واتفقوا على أن يسيروا على عقبة التنين ـ وهي تجاوز الجودي ـ ويحرزوا سوادهم ويرجعوا إلى بلد طرم[(٥)] الأرمني فيدركوا آثارهم . فبلغ ذلك طرم فرتّب الرجال على تلك المضايق يرمونهم بالحجارة ، ويمنعونهم العبور فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وسلم القليل منهم وفيمن سلم لشكرستان . وسار فيمن معه إلى ناصر الدولة بن حمـدان بالمـوصل ، فـأقام بعضهم عنـده وانحدر بعضهم إلى بغداد . فأما أقاموا بالموصل فسيَّرهم مع ابن عم أبي عبـد الله الحسين بن سعيد بن حمدان إلى ما بيده من أذربيجان ، لما أقبل نحوه ديسم ليستولي عليـه . وكان أبـو

---

(١) في تجارب الامم « دلوله »

(٢) في تجارب الامم « نهر الرس » وهو الصواب .

(٣) عين اسمه ابن مسكويه وهو اطوم بن جرجين.

(٤) في تجارب الأمم «وهرب بعض الرعاء إلى اللشكري مجروحاً فصادفه خارجاً من الحمام في سوق زوزان فأخبره الخبر فسار لوقته وأخذ ذلك الراعي بين يديه ليدله على الطريق وليس معه الاستة نفر من غلمانه » .

(٥) في تجارب الامم « اطوم » وقد تقدم ذكره قريباً .

عبد الله من قبل ابن عمه ناصر الدولة على معاون أذربيجان ، فقصده ديسم ، وقاتله فلم يكن لابن حمدان به طاقة ففارق أذربيجان واستولى عليها ديسم .

ذكر اختلال أمور القرامطة

في هذه السّنة فَسُدَ حال القرامطة ، وقتل بعضهم بعضاً . وسبب ذلك إنه كان رجل منهم يقال له : ابن سنبر ـ وهو من خواص أبي سعيد القرمطي والمطلعين على سرّه ـ وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك . فعمد ابن سنبر إلى رجل من أصبهان وقال له : إذا ملكتك أمر القرامطة أريد منك أن تقتل عدوي أبا حفص ، فأجابه إلى ذلك وعاهده عليه . فأطلعه على أسرار أبي سعيد، وعلامات كان يذكر أنها في صاحبهم الذي يدعون إليه . فحضر عند أولاد أبي سعيد وذكر لهم ذلك ، فقال أبو طاهر : هذا هو الذي يدعو إليه . فأطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله . وكان إذا كره رجلاً يقول له : إنه مريض ـ يعني أنه قد شكَّ في دينه ويأمر بقتله . وبلغ أبا طاهر إن الأصبهاني يريد قتله ليتفرَّد بالملك ، فقال لإخوته : لقد أخطأنا في هذا الرجل وسأكشف حاله ، فقال له : إن لنا مريضاً فانظر إليه ليبرأ ، فحضروا واضجعوا والدته وغطُّوها بإزار، فلما رآها قال: إن هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه فقالوا له: كذبت هذه والدته، ثم قتلوه بعد ان قتل منهم خلق كثير من عظمائهم وشجعانهم. هذا سبب تمسكهم بهجر وترك قصد البلاد والإفساد فيها .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كان الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة . وكان القيم به ابن ورقاء الشيباني ، وكان عدة من فودي من المسلمين ستة آلاف وثلاثمائة من بين ذكر وأنثى . وكان الفداء على نهر البدندون . وفيها ولد الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

ذكر مسير الراضي، وبجكم إلى الموصل وظهور ابن رائق ومسيره إلى الشام

في هذه السّنة في المحرم سار الراضي بالله ، وبجكم إلى الموصل ، وديار ربيعة . وسبب ذلك أن ناصر الدولة ابن حمدان أخّر المال الذي عليه من ضمان البلاد التي بيده فاغتاظ الراضي منه بسبب ذلك ، فسار هو وبجكم إلى الموصل ومعهما قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد . فلما بلغوا تكريت أقام الراضي بها وسار بجكم ، فلقيه ناصر الدولة بالكحيل على ستة فراسخ من الموصل فاقتتلوا واشتدّ القتال ، فانهزم أصحاب ناصر الدولة وساروا إلى نصيبين ، وتبعهم بجكم ولم ينزل بالموصل . فلما بلغ نصيبين ، سار ابن حمدان إلى آمد وكتب بجكم إلى الراضي بالفتح فسار من تكريت في الماء يريد الموصل . وكان مع الراضي جماعة من القرامطة فانصرفوا عنه إلى بغدادَ قبل وصول كتاب بجكم . وكان ابن رائق يكاتبهم . فلما بلغوا بغداد ظهر ابن رائق من استتاره واستولى على بغدادَ، ولم يعرض لدار الخليفة . وبلغ الخبر إلى الراضي فأُصعِدَ من الماء إلى البر ، وسار إلى الموصل وكتب إلى بجكم بذلك فعاد عن نصيبين . فلما بلغ خبر عوده إلى ناصر الدولة سار من آمد إلى نصيبين ، فاستولى عليها وعلى ديار ربيعة ؛ فقَلِقَ بجكم لذلك وتسلل أصحابه إلى بغداد، فاحتاج أن يحفظ أصحابه وقال : قد حصل الخليفة ، وأمير الأمراء على قصبة الموصل حسب . وانفذ ابن حمدان قبل أن يتصل به خبر ابن رائق بطلب الصلح ، ويعجل خمسمائة ألف درهم ففَرِحَ بجكم بذلك ، وأنهاه إلى الراضي فأجاب إليه واستقرَّ الصلح بينهم . وانحدر الراضي وبجكم إلى بغداد . وكان قد راسلهم ابن رائق مع أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يلتمس الصلح . فسار إليهم إلى الموصل وأدّى الرسالة إلى بجكم فأكرمه بجكم، وأنزله معه وأحسن إليه وقدَّمه إلى الراضي فأبلغه

الرسالة أيضاً، فأجابه الراضي . وبجكم إلى ما طلب. وأرسل في جواب رسالته قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن محمد، وقُلِّدَ طريق الفرات وديار مضر حران، والرها، وما جاورها، وجند قنسرين والعواصم، فأجاب ابن رائق أيضاً إلى هذه القاعدة وسار عن بغدادَ إلى ولايته، ودخل الراضي، وبجكم بغداد تاسع ربيع الآخر[١].

ذكر وزارة البريدي للخليفة

في هذه السّنة مات الوزير أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة . وقد ذكرنا سبب مسيره إلى الشام فكانت وزارته سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً . ولما سار إلى الشام استناب بالحضرة عبد الله بن علي النقري[٢]، وكان بجكم قد قبض على وزيره علي بن خلف بن طباب ، فاستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد . فسعى أبو جعفر في الصلح بين بجكم ، والبريدي فتمَّ ذلك . ثم ضمَّن البريدي أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة . ثم شرع ابن شيرزاد أيضاً بعد موت أبي الفتح الوزير بالرملة في تقليد أبي عبد الله البريدي الوزارة ،فأرسل إليه الراضي في ذلك فأجاب إليه في رجب ، واستناب بالحضرة عبد الله بن علي النقري أيضاً كما كان يخلف أبا الفتح .

ذكر مخالفة بالبا على الخليفة

كان بجكم قد استناب بعض قوّاده الأتراك يعرف ببالبا على الأنبار ، فكاتبه يطلب أن يقلَّد أعمال طريق الفرات بأسرها ليكونَ في وجه ابن رائق ـ وهو بالشام ـ فقلّده بجكم ذلك . فسار إلى الرّحبة وكاتب ابن رائق وخالف على بجكم ، والراضي ، وأقام الدعوة لابن رائق وعظَّم أمره . فبلغ الخبر إلى بجكم فسيَّر طائفة من عسكره وأمرهم بالجد وأن يطووا المنازل ويسبقوا خبرهم ويكبسوا بالرّحبة، ففعلوا ذلك . فوصلوا إلى الرحبة في خمسة أيام ودخلوها على حين غفلة من بالبا ـ وهو يأكل الطعام ـ فلما بلغه الخبر اختفى عند انسان حائك . ثم ظفروا به فأخذوه وأدخلوه بغداد على جمل ، ثم حُبِسَ فكان آخر العهد به[٣] .

---

(١) في تجارب الأمم « يوم السبت لتسع خلون من شهر ربيع الاول .

(٢) في تجارب الامم « النفري » وكذلك ما بعده.

(٣) في التجارب « ثم ادخلاه بغداد مشهراً على جمل عليه نقنق وهو مصلوب ثم خفي أمره فيقال أن بجكم سمّه » .

ذكر ولاية أبي علي بن محتاج خراسان

في هذه السّنة استعمل الأمير السعيد نصر بن أحمد على خراسان وجيوشها أبا عليّ أحمد بن أبي بكر محمد بن المظفر بن محتاج، وعزل أباه واستقدمه إلى بُخارى. وسبب ذلك أن أبا بكر مَرِضَ مرضاً شديداً أطال به فأنفذ السعيد احضر ابنه أبا عليّ من الصغانيان ، واستعمله مكان ابيه وسيَّره إلى نيسابور. وكتب إلى أبيه يستدعيه إليه فسار عن نيسابور فلقيه ولده على ثلاثة مراحل من نيسابور ، فعرَّفه ما يحتاج إلى معرفته. وسار أبو بكر إلى بُخارى مريضاً ودخل ولده أبو عليّ نيسابور أميراً في شهر رمضان من هذه السنة . وكان أبو علي عاقلاً شجاعاً حازماً، فأقام بها ثلاثة أشهر يستعدُّ للمسير إلى جرجان ، وطبرستان ، وسنذكر ذلك سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

ذكر غلبة وشمكير على أصبهان والموت

وفيها أرسل وشمكير بن زيار أخو مرداويج جيشاً كثيفاً من الري إلى أصَبهان وبها أبو علي الحسن بن بويه ـ وهو ركن الدولة ـ فأزالوه عنها واستولوا عليها وخطبوا فيها لوشمكير ، ثم سار ركن الدولة إلى بلاد فارس فنزل بظاهر اصطخر وسار وشمكير إلى قلعة الموت ، فملكها وعاد عنها. وسيرِدُ من أخبارهما سنةثمان وعشرين ما تقف عليه .

ذكر الفتنة بالأندلس

وفي هذه السّنة عصي أمية بن إسحاق بمدينة شنترين على عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس وسبب ذلك أنه كان له أخ اسمه أحمد وكان وزيراً لعبد الرحمنفقتله عبد الرحمن ، وكان أمية بشنترين . فلما بلغه ذلك عصي فيها والتجأ إلى ردمير ملك الجلالقة ، ودله على عورات المسلمين. ثم خرج أمية في بعض الأيام يتصيد فمنعه أصحابه من دخول البلد ، فسار إلى ردمير فاستوزره ، وغزا عبد الرحمن بلاد الجلالقة فالتقى هو وردمير هذه السّنة فانهزمت الجلالقة وقتل منهم خلق كثير ، وحصرهم عبد الرحمن . ثم أن الجلالقة خرجوا عليه وظفروا به وبالمسلمين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وأراد اتباعهم فمنعه أمية وخوّفه المسلمين ورغَّبه في الخزائن ، والغنيمة. وعاد عبد الرحمن بعد هذه الوقعة جهَّزَ الجيوش إلى بلاد الجلالقة فألحوا عليهم

بالغارات، وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا من المسلمين . ثم أن أمية استأمن إلى عبد الرحمن، فأكرمه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة انكشف القمر جميعه في صفر . وفيها مات عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي صاحب الجرح والتعديل ، وعثمان بن الخطاب بن عبد الله أبو الدنيا المعروف بالأشج الذي يقال : إنه لقي علي بن أبي طالب عليه السلام . وقيل: إنهم كانوا يسمونه ويكنونه أبا الحسن آخر أيامه . وله صحيفة تروى عنه ولا تصح وقد رواها كثير من المحدثين مع علم منهم بضعفها(١) . وفيها توفي محمد بن جعفر بن محمد بن سهل أبو بكر الخرائطي صاحب التصانيف المشهورة ، كاعتلال القلوب ، وغيره بمدينة يافا(٢) .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١١ / ٢٠٣ : قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلاثمائة وزعم أنه ولد أول خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، ببلاد المغرب ، وأنه وفد هو وأبوه على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأصابهم في الطريق عطش فذهب يرتاد لأبيه ماء فرأى عيناً فشرب منها واغتسل ، ثم جاء لأبيه ليسقيه فوجده قد مات ، وقدم هو على عليّ بن أبي طالب فأراد ان يقبل ركبته فصدمه الركاب فشج رأسه ، فكان يعرف بالأشج . وقد زعم صدقه في هذا الذي زعمه طائفة من الناس، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن علي ، وممن صدقه في ذلك الحافظ محمد بن أحمد بن المفيد ، ورواها عنه ، ولكن كان المفيد متهماً بالتشيع ، فسمح له بذلك لا نتسابه الى عليّ ، وأما جمهور المحدثين قديماً وحديثاً فكذبوه في ذلك ، وردوا عليه كذبه ، ونصوا على أن النسخة التي رواها موضوعة ومنهم أبو طاهر احمد بن محمد السلفي ، وأشياخنا الذين أدركناهم . جهبذ الوقت شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية ، والجهبذ ابو الحجاج المزي ، والحافظ ، مؤرخ الاسلام ابو عبد الله الذهبي .

(٢) هو من أهل سرَّ من رأى وكان عالماً ثقة جيد التصانيف متفنناً .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة

ذكر استيلاء أبي علي على جرجان

في هذه السّنة في المحرم سار أبو علي بن محتاج في جيش خراسان من نيسابور إلى جرجان . وكان بجرجان ماكان بن كالي قد خلع طاعة الأمير نصر بن أحمد . فوجدهم أبو علي قد غوروا المياه فعدل عن الطريق إلى غيره فلم يشعروا به حتى نزل على فرسخ من جرجان. فحصر ماكان بها وضيّق عليه وقطع الميرة عن البلد. فاستأمن إليه كثير من أصحاب ماكان . وضاق حال من بقي بجرجان حتى صار الرجل يقتصر كل يوم على حفنة سمسم، أو كيلة من كسب أو باقة بقل ، واستمدَّ ماكان من وشمكير ـ وهو بالري ـ فأمده بقائد من قوّاده يقال له : شيرح بن النعمان . فلما وصل إلى جرجان ورأى الحال شرع في الصلح بين أبي علي وبين ماكان بن كالي ليجعلَ له طريقاً ينجو فيه ففعل أبو علي ذلك. وهرب ماكان إلى طبرستان واستولى أبو علي على جرجان في أواخر سنة ثمان وعشرين. واستخلف عليها إبراهيم بن سيمجور الدواتي بعد أن أصلح حالها وأقام بها إلى المحرم سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، فسار إلى الري على ما نذكره.

ذكر مسير ركن الدولة إلى واسط

في هذه السّنة سار ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه إلى واسط ، وكان سبب ذلك أن أبا عبد الله البريدي أنفذ جيشاً إلى السوس ، وقتل قائداً من الديلم فتحصَّن أبو جعفر الصيمري بقلعة السوس ، وكان على خراجها . وكان معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه ، بالأهواز فخاف أن يسير إليه البريدي من البصرة ، فكتب إلى أخيه ركن الدولة ـ وهو بباب اصطخر قد عاد من أصبهان ـ على ما ذكرناه. فلما أتاه كتاب أخيه سار إليه مجداً يطوي المنازل حتى وصل إلى السوس، ثم سار إلى واسط ليستولي

عليها إذ كان قد خرج عن أصبهان وليس له ملك ليستقل به فنزل بالجانب الشرقي وكان البريديون بالجانب الغربي فاضطرب رجال ابن بويه فاستأمن منهم مائة رجل إلى البريدي، ثم سار الراضي ، وبجكم من بغدادَ نحو واسط لحربه ، فخاف أن يكثر الجمع عليه ويستأمن رجاله فيهلك ، لأنه كان له سنة لم ينفق فيهم مالاً فعاد من واسطَ إلى الأهواز ثم إلى رامهرمز .

ذكر ملك ركن الدولة أصبهان

وفيها عاد ركن الدولة واستولى على أصبهان، سار من رامهرمز فاستولى عليها وأخرج عنها أصحاب وشمكير وقتل منهم واستأسر بضعة عشر قائداً ، وكان سبب ذلك أن وشمكير كان قد أنفذ عسكره إلى ماكان نجدة له على ما ذكرناه ، فخلت بلاد وشمكير من العساكر ، وسار ركن الدولة إلى أصبهان وبها نفر يسير من العساكر فهزمهم، واستولى عليها . وكاتب هو وأخوه عماد الدولة أبا علي بن محتاج يحرِّضانه على ماكان ، ووشمكير ويعدانه المساعدة عليهما فصار بينهم بذلك مودة .

ذكر مسير بجكم نحو بلاد الجبل وعوده

في هذه السّنة سار بجكم من بغداد نحو بلاد الجبل ثم عاد عنها . وكان سبب ذلك أنه صالح هذه السنة أبا عبد الله البريدي وصاهره وتزوَّج ابنته . فأرسل البريدي يشير عليه بأن يسير إلى بلاد الجبل لفتحها والاستيلاء عليها ، ويعرِّفه أنه إذا سار إلى الجبل سار هو إلى الأهواز ، واستنقذها من يدِ ابن بويه فاتفقا على ذلك . وأنفذ إليه بجكم خمسمائة رجل من أصحابه معونة له . وأنفذ إليه صاحبه أبا زكريا السوسي يحثه على الحركة ويكون عنده إلى أن يرحل عن واسط إلى الأهواز وسار بجكم إلى حلوان ، وصار أبو زكريا السوسي يحثُّ ابن البريدي على المسير إلى السوس، والأهواز ـ وهو يدافع الأوقات ـ وكان عازماً على قصد بغداد إذا أبعد عنها بجكم ليستولي عليها ـ وهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ـ وينتظر به الدوائر من هزيمة أو قتل ، وأقام أبو زكريا عنده نحو شهر يحثه على المسير وهو يغالطه ، فعَلِمَ أبو زكريا مقصوده ، فكتب إلى بجكم بذلك فلحقه الخبر ـ وهو سائر ـ فركب الجمازات وعاد إلى بغدادَ وخلف عسكره وراءه ، ووصل الخبر إلى البريدي بدخول بجكم إلى بغداد فسقط في يده ، ثم أتته الأخبار بأن بجكم قد سار نحوه .

ذكر استيلاء بجكم على واسط

لما عاد بجكم إلى بغداد تجهَّز للإنحدار إلى واسط، وحفظ الطرق لئلا يصل خبره إلى البريدي فيتحرز ، وانحدر هو في الماء في العشرين من ذي القعدة، وسيّر عسكره في البر . وأسقط اسم البريدي من الوزارة وجعل مكانه أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ، وكانت وزارة البريدي سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وقبض على ابن شيرزاد لأنه هو كان سبب وصلته بالبريدي وأخذ منه مائة وخمسين ألف دينار ، فمن عجيب الاتفاق أن بجكم كان له كاتب على أمر داره وحاشيته ، وهو معه في السفينة عند انحداره إلى واسط فجاء طائر فسقط على صدر السفينة ، فأُخِذَ وأُحضِرَ عند بجكم فوجد على ذنبه كتاباً ، ففتحه ، فإذا هو من هذا الكاتب إلى أخ له مع البريدي يخبره بخبر بجكم وما هو عازم عليه فألقى الكتاب إليه فاعترف به إذ لم يمكنه جحده ، لأنه بخطه فأمر بقتله فقتل ، وألقاه في الماء . ولما بلغ خبر بجكم إلى البريدي سار عن واسطَ إلى البصرة ولم يقمْ بها ، فلما وصل إليها بجكم لم يجدْ بها أحداً فاستولى عليها ، وكان بجكم قد خلَّف عسكراً ببلد الجبل فقصدهم الديلم والجبل فانهزموا وعادوا إلى بغداد .

ذكر استيلاء ابن رائق على الشام

في هذه السنة استولى ابن رائق على الشام ، وقد ذكرنا مسيره فيما تقدم . فلما دخل الشام قصد مدينة حمص فملكها . ثم سار منها إلى دمشق وبها بدر بن عبد الله الإخشيدي المعروف ببدير والياً عليها للإخشيد، فأخرجه ابن رائق منها وملكها . وسار منها إلى الرملة فملكها ، وسار إلى عريش مصر يريد الديار المصرية فلقيه الإخشيد محمّد بن طغج ، وحاربه فانهزم الإخشيد ، فاشتغل أصحاب ابن رائق بالنَّهب ، ونزلوا في خيم أصحاب الإخشيد ، فخرج عليهم كمين للإخشيد فأوقع بهم وهزمهم وفرَّقهم . ونجا ابن رائق في سبعين رجلاً ووصل إلى دمشق على أقبح صورة ، فسيَّر إليه الإخشيد أخاه أبا نصر بن طغج في جيش كثيف ، فلما سمع بهم ابن رائق سار إليهم من دمشق ، فالتقوا باللجون رابع ذي الحجة ، فانهزم عسكر أبي نصر وقُتِلَ هو فأخذه ابن رائق وكفَّنه وحمله ، إلى أخيه الإخشيد ـ وهو بمصر ـ وأنفذ معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكَتَبَ إلى الاخشيد كتاباً يعزِّيه عن أخيه ويعتذر مما جرى ويحلف أنه ما أراد قتله ،

وأنه قد أنفذ ابنه ليفديه به أن أحب ذلك ، فتلقى الإخشيد مزاحماً بالجميل وخلع عليه وردَّه إلى أبيه واصطلَحا على أن تكون الرملة وما وراءها إلى مصر للإخشيد وباقي الشام لمحمد بن رائق ويحمل إليه الإخشيد عن الرملة كل سنة مائة ألف وأربعين ألف دينار .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قُتِلَ طريف السبكري . وفيها عَزَلَ بجكم وزيره أباجعفر بن شيرزاد لما ذكرناه وصادره على مائة وخمسين ألف دينار ، واستوزر بعده أبا عبد الله الكوفي . وفيها توفي محمد بن يعقوب وقُتِلَ محمد بن علي أبو جعفر الكليني وهو من أئمة الإمامية وعلمائهم (الكليني) بالياء المعجمة باثنتين من تحت ثم النون وهو ممال . وفيها توفي أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب المقرّي البغدادي المعروف بابن شنبوذ في صفر[١] . وفيها توفي أبو محمد جعفر المرتعش ، وهو من أعيان مشايخ الصوفية ، وهو نيسابوري سكن بغداد[٢] ، وقاضي القضاة عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف ، وكان قد ولي القضاء بعد أبيه . وفيها توفي أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن محمد بن بشار المعروف بابن الأنباري ، وهو مصنّف كتاب الوقف والابتداء[٣] ، وفيها في حادي عشر شوّال مات الوزير أبو علي بن مقلة في الحبس[٤] . وفيها لليلتين بقيتا من شوّال توفي الوزير أبو العباس الخصيبي يسكتة ، لحقته بينه وبين ابن مقلة سبعة عشر يوماً . وفيها مات أبو عبد الله القمي وزير ركن الدولة بن بويه فاستوزر بعده أبا الفضل بن العميد فتمكّن منه فنال ما لم ينلْهُ أحد من وزراء بني بويه . وسيرد من أخباره ما يعلم به محله .

---

(١) وقد تقدم ذكره ص ٢٤٣ وضبط هناك فراجعه .

(٢) كان في الأصل من ذوي الأموال فتخلى منها وصحب الجنيد وأبا حفص وأبا عثمان واقام ببغداد حتى صار شيخ الصوفية .

(٣) كان من بحور العلم في اللغة والعربية والتفسير والحديث وغير ذلك وكان ثقة صدوقاً أديباً ديناً فاضلاً من أهل السنة وكان من أعلم الناس بالنحو والأدب وأكثرهم حفظاً له .

(٤) ولي بعض أعمال فارس ثم وزر للمقتدر سنة ست عشرة وثلاثمائة ثم قبض عليه وصادره وحبسه عامين ثم وزر بعد ذلك ثانياً وثالثاً لعدة خلفاء .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

ذكر موت الراضي بالله

في هذه السّنة مات الراضي بالله أبو العباس أحمد بن المقتدر منتصف ربيع الأول . وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام . وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وشهوراً[١] وكانت علّته الاستسقاء، وكان أديباً شاعراً ، فمن شعره :

يصفرُّ وجهي إذا ما تأمله   طرفي ويحمَّرُّ وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنتِهِ   من دم جسمي إليه قد نقلا

وله أيضاً يرثي أباه المقتدر :

ولو أن حياً كان قبراً لميت   لصيرت أحشائي لأعظمه قبراً
ولو أن عمري كان طوع مشيئتي   وساعدني التقدير قاسمته العمرا
بنفسي ثري ضاجعْتُ في تربة البلا   لقد ضمَّ منك الغيثُ والليثُ والبدرا

ومن شعره أيضاً :

كلُّ صفوٍ إلى كَدَرٍ كل أمنٍ إلى حذْرٍ ومصير الشبابِ للـ ـموتِ فيه أو الكبرْ
درَّ دَرُّ المشيبِ من واعظٍ يُنذِرُ البَشرْ أيها الآملُ الذي تاهَ في لجةِ الغرر
أين مَنْ كانَ قبلنا درسَ العينُ والأثرْ سيردُّ المعاد من عمره كلّهُ خطرْ
ربِّ إني ذخرت[٢] عنـ ـدكَ أرجوك مدخرْ إنني مؤمنٌ بما بين الوحي في السورْ
واعترافي بترك نفـ ـعي وإيثاريَ الضررْ ربِّ فاْغفر لي الخطيـ ـئة يا خيرَ من غفرْ

---

(١) في البداية والنهاية ١١/٢٠٩ والنجوم الزاهرة « وعمره يوم مات احدى وثلاثين سنة وعشرة اشهر » .
(٢) أفي البداية والنهاية ١١/٢١٠ : ادخرت.

وكان الراضي أيضاً سمحاً سخياً يحب محادثة الأدباء والفضلاء والجلوس معهم ، ولما مات أحضر بجكم ندماءه وجلساءه وطَمِعَ أن ينتفع بهم ، فلم يفهم منهم ما ينتفع به . وكان منهم سنان بن ثابت الصابي الطبيب فأحضره وشكا إليه غلبة القوة الغضبية عليه ـ وهو كارهٌ لها ـ فما زال معه في تقبيح ذلك عنده وتحسين ضده من الحلم والعفو والعدل، وتوصَّل معه حتى زال أكثر ما كان يجده ، وكفّ عن القتل والعقوبات. وكان الراضي أسمر أعين[1] خفيف العارضين ، وأمه أم ولد أسمها ظلوم ، وختم الخلفاء في أمور عدة. فمنها أنه آخر خليفة له شعر يدَوَّن. وآخر خليفة خطب كثيراً على منبر وإن كان غيره قد خطب نادراً لا اعتبار به. وكان آخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء . وآخر خليفة كانت له نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه، ومجالسه وخدمه ، وحجَّابه ، وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين[2] .

ذكر خلافة المتقي لله

لما مات الراضي بالله بقي الأمر في الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدوم أبي عبد الله الكوفي كاتب بجكم من واسطَ وكان بجكم بها واحتيط على دار الخلافة . فورد كتاب بجكم مع الكوفي يأمر فيه بأن يجتمع مع أبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الرضي ، كل من تقلد الوزارة وأصحاب الدواوين والعلويون والقضاة والعباسيون ووجوه البلد، ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضي مذهبه وطريقته فجمعهم الكوفي واستشارهم ، فذكر بعضهم إبراهيم بن المقتدر وتفرَّقوا على هذا . فلما كان الغد اتّفق الناس عليه فأُحضِرَ في دار الخلافة وبويع له في العشرين من ربيع الأول ، وعرضت عليه ألقاب، فاختار المتقي لله وبايعه الناس كافة، وسيَّر الخلع واللواء إلى بجكم بواسطَ[3] ، وكان بجكم بعد موت الراضي وقبل استخلاف المتقي قد أرسل إلى دار

---

(١) كان اسمر رقيق السمرة ذري اللون أسود الشعر سبطه ، قصير القامة . البداية والنهاية ١١/ ٢٠٩ .

(٢) كان للراضي فضائل كثيرة ، وختم الخلفاء في أمور عدة : منها أنه كان آخر خليفة له شعر وآخرهم انفرد بتدبير الجيوش والأموال . البداية والنهاية ١١/٢٠٩ .

(٣) في تجارب الأمم « وانفذ الخلعة واللواء الى بجكم مع أبي العباس احمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط » .

الخلافة أخذ فرشاً وآلات كان يستحسنها[١] ، وجعل سلامة الطولوني حاجبه ، وأقرّ سليمان على وزارته، وليس له من الوزارة إلا اسمها وإنما التدبير كله إلى الكوفي كاتب بجكم .

ذكر قتل ما كان بن كالي واستيلاء أبي علي بن محتاج على الري

قد ذكرنا مسير أبي علي بن محمدبن المظفر بن محتاج إلى جرجان وأخراج ماكان عنها، فلما سار عنها ماكان قصد طبرستـان، وأقام بهـا وأقام أبـو علي بجرجـان يصلح أمرها . ثم استخلف عليها إبراهيم بن سيمجور الدواتي وسار نحو الري في المحرم من هذه السنة ، فوصلها في ربيع الأول وبها وشمكير بن زيار أخو مرداويج . وكان عماد الدولة، وركن الدولة ابنابويه يكاتبان أبا علي ويحثانه على قصـد وشمكير ويعـدانه المساعدة، وكان قصدهما أن تؤخذ الري من وشمكير فإذا أخذها أبو علي لا يمكنه المقام بها لسعةِ ولايته بخراسان ، فيغلبان عليها . وبلغ أمر اتفاقهم إلى وشمكير وكاتب ماكان بن كالي يستخدمه ويعرِّفه الحال ، فسار ماكان بن كالي من طبرستان إلى الري وسار أبو علي وأتاه عسكر ركن الدولة بن بويه ، فاجتمعوا معه بإسحاقاباذ ، والتقوا هم ووشمكير ، ووقف ماكان بن كالي في القلب ، وباشر الحرب بنفسه ، وعّى أبو عليّ أصحابه كراديس ، وأمر من بإزاء القلب أن يلحّوا عليهم في القتال ، ثم يتطاردوا لهم ويستجروهم ، ثم وصّى من بإزاء الميمنة والميسرة أن يناوشوهم مناوشة بمقـدار ما يشغلونهم عن مساعدة من في القلب ولا يناجزوهم ففعلوا ذلك . وألحّ أصحابه على قلب وشمكير بالحرب ثم تطاردوا لهم ، فطمع فيهم ماكان ومن معه فتبعوهم، وفارقوا مواقفهم . فحينئذ أمر أبو علي الكـراديس التي بإزاء الميمنـة ، والميسرة أن يتقـدم بعضهم ويأتي من في قلب وشمكير من ورائهم ففعلوا ذلك . فلما رأى أبو علي أصحابه قد أقبلوا من وراء ماكان ومن معه من أصحابه أمر المتطاردين بالعود والحملة على ماكان وأصحابه ، وكانت نفوسهم قد قويت بأصحابهم ، فرجعوا وحملوا على أولئك وأخذهم السيف من بين أيديهم ، ومن خلفهم فولّوا منهزمين .

فلما رأى ماكان ذلك ترجّل وأبلى بلاءً حسناً وظهرت منه شجاعة لم يرَ الناس

---

(١) في تجارب الأمم « فرساً كان استحسنه وآلات كان اشتهاها » فوقع « فرسا » بالسين المهملة .

مثلها فأتاه سهم غرب ، فوقع في جبينه فنفذ في الخودة والرأس حتى طلع من قفاه وسقط ميتاً وهرب وشمكير ومن سلم معه إلى طبرستان ، فأقام بها واستولى أبو علي على الري . وأنفذ رأس ماكان إلى بُخارى والسّهم فيه ولم يحمل إلى بغداد حتى قتل بجكم لان بجكم كان من أصحابه[١] ، وجلس للعزاء لما قتل . فلما قتل بجكم حمل الرأس من بُخارى إلى بغداد والسهمُ فيه وفي الخودة، وأنفذ أبو علي الأسرى إلى بُخارى أيضاً وكانوا بها حتى دخل وشمكير في طاعة آل سامان ، وسار إلى خراسان فاستوهبهم، فأطلقوا له على ما نذكره سنة ثلاثين[٢] .

ذكر قتل بجكم

وفي هذه السّنة قُتِلَ بجكم ، وكان سبب قتله أن أبا عبد الله البريدي أنفذ جيشاً من البصرة إلى مذار فأنفذ بجكم جيشاً إليهم عليهم توزون[٣] فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت أوّلاً على توزون ، فكتب إلى بجكم يطلب أن يلحق به، فسار بجكم إليهم من واسط منتصف رجب ، فلقيه كتاب توزون بأنه ظفر بهم وهزمهم فأراد الرجوع إلى واسط فأشار عليه بعض أصحابه[٤] بأن يتصيَّد فقبل منه وتصيَّد حتى بلغ نهر جور . فسمع أن هناك أكراداً لهم مال وثروة فشرُهَتْ نفسه إلى أخذه فقصدهم في قلة من أصحابه بغير جنة تقيه ، فهرب الأكراد من بين يديه ورمى هو أحدهم فلم يصبه فرمى آخر فاخطأه أيضاً وكان لا يخيب سهمه ، فأتاه غلام من الأكراد من خلفه وطعنه بالرمح في خاصرته وهو لا يعرفه فقتله بين الطيب والمذار وذلك لأربع بقين من رجب ، واختلف عسكره فمضى الديلم خاصة نحو البريدي وكانوا ألفاً وخمسمائة، فأحسن إليهم وأضعف أرزاقهم وأوصلها إليهم دفعة واحدة، وكان البريدي قد عزم على الهرب من البصرة هو واخوته ، وكان بجكم قد راسل أهل البصرة وطيَّب قلوبهم ، فمالوا إليه فأتى البريديين الفرج من حيث لم يحتسبوا.

وعاد أتراك بجكم إلى واسطَ وكان تكينك محبوساً بها حبسه بجكم ، وأخرجوه من

---

(١) في تجارب الامم « لأن بجكم ينتسب إلى ماكان ويزعم انه تربيته.

(٢) في تجارب الامم وذلك في سنة ٣٢٩ .

(٣) في تجارب الامم « وانفذ بجكم نوشتكين . وتوزون في جيش للقائه » .

(٤) عينه ابن مسكويه بأنه « ابو زكريا السوسي » .

محبسه ، فسار بهم إلى بغداد وأظهروا طاعة المتقي لله ، وصار أبو الحسين أحمد بن ميمون يدبِّر الأمور . واستولى المتقي على دار بجكم فأخذ ماله منها ، وكان قد دُفِنَ فيها مالاً كثيراً . وكذلك أيضاً في الصحراء لأنه خاف أن ينكب فلا يصل إلى ماله في داره ، وكان مبلغ ما أُخِذَ من ماله ودفائنه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار . وكانت مدَّةُ إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام .

ذكر اصعاد البريديين إلى بغدادَ

لما قُتل بجكم اجتمعت الديلم على بلسواز[1] بن مالك بن مسافر ، فقتله الأتراك . فانحدر الديلم إلى أبي عبد الله البريدي وكانوا منتخبين ليس فيهم حشو[2] فقوّي بهم وعَظُمَتْ شوكته فأصعِدُوا من البصرة إلى واسط في شعبان ، فأرسل المتقي لله إليهم يأمرهم أن لا يصعدوا فقالوا : نحن محتاجون إلى مال فإن أنفذ لنا منه شيء لم نصعد، فأنفذ إليهم مائة ألف وخمسين ألف دينار، فقال الأتراك للمتقي : نحن نقاتل بني البريدي فأطلق لنا مالاً وأنصب لنا مقدَّماً فأنفق فيهم مالاً وفي أجناد بغداد القدماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي أخذ لبجكم ، وجعل عليهم سلامة الطولوني ، وبرزوا مع المتقي لله إلى نهر ديالي يوم الجمعة لثمان بقينَ من شعبان ، وسار البريدي من واسط إلى بغداد، ولم يقفْ على ما استقرَّ معه . فلما قَرُبَ من بغداد اختلف الأتراك البجكمية واستأمن بعضهم إلى البريدي، وبعضهم سار إلى الموصل ، واستتر سلامة الطولوني، وأبو عبد الله الكوفي ، ولم يحصل الخليفة إلا على إخراج المال وهم أرباب النِّعم والأموال بالإنتقال من بغدادَ خوفاً من البريدي وظُلمِهِ وتهوُّره . ودخل أبو عبد الله البريدي بغداد ثاني عشر رمضان[3] ونزل بالشفيعي ، ولقيه الوزير أبو الحسين، والقُضاة، والكتَّاب ، وأعيان الناس ، وكان معه من أنواع السفن مالا يُحصى كثرة ، فأنفذ إليه المتّقي يهنئه بسلامته ، وأنفذ إليه طعاماً وغيره عدَّة ليال ، وكان يخاطب بالوزير ، وكذلك أبو الحسين بن ميمون وزير الخليفة أيضاً ، ثم عزل أبو الحسين ، وكانت مدَّة وزارة أبي الحسين ثلاثةَ وثلاثينَ يوماً.

---

(١) في تجارب الأمم « بلسوار » بالراء .

(٢) ذكر ابن مسكويه أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة .

(٣) في تجارب الأمم يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان فنزلوا البستان الشفيعي » .

ثم قبض أبو عبد الله البريدي على أبي الحسين وسيَّره إلى البصرة ، وحبسه بها إلى أن مات في صفر سنة ثلاثين وثلاثمائة ، من حمّى حادة . ثم أنفذ البريدي إلى المتّقي يطلبُ خمسمائة ألف دينار ليفرِّقها في الجند فامتنع عليه ، فأرسل إليه يتهدده ، ويذكِّره ما جرى على المعتز، والمستعين، والمهتدي ,وترددت الرسل ، فأنفذ إليه تمام خمسمائة ألف دينار ، ولم يلقَ البريدي المتقي باللهِ مدةَ مقامه ببغداد .

ذكر عود البريدي إلى واسط

كان البريدي يأمرُ الجند بطلبِ الأموالِ من الخليفة . فلما أنفذ الخليفة إليه المال المذكور، انصرفت أطماع الجند عن الخليفة إلى البريدي وعادت مكيدته عليه فشغب الجند عليه ، وكان الديلم قد قدَّموا على أنفسهم كورتكين الديلمي[١] وقدّم الأتراك على أنفسهم تكينك التركي غلام بجكم . وثار الديلم إلى دار البريدي فأحرقوا دار أخيه أبي الحسين التي كان ينزلها ، ونفروا عن البريدي وانضاف تكينك إليهم ، وصارت أيديهم واحدة واتفقوا على قصد البريدي ، ونهب ما عنده من الأموال، فساروا إلى النجمي ، ووافقهم العامة[٢] ، فقطع البريدي الجسر ووقعت الحرب في الماء ، ووثب العامة بالجانب الغربي على أصحاب البريدي ، فهرب هو وأخوه وابنه أبو القاسم وأصحابه وانحدروا في الماء إلى واسط . ونُهِبَتْ داره في النجمي ودُورِ قوّاده ، وكان هربه سلخ رمضان . وكانت مدة مقامه أربعة وعشرين يوماً .

ذكر امارة كورتكين الدّيلمي

لما هرب البريدي استولى كورتكين على الأمور ببغدادَ ودخل إلى المتّقي لله فقلّده إمارة الأمراء، وخلع عليه واستدعى المتقي علي بن عيسى ، وأخاه عبد الرحمن بن عيسى ، فأمر عبد الرحمن فدبَّر الأمر من غير تسمية بوزارة . ثم ان كورتكين قبض تكينك التركي خامس شوّال وغرقه ليلاً وتفرَّد بالأمر . ثم إن العامة اجتمعوا يوم الجمعة سادس شوّال وتظلموا من الديلم ونزولهم في دورهم بغير أجرة وتعديهم عليهم في معاملاتهم فلم ينكر ذلك. فمنعت العامة الخطيب من الصلاة واقتتلوا

---

(١) في تجارب الامم « فرأسوا على أنفسهم كورنكيج بن الفاراضي الديلمي » .

(٢) في تجارب الامم « وعاونهم العامة » .

هم والدّيلم، فقتل من الفريقين جماعة.

ذكر عود ابن رائق إلى بغداد

في هذه السّنة عاد أبو بكر محمد بن رائق من الشام إلى بغداد، وصار أمير الأمراء. وكان سبب ذلك أن الأتراك البجكمية، لما ساروا إلى الموصل لم يروا عند ابن حمدان ما يريدون، فساروا نحو الشام إلى ابن رائق. وكان فيهم من القواد توزون، وخجخج، ونوشتكين، وصيغون. فلما وصلوا إليه أطمعوه في العود إلى العراق ثم وصلت إليه كتب المتقي يستدعيه، فسار من دمشق في العشرين من رمضان واستخلف على الشام أبا الحسن أحمد بن علي بن مقاتل. فلما وصل إلى الموصل تنحّى عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان فتراسلا واتفقا على أن يتصالحا وحمل ابن حمدان إليه مائة ألف دينار. وسار ابن رائق إلى بغداد فقبض كورتكين على القراريطي الوزير. واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي في ذي القعدة. وكانت وزارة القراريطي ثلاثة وأربعين يوماً. وبلغ خبر ابن رائق إلى أبي عبد الله البريدي فسير إخوته إلى واسط، فدخلوها وأخرجوا الدّيلم عنها وخطبوا له بواسطَ. وخرج كورتكين عن بغداد إلى عكبرا. ووصل إليه ابن رائق فوقعت الحرب بينهم واتصلت عدة أيام. فلما كان ليلة الخميس لتسعٍ بقين من ذي الحجة سار ابن رائق ليلاً من عكبرا هو وجيشه فأصبح ببغداد، فدخلها من الجانب الغربي هو وجميع جيشه ونزل في النجمي. وعبر من الغد إلى الخليفة فلقيه ورَكِبَ المتقي لله معه في الدجلة ثم عاد، ووصل هذا اليوم بعد الظهر كورتكين مع جميع جيشه من الجانب الشرقي. وكانوا يستهزئون بأصحاب ابن رائق ويقولون: أين نزلت هذه القافلة الواصلة من الشام، ونزلوا بالجانب الشرقي. ولما دخل كورتكين بغداد أيس ابن رائق من ولايتها، فأمر بحمل أثقاله والعود إلى الشام فرفع الناس أثقالهم. ثم إنه عزم أن يناوشهم شيئاً من قتال قبل مسيره فأمر طائفة من عسكره أن يعبروا دجلة، ويأتوا الأتراك من ورائهم، ثم إنه ركب في سميرية، وركب معه عدة من أصحابه في عشرين سميرية ووقفوا يرمون الأتراك بالنشاب، ووصل أصحابه وصاحوا من خلفهم واجتمعت العامة مع أصحاب ابن رائق يضجون فظن كورتكين أن العسكر قد جاءه من خلفه ومن بين يديه، فانهزم هو وأصحابه واختفى هو ورجمهم العامة بالآجر وغيره. وقَوِيَ أمرَ ابن رائق وأخذ من

استأمن إليه من الديلم ، فقتلهم عن آخرهم وكانوا نحو أربعمائة . فلم يسلم منهم غير رجل واحد[١] اختفى بين القتلى وحمل معهم في الجواليق وألقي في دجلة فسلم وعاش بعد ذلك دهراً ، وقتل الأسرى من قوّاد الديلم وكانوا بضعة عشر رجلاً . وخلع المتقي على ابن رائق وجعله أمير الأمراء . وأمر أبا جعفر الكرخي بلزوم بيته وكانت وزارته ثلاثة وثلاثين يوماً[٢] . واستولى أحمد الكوفي على الأمر فدبّره. ثم ظفر ابن رائق بكورتكين فحُبِسَ بدار الخليفة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كان بالعراق غلاء شديد فاستسقى الناس في ربيع الأول ، فسقوا مطراً قليلاً لم يجر منه ميزاب ، ثم اشتدَّ الغلاء والوباء وكَثُرَ الموت حتى كان يدفن الجماعة في القبر الواحد، ولا يغسلون ولا يصلّى عليهم . ورخص العقار ببغداد ، والأثاث حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم . وانقضى تشرين الأول وتشرين الثاني والكانونان وشباط ، ولم يجيء مطر غير المطرة التي عند الاستسقاء ثم جاء المطر في آذار ونيسان . وفيها في شوّال استوزر المتقّي لله أبا إسحاق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي بعد عود بني البريدي من بغداد وجعل بدراً الخرشني حاجبه[٣] فبقي وزيراً إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة فقبض عليه كورتكين وكانت وزارته ثلاثة وأربعين يوماً . واستوزر بعده أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي فبقي وزيراً إلى الثامن والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة فعزله ابن رائق لما استولى على الأمور ببغداد فكانت وزارته اثنتين وثلاثين يوماً . ودبّر الأمور أبو عبد الله الكوفي كاتب ابن رائق من غير تسمية بوزارة . وفيها عاد الحجاج إلى العراق لم يصلوا إلى المدينة بل سلكوا الجادة بسبب طالبيّ ظهر بتلك الناحية وقوي أمره . وفيها كَثُرَتْ الحميات ، ووجع المفاصل في الناس ومن عجل الفصاد برأ وإلاّ طال مرضه . وفي أيام الراضي توفي أبو بشر أخو متى بن يونس الحكيم الفيلسوف ، وله تصانيف في شرح كتب ارسطاطاليس . وفيها في ذي الحجة مات بختيشوع بن يحيى الطبيب . وفيها مات

---

(١) قال ابن مسكويه « فلم يسلم منهم إلا رجل يقال له : « خذا كرد » الخ .

(٢) في تجارب الأمم « وكانت وزارته هذه ثلاثة وخمسين يوماً » .

(٣) في النجوم الزاهرة : « وجعله حاجب الحجاب » .

محمد بن عبد الله البلغمي وزير السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسـان ، وكان من عقلاء الرجال[١] . وكان نصر قد صرفه عن وزارته سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، وجعل مكانه محمد بن محمد الجيهاني . وفيها توفي أبو بكر محمد بن المظفر بن محتـاج ودُفِنَ بالصغانيان ، وأبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهـاري رئيس الحنابلة توفي مستتراً ودُفِنَ في تربة نصر القشوري ، وكان عمره ستاً وسبعين سنة[٢] .

---

(١) كان أحد رجال الدهر عقلاً وبلاغة صنف كتاب تلقيح البلاغة . وكتاب المقالات ووقع في شذرات الذهب ٢/ ٣٢٤ « البلعمي » بالعين المهملة .

(٢) قال ابو الفداء في البداية والنهاية ١١/ ٢١٣ : أبو محمد البربهاري العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ صاحب المروزي وسهلاً التستري وتنزه عن ميراث ابيه ـ وكان سبعين ألفاً ـ لأمر كرهه وكان شديداً على أهل البدع والمعاصي وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة .

ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة

ذكر وزارة البريدي

في هذه السّنة وَزِرَ أبو عبد الله البريدي للمتّقي لله ، وكان سبب ذلك أن ابن رائق استوحش من البريدي لأنه أخرّ حمل المال ، وانحدر إلى واسط عاشر المحرم فهرب بنو البريدي إلى البصرة ، وسعى لهم أبو عبد الله الكوفي حتى عادوا وضمنوا بقايا واسط بمائة وتسعين ألف دينار ،[١] ، وضمنوها كل سنة بستمائة ألف دينار ، وعاد ابن رائق إلى بغداد فشغب الجند عليه ثاني ربيع الآخر ، وفيهم توزون ، وغيره من القوّاد ورحلوا في العشر الآخر من ربيع الآخر[٢] إلى أبي عبد الله البريدي بواسطَ ، فلما وصلوا إليه قوى بهم جانبه فاحتاج ابن رائق إلى مداراته، فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة وأنفذ له الخلع واستخلف أبا عبد الله بن شيرزاد[٣] ، ثم وردت الأخبار إلى بغداد بعزم البريدي على الإصعاد إلى بغداد ، فأزال ابن رائق اسم الوزارة عنه وأعاد أبا إسحاق القراريطي ولعن بني البريدي على المنابر بجانبي بغداد.

ذكر استيلاء البريدي على بغداد وإصعاد المتّقي إلى الموصل

وسيَّر أبو عبد الله البريدي أخاه أبا الحسين إلى بغداد في جميع الجيش من الأتراك والديلم ، وعزم ابن رائق على أن يتحصن بدار الخليفة فأصلح سورها ، ونصب عليه العرادات والمنجنيقات ، وعلى دجلة ، وأنهض العامة وجنَّد بعضهم ، فثاروا في بغداد، وأحرقوا ونهبوا وأخذوا الناس ليلاً ونهاراً . وخرج المتقي لله ، وابن رائق إلى

---

(١) في تجارب الأمم : « بمائة وسبعين ألف دينار » .

(٢) في تجارب الأمم : « ورحلوا سحر يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر » .

(٣) في تجارب الأمم : « واستخلف له أبا جعفر بن شيرزاد » .

نهر ديالي منتصف جُمادى الآخرة . ووافاهم أبو الحسين عنده في الماء والبر واقتتل الناس ، وكانت العامة على شاطىء دجلة في الجانبين يقاتلون من في الماء من أصحاب البريدي . وانهزم أهل بغداد واستولى أصحاب البريدي على دار الخليفة، ودخلوا إليها في الماء وذلك لتسع بقينَ من جُمادى الآخرة، وهرب المتقي، وابنه الأمير أبو منصور في نحو عشرين فارساً ولحِقَ بهما ابن رائق في جيشه ، فساروا جميعاً نحو الموصل ، واستتر الوزير القراريطي وكانت مدة وزارته الثانية أربعين يوما [١] وإمارة ابن رائق ستة أشهر، وقتل أصحاب البريدي من وجدوا في دار الخليفة من الحاشية ونهبوها ونهبوا دُورَ الحرم وكَثُرَ النهب في بغداد ليلاً ونهاراً. وأخذوا كورتكين من حبسه ، وأنفذه أبو الحسين إلى أخيه بواسطَ فكان آخر العهد به ، ولم يتعرضوا للقاهر بالله. ونزل أبو الحسين بدارِ مؤنس التي يسكنها ابن رائق ، وعظُم النهب ، فأقام أبو الحسين توزون على الشرطة بشرقي بغداد ، وجعل نوشتكين على شرطة الجانب الغربي فسكن الناس شيئاً يسيراً ، وأخذ أبو الحسين البريدي رهائن القوّاد الذين مع توزون . وغيره وأخذ نساءهم، وأولادهم فسيرهم إلى أخيه أبي عبد الله بواسطَ .

ذكر ما فعله البريدي ببغداد

لما استولى على بغداد أخذ أصحابه في النهب والسلب ، وأخذ الدواب وجعلوا طلبها طريقاً إلى غيرها من الأثاث وكُبِسَتْ الدور وأُخرِجَ أهلها منها ونزلت وعظم الأمر ، وجعل على كرٍ من الحنطة والشعير وأصناف الحبوب خمسة دنانير وغلت الأسعار فبيعَ الكر الحنطة بثلاثمائة وستة عشر ديناراً ، والخبز الخشكوار رطلين بقيراطين صحيح أميري ، وحبط أهل الذمة وأخذ القوي بالضعيف، وورد من الكوفة وسوادها خمسمائة كرّ من الحنطة والشعير، فأخذه جميعه وادّعى أنه للعامل بتلك الناحية ووقعت الفتن بين الناس ، فمن ذلك أنه كان معه طائفة من القرامطة فجرى بينهم ، وبين الأتراك حرب قتل فيها جماعة ، وانهزم القرامطة وفارقوا بغداد ، ووقعت حرب بين الدّيلم والعامة ، قُتِلَ فيها جماعةٌ من حد نهر طابق[١] إلى القنطرة الجديدة .

---

(١) في تجارب الأمم « أحد وأربعين يوماً » .

وفي آخر شعبان زاد البلاء على الناس ، فكبَسوا منازلهم ليلاً ونهاراً واستتر أكثر العمال لعظيم ما طولبوا به ، مما ليس في السوّاد ، وافترق الناس ، فخرج الناس وأصحاب السلطان إلى قُرب من بغداد فحصدوا ما استحصدوا من الحنطة ، والشعير ، وحملوه بسنبله إلى منازلهم . وكان مع ذلك ينهب ويعسف أهل العراق ، ويظلمهم ظلماً لم يُسمع بمثله قط ، والله المستعان ، وإنما ذكرنا هذا الفصل ليعلم الظلمة أن أخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر فربما تركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله سبحانه وتعالى .

ذكر قتل ابن رائق وولاية ابن حمدان أمرة الأمراء

كان المتقي لله قد أنفذ إلى ناصر الدولة بن حمدان يستمدَّه على البريديين . فأرسل أخاه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان نجدة له في جيش كثيف ، فلقي المتقي ، وابن رائق بتكريت قد انهزما . فخدم سيف الدولة للمتقي لله خدمة عظيمة ، وسار معه إلى الموصل ، ففارقها ناصر الدولة إلى الجانب الشرقي وتوجّه نحو معلثايا . وترددت الرسل بينه وبين ابن رائق حتى تعاهدا واتفقا . فحضر ناصر الدولة ونزل على دجلة بالجانب الشرقي فعَبَرَ إليه الأمير أبو منصور بن المتقي . وابن رائق يسلّمان عليه ، فنثر الدنانير والدراهم على ولد المتقي . فلما أرادوا الانصراف من عنده ركب ابن المتقي ، وأراد ابن رائق الركوب فقال له ناصر الدولة : تقيمُ اليوم عندي لنتحدَّثَ فيما نفعله، فاعتذر ابن رائق بابن المتقي . فألحَّ عليه ابن حمدان، فاستراب به وجذب كمه من يده فقطعه وأراد الركوب فشبَّ به الفرس ، فسقط، فصاح ابن حمدان بأصحابه اقتلوه ، فقتلوه وألقوه في دجلة . وأرسل ابن حمدان إلى المتقي يقول : إنه علم أن ابن رائق أراد أن يغتاله ففعل به ما فعل ، فردَّ عليه المتقي رداً جميلاً وأمره بالمسير إليه ، فسار ابن حمدان إلى المتّقي لله فخَلَعَ عليه ولقَّبه ناصر الدولة ، وجعله أمير الأمراء، وذلك مستهل شعبان . وخلع على أخيه أبي الحسين عليّ ولقَّبه سيف الدولة . وكان قتل ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب . ولما قُتِلَ ابن رائق سار الإخشيد من مصر إلى دمشق ، وكان بها محمد بن يزداد خليفة ابن رائق ، فاستأمن إلى الأخشيد وسلَّم إليه دمشق ، فأقرَّهُ عليها ، ثم نقله عنها إلى مصر وجعله على شرطتها. يقال : أن لابن رائق شعراً مِنْهُ :

يصفــر وجهي إذا مــا تــأملـه طـرفي ويحمـر وجهــه خجـلا
حتى كــأن الــذي بــوجنتــه من دم قلبي إليــه قــد نــقــلا

وقد قيل : إنه للراضي بالله وقد تقدم

ذكر عود المتّقي إلى بغداد وهرب البريدي عنها

لما استولى أبو الحسين البريدي على بغداد، وأساء السّيرة ، كما ذكرناه ، نفرت عنه قلوب الناس العامة والأجناد . فلما قُتِلَ ابن رائق سارع الجنـد إلى الهرب من البريدي ، فهرب خجخج إلى المتقي ، وكان قد استعمله البريدي على الراذانات وما يليها . ثم تحالف توزون ، ونوشتكين ، والأتراك على كبس أبي الحسين البريدي فغدر نوشتكين، فأعلم البريدي الخبر فاحتاط، وأحضر الديلم عنده ، وقصده توزون فحاربه الديلم . وعلم توزون غدر نوشتكين به ، فعاد ومعه جملة وافرة من الأتراك، وسار نحو الموصل خامس رمضان . فقوّي بهم ابن حمدان وعـزم على الانحدار إلى بغـداد، وتجهّز ، وانحدر هو والمتّقي . واستعمل على أعمال الخراج والضِّياع بديار مضر وهي الرّها ، وحرَّان ، والرَّقة أبا الحسن علي بن طياب وسيّره من الموصل . وكان على ديار مضـر أبو الحسين أحمـد بن عليّ بن مقاتـل خليفة لابن رائق ، فـاقتتلوا، فقتل أبـو الحسين بن مقاتل واستولى ابن طياب عليها . فلما قارب المتّقي لله . وناصر الدولة بن حمدان بغداد هرب أبو الحسين منها إلى واسطَ . واضطربت العامة ببغداد ونهب الناس بعضهم بعضاً . وكان مقام أبي الحسين ببغدادَ ثلاثة أشهـر وعشرين يـوماً . ودخـل المتّقي لله إلى بغداد ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة . واستوزر المتّقي أبا إسحاق القراريطي وقلد توزون شرطة جانبي بغداد وذلك في شوّال .

ذكر الحرب بين ابن حمدان والبريدي

لما هرب أبو الحسين البريدي إلى واسطَ، ووصل بنحو حمدان والمتقي إلى بغداد، خرج بنو حمدان عن بغداد نحو واسط ، وكان أبو الحسين قد سار من واسطَ إليهم ببغداد، فأقام ناصر الدولة بالمدائن، وسيّر أخاه سيف الدولة، وابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان في الجيش إلى قتال أبي الحسين ، فالتقوا تحت المدائن بفرسخين، واقتتلوا عدَّةَ أيام آخرها رابع ذي الحجة . وكان توزون ، وخجخج والأتراك

مع ابن حمدان ، فانهزم سيف الدولة ومن معه إلى المدائن ، وبها ناصر الدولة فردّهم وأضاف إليهم من كان عنده من الجيش . فعاودوا القتال، فانهزم أبو الحسين البريدي وأُسِرَ جماعة من أعيان أصحابه وقُتِلَ جماعة ؛ وعاد أبو الحسين البريدي منهزماً إلى واسط ، ولم يقدر سيف الدولة على اتباعه إليها ، لما في أصحابه من الوهن والجراح . وكان المتقي قد سيّر أهله من بغدادَ إلى سُرَّ من رُأى، فأعادهم . وكان أعيان الناس قد هربوا من بغداد ، فلما انهزم البريدي عادوا إليها ، وعاد ناصر الدولة بن حمدان إلى بغداد، فدخلها ثالث عشر ذي الحجة وبين يديه الأسرى على الجمال . ولما استراح سيف الدولة وأصحابه انحدروا من موضع المعركة إلى واسط ، فرأوا البريديين قد انحدروا إلى البصرة ، فأقام بواسط ومعه الجيش. وسنذكر من أخباره سنة احدى وثلاثين . ولما عاد ناصر الدولة إلى بغداد نظر في العيار فرآه ناقصاً ، فأمر بإصلاح الدنانير . فضرب دنانير سماها الإبريزية عيارها خير من غيرها . فكان الدينار بعشرة دراهم ، فبيع هذا الدينار بثلاثة عشر درهماً .

ذكر استيلاء الديلم على اذربيجان

كانت اذربيجان بيد ديسم بن إبراهيم الكردي، وكان قد صَحِبَ يوسف بن أبي السّاج ، وخدم وتقدم ، حتى استولى على اذربيجان ، وكان يقول بمذهب الشراة هو وأبوه،وكان أبوه من أصحاب هارون الشاري . فلما قتل هارون هرب إلى أذربيجان، وتزوّج ابنة رئيس من أكرادها ، فولّدت له ديسم ، فانضمَّ إلى أبي الساج ، فارتفع وكَبُرَ شأنه ، وتقدم إلى أن مَلَكَ اذربيجان بعد يوسف بن أبي الساج . وكان معظم جيوشه الأكراد إلّا نفراً يسيراً من الدَّيلم من عسكر وشمكير ، أقاموا عنده حين صحبوه إلى أذربيجان . ثم إن الأكراد تقووا وتحكموا عليه ، وتغلبوا على بعض قلاعه وأطراف بلاده ، فرأى بأن يستظهر عليهم بالديلم ، فاستكثر ذلك منهم . وكان فيهم صعلوك بن محمد بن مسافر ، وعليّ بن الفضل ، وغيرهما ، فأكرمهم ديسم وأحسن إليهم ، وانتزع من الأكراد ما تغلّبوا عليه من بلاده ، وقبض على جماعة من رؤسائهم .

وكان وزيره أبا القاسم عليّ بن جعفر ـ وهو من أهل أذربيجان ـ فسعى به أعداؤه فأخافه ديسم، فهرب إلى الطرم إلى محمد بن مسافر . فلما وصل إليه رأى ابنيه وهسوذان ، والمرزبان ، قد استوحشا منه واستوليا على بعض قلاعه . وكان سبب

وحشتهما سوء معاملته معهما ومع غيرهما، ثم إنهما قبضا على أبيهما محمد بن مسافر، وأخذا أمواله وذخائره وبقي في حصن آخر وحيداً فريداً بغير مال ولا عِدّة. فرأى عليّ بن جعفر الحال فتقرَّبَ إلى المرزبان وخدمه وأطمعه في أذربيجان، وضمن له تحصيل أموال كثيرة، يعرف هو وجوهها فقلَّدَهُ وزارته.

وكان يجمعهما مع الذي ذكرنا أنهما كانا من الشيعة فإن عليّ بن جعفر كان من دعاة الباطنية والمرزبان مشهور بذلك. وكان ديسم كما ذكرنا، يذهب إلى مذهب الخوارج في بغض عليّ عليه السلام، فنفر عنه من عنده من الديلم، وابتدأ عليّ بن جعفر، فكاتب من يعلم أنه يستوحش من ديسم ويستميله إلى أن أجابه أكثر أصحابه، وفسدت قلوبهم على ديسم وخاصة الديلم. وسار المرزبان إلى أذربيجان، وسار ديسم إليه. فلما التقيا للحرب عاد الدّيلم إلى المرزبان، وتبعهم كثير من الأكراد مستأمنين، فحمل المرزبان على ديسم فهرب في طائفة يسيرة من أصحابه إلى أرمينية، واعتصم بحاجيق بن الديراني لمودة بينهما فأكرمه. واستأنف ديسم يؤلف الأكراد وكان أصحابه يشيرون عليه بإبعاد الديلم لمخالفتهم أياه في الجنس والمذهب، فعصاهم. وملك المرزبان أذربيجان واستقام أمره إلى أن فسد ما بينه وبين وزيره عليّ بن جعفر.

وكان سبب الوحشة بينهما أن علياً أساء السيرة مع أصحاب المرزبان فتضافروا عليه فأحسَّ بذلك، فاحتال على المرزبان، فأطمعه في أموال كثيرة، يأخذها له من بلد تبريز[1]. فضمَّ إليه جنداً من الديلم وسيّرهم إليها. فاستحال على أهل البلد[2] فعرّفهم أن المرزبان إنما سيَّره إليهم ليأخذ أموالهم، وحسَّن لهم قتل من عندهم من الديلم ومكاتبة ديسم ليقدم عليهم، فأجابوه إلى ذلك، وكاتب ديسم، ووثب أهل البلد بالديلم فقتلوهم ـ وسار ديسم فيمن اجتمع إليه من العسكر إلى تبريز، وكان المرزبان قد أساء إلى من استأمن إليه من الأكراد، فلما سمعوا بديسم أنه يريد تبريز ساروا إليه، فلما اتصل ذلك بالمرزبان ندم على إيحاش عليّ بن جعفر واستماع أعدائه فيه ثم جمع عسكره، وسار إلى تبريز فتحارب، وهو وديسم بظاهر تبريز، فانهزم ديسم

---

(١) قال ابن مسكويه: «وتبريز هذه مدينة جليلة وعليها سور حصين وحواليها غياض واشجار مثمرة وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار».

(٢) في ابن مسكويه «فلما تمكن بها استمال اهل البلد» ولعل ما هنا محرف.

والأكراد وعادوا فتحصَّنوا بتبريزَ ، وحصرهم المرزبان . وأخذ في اصلاح[١] عليّ بن جعفر ، ومراسلته وبذل له الإيمان على ما يريده ، فأجابه علي أنني لا أريد من جميع ما بذلته إلاّ السلامة ، وترك العمل ، فأجابه إلى ذلك وحَلَفَ له .

واشتدَّ الحصار على ديسم ، فسار من تبريز إلى أردبيل[٢] . وخرج عليّ بن جعفر إلى المرزبان ، فساروا إلى أردبيل وترك المرزبان على تبريز من يحصرها ، وحصر هو ديسم بأردبيل . فلما طال الحصار عليه طلب الصلح وراسل المرزبان في ذلك ، فأجابه إليه فاصطلحا . وتسلّم المرزبان أردبيل ، فأكرم ديسم وعظَّمَهُ ووفى له بما حَلَفَ له عليه ، ثم إن ديسم خاف على نفسه من المرزبان ، فطلب منه أن يسيِّره إلى قلعته بالطرم (٣) ، فيكون فيها هو وأهله ويقنع بما يتحصل له منها ، ولا يكلِّفهُ شيئاً آخر ، ففعل المرزبان ذلك ، وأقام ديسم بقلعته هو وأهله .

ذكر استيلاء أبي عليّ بن محتاج على بلد الجبل وطاعة وشمكير للسامانية

قد ذكرنا سنة تسع وعشرين مسير أبي عليّ بن محتاج صاحب جيوش خراسان للسّامانية إلى الرّي ، وأخذها من وشمكير ، ومسير وشمكير إلى طبرستان ، وأقام أبو عليّ بالري بعد ملكها تلك الشتوة ، وسيَّر العساكر إلى بلد الجبل ، فافتتحها واستولى على زنكان ، وأبهر، وقزوين ، وقم ، وكرج، وهمذان، ونهاوند ، والدينور إلى حدود حلوان ، ورتَّبَ فيها العمال وجبى أموالها .

وكان الحسن بن الفيرزان بسارية فقصده وشمكير وحصره فسار إلى أبي عليّ واستنجده، وأقام وشمكير متحصناً بسارية. فسار إليه أبو عليّ ومعه الحسن وحصره بها سنة ثلاثين ، وضيّق عليه وألحَّ عليه بالقتال كل يوم وهم في شتاء شاتٍ كثير المطر ، فسأل وشمكير الموادعة فصالحه أبو عليّ ، وأخذ رهائنه على لزوم طاعة الأمير نصر بن أحمد السّاماني ورحل عنه إلى جرجان في جُمادى الآخرة، سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة . فأتاه موت الأمير نصر بن أحمد فسار عنها إلى خراسان .

---

(١) في تجارب الأمم « في استصلاح » .

(٢) في تجارب الأمم « واشتد الحصار على ديسم فثلم ثلمة في سور المدينة ليلاً وخرج منها هو وأصحابه إلى أرْدبيل » الخ .

(٣) الطَرْم : بالفتح ثم السكون : ناحية كبيرة بالجبال المشرفة على قزوين في طرف بلاد الديلم .

ذكر استيلاء الحسن بن الفيرزان على جرجان

كان الحسن بن الفيرزان عمَّ ما كان بن كالي ، وكان قريباً منه في الشجاعة . فلما قُتِلَ ماكان راسله وشمكير ليدخلَ في طاعته فلم يفعل . وكان بمدينة سارية ، وصار يسبُّ وشمكير وينسبه إلى المواطأة على قتل ماكان ، فقصده وشمكير ، فسار الحسن من سارية إلى أبي عليّ صاحب جيوش خراسان ، واستنجده ، فسار معه أبو عليّ من الرّي ، فحصر وشمكير بسارية وأقام يحاصره إلى سنة إحدى وثلاثين ، واصطلحا ، وعاد أبو عليّ إلى خراسان وأخذ ابنا لوشمكير اسمه سالار رهينة . وصحبه الحسن بن الفيرزان ـ وهو كاره للصلح ـ فبلغه وفاة السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان . فلما سمع الحسن ذلك عزم على الفتك بأبي عليّ ، فثار به وبعسكره فسلَّم أبو عليّ ، ونهب الحسن سواده ، وأخذ ابن وشمكير ، وعاد إلى جرجان ، فملكها وملك الدامغان ، وسمنان . ولما وصل أبو علي إلى نيسابور رأى إبراهيم بن سيمجور الدواتي ، قد امتنع عليه بها ، وخالفه فترددَتْ الرسل بينهم ، فاصطلحوا .

ذكر ملك وشمكير الرّي

لما انصرف أبو عليّ إلى خراسان ، وجرى عليه من الحسن ما ذكرناه ، وعاد إلى جرجان سار وشمكير من طبرستان إلى الرّي ، فملكها واستولى عليها ، وراسله الحسن بن الفيرزان ، يستميله وردَّ عليه ابنه سالار الذي كان عند أبي عليّ رهينة وقصد أن يتقوى به على الخراسانية إن عادو إليه . فألان له وشمكير الجواب ، ولم يصرِّح بما يخالف قاعدته مع أبي عليّ .

ذكر استيلاء ركن الدولة على الرّي

لما سَمِعَ ركن الدولة ، وأخوه عماد الدولة ابنا بويه بمُلكِ وشمكير الرّي طمعا فيه ، لأن وشمكير كان قد ضَعُفَ وقَلّتْ رجاله وماله بتلك الحادثة مع أبي عليّ . فسار ركن الدولة الحسن بن بويه إلى الرّي واقتتل هو ووشمكير ، فانهزم وشمكير ، واستأمن كثير من رجاله إلى ركن الدولة . فسار وشمكير إلى طبرستان ، فقصده الحسن بن الفيرزان فأستأمن إليه كثير من عسكره أيضاً ، فانهزم وشمكير إلى خراسان. ثم إن الحسن بن الفيرزان راسل ركن الدولة وواصله ، فتزوّج ركن الدولة بنتاً للحسن،

فولدت له ولده فخر الدولة علياً . وكان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث بعد وفاة السعيد نصر بن أحمد ، وإنما ذكرناها هنا ليتلو بعضها بعضاً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة صُرِفَ بدار الخرشني عن حجبة الخليفة ، وجعل مكانه سلامة الطولوني . وفيها ظهر كوكب في المحرم بذنب عظيم في أول برج القوس ، وآخر برج العقرب بين الغرب والشمال ، وكان رأسه في المغرب وذنبه في المشرق . وكان عظيماً منتشر الذنب وبقي ظاهراً ثلاثة عشر يوماً وسار في القوس والجدي ، ثم اضمحلّ. وفيها اشتدَّ الغلاء لا سيما بالعراق وبيع الخبز أربعة أرطال بقيراطين صحيح أميري ، وأكل الضعفاء الميتة ، وكثر الوباء والموت جداً . وفيها في ربيع الآخر وصل الروم إلى قريب حلب ، ونهبوا ، وخربوا البلاد ، وسبوا نحو خمسة عشر ألف إنسان . وفيها دخل الثملي من ناحية طرسوس إلى بلاد الروم ، فقتل وسبى وغنم ، وعاد سالماً وقد أسر عدَّة من بطارقتهم المشهورين . وفيها في ذي القعدة قلّد المتّقي لله بدراً الخرشني طريق الفرات ، فسار إلى الإخشيد مستأمناً فقلَّدُهُ بلدة دمشق . فلما كان بعد مدة حُمَّ ومات بها .

وفيها في جُمادى الآخرة ولد أبو منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه وهو مؤيد الدولة . وفيها توفّي أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي وله تصانيف في أصول الفقه . وفيها توفي القاضي أبو عبد الله بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل المحاملي الفقيه الشافعي ـ وهو من المكثرين في الحديث ـ وكان مولده سنة خمس وثلاثين ومائتين . وكان على قضاء الكوفة، وفارس ، فاستعفى من القضاء وألحّ في ذلك فأُجِيْبَ إليه[١] . وفيها توفي أبو الحسن عليّ بن اسماعيل بن أبي بشر الأشعري المتكلم صاحب المذهب المشهور ، وكان مولده سنة ستين ومائتين وهو من ولد أبي موسى الأشعري[٢] . وفيها مات محمد بن محمد الجيهاني وزير السعيد

---

(١) وقد ادرك خلقاً من اصحاب ابن عيينة نحواً من سبعين رجلاً . وكان صدوقاً ديناً فقيهاً محدثاً ولي قضاء الكوفة ستين سنة وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها.

(٢) وذكره غير المؤلف في وفيات سنة اربع وعشرين وثلاثمائة انظره صفحة ٢٥٧ من هذا الجزء . قال ابن كثير ١١ / ٢٢٠ قلت : الصحيح أن الأشعري توفي سنة اربع وعشرين وثلاثمائة .

نصر بن أحمد تحت الهدم . وفيها توفّي محمد بن يوسف بن النضر الهروي الفقيه الشافعي ، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين، وأخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعي وتعلَّم منه .

ثم دخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة

ذكر ظفر ناصر الدولة بعدل البجكمي

في هذه السّنة ظفر أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان بعدل حاجب بجكم وسمله ، وسيّره إلى بغداد. وسبب ذلك أن عدلاً صار بعد قتل بجكم مع ابن رائق ، وسار معه إلى بغداد، وصعد معه إلى الموصل . فلما قَتَلَ ناصر الدولة أبا بكر بن رائق ، كما ذكرناه صار عدل في جملة ناصر الدولة فسيَّره ناصر الدولة مع عليّ بن خلف بن طياب إلى ديار مضر والشام الذي كانت بيد ابن رائق ، وكان بالرحّبة من جهة ابن رائق رجل يُقال له مسافر بن الحسن ، فلما قُتِلَ ابن رائق استولى مسافر هذا على الناحية، ومنع منها وجبى خراجها، فأرسل إليه ابن طياب عدلاً في جيش ليخرجَه عن الرحبة ، فلما سار إليها فارقها مسافر من غير قتال وملك عدل الحاجب البلد . وكاتب من بغدادَ من البجكمية فقصدوه مستخفين فقوي أمره بهم ، واستولى على طريق الفرات وبعض الخابور ، ثم ان مسافراً جمع جمعاً من بني نُمير ، وسار إلى قرقيسيا، فأخرج منها أصحاب عدل وملكها ، فسار عدل إليها واستتر عنها ، وعزم عدل على قصد الخابور ، وملكه فاحتاط أهله منه واستنصروا ببني نُمير ، فلما علم ذلك عدل ترك قصدهم ، ثم صار يركب كل يوم قبل العصر بساعة في جميع عسكره ويطوف صحارى قرقيسيا إلى آخر النهار وعيونه تأتيه من أهل الخابور ، بأنهم يحذرون كلما سمعوا بحركته ، ففعل ذلك أربعين يوماً .

فلما رأى أهل الخابور اتصال ركوبه وإنه لا يقصدهم فرّقوا جمعهم ، وأمنوه فأتته عيونه بذلك على رسمه. فلما تكامل رجاله أمرهم بالمسير، وأن يرسلوا غلمانهم في حمل أثقالهم، وسار لوقته فصبح الشمسانية ـ وهي من أعظم قرى الخابور وأحصنها ـ فتحصَّن أهلها منه فقاتلهم ونقب السور، وملكها وقتل فيها وأخذ من أهلها مالاً كثيراً،

وأقام بها أياماً، ثم سار إلى غيرها ، فبقي في الخابور ستة أشهر فجبى الخراج ، والأموال العظيمة ، واستظهر بها وقوّى أصحابه بما وصل إليهم أيضاً وعاد إلى الرّحبة ، واتسعت حاله واشتدّ أمره وقصده العساكر من بغداد فعظم حاله . ثم أنه سار يريد نصيبين لعلمه ببُعدِ ناصر الدولة عن الموصل ، والبلاد الجزيرية . ولم يمكنه قصد الرّقة وحرّان لأنها كان بها يأنس المؤنسي في عسكره ، ومعه جمع من بني نُمير ، فتركها وسار إلى رأس عين ، ومنها إلى نصيبين ، فاتصل خبره بالحسين بن حمدان فجمع الجيش وسار إليه إلى نصيبين ، فلما قَرُبَ منه لقيه عدل في جيشه . فلما التقى العسكران استأمن أصحابه من عدل إلى ابن حمدان ، وبقي معه منهم نفر يسيرٌ من خاصته، فأسره ابن حمدان وأسر معه ابنه فسمل عدلاً ، وسيَّرهما إلى بغداد، فوصلها في العشرين من شعبان فشهر هو وابنه فيها .

ذكر حال سيف الدولة بواسط

قد ذكرنا مقام سيف الدولة عليّ بن حمدان بواسط بعد انحدار البريديين عنها ، وكان يريد الإنحدار إلى البصرة لأخذها من البريدي ولا يمكنه لقلة المال عنده ويكتب إلى أخيه في ذلك فلا ينفذ إليه شيئاً ، وكان توزون ، وخجخج يسيئان الأدب ويتحكمان عليه ، ثم أن ناصر الدولة أنفذ إلى أخيه مالاً مع أبي عبد الله الكوفي ليفرقه في الأتراك فأسمعه توزون . وخجخج المكروه ، وثارا به فأخذه سيف الدولة ، وغيبه عنهما وسيَّره إلى بغداد . وأمر توزون أن يسير إلى الجامدة ، ويأخذها وينفرد بحاصلها . وأمر خجخج أن يسير إلى مذار ، ويحفظها ويأخذ حاصلها .

وكان سيف الدولة يزهد الأتراك في العراق ، ويحسن لهم قصد الشام معه والاستيلاء عليهاوعلى مصر ويقع فى أخيه عنهم ، فكانوا يصدقونه في أخيه ولا يجيبونه إلى المسير إلى الشام معه ، ويتسحبون عليه وهو يجيبهم إلى الذي يريدونه ، فلما كان سلخ شعبان ثار الأتراك بسيف الدولة فكبسوه ليلاً ، فهرب من معسكره إلى بغداد ونهب سواده، وقتل جماعة من أصحابه . وأما ناصر الدولة فإنه لما وصل إليه أبو عبد الله الكوفي وأخبره الخبر برز ليسير إلى الموصل ، فركب المتقي إليه ، وسأله التوقف عن المسير فأظهر له الإجابة إلى أن عاد ، ثم سار إلى الموصل ونُهِبَتْ داره ، وثار الديلم والأتراك ودبّر الأمر أبو إسحاق القراريطي من غير تسمية بوزارة . وكانت إمارة ناصر الدولة أبي

محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان ببغداد، ثلاثة عشر شهراً وخمسة أيام . ووزارة أبي العباس الأصبهاني إحداً وخمسين يوماً. ووصل سيف الدولة إلى بغداد.

ذكر حال الأتراك بعد إصعاد سيف الدولة

لما هَرَبَ سيف الدولة من واسط، عاد الأتراك إلى معسكرهم فوقع الخلاف بين توزون وخجخج وتنازعا الأمارة. ثم استقر الحال على أن يكون توزون أميراً وخجخج صاحب الجيش ، وتصاهرا وطمع البريدي في واسط فأُصعِدَ إليها . فأمر توزون خجخج بالمسير إلى نهر أبان . وراسل البريدي إلى توزون يطلب أن يضمِّنه واسط ، فردَّه رداً جميلاً ولم يفعل . ولما عاد الرسول اتبعه توزون بجاسوس يأتيه بخبره مع خجخج ، فعاد الجاسوس فأخبر توزون بأن الرَّسول ، اجتمع هو وخجخج ، وطال الحديث بينهما ، وأنّ خجخج يريد أن ينتقل إلى البريدي . فسار توزون إليه جريدة في مائتي غلام يثق بهم وكبسه في فراشه ليلة الثاني عشر من رمضان، فلما أحسَّ به ركب دابته بقميص وفي يده لت ودفع عن نفسه قليلاً، ثم أخذ وحمل إلى توزون، فحمله إلى واسط فسمله[١] . وأعماه ثاني يوم وصوله إليها.

ذكر عود سيف الدولة إلى بغداد وهربه عنها

لما هرب سيف الدولة على ما ذكرنا، لحق بأخيه فبلغه خلاف توزون، وخجخج، فطمع في بغداد فعاد ونزل بباب حرب ، وأرسل إلى المتقي لله يطلب منه مالاً ليقاتل توزون ان قصد بغداد. فأنفذ إليه أربعمائة ألف درهم ، ففرّقها في أصحابه، وظهر من كان مستخفياً ببغداد وخرجوا إليه ، وكان وصوله ثالث عشر رمضان ، ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة إلى بغداد، خلف بواسطَ كيغلغ في ثلاثمائة رجل وأُصعِدَ إلى بغداد. فلما سمع سيف الدولة بإصعاده رحل من باب حرب فيمن انضمَّ إليه، من أجناد بغداد وفيهم الحسن بن هارون .

ذكر امارة توزون

قد ذكرنا مسير سيف الدولة من بغداد فلما فارقها دخلها توزون ، وكان دخوله

---

(١) زاد في تكملة الطبري : « في دار عبد الله بن يونس » .

بغداد في الخامس والعشرين من رمضان فخلع عليه المتقي لله وجعله أمير الأمراء وصار أبو جعفر الكرخي كاتب توزون ينظر في الأمور كما كان الكوفي ينظر فيها . ولما سار توزون عن واسطَ أُصعِدَ إليها البريدي ، فهرب من بها من أصحاب توزون إلى بغداد. ولم يمكن توزون المبادرة إلى واسط إلى أن تستقر الأمور ببغداد، فأقام إلى أن مضى بعض ذي القعدة . وكان توزون قد أسر غلاماً عزيزاً على سيف الدولة قريباً منه يقال له : ثمال[1] فأطلقه وأكرمه ، وأنفذ إليه فحسَّن موقع ذلك من بني حمدان ، ثم أن توزون انحدر إلى واسطَ لقصد البريدي ، فأتاه أبو جعفر بن شيرزاد هارباً من البريدي فقبَّله وفرح به وقلَّده أموره كلها .

ذكر مسير صاحب عمان إلى البصرة

في هذه السّنة في ذي الحجة ، سار يوسف بن وجيه صاحب عمان في مراكب كثيرة يريد البصرة ، وحارب البريدي فملك الابلة وقوي قوة عظيمة ، وقارب أن يملك البصرة ، فأشرف البريدي وإخوته على الهلاك . وكان له ملّاح يعرف بالرنادي[2] ، فضمن للبريدي هزيمة يوسف فوعدَه الإحسان العظيم، وأخذ الملّاح زورقين، فملأهما سعفاً يابساً ، ولم يعلم به أحد وحدرهما في الليل حتى قارب الإبلة ، وكانت مراكب ابن وجيه تشدُّ بعضها إلى بعض في الليل فتصير كالجسر . فلما انتصف الليل أشعل ذلك الملّاح النار في السعف الذي في الزورقين ، وأرسلهما مع الجزر والنار فيهما فأقبلا أسرع من الريح ، فوقعا في تلك السفن ، والمراكب فاشتعلت ، واحترقت قلوعها ، واحترق من فيها ونهب الناس منها مالاً عظيماً ومضى يوسف بن وجيه هارباً في المحرم سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وأحسنَ البريدي إلى ذلك الملّاح. وفي هذه الفتنة هرب ابن شيرزاد من البريدي وأصعد إلى توزون.

ذكر الوحشة بين المتقي لله وتوزون

كان محمد بن ينال الترجمان من أكبر قوّاد توزون ـ وهو خليفته ببغداد ـ فلما انحدر توزون إلى واسطَ سعى بمحمد إليه وقبَّح ذكره عنده فبلغ ذلك محمداً ، فنفر

---

(١) في تجارب الأمم : « ثمل ».

(٢) في تجارب الأمم « يعرف بالزيادي » .

منه . وكان الوزير أبو الحسين بن مقلة قد ضَمِنَ القرى المختصة بتوزون ببغداد، فخسر فيها جملة. فخاف أن يطالب بها ، وانضاف إلى ذلك اتصال ابن شيرزاد بتوزون ، فخافه الوزير وغيره ، وظنّوا أن مسيره إلى توزون بإتفاق من البريدي . فاتفق الترجمان وابن مقلة وكتبوا إلى ابن حمدان لينفذ عسكراً يسيراً صحبه المتقي لله إليه ، وقالـوا للمتقي : قد رأيْتَ ما فعل معك البريدي بالأمس ، أخذ منـك خمسمائـة ألف دينار وأخرجْتَ على الأجناد مثلها وقد ضمنك البريدي من توزون بخمسمـائة ألف دينـار أخرى ، زعم أنها في يدك من تركة بجكم ، وابن شيرزاد واصل ليتسلمك ، ويخلعك ويسلِّمك الى البريدي فانزعج لذلك وعزم على الإصعاد إلى ابن حمدان، وورد ابن شيرزاد في ثلاثمائة رجل جريدة.

ذكر موت السعيد نصر بن أحمد بن اسماعيل

في هذه السّنة توفّي السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل صاحب خراسان وما وراء النهر في رجب . وكان مرضه السِّل، فبقي مريضاً ثلاثة عشر شهراً . ولم يكن بقي من مشايخ دولتهم أحـد ، فإنهم كـانوا قـد سعى بعضهم ببعض فهلك بعضهم ، ومات بعضهم ، وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوماً . وكان عمـره ثمانيـاً وثلاثين سنة ، وكان حليماً كريماً عاقلاً ، فمن حلمه أن بعض الخدم سرق جوهراً نفيساً وباعه على بعض التجار بثلاثة عشر ألف درهم ، فحضر التاجر عند السعيد وأعلمه أنه قد اشترى جوهراً نفيساً لا يصلح إلاّ للسلطان ، وأحضر الجوهر عنده فحين رآه عرفه أنه كان له ، وقد سُرِقَ فسأله عن ثمنه ومن أين اشتراه ؟ فذكر له الخادم ، والثمن فأمر فأحضِرَ ثمنه في الحال ، وأربحه ألفي درهم زيادة . ثم إن التاجر سأله في دم الخادم فقال : لا بد من تأديبه وأما دمه فهو لك ، فأحضره وأدبه ، ثم أنفذه إلى التاجر وقال : كنا وهبنا لك دمه فقد أنفذناه إليك فلو أن صاحب الجوهر بعض الرعايا لقال : هذا مالي قد عاد إليّ وخذ أنت مالك ممن سلّمته إليه.

وحُكِيَ أنه استعرض جنده ، وفيهم إنسان اسمـه نصر بن أحمـد ، فلما بلغـه العرض سأله عن اسمه ، فسكت فأعاد السؤال فلم يجبه ، فقال بعض من حضـر : اسمه نصر بن أحمد وإنما سكت إجلالاً للأمير فقال السعيد : إذاً نوجب حقه ، ونزيد في رزقه ثم قرَّبه وزاد في أرزاقه .

وحُكِيَ أنه لما خرج عليه أخوه أبو زكريا نهب خزائنه، وأمواله ، فلما عاد السعيد إلى مُلكِهِ قيل له عن جماعة انتهبوا ماله ، فلم يعرض إليهم ، وأخبروه أن بعض السوقة اشترى منها سكيناً نفيساً بمائتي درهم ، فأرسل إليه وأعطاه مائتي درهم وطلب السكين فأبى أن يبيعه إلّا بالف درهم فقال: ألا تعجبون من هذا أرى عنده مالي ، فلم أعاقبه وأعطيته حقه فاشتط في الطلب ، ثم أمر برضائه.

وحُكِيَ أنه طال مرضه فبقي به ثلاثة عشر شهراً فأقبل على الصلاة والعبادة، وبنى له في قصره بيتاً، وسماه بيت العبادة . فكان يلبس ثياباً نظافاً ويمشي إليه حافياً ، ويصلّي فيه ، ويدعو ويتضرَّع ويجتنب المنكرات ، والآثام إلى أن مات ودُفِنَ عند والده .

ذكر ولاية ابنه الأمير نوح بن نصر

ولما مات نصر بن أحمد تولّى بعده خراسان وما وراء النهر ابنه نوح واستقرَّ في شعبان من هذه السنة وبايعه الناس ، وحلفوا له ولقِّبَ بالأمير الحميد، وفوّض أمره وتدبير مملكته إلى أبي الفضل محمد بن أحمد الحاكم وصدر عن رأيه . ولما ولي نوح هرب منه أبو الفضل بن أحمد بن حمويه ، وهو من أكابر أصحاب أبيه. وكان سبب ذلك أن السعيد نصراً كان قد ولّى ابنه إسماعيل بُخارى وكان أبو الفضل يتولى أمره وخلافته، فأساء السيرة مع نوح وأصحابه فحقد ذلك عليه. ثم توفي إسماعيل في حياة أبيه . وكان نصر يميل إلى أبي الفضل ويؤثره فقال له : إذا حدث عليَّ حادث الموت ، فانجُ بنفسك فإني لا آمن نوحاً فلما مات الأمير نصر سار أبو الفضل من بُخارى وعبر جيحون ، وورد آمل . وكاتب أبا عليّ بن محتاج ـ وهو بنيسابور ـ يعرِّفه الحال وكان بينهما مصاهرةٌ ، فكتب إليه أبو عليّ ينهاه عن الإلمام بناحيته لمصلحة ، ثم إن الأمير نوحاً أرسل إلى أبي الفضل كتاب أمان بخطه فعاد إليه فأحسن الفعل معه وولّاه سمرقند ، وكان أبو الفضل معرضاً عن محمد بن أحمد الحاكم ، ولا يلتفت إليه ويسميه الخياط فأضمر الحاكم بغضه والإعراض عنه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في المحرم وصل معز الدولة بن بويه إلى البصرة ، فحارب

البريديين ، وأقام عليهم مدة ، ثم استأمن جماعة من قوّاده إلى البريديين ، فاستوحش من الباقين فانصرف عنهم . وفيها تزوَّج الأمير أبو منصور بن المتقي لله بابنة ناصر الدولة بن حمدان ، وكان الصداق ألف ألف درهم ، والحمل مائة ألف دينار(١) . وفيها قبض ناصر الدولة على الوزير أبي إسحاق القراريطي ، ورتَّب مكانه أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني في رجب . وكان أبو عبد الله الكوفي هو الذي يدبر الأمور ، وكانت وزارة القراريطي ثمانية أشهر وستة عشر يوماً . وكان ناصر الدولة ينظر في قصص الناس وتقام الحدود بين يديه ، ويفعل ما يفعل صاحب الشرطة . وفيها كانت الزلزلة المشهورة بناحية نسا من خراسان ، فخرِّبت قرى كثيرة ، ومات تحت الهدم عالم عظيم ، وكانت عظيمة جداً . وفيها استقدم الأمير نوح بن محمد بن أحمد النسفي البردهي ، وكان قد طعن فيه عنده فقتله ، وصلبه فسرق من الجذع ، ولم يعلم من سرقه . وفيها استوزر المتقي لله أبا الحسين بن مقلة ثامن شهر رمضان بعد إصعاد ناصر الدولة من بغداد إلى الموصل ، وقبل إصعاد أخيه سيف الدولة من واسطَ إلى بغداد. وفيها أرسل ملك الروم إلى المتقي لله يطلب منديلاً زعم أن المسيح مسح به وجهه ، فصارت صورة وجهه فيه ، وأنه في بيعة الرها . وذكر أنه إن أرسل المنديل أطلق عدداً كثيراً من أسارى المسلمين ، فأحضر المتقي لله القضاة ، والفقهاء واستفتاهم فاختلفوا فبعض رأى تسليمه إلى الملك واطلاق الأسرى وبعض قال : ان هذا المنديل لم يزل من قديم الدهر في بلاد الإسلام لم يطلبه ملك من ملوك الروم . وفي دفعه إليهم غضاضة .

وكان في الجماعة عليّ بن عيسى الوزير فقال : إنّ خلاص المسلمين من الأسر ومن الضر والضنك الذي هم فيه أولى من حفظ هذا المنديل ، فأمر الخليفة بتسليمه إليهم وإطلاق الأسرى ، ففعل ذلك وأرسل إلى الملك من يتسلّم الأسرى من بلاد الروم ، فأطلقوا.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن إسماعيل الفرغاني الصوفي أستاذ أبي بكر الدقاق

---

(١) في البداية والنهاية ٢١٨/١١ : « وفي ربيع الآخر منها عقد ابو منصور إسحاق بن الخليفة المتقي عقده على علوية بنت ناصر الدين بن حمدان ، على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم ، وولي العقد على الجارية المذكورة ابو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ولم يحضر ناصر الدين . . . » .

وهو مشهور بين المشايخ[١] ، وفيها توفي محمد بن يزداد الشهرزوري وكان يلي امرة دمشق لمحمد بن رائق . ثم اتصل بالإخشيد فجعله على شرطته بمصر . وفيها توفي سنان بن ثابت بن قرة مستهل ذي القعدة بعلة الذرب . وكان حاذقاً في الطب ، فلم يغنِ عنه عند دنو الأجل شيئاً[٢] . وفيها أيضاً مات أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري[٣] .

---

(١) قال الرقي : ما رأيت أحسن منه ممن يظهر الغنى في الفقر كان يلبس قميصين ورداء وسراويل ونعلاً نظيفاً وعمامة. وفي يده مفتاح منقوش يصلي ويضعه بين يديه ـ كأنه تارج ـ وليس له بيت بل ينطرح في المساجد ويطوي الخمس والست.

(٢) اسلم سنان على يد الخليفة القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا احد من أهل بيته وطبب جماعة من الخلفاء وكان مقدماً في علم الطب وغيره .

(٣) له كتاب الوزراء كان فاضلاً رئيساً وله مشاركة في فنون .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

ذكر مسير المتقى الى الموصل

في هذه السّنة أُصعِدَ المتقي لله إلى الموصل . وسبب ذلك ما ذكرناه ، أولا من سعاية ابن مقلة والترجمان مع المتقي بتوزون ، وابن شيرزاد، ثم إن ابن شيرزاد وصل خامس المحرم إلى بغداد في ثلاثمائة غلامِ جريدة ، فازداد خوف المتقي وأقام ببغداد يأمر وينهي ، ولا يراجع المتقي في شيء، وكان المتقي قد أنفذ إليه يطلب من ناصر الدولة بن حمدان ، انفاذ جيش إليه ليصحبوه إلى الموصل ، فأنفذهم مع ابن عمه أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان ، فلما وصلوا إلى بغداد نزلوا بباب حرب واستتر ابن شيرزاد وخرج المتّقي إليهم في حرمه وأهله ووزيره، وأعيان بغداد مثل سلامة الطولوني وأبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي ، وأبي محمد المارداني ، وأبي إسحاق القراريطي، وأبي عبد الله الموسوي ، وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الطبيب ، وأبي نصر محمد بن ينال الترجمان ، وغيرهم . ولما سار المتقى من بغداد ظلم ابن شيرزاد الناس ، وعسفهم وصادرهم ، وأرسل إلى توزون ، وهو بواسط ـ يخبره بذلك . فلما بلغ توزون الخبر عقد ضمان واسط على البريدي وزوّجه ابنته، وسار إلى بغداد، وانحدر سيف الدولة وحده إلى المتقي لله بتكريت ، فأرسل المتقي إلى ناصر الدولة يستدعيه ويقول له : لم يكن الشرط معك إلاّ أن تنحدر إلينا . فانحدر فوصل إلى تكريت في الحادي والعشرين من ربيع الآخر، وركب المتّقي إليه فلقيه بنفسه، وأكرمه، وأُصعِدَ الخليفة إلى الموصل ، وأقام ناصر الدولة بتكريت ، وسار توزون نحو تكريت فالتقى هووسيف الدولة بن حمدان تحت تكريت بفرسخين، فاقتتلوا ثلاثة أيام ثم انهزم سيف الدولة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ربيع الآخر ، وغنم توزون ، والأعراب سواده، وسواد أخيه ناصر الدولة، وعادا من تكريت إلى الموصل ومعهما المتقي لله .

وشغب أصحاب توزون فعاد إلى بغداد، وعاد سيف الدولة انحدر فالتقى هو وتوزون بحربي في شعبان ، فانهزم سيف الدولة مرة ثانية وتبعه توزون .

ولما بلغ سيفُ الدولة إلى الموصل ، سار عنها هو وأخوه ناصر الدولة ، والمتّقي لله ومن معهم إلى نصيبين، ودخل توزون الموصل، فسار المتّقي إلى الرّقة ولحقَهُ سيف الدولة ، وأرسل المتقي إلى توزون يذكر إنه استوحش منه لاتصاله بالبريدي وأنهما صارا يداً واحدة، فإن آثر رضاه يصالح سيف الدولة وناصر الدولة ليعودَ إلى بغداد . وتردد أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي من الموصل إلى توزون في ذلك فتم الصلح ، وعقذ الضمان على ناصر الدولة لما بيده من البلاد ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، وعاد توزون إلى بغداد وأقام المتقي عند بني حمدان بالموصل ثم ساروا عنها إلى الرقة فأقاموا بها .

ذكر وصول معز الدولة إلى واسطَ وديالي[1] وعوده

وفي هذه السّنة بلغ معز الدولة أبا الحسين بن بويه، إصعاد توزون إلى الموصل، فسار هو إلى واسطَ لميعاد من البريديين ، وكانوا قد وعدوه أن يمدُّوه بعسكر في الماء فأخلفوه. وعاد توزون من الموصل إلى بغداد، وانحدر منها إلى لقاء معز الدولـة ، والتقوا سابع عشر ذي القعدة بقباب حميد ، وطالت الحرب بينهما بضعةَ عشر يوماً ، إلا أن أصحاب توزون يتأخرون، والديلم يتقدمون إلى أن عبر توزون نهر ديالي، ووقف عليه ومنع الديلم من العبور . وكان مع توزون مقابله في الماء في دجلة، فكانوا يودُّون أن الديلم يستولون على أطرافهم. فرأى ابن بويه أن يصعد على ديالي ليبعُدَ عن دجلة ، وقتال من بها ويتمكّن من الماء . فعلم توزون بذلك فسيَّر بعض أصحابه وعبروا ديالي وكمنوا. فلما سار معز الدولة مصعداً، وسار سواده في أثره خرج الكمين عليه فحالوا بينهما ، ووقعوا في العسكر وهو على غير تعبية . وسمع توزون الصِّياح فتعجَّل وعبر أكثر أصحابه سباحةً فوقعوا في عسكر ابن بويه يقتلون ، ويأسرون حتى ملّوا وانهزم ابن بويه ، ووزيـره الصيمري إلى السـوس ، رابع ذي الحجـة . ولحق به من سلم من

---

(١) في البداية والنهاية ٢١٩/١١ : ثابت بن سنان بن قرة الصابي ابو سعيد الطبيب، أسلم على يد القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا أحد من أهل بيته .

عسكره ، وكان قد أسر منهم أربعة عشر قائداً ، منهم ابن الدّاعي العلوي . واستأمن كثير من الديلم إلى توزون . ثم أن توزون عاوده ماكان يأخذه من الصرع ، فشغل بنفسه عن معز الدولة ، وعاد إلى بغداد.

ذكر قتل أبي يوسف البريدي

في هذه السّنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف . وكان سبب قتله أنَّ عبد الله البريدي كان قد نفذ ما عنده من المال في محاربة بني حمدان ، ومقامهم بواسط، وفي محاربة توزون ، فلما رأى جنده قلة ماله ، مالوا إلى أخيه أبي يوسف لكثرة ماله . فاستقرض أبو عبد الله من أخيه أبي يوسف مرة بعد مرة ، وكان يعطيه القليل من المال ، ويعيبه ويذكر تضييعه ، وسوء تدبيره وجنونِهِ وتهوُّرِهِ ، فصحَّ ذلك عند أبي عبد الله. ثم صحَّ عنده أنه يريد القبض عليه أيضاً، والاستبداد بالأمر وحده فاستوحش كلٌّ واحدٍ منهما من صاحبه.

ثم إن أبا عبد الله أنفذ إلى أخيه جوهراً نفيساً كان بجكم قد وهبه لبنته لما تزوَّجها البريدي ، وكان قد أخذه من دار الخلافة ، فأخذه أبو عبد الله منها حين تزوّجها. فلما جاءه الرسول ، وأبلغه ذلك وعرض عليه الجوهر أحضر الجوهريين ليثمنوه. فلما أخذوا في وصفه أنكر عليهم ذلك وحرد ، ونزل في ثمنه إلى خمسين ألف درهم ، وأخذ في الوقيعة في أخيه أبي عبد الله ، وذكر معايبه وما وصل إليه من المال وأنفذ مع الرسول خمسين ألف درهم ، فلما عاد الرسول إلى أبي عبد الله أبلغه ذلك ، فدمعَتْ عيناه وقال : « ألا قلت له جنوني وقلة تحصيلي أقعدك هذا المقعد وصيَّرك كقارون ثم عدد ما عمله معه من الإحسان ودمعَتْ عيناه وتبين الشرَّ في وجهه، فلما كان بعد أيام أقام غلمانه في طريق مسقف بين داره والشط ، وأقبل أخوه أبو يوسف من الشطّ، فدخل في ذلك الطريق، فثاروا به فقلتوه وهو يصيح ، يا أخي يا أخي ، قتلوني . وأخوه يسمعه ويقول: إلى لعنة الله . فخرج أخوهما أبو الحسين من داره ، وكان بجنب دار أخيه أبي عبد الله ـ وهو يستغيث ـ يا أخي قتلته فسبَّهُ وهدَّدهُ فسكت فلما قُتِلَ دفنه . وبلغ ذلك الخبر الجند فثاروا وشغبوا ظناً منهم أنه

حي ، فأمر به وألقاه على الطريق فلما رأوه سكنوا(١) فأمر به فدُفِنَ . وانتقل أبو عبد الله إلى دار أخيه أبي يوسف ، فأخذ ما فيها ، والجوهر في جملته . ولم يحصل من مال أخيه على طائل ، فان أكثره انكسر على الناس ، وذَهَبَتْ نفس أخيه .

ذكر وفاة أبي عبد الله البريدي

وفيها في شوّال مات أبو عبد الله البريدي بعد أن قتل أخاه بثمانية أشهر بحمّى حادة مكَثَ فيها سبعة أيام . واستقرَّ في الأمر بعده أخوه أبو الحسين ، فأساء السيرة إلى الأجناد فثاروا به ليقتلوه ، ويجعلوا أبا القاسم ابن أخيه أبي عبد الله مكانه ، فهرب منهم إلى هجر واستجار بالقرامطة فأعانوه . وسار معه أخوان لأبي طاهر القرمطي في جيش إلى البصرة فرأوا أبا القاسم قد حفظها فردّهم عنها ، فحصروه مدَّة ثم ضجروا ، واصلحوا بينه وبين عمه وعادوا . ودخل أبو الحسين البصرة ، فتجهَّز منها ، وسار إلى بغدادَ فدخل على توزون . ثم طمع يأنس مولى أبي عبد الله البريدي في التقدم فواطأ قائداً من قوّاد الدَّيلم(٢) على أن تكون الرياسة بينهما ويزيلا أبا القاسم مولاه فاجتمعت الديلم عند ذلك القائد . فأرسل أبو القاسم إليهم يأنس ـ وهو لا يشعر بالأمر ـ فلما أتاهم يأنس أشار عليهم بالتوقف ، فطمع فيه ذلك القائد الدّيلمي وأحبَّ التفرُّدَ بالرياسة ، فأمر به فضرب بزوجين(٣) في ظهره ، فجرح وهرب يأنس واختفى . ثم أن الدَّيلم اختلفت كلمتهم ، فتفرّقوا واختفى ذلك القائد فأُخِذَ ونُفِيَ وأمر أبو القاسم البريدي بمعالجة يأنس وقد ظهر له حاله فعولج حتى برأ . ثم قبض عليه أبو القاسم بعد نيف وأربعين يوماً ، وصادره على مائة ألف دينار وقتله . واستقام أمر أبي القاسم إلى أن أتاه أمر الله على ما نذكره .

ذكر مراسلة المتقي توزون(٤) في العود

وفيها أرسل المتّقي لله إلى توزون يطلب العود إلى بغداد . وسبب ذلك أنه رأى من بني حمدان تضجراً به وإيثاراً لمفارقته ، فاضطرّ إلى مراسلة توزون ، فأرسل

---

(١) في نسخة « سكتوا » بالتاء المثناة من فوق .

(٢) صرح باسمه في تجارب الامم « روستاباش » .

(٣) في تجارب الأمم « بزوبين » .

(٤) في البداية والنهاية ١١/٢٢١ : « تورون » بالراء .

الحسن بن هارون ، وأبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي إليه في الصلح . فلقيهما توزون وابن شيرزاد بنهاية الرغبة فيه والحرص عليه فاستوثقا من توزون وحلّفاه للمتقي لله وأحضر لليمين خلقاً كثيراً من القضاة ، والعدول ، والعباسيين ، والعلويين ، وغيرهم من أصناف الناس ، وحلفت توزون للمتقي ، والوزير وكتبوا خطوطهم بذلك . وكان من أمر المتقي لله ، ما نذكره سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

ذكر ملك الروس مدينة بَرْدَعَة[1]

في هذه السّنة خرجت طائفة من الروسية في البحر إلى نواحي أذربيجان ، وركبوا في البحر في نهر الكر - وهو نهر كبير - فانتهوا إلى بردعة . فخرج إليهم نائب المرزبان ببردعة في جمع من الديلم والمطوعة يزيدون على خمسة آلاف رجل ، فلقوا الروس . فلم يكن إلا ساعة حتى انهزم المسلمون منهم ، وقتل الديلم عن آخرهم وتبعهم الروس إلى البلد . فهرب من كان له مركوب ، وترك البلد فنزله الروس ، ونادوا فيه بالأمان ، فأحسنوا السيرة . وأقبلت العساكر الإسلامية من كل ناحية ، فكانت الروس تقاتلهم فلا يثبت المسلمون لهم . وكان عامة البلد يخرجون ويرجمون الروس بالحجارة ، ويصيحون بهم فينهاهم الروس عن ذلك ، فلم ينتهوا سوى العقلاء فإنهم كفوا أنفسهم ، وسائر العامة والرعاع لا يضبطون أنفسهم . فلما طال ذلك عليهم نادى مناديهم بخروج أهل البلد منه ، وأن لا يقيموا بعد ثلاثة أيام ، فخرج من كان له ظهر يحمله ، وبقي أكثرهم بعد الأجل فوضع الروسية فيهم السّلاح فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا بعد القتل بضعة عشر ألف نفس . وجمعوا من بقي بالجامع ، وقالوا : اشتروا أنفسكم وإلّا قتلناكم » . وسعى لهم انسان نصراني فقرر عن كل رجل عشرين درهماً فلم يقبل منهم إلّا عقلاؤهم فلما رأى الروسية أنه لا يحصل منهم شيء قتلوهم عن آخرهم ولم ينجُ منهم إلا الشريد ، وغنموا أموال أهلها واستعبدوا السبي ، واختاروا من النساء من استحسنوها .

---

(١) بردعة : قال في معجم البلدان : « بَرذعة » . بلد في أقصى اذربيجان قال حمزة : برذعة معرب برده دار ، ومعناه بالفارسية موضع السبي ، وذكر ابن الفقيه أن برذعة هي مدينة آران وآخر حدود أذربيجان .

ذكر مسير المرزبان إليهم والظفر بهم

لما فعل الروس بأهل بردعة، ما ذكرناه، استعظمه المسلمون وتنادوا بالنّفير، وجمع المرزبان بن محمد الناس واستنفرهم، فبلغ عدة من معه ثلاثين ألفاً، وسار بهم فلم يقاوم الروسية. وكان يغاديهم القتال، ويراوحهم فلا يعود إلاّ مفلولا، فبقوا كذلك أياماً كثيرة. وكان الروسية قد توجّهوا نحو مراغة، فأكثروا من أكل الفواكه فأصابهم الوباء، وكَثُرَتْ الأمراض والموت فيهم. ولما طال الأمر على المرزبان أعمل الحيلة، فرأى أنْ يكمنَ كميناً، ثم يلقاهم في عسكره ويتطارد لهم فاذا خرج الكمين عاد عليهم، فتقدم إلى أصحابه بذلك ورتب الكمين، ثم لقيهم واقتتلوا فتطارد لهم المرزبان، وأصحابه وتبعهم الروسية، حتى جازوا موضع الكمين فاستمرَّ الناسُ على هزيمتهم لا يلوي أحد على أحد. فحكى المرزبان قال: صحْتُ بالناس ليرجعوا، فلم يفعلوا، لماتقدّم في قلوبهم من هيبة الروسية، فعلمت أنه إن استمرّ الناس على الهزيمة قتل الروس أكثرهم، ثم عادوا إلى الكمين، ففطنوا بهم فقتلوهم عن آخرهم، قال: فرجعْتُ وحدي وتبعني أخي وصاحبي ووطنْتُ نفسي على الشهادة فحينئذ عاد أكثر الديلم استحياء، فرجعوا وقاتلناهم، ونادينا بالكمين بالعلامة بيننا، فخرجوا من ورائهم، وصدقناهم القتال، فقتلنا منهم خلقاً كثيراً منهم أميرهم. والتجأ الباقون الى حصن البلد ـ وتُسمّى شهرستان ـ وكانوا قد نُقِلُوا إليه ميرةً كثيرة، وجعلوا معهم السبي، والأموال، فحاصرهم المرزبان وصابرهم.

فأتاه الخبر بأن أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان، قد سار إلى أذربيجان وأنه واصل إلى سلماس[1]. وكان ابن عمه ناصر الدولة قد سيَّره ليستولي على أذربيجان فلما بلغ الخبر إلى المرزبان ترك على الروسية من يحاصرهم، وسار إلى ابن حمدان فأقتتلوا، ثم نزل الثلج فتفرّق أصحاب ابن حمدان، لأن أكثرهم أعراب، ثم أتاه كتابُ ناصر الدولة يخبرهُ بموت توزون، وأنه يريد الانحدار إلى بغداد، ويأمره بالعودِ إليه فرجع، وأما أصحاب المرزبان فإنهم أقاموا يقاتلون الروسية وزاد الوباء على الروسية، فكانوا إذا دفنوا الرجل، دفنوا معه سلاحه، فاستخرج المسلمون من ذلك شيئاً كثيراً بعد انصراف الرّوس. وثم أنهم خرجوا من الحصن

(١) سَلَمَاس: بفتح أوله وثانيه مدينة مشهورة بأذربيجان، بينها وبين أُرمية يومان.

ليلاً ، وقد حملوا على ظهورهم ما أرادوا من الأموال وغيرها ، ومضوا الى الكر ، وركبوا في سفنهم ومضوا ، وعجز أصحاب المرزبان عن اتباعهم وأخذ ما معهم ، فتركوهم وطهّر الله البلاد منهم .

ذكر خروج ابن أشكام على نوح

وفي هذه السنة خالف عبد الله بن أشكام على الأمير نوح ، وامتنع بخوارزمَ ، فسار نوح من بُخارى إلى مروَ بسببه ، وسيّر إليه جيشاً وجعل عليهم إبراهيم بن بارس ، وساروا نحوه ، فمات إبراهيم في الطريق وكاتب ابن أشكام ملك الترك ، وراسله واحتمى به . وكان لملك الترك ولد في يد نوح ـ وهو محبوس ببُخارى ـ فراسل نوح أباه في إطلاقه ، ليقبضَ على ابن أشكام ، فأجابه ملك الترك إلى ذلك . فلما علمَ ابن أشكام الحال، عاد إلى طاعة نوح ، وفارق خوارزم ، فأحسنَ إليه نوح وأكرمه وعفا عنه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في رمضان مات أبو طاهر الهجري رئيس القرامطة[1] أصابه جدري فمات . وكان له ثلاثة أخوة، منهم أبو القاسم سعيد بن الحسن وهو الأكبر وأبو العباس الفضل بن الحسن ، وهذان كانا يتفقان مع أبي طاهر على الرأي والتدبير ، وكان لهم أخ ثالث لا يجتمع بهما وهو مشغول بالشُرب واللهو[2] . وفيها في جُمادى الأولى ، غلَتْ الأسعار ببغدادَ ، حتى بيع القفيز الواحد من الدقيق الخشكار بنيف وستين درهماً ، والخبز الخشكاري ثلاثة أرطال بدرهم ، وكانت الأمطار كثيرة مسرفة جداً حتى خرِّبت المنازل ، ومات خلقٌ كثير تحت الهدم، ونقصت قيمة العقار ، حتى صار ما كان يساوي ديناراً يُباعُ بأقل من درهم حقيقة، وما يسقط من الأبنية لا يعاد . وتعطّل كثيرٌ من الحمامات والمساجد، والأسواق لقلة الناس ، وتعطّل كثيرٌ من أتاتين الآجر لقلة البناء ، ومن يضطر إليه اجتزى بالأنقاض، وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل والنهار من أصحاب ابن حمدي وتحارس الناس بالبوقات ، وعَظُمَ أمر ابن

---

(١) سليمان بن أبي سعيد الحسن الجنابي البداية والنهاية ١١/٢٢٢ ط . دار الكتب العلمية ببيروت .

(٢) زاد ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٢٢٢ : «ومع هذا كانت علمة الثلاثة واحدة لا يختلفون في شيء . . . » .

حمدي ، فأعجز الناس وأمّنه ابن شيرازد وخلع عليه وشَرَطَ معه أن يوصِلَهُ كلَّ شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه هو وأصحابه . وكان يستوفيها من ابن حمدي بالروزات فعظم شرّه حينئذ، وهذا ما لم يسمع بمثله ، ثم أن أبا العباس الديلمي صاحب الشرطة ببغداد ظفر بابن حمدي فقتله في جُمادى الآخرة فخفَّ عن الناس بعض ما هم فيه . وفيها في شعبان ـ وهو الواقع في نيسان ـ ظهر في الجوّ شيء كثير ستر عين الشمس ببغداد، فتوهمه الناس جراداً لكثرته ، ولم يشكوا في ذلك إلى أن سقط منه شيء على الأرض، فاذا هو حيوان يطير في البساتين ، وله جناحان قائمان منقوشان ، فإذا أخذ الإنسان جناحه بيدِهِ بقي أثر الوان الجناح في يده ، ويعدم الجناح ، ويسميه الصبيان : « طحان الذريرة » .

وفيها استولى معز الدولة على واسطَ ، وانحدر من كان من أصحاب البريدي فيها إلى البصرة . وفيها قَبَضَ سيف الدولة بن حمدان على محمد بن ينال الترجمان بالرّقة وقتله، وسبب ذلك أنه قد بلغهُ أنه قد واطأ المتّقي على الإيقاع بسيف الدولة . وفيها عرض لتوزون صرع ـ وهو جالس للسلام ، والناس بين يديه وقوف ـ فقام ابن شيرزاد ومدّ في وجهه ما ستره عن الناس، فصرفهم وقال: إنه قد ثار المرار به من خمار لحقه . وفيها ثار نافع غلام يوسف بن وجيه صاحب عمان على مولاه يوسف ، وملك البلد بعده . وفيها دخل الروم رأس عين[1] في ربيع الأوّل ، فأقاموا بها ثلاثة أيام ، ونهبوها وسبوا من أهلها، وقصدهم الأعراب فقاتلوهم ، ففارقها الروم وكان الروم في ثمانين ألفاً مع الدمستق . وفيها في ربيع الأوّل استعمل ناصر الدولة بن حمدان أبا بكر محمد بن علي بن مقاتل على طريق الفرات . وديار مضر . وجندَ قنسرين . والعواصم . وحمص ، وأنفذه إليها من الموصل ، ومعه جماعة من القوّاد ، ثم استعمل بعده في رجب من السنة ابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان على ذلك ، فلما وصل إلى الرقة منعه أهلها ، فقاتلهم فظفر بهم ، وأحرق من البلد قطعة وأخذ رؤساء أهلها وسار إلى حلب .

(١) هي مدينة كبيرة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر بها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور قاله ياقوت في معجمه .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة

ذكر مسير المتّقي إلى بغداد وخلعه

كـان المتقي لله قد كتب إلى الإخشيد محمد بن طغج متولي مصر يشكو حاله ، ويستقدمه إليه ، فأتاه من مصر . فلما وصل إلى حلب ، صـار عنها أبـو عبد الله بن سعيد بن حمدان ، وكان ابن مقاتل بها معه ، فلما علم برحيله عنها أختفى ، فلما قَدِمَ الإخشيد إليها ظهر إليه ابن مقاتل ، فأكرمه الإخشيد ، واستعمله على خراج مصر ، وإنكسر عليه ما بقي من المصادرة التي صادره بها ناصر الدولة بن حمدان ، ومبلغه خمسون ألف دينار ، وسار الإخشيد من حلب ، فوصل إلى المتقي منتصف محرم ـ وهو بالرّقة ـ فأكرمه المتقي واحترمه . ووقف الإخشيـد وقوف الغلمان ومشى بين يديه ، فأمره المتقي بالركوب ، فلم يفعل إلى أن نـزل المتقي ، وحمل إلى المتقي هـدايا عظيمة وإلى الوزير أبي الحسين بن مقلة وسائر الأصحاب . واجتهد بالمتقي ليسيرَ معه إلى مصر، والشام ويكون بين يديه ، فلم يقبل، وأشار عليه بالمقام مكانه ولا يرجع إلى بغداد، وخوّفه من توزون فلم يفعل. وأشار عليّ بن مقلة أن يسير معه إلى مصر ليحكمه في جميع بلاده ، فلم يجبه إلى ذلك فخوّفه أيضاً من توزون ، فكان ابن مقلة يقول بعد ذلك : «نصحني الاخشيد، فلم أقبل نصيحته». وكان قد أنفذ رسلاً إلى توزون في الصلح على ما ذكرناه ، فحلفوا توزون للخليفة والوزير . فلما حَلَفَ، كتب الرسل إلى المتقي بذلك ، فكتب إليه الناس أيضاً بما شاهدوا من تأكيد اليمين . فانحدر المتقي من الرّقة في الفرات إلى بغداد لأربع بقين من المحرم ، وعاد الإخشيد إلى مصرَ ، فلما وصل المتقي إلى هيت ، أقام بها وأنفذ من يجدد اليمين على توزون ، فعاد وحلف، وسار عن بغداد لعشرٍ بقينَ من صفر ليلتقي مع المتقي ، فالتقى معه بالسنديّة، فنزل توزون وقبّل الأرض وقال: « ها أنا قد وفيْتُ بيميني ، والطاعة لك » . ثم وكّـل به وبالوزير

وبالجماعة، وأنزلهم في مضرب نفسه مع حرم المتقي ثم كحله، فأذهب عينيه. فلما سمله صاح وصاح من عنده من الحرم والخدم، وارتجَّتْ الدنيا. فأمر توزون بضرب الدبادب[١] لئلا تظهر أصواتهم فخُفِيَتْ أصواتُهُم وعمي المتقى لله . وانحدر توزون من الغد إلى بغداد والجماعة في قبضته وكانت خلافة المتقي لله ثلاث سنين وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً . وكان أبيض أشهل العينين، وأمه أم ولد اسمها خلوب ، وكانت وزارة ابن مقلة سنة واحدة وخمسة أشهر واثني عشر يوماً .

ذكر خلافة المستكفي بالله

هو المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بالله عليّ بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق بن المتوكل على الله ، يجتمع هو والمتقي لله في المعتضد لما قبض توزون على المتقي لله أحضر المستكفي إليه إلى السندية ، وبايعه هو وعامة الناس . وكان سبب البيعة له ما حكاه أبو العباس التميمي الرازي وكان من خواص توزون قال : « كنت أنا السببُ في البيعة للمستكفي، وذلك أنني دعاني إبراهيمَ بن الزوبيندار الديلمي[٢] ، فمضيت إليه فذكر لي أنه تزوج إلى قوم ، وان امرأة منهم قالت له : إن هذا المتقي قد عاداكم وعاديتوه وكاشفكم ، ولا يصفو قلبه لكم ، وههنا رجل من أولاد الخلفاء من ولد المكتفي وذكرت عقله ، وأدبه ودينه تنصبونه للخلافة فيكون صنيعتكم وغرسكم ويدلكم على أموال جليلة لا يعرفها غيره ، وتستريحون من الخوف والحراسة . قال : فعلمت أن هذا أمر لا يتم إلّا بك فدعوتك له ، فقلتُ : أريد أن أسمع كلام المرأة فجاءني بها فرأيت امرأة عاقلة جزلة ، فذكرت لي نحواً من ذلك فقلت : لا بد أن ألقى الرجل فقالت : تعود غداً إلى ههنا حتى أجمع بينكما ، فعدْتُ إليها من الغد فوجدته قد أخرج من دار ابن طاهر في زيّ امرأة فعرَّفني نفسه، وضمن إظهار ثمانمائة ألف دينار منها مائة ألف لتوزون وذكر وجوهها ، وخاطبني خطاب رجل فهم عاقل ، ورأيته يتشيع قال: فأتيت توزون فأخبرته فوقع كلامي بقلبه وقال: أريدُ أن أبصرَ الرجل فقلت : لك ذلك . ولكن أكتم أمرنا من ابن شيرزاد فقال: أفعل ، وعدت إليهم وأخبرتهم الذي ذكر ، ووعدتهم حضور توزون من الغد ، فلما

---

(١) جمع دبداب وهو الطبل .

(٢) في تجارب الامم « ابراهيم بن الربنبذ الديلمي » .

كان ليلة الأحد لأربع عشرة خلت من صفر مشيت مع توزون مستخفيين فاجتمعنا به وخاطبه توزون وبايعه تلك الليلة ، وكتم الأمر . فلما وصل المتقي قلت لتوزون لما لقيه : أنت على ذلك العزم؟ قال: نعم قلت : فافعله الساعة فإنه إن دخل الدّار بعد عليك مرامه ، فوكَّل به وسمله وجرى ما جرى ، وبويع المستكفي بالخلافة يوم خلع المتقي .

وأحضر المتقي فبايعه ، وأخذ منه البردة ، والقضيب ، وصارت تلك المرأة قهرمانة المستكفي ، وسمت نفسها علماً وغلبت على أمره كله[1] . واستوزر المستكفي بالله أبا الفرج محمد بن علي الساري يوم الأربعاء لست بقين من صفر ، ولم يكن له إلا اسم الوزارة، والذي تولى الأمور ابن شيرزاد وحبس المتقي، وخلع المستكفي بالله على توزون خلعة وتاجاً . وطلب المستكفي بالله أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله ـ وهو الذي وُلي الخلافة ، ولقب المطيع لله ـ لأنه كان يعرفه يطلب الخلافة ، فاستتر مدة خلافة المستكفي فهُدِمَتْ دارُهُ التي على دجلة عند دار ابن طاهر حتى لم يبقَ منها شيء .

ذكر خروج أبي يزيد الخارجي بأفريقية

في هذه السّنة اشتدَّتْ شوكة أبي يزيد بأفريقية، وكَثُرَ أتباعه، وهزم الجيوش ، وكان ابتداء أمره أنه من زناتة ، واسم والده كنداد من مدينة توزر من قسطيلية ، وكان يختلف إلى بلاد السودان لتجارة ، فولد له بها أبو يزيد من جارية هوارية ، فأتى بها إلى توزر فنشأ بها ، وتعلّم القرآن ، وخالط جماعة من النكارية ، فمالت نفسه إلى مذهبهم ، ثم سافر إلى تاهرت ، فأقام بها يعلم الصبيان إلى أن خرج أبو عبد الله الشيعي إلى سُجلماسة في طلب المهدي ، فانتقل إلى تقيوس ، واشترى ضيعة ،

(١) قال صاحب كتاب العيون : فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته علماً وصارت قهرمانة للمستكفي واستولت على أمره كله وبحثت عن ذخائر المتقي هي وابن سليمان الكاتب ففازوا بأكثرها وكان يحمل إلى المستكفي من ذلك فوجه إلى توزون سبحة جوهر في قدٍ واحد خاتمتها ياقوت حمراء لم يرَ مثل ذلك الدر والخاتمة وقومت السبحة بخمسين ألف دينار فأخذها توزون بالقيمة من ما ضمن المستكفي ، وصارت حسن تكبس منازل التجار والمستورين فتحوز ما تجده لنفسها وانبسطت يدها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها .

تقيوس بفتح أوله وسكون ثانيه وياء مضمومة وواو ساكنة وسين مهملة مدينة قريبة من تَوْزَر ـ بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الواو وفتح الزاي .

وأقام يعلم فيها . وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال ، والدماء والخروج على السلطان ، فابتدأ يحتسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم فصار له جماعة يعظمونه ، وذلك أيام المهدي سنة ست عشرة وثلاثمائة . ولم يزل على ذلك إلى أن اشتدَّتْ شوكته وكَثُرَ أتباعه في أيام القائم ولد المهدي ، فصار يغيِّر ويحرق ، ويفسد . وزحف إلى بلاد القائم وحاصر باغاية وهزم الجيوش الكثيرة عليها ، ثم حاصر قسطيلية سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وفتح تبسة ، ومجانة[١] وهدم سورها وأمّن أهلها . ودخل مرمجنة[٢] فلقيه رجل من أهلها وأهدى له حماراً أشهب مليح الصورة ، فركبه أبو يزيد من ذلك اليوم ، وكان قصيراً أعرج يلبس جبة صوف قصيرة قبيحُ الصورة . ثم إنه هزم كُتامة وأنفذ طائفةً من عسكره إلى سبيبة[٣] ، ففتحها وصُلِبَ عاملها ، وسار إلى الأربس[٤] ففتحها وأحرقها ونهبها ، وجاء الناس إلى الجامع فقتلهم فيه . فلما اتصل ذلك بأهل المهدية استعظموه ، وقالوا للقائم : الأربس باب أفريقية ، ولو أخذت زالت دولة بني الأغلب فقال : لا بدَّ أن يبلغ أبو يزيد المصلى ، وهو أقصى غايته .

ثم إن القائم أخرج الجيوش لضبط البلاد ، فأخرج جيشاً إلى رقادة ، وجيشاً إلى القيروان ، وجمع العساكر فخاف أبو يزيد وعوّل على أخذ بلاد أفريقية ، وإخرابها ، وقتل أهلها ، وسيَّر القائم الجيش الذي اجتمع له مع فتاه ميسور، وسيَّر بعضه مع فتاه بشرى إلى باجة ، فلما بلغ أبا يزيد خبر بشرى ترك أثقاله ، وسار جريدة إليه فالتقوا بباجة فانهزم عسكر أبي يزيد وبقي في نحو أربعمائة مقاتل ، فقال لهم : ميلوا بنا نخالفهم إلى خيامهم . ففعلوا ذلك فانهزم بشرى إلى تونس، وقتل من عسكره كثير من وجوه كُتامة ، وغيرهم . ودخل أبو يزيد باجة فأحرقها ، ونهبها وقتلوا الأطفال، وأخذوا النساء .

وكتب إلى القبائل يدعوهم إلى نفسه فأتوه، وعمل الأخبية والبنود ، وآلات

---

(١) تبسة بفتح اوله وكسر ثانيه وتشديد السين المهملة هو بلد قديم به آثار الملوك وقد خرب أكثرها ومجانة بالفتح وتشديد الجيم وبعد الالف نون .

(٢) في ياقوت « مرماجنة » بفتح اوله وسكون ثانيه وبعد الالف جيم ونون مشددة .

(٣) سبيبة بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم باء موحدة .

(٤) الأربس بضم الهمزة وسكون الراء وضم الباء الموحدة وفي آخره سين مهملة .

الحرب . ولما وصل بشرى إلى تونس جمع الناس ، وأعطاهم الأموال ، فاجتمع إليه خلق كثير فجهَّزهم ، وسيَّرهم إلى أبي يزيد، وسيَّر إليهم أبو يزيد جيشاً فالتقوا ، واقتتلوا فانهزم أصحاب أبي يزيد، ورجع أصحاب بشرى إلى تونس غانمين . ووقعت فتنة في تونس ونهب أهلها دار عاملها فهرب، وكاتبوا أبا يزيد، فأعطاهم الأمان وولى عليهم رجلاً منهم يقال له : رحمون. وانتقل إلى فحص[1] أبي صالح ، وخافه الناس ، فانتقلوا إلى القيروان وأتاه كثير منهم خوفاً ورعباً ، وأمر القائم بشرى أن يتجسس أخبار أبي يزيد فمضى نحوه . وبلغ الخبر إلى أبي يزيد ، فسيّر إليهم طائفة من عسكره وأمر مقدمهم أن يقتل ويمثل وينهب ليرعبَ قلوب الناس ففعل ذلك. والتقى هو وبشرى فاقتتلوا ، وانهزم عسكر أبي يزيد ، وقُتِلَ منهم أربعة آلاف وأُسِرَ خمسمائة فسيرهم بشرى إلى المهدية في السلاسل فقتلهم العامة .

ذكر استيلاء أبي يزيد على القيروان ورقادة

لما انهزم اصحاب أبي يزيد غاظه ذلك ، وجمع الجموع ورحل ، وسار إلى قتال الكُتاميين . فوصل إلى الجزيرة وتلاقت الطلائع ، وجرى بينهم قتال. فانهزمت طلائع الكُتاميين وتبِعَهُم البربر إلى رقادة، ونزل ابو يزيد بالغرب من القيروان في مائة الف مقاتل ، ونزل من الغد شرقي رقادة ، وعامِلُها خليل لا يلتفِتُ إلى أبي يزيد ، ولا يبالي به ، والناس يأتونه ويخبرونه بقربهم. فأمر أن لا يخرجَ أحدٌ لقتالِ ، وكان ينتظر وصول ميسور في الجيش الذي معه . فلما علم أبو يزيد ذلك زحف إلى البلد بعض عسكره ، فأنشبوا القتال ، فجرى بينهم قتالٌ عظيم قُتِلَ فيه من أهل القيروان خلق كثير ، فانهزموا ، وخليل لم يخرج معهم ، فصاح به الناس فخرج متكارهاً من باب تونس .

وأقبل أبو يزيد ، فانهزم خليل بغير قتال ، ودخل القيروان ، ونزل بداره وأغلق بابها ينتظر وصول ميسور ، وفعل كذلك اصحابه . ودخل البربر المدينة فقتلوا ، وأفسدوا وقاتل بعض الناس في أطراف البلد ، وبعثَ أبو يزيد رجلاً من أصحابه اسمه أيوب الزويلي إلى القيروان بعسكر ، فدخلها أواخر صفر ، فنهب البلد وقتل ، وعمل أعمالاً عظيمة ، وحصر خليلاً في داره، فنزل هو ومن معه بالأمان ، فحُمِلَ خليل إلى

---

(١). الفحص في اصطلاح اهل المغرب كل موضع يسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط ان يزرع .

أبي يزيد فقتله . وخرج شيوخ أهل القيروان إلى أبي يزيد ، وهو برُقادة ، فسلَّموا عليه ، وطلبوا الأمان فماطلهم ، وأصحابه يقتلون وينهبون فعادوا الشكوى وقالوا : خربت المدينة . فقال : وما يكون خربْتُ مكَّة والبيت المقدس . ثم أمر بالأمان . وبقي طائفة من البربر ينهبون فأتاهم الخبر بوصول ميسور في عساكر عظيمة ، فخرج عند ذلك البربر من المدينة خوفاً منه . وقارب ميسور مدينة القيروان، واتصل الخبر بالقائم أن بني كملان قد كاتب بعضهم أبا يزيد على أن يمكِّنوه من ميسور .

فكتب إلى ميسور يعرّفه ويحذره ، ويأمره بطردهم . فرجعوا إلى أبي يزيد وقالوا له : إن عجّلْتَ ، ظفرت به ، فسار من يومه ، فالتقوا ، واشتدّ القتال بينهم وانهزمت ميسرة أبي يزيد . فلما رأى أبو يزيد ذلك حمل على ميسور، فانهزم أصحاب ميسور فعطف ميسور فرسه ، فكبا به فسقط عنه وقاتل أصحابه عليه ليمنعوه ، فقصده بنو كملان الذين طردهم فاشتدَّ القتال حينئذ، فقُتِلَ ميسور ، وحُمِلَ رأسه إلى أبي يزيد ، وانهزم عامة عسكره .

وسيَّر الكتب إلى عامة البلاد يخبر بهذا الظفر، وطِيفَ برأس ميسور بالقيروان . واتصل خبر الهزيمة بالقائم ، فخاف هو ومن معه بالمهدية ، وانتقل أهلها من أرباضها إلى البلد ، فاجتمعوا واحتموا بسوره ، فمنعهم القائم ووعدهم الظفر ، فعادوا إلى زويلة ، واستعدوا للحصار . وأقام أبو يزيد شهرين وثمانية أيام في خيم ميسور ، وهو يبعث السرايا إلى كل ناحية ، فيغنمون ويعودون . وأرسل سرية إلى سوسة ففتحوها بالسيف وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوها ، وشقوا فروج النساء ، وبقروا البطون ، حتى لم يبقَ موضع في أفريقية معمور ، ولا سقف مرفوع ، ومضى جميع من بقي إلى القيروان حفاة عراة ، ومن تخلص من السبي مات جوعاً وعطشاً .

وفي آخر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، أمر القائم بحفر الخنادق حول أرباض المهدية ، وكتب إلى زيري بن مناد سيد صنهاجة ، وإلى سادات كُتامة ، والقبائل يحثّهم على الاجتماع بالمهدية ، وقتال النكار ، فتأهبوا للمسير إلى القائم .

ذكر حصار أبي يزيد المهدية

لما سَمِعَ أبو يزيد بتأهب صنهاجة ، وكتامة ، وغيرهم لنصرة القائم خاف ،

ورحل من ساعته نحو المهدية ، فنزل على خمسة عشر ميلاً منها ، وبثّ سراياه إلى ناحية المهدية ، فانتهبت ما وجدت ، وقتلت من أصابت، فاجتمع الناس إلى المهدية . واتفقت كُتامة، وأصحاب القائم على أن يخرجوا إلى أبي يزيد ، ليضربوا عليه في معسكره لما سمعوا أن عسكره قد تفرّق في الغارة ، فخرجوا يوم الخميس لثمان بقينَ من جُمادى الأولى من السنة . وبلغ ذلك أبا يزيد وقد أتاه ولده فضل بعسكر من القيروان، فوجههم إلى قتال كُتامة ، وقدم عليهم ابنه فالتقوا على ستة أميال من المهدية واقتتلوا . وبلغ الخبر أبا يزيد ، فركب بجميع من بقي معه فلقي أصحابه منهزمين، وقد قتل كثير منهم . فلما رآه الكُتاميون انهزموا من غير قتال ، وأبو يزيد في أثرهم إلى باب الفتح . واقتحم قوم من البربر ، فدخلوا باب الفتح فأشرف أبو يزيد على المهدية ، ثم رجع إلى منزله ، ثم تقدم إلى المهدية في جُمادى الآخرة، فأتى باب الفتح ووجه زويلة إلى باب بكر ، ثم وقف هو على الخندق المحدث ، وبه جماعة من العبيد. فناشبهم أبو يزيد القتال على الخندق ، ثم اقتحم أبو يزيد ، ومن معه البحر ، فبلغ الماء صدور الدواب حتى جاوزوا السور المحدث ، فانهزم العبيد وابو يزيد في طلبهم ، ووصل أبو يزيد إلى باب المهدية عند المصلى الذي للعيد، وبينه وبين المهدية رمية سهم ، وتفرّق أصحابه في زويلة ينهبون ويقتلون ، وأهلها يطلبون الأمان والقتال عند باب الفتح بين كُتامة والبربر ، وهم لا يعلمون ما صنع أبو يزيد في ذلك الجانب ، فحمل الكُتاميون على البربر ،فهزموهم وقتلوا فيهم .

وسمع أبو يزيد بذلك ، ووصول زيري بن مناد في صنهاجة ، فخاف المقام فقصد باب الفتح ليأتي زيري ، وكتامة من ورائهم بطبوله وبنوده . فلما رأى أهل الأرباض ذلك ظنّوا أن القائم قد خرج بنفسه من المهدية ، فكبّروا، وقويت نفوسهم واشتدّ قتالهم ، فتحيَّر أبو يزيد ، وعرفه أهل تلك الناحية، فمالوا عليه ليقتلوه . فاشتدَّ القتال عنده فهدم بعض أصحابه حائطاً ، وخرج منه فتخلص ، ووصل إلى منزله بعد المغرب وهم يقاتلون العبيد. فلما رأوه قويت قلوبهم ، وانهزم العبيد وافترقوا. ثم رحل أبو يزيد إلى ترنوطة وحفر على عسكره خندقاً ، واجتمع إليه خلق عظيم من افريقية ، والبربر ، ونفوسة ، والزاب ، وأقاصي المغرب فحصر المهدية حصاراً شديداً ، ومنع الناس من الدخول إليها والخروج منها . ثم زحف إليها لسبع بقينَ من جُمادى الآخرة من السنة. فجرى قتال عظيم قتل جماعة من وجوه عسكر القائم ، واقتحم أبو يزيد

بنفسه ، حتى وصل إلى قرب الباب ، فعرفه بعض العبيد فقبض على لجامه ، وصاح هذا أبو يزيد فاقتلوه . فأتاه رجل من أصحابِ أبي يزيد فقطع يده وخلَّصَ أبو يزيد .

فلما رأى شدَّةَ قتالِ أصحاب القائم ، كتب إلى عامل القيروان ، يأمره بإرسال مقاتلة أهلها إليه ففعل ذلك . فوصلوا إليه ، فزحف بهم آخر رجب ، فجرى قتال شديد ، إنهزم فيه أبو يزيد هزيمة منكرة، وقُتِلَ فيها جماعة من أصحابه ، وأكثر أهل القيروان . ثم زحف الزحفة الرابعة في العشر الآخر من شوّال، فجرى قتال عظيم وانصرف إلى منزله ، وكَثُرَ خروج الناس من الجوع ، والغلاء ، ففتح عند ذلك القائم الأهراء التي عملها المهدي وملأها طعاماً وفرّق ما فيها على رجاله ، وعظم البلاء على الرعية حتى أكلوا الدواب والميتة . وخرج من المهدية أكثر السوقة سوى الجند ، فكان البربر يأخذون من خرج ، ويقتلونهم ويشقّون بطونهم طلباً للذهب .

ثم وصلت كُتامة فنزلت بقسنطينة ، فخاف أبو يزيد . فسار رجل من عسكره في جمع عظيم من ورفجومة وغيرهم إلى كتامة ، فقاتلهم فهزمهم فتفرقوا . وكان البربر يأتون إلى أبي يزيد من كل ناحية وينهبون ويقتلون ويرجعون إلى منازلهم ،حتى أفنوا ما كان في أفريقية . فلما لم يبقَ ما ينهب توقفوا عن المجيء إليه فلم يبقَ معه سوى أهل أوراس ، وبني كملان . فلما علم القائم تفرّق عساكره أخرج عسكره إليه ، وكان بينهم قتال شديد لستٍ خلونَ من ذي القعدة من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . ثم صبحوهم من الغد ، فلم يخرج إليهم أحد .

وكان أبو يزيد قد بعث في طلب الرجال من أوراس . ثم زحفت عساكر القائم إليه فخرج من خندقه واقتتلوا ، واشتدّ بينهم القتال ، فقتل من أصحاب أبي يزيد جماعة منهم رجل من وجوه أصحابه ، فعظم قتله عليه . ودخل خندقه ثم عاود القتال ، فهبَّتْ ريحٌ شديدة مظلمة ، فكان الرجل لا يبصر صاحبه ، فانهزم عسكر القائم ، وقتل منهم جماعة وعاد الحصار على ما كان عليه . وهرب كثير من أهل المهدية إلى جزيرة صقلية ، وطرابلس ، ومصر ، وبلد الروم .

وفي آخر ذي القعدة اجتمع عند أبي يزيد جموع عظيم ، وتقدم إلى المهدية ، فقاتل عليها ، فتخيّر الكُتاميون منهم مائتي فارس فحملوا حملة رجل واحد، فقتلوا في أصحابه كثيراً وأسروا مثلهم ، وكادوا يصلون إليه فقاتل أصحابه دونه وخلَّصوه.

وفَرِحَ أهل المهدية ، وأخذوا الأسرى في الحبال إلى المهدية . ودخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وهو مقيم على المهدية . وفي المحرم منها ظهر بأفريقية رجل يدعو الناس إلى نفسه ، فأجابه خلق كثير ، وأطاعوه وأدّعى أنه عباسي ، وورد من بغداد، ومعه أعلام سود ، فظفر به بعض أصحاب أبي يزيد ، وقبض عليه وسيَّره إلى أبي يزيد فقتله ، ثم ان بعض أصحاب أبي يزيد هرب إلى المهدية ، بسبب عداوة كانت بينهم وبين أقوام سعوا بهم إليه . فخرجوا من المهدية مع أصحاب القائم، فقاتلوا أصحاب أبي يزيد فظفروا . فتفرّق عند ذلك أصحاب أبي يزيد ولم يبقَ معه غير هوارة ، وأوراس ، وبني كملان ، وكان إعتماده عليهم .

ذكر رحيل أبي يزيد عن المهدية

لما تفرَّق أصحابه عنه ، كما ذكرنا اجتمع رؤساء من بقي معه وتشاوروا وقالوا : نمضي إلى القيروان ونجمع البربر من كل ناحية ، ونرجع إلى أبي يزيد، فإننا لا نأمن أن يعرف القائم خبرنا فيقصدنا ، فركبوا ومضوا ، ولم يشاوروا أبا يزيد ومعهم أكثر العسكر . فبعث إليهم أبو يزيد ليردَّهم ، فلم يقبلوا منه . فرحل مسرعاً في ثلاثين رجلاً وترك جميع أثقاله، فوصل إلى القيروان سادس صفر ، فنزل المصلى ولم يخرج إليه أحد من أهل القيروان سوى عامله، وخرج الصبيان يلعبون حوله ويضحكون منه . وبلغ القائم رجوعه ، فخرج الناس إلى أثقاله فوجدوا الطعام والخيام وغير ذلك على حاله ، فأخذوه وحسنت أحوالهم واستراحوا من شدَّةِ الحصار ، ورخصت الأسعار وأنفذ القائم إلى البلاد عمالاً يطردون عمال أبي يزيد عنها . فلما رأى أهل القيروان قلة عسكر أبي يزيد خافوا القائم ، فأرادوا أن يقبضوا أبا يزيد ، ثم هابوه فكاتبوا القائم يسألونه الأمان فلم يجبهم .

وبلغ أبا يزيد الخبر ، فأنكر على عامله بالقيروان اشتغاله بالأكل والشرب وغير ذلك ، وأمره أن يخرج العساكر من القيروان للجهاد ففعل ذلك . وألان لهم القول ، وخوّفهم القائم فخرجوا اليه . وتسامع الناس في البلاد بذلك ، فأتاه العساكر من كل ناحية . وكان أهل المدائن والقرى ، لما سمعوا تفرّق عساكره عنه أخذوا عماله . فمنهم من قتل ومنهم من أُرسِلَ إلى المهدية .

وثار أهل سوسة ، فقبضوا على جماعة من أصحابه ، فأرسلوهم إلى القائم فشكر

لهم ذلك ، وأرسل إليهم سبع مراكب من الطعام . فلما اجتمعت عساكر أبي يزيد أرسل الجيوش إلى البلاد ، وأمرهم بالقتل والسبي والنهب والخراب واحراق المنازل ، فوصل عسكره إلى تونس فدخلوها بالسّيف في العشرين من صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، فنهبوا جميع ما فيها وسبوا النساء والأطفال وقتلوا الرجال وهدموا المساجد ، ولجأ كثير من الناس إلى البحر فغرق . فسيَّر إليهم القائم عسكراً إلى تونس ، فخرج إليهم أصحاب أبي يزيد ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عسكر القائم هزيمة قبيحة وحال بينهم الليل . والتجؤوا إلى جبل الرصاص ثم إلى اصطفورة ، فتبعهم عسكر أبي يزيد ، فلحقوهم واقتتلوا . وصبر عسكر القائم فانهزم عسكر أبي يزيد ، وقُتِلَ منهم خلقٌ كثير . وقتلوا حتى دخلوا تونس خامس ربيع الأول ، وأخرجوا من فيها من أصحاب أبي يزيد بعد أن قتلوا أكثرهم وأخذ لهم من الطعام شيء كثير .

وكان لأبي يزيد ولدٌ اسمه أيوب ، فلما بلغه الخبر أخرج معه عسكراً كثيراً ، فاجتمع مع من سلم من ذلك الجيش ، ورجعوا إلى تونس فقتلوا من عاد إليها وأحرقوا ما بقي فيها . وتوجه إلى باجة فقَتَلَ من بها من أصحاب القائم ، ودخلها بالسيف وأحرقها . وكان في هذه المدة من القتل ، والسبي ، والتخريب ما لا يوصف . واتفق جماعة على قتل أبي يزيد ، وأرسلوا إلى القائم فرغبهم ، فوعدهم . فاتصل الخبر بأبي يزيد فقتلهم ، وهجم رجال من البربر في الليل على رجل من أهل القيروان ، وأخذوا ماله وثلاث بنات أبكار فلما أصبح واجتمع الناس لصلاة الصبح قام الرجل في الجامع ، وصاح وذكر ما حلّ به ، فقام الناس معه ، وصاحوا . فاجتمع الخلق العظيم ، ووصلوا إلى أبي يزيد، فأسمعوه كلاماً غليظاً فأعتذر إليهم ولطف بهم ، وأمر برد البنات . فلما انصرفوا وجدوا في طريقهم رجلاً مقتولاً فسألوا عنه فقيل : « إن فضل بن أبي يزيد قتله ، وأخذ امرأته وكانت جميلة » . فحمل الناس المقتول الى الجامع وقالوا : « لا طاعة إلا للقائم . وأرادوا الوثوب بأبي يزيد فاجتمع أصحاب أبي يزيد عنده ولاموه ، وقالوا : « فتحت على نفسك ما لا طاقة لك به ، لا سيما والقائم قريب منا » . فجمع أهل القيروان ، واعتذر إليهم وأعطاهم العهود أنه لا يقتل ولا ينهب ولا يأخذ الحريم . فأتاه سبي أهل تونس ـ وهم عنده ـ فوثبوا إليهم وخلصوهم .

وكان القائم قد أرسل إلى مقدم من أصحابه ـ يُسمّى عليّ بن حمدون ـ يأمره بجمع العساكر ومن قَدِرَ عليه من المسيلة . فجمع منها ومن سُطيف وغيرها . فاجتمع

له خلق كثير وتبعه بعض بني هراس . فقصد المهدية فسمع به أيوب بن أبي يزيد ـ وهو بمدينة باجة ـ ولم يعلم به عليّ بن حمدون ، فسار إليه أيوب ، وكبسه واستباح عسكره ، وقتل فيهم وغنم أثقالهم وهرب على المذكور .

ثم سيَّر أيوب جريدة خيل إلى طائفة من عسكر المهدي خرجوا إلى تونس ، فساروا ، واجتمعوا ووقع بعضهم على بعض . فكان بين الفريقين قتال عظيم قتل فيه جمع كثير وانهزم عسكر القائم . ثم عادوا ثانية وثالثة ، وعزموا على الموت وحملوا حملة رجل واحد . فانهزم أصحاب أبي يزيد وقتلوا قتالاً ذريعاً ، وأُخِذَتْ أثقالهم وعددهم . وانهزم أيوب وأصحابه إلى القيروان ، في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . فعظم ذلك على أبي يزيد ، وأراد أن يهرب عن القيروان . فأشار عليه أصحابه بالتوقّف ، وترك العجلة ، ثم جمع عسكراً عظيماً وأخرج ابنه أيوب ثانية لقتال عليّ بن حمدون بمكان يقال له : بلطة . وكانوا يقتتلون فمرة يظفر أيوب ومرة يظفر عليّ ، وكان عليّ قد وُكِّلَ بحراسة المدينة من يثق به وكان يحرس باباً منها رجل اسمه أحمد . فراسل أيوب في التسليم إليه على مال يأخذه ، فأجابه أيوب إلى ما طلب، وقاتل على ذلك الباب، ففتحه أحمد ودخله أصحاب أبي يزيد ، فقتلوا من كان بها وهرب علي إلى بلاد كُتامة في ثلاثمائة فارس وأربعمائة راجل.

وكتب إلى قبائل كُتامة ، ونفزة ، ومزاتة ، وغيرهم . فاجتمعوا وعسكروا على مدينة قسنطينة . ووجه عسكراً إلى هوارة ، فقتلوا هوارة وغنموا أموالهم . وكان اعتماد أبي يزيد عليهم . فاتصل الخبر بأبي يزيد فسيَّر إليهم عساكر عظيمة يتبع بعضها بعضاً . وكان بينهم حروب كثيرة والفتح والظفر في كلها لعلي . وعسكر القائم ، وملك مدينة تيجس ومدينة باغاية ، وأخذهما من أبي يزيد .

ذكر محاصرة أبي يزيد سوسة وانهزامه منها

لما رأى أبو يزيد ما جرى على عسكره من الهزيمة جدّ في أمره . فجمع العساكر وسار إلى سوسة سادس جُمادى الآخرة من السنة ، وبها جيش كثير للقائم فحصرها حصراً شديداً . فكان يقاتلها كل يوم ، فمرة له ومرة عليه . وعمل الدبابات والمنجنيفات ، فقتل من أهل سوسة خلقٌ كثير ، وحاصرها إلى أن فوَّضَ القائم العهد إلى ولده اسماعيل المنصور في شهر رمضان .

وتوفّي القائم وملك الملك ابنه المنصور ، على ما نذكره ، وكتم موت أبيه خوفاً من أبي يزيد لقربه ـ وهو على مدينة سوسة ـ فلما وُلِيّ عمل المراكب ، وشحنها بالرجال وسيَّرها إلى سوسة ، واستعمل عليها رشيقاً الكاتب ، ويعقوب بن اسحاق ووصاهما أن لا يقاتلا حتى يأمرهما . ثم سار من الغد يريد سوسة ولم يعلم أصحابه ذلك . فلما انتصف الطريق علموا فتضرَّعوا إليه وسألوه أن يعود ولا يخاطر بنفسه فعاد .

وأرسل إلى رشيق ويعقوب بالجدّ في القتال ، فوصلوا إلى سوسة ، وقد اعدَّ أبو يزيد الحطب لإحراق السور ، وعمل دبابة عظيمة، فوصل اسطول المنصور إلى سوسة ، واجتمعوا بمن فيها . وخرجوا إلى قتال أبي يزيد ، فركب بنفسه واقتتلوا واشتدَّت الحرب ، وانهزم بعض اصحاب المنصور ، حتى دخلوا المدينة . فألقى رشيق النار في الحطب الذي جمعه أبو يزيد ، وفي الدبابة فأظلم الجوَّ بالدخان ، واشتعلت النار . فلما رأى ذلك ابو يزيد وأصحابه خافوا وظنّوا أن أصحابه في تلك الناحية ، قد هلكوا فلهذا تمكّن أصحاب المنصور من إحراق الحطب ، إذ لم ير بعضهم بعضاً فانهزم أبو يزيد، وأصحابه وخرجت عساكر المنصور فوضعوا السَّيف فيمن تخلّفَ من البربر ، وأحرقوا خيامه ، وجدّ أبو يزيد هارباً حتى دخل القيروان من يومه ، وهرب البربر على وجوههم فمن سلم من السيف مات جوعاً وعطشاً ، ولما وصل أبو يزيد إلى القيروان أراد الدخول إليها ، فمنعه أهلها ، ورجعوا إلى دار عامله فحصروه . وأرادوا كسر الباب فنثر الدنانير على رؤوس الناس ، فاشتغلوا عنه فخرج إلى أبي يزيد . وأخذ أبو يزيد امرأته أم أيوب ، وتبعه أصحابه بعيالاتهم، ورحلوا إلى ناحية سبيبة ـ وهي على مسافة يومين من القيروان ـ فنزلوها .

ذكر ملك المنصور مدينة القيروان وانهزام أبي يزيد

لما بلغ المنصور الخبر سار إلى مدينة سوسة ، لسبع بقينَ من شوّال، فنزل خارجاً منها وسُرَّ بما فعله أهل القيروان . فكتب إليهم كتاباً يؤمنهم فيه لأنه كان واجداً عليهم لطاعتهم أبا يزيد ، وأرسل من ينادي في الناس بالأمان وطابت نفوسهم . ورحل إليهم فوصلها يوم الخميس لستٍ بقينَ من شوّال . وخرج إليه أهلها فأمّنهم ووعدهم خيراً . ووجد في القيروان من حرم أبي يزيد وأولاده جماعة ، فحملهم إلى المهدية ، وأجرى عليهم الأرزاق . ثم أن أبا يزيد جمع عساكره وأرسل سرية إلى القيروان

يتخبرون له . فاتصل خبرهم بالمنصور فسيَّر إليهم سرية فالتقوا واقتتلوا ، وكان أصحاب أبي يزيد قد جعلوا كميناً فانهزموا . وتبعهم أصحاب المنصور ، فخرج الكمين عليهم ، فأكثر فيهم القتل والجراح .

فلما سَمِعَ الناس ذلك سارعوا إلى أبي يزيد ، فكَثُرَ جمعه ، فعاد ونازل القيروان ، وكان المنصور قد جعل خندقاً على عسكر ، ففرَّق أبو يزيد عسكره ثلاث فرق ، وقصد هو بشجعان أصحابه إلى خندق المنصور ، فاقتتلوا وعظم الأمر ، وكان الظفر للمنصور ، ثم عاودوا القتال فباشر المنصور القتال بنفسه ، وجعل يحمل يميناً وشمالاً والمظلة على رأسه ، كالعلم ومعه خمسمائة فارس وأبو يزيد في مقدار ثلاثين ألفاً ، فانهزم أصحاب المنصور هزيمة عظيمة حتى دخلوا الخندق ، ونهبوا وبقي المنصور في نحو عشرين فارساً . وأقبل أبو يزيد قاصداً إلى المنصور فلما رآهم شهر سيفه ، وثبت مكانه وحمل بنفسه على أبي يزيد حتى كاد يقتله فولى أبو يزيد هارباً وقتل المنصور من أدرك منهم . وأرسل من يردُّ عسكره فعادوا وكانوا قد سلكوا طريق المهدية . وسوسة ، وتمادى القتال إلى الظهر فقتل منهم خلق كثير ، وكان يوماً من الأيام المشهورة لم يكن في ماضي الأيام مثله . ورأى الناس من شجاعة المنصور ما لم يظنوه ، فزادت هيبته في قلوبهم ، ورحل أبو يزيد عن القيروان أواخر ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . ثم عاد إليها فلم يخرج إليه أحد، ففعل ذلك غير مرة . ونادى المنصور من اتى برأس أبي يزيد فله عشرة آلاف دينار. وأذن الناس في القتال، فجرى قتال شديد فانهزم اصحاب المنصور حتى دخلوا الخندق . ثم رجعت الهزيمة على أبي يزيد ، فأفترقوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، وقتل بينهم جمع عظيم . وعادت الحرب مرة لهذا ومرة لهذا. وصار أبو يزيد يرسلُ السرايا فيقطع الطريق بين المهدية والقيروان ، وسوسة ، ثم إنه أرسل إلى المنصور يسأل أن يسلِّم إليه حرمه وعياله الذين خلفهم بالقيروان ، وأخذهم المنصور فإن فعل ذلك دخل في طاعته على أن يؤمنه وأصحابه ، وحلف له بأغلظ الإيمان على ذلك . فأجابه المنصور إلى ما طلب ، وأحضر عياله وسيَّرهم إليه مكرمين بعد أن وصلهم ، وأحسن كسوتهم وأكرمهم . فلما وصلوا إليه نكث جميع ما عقده ، وقال: إنما وجههم خوفاً مني . فانقضت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وهم على حالهم في القتال ، ففي خامس المحرم منها زحف أبو يزيد وركب المنصور ، وكان بين الفريقين

قتال ما سمع بمثله ، وحملت البربر على المنصور ، وحمل عليها وجعل يضرب فيهم ، فانهزموا منه بعد أن قتل خلق كثير ، فلما انتصف المحرم عبى المنصور عسكره فجعل في الميمنة أهل أفريقية ، وكُتامة في الميسرة ، وهو في عبيده وخاصته في القلب ، فوقع بينهم قتال شديد. فحمل أبو يزيد على الميمنة فهزمها ثم حمل على القلب . فبادر إليه المنصور قال : هذا يوم الفتح إن شاء الله تعالى . وحمل هو ومن معه حملة رجل واحد ، فانهزم يزيد وأخِذَت السيوفُ أصحابه ، فولّوا منهزمين، وأسلموا أثقالهم ، وهرب أبو يزيد على وجهه ، فقُتِلَ من أصحابه ما لا يُحصى . فكان ما أخذه أطفال أهل القيروان من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس ، وسار أبو يزيد إلى تاه مديت .

ذكر قتل أبي يزيد

لما تمت الهزيمة على أبي يزيد أقام المنصور يتجهّز للمسير في أثره ، ثم رحل أواخر شهر ربيع الأول من السنة . واستخلف على البلد مذاماً الصقلي ، فأدرك أبا يزيد ـ وهو محاصر مدينة باغاية ـ لأنه أراد دخولها لما انهزم ، فمُنِعَ من ذلك فحصرها . فادركه المنصور ـ وقد كاد يفتحها ـ فلما قَرُبَ منه هرب أبو يزيد وجعل ، كلما قصد موضعاً يتحصن فيه سبقه المنصور ، حتى وصل طبنة . فوصلت رسل محمد بن خزر الزناتي ـ وهو من أعيان أصحاب أبي يزيد ـ يطلب الأمان فأمّنه المنصور وأمره أن يرصد أبا يزيد . واستمر الهرب بابي يزيد حتى وصل إلى جبل البربر ، يُسمى برزال ، وأهله على مذهبه . وسلك الرمال ليختفي أثره ، فاجتمع معه خلق كثير . فعاد إلى نواحي مقبرة ، والمنصور بها فكمن أبو يزيد وأصحابه . فلما وصل عسكر المنصور رآهم فحذروا منهم فعبى حينئذٍ أبو يزيد أصحابه، واقتتلوا فانهزمت ميمنة المنصور وحمل هو بنفسه ومن معه ، فانهزم أبو يزيد إلى جبل سالات ، ورحل المنصور في أثره، فدخل مدينة المسيلة ورحل في اثر أبي يزيد في جبال وعرة وأودية عميقة خشنة الأرض ، فأراد الدخول وراءه،فعرَّفه الإدلاء ، أن هذه الأرض لم يسلكها جيش قط . واشتدّ الأمر على العسكر فبلغ عليق كل دابة ديناراً ونصفاً . وبلغت قربة الماء ديناراً ، وأن ما وراء ذلك رمال وقفار بلاد السودان ليس فيها عمارة . وأن أبا يزيد اختار الموت جوعاً وعطشاً على القتل بالسيف . فلما سمع ذلك رجع إلى بلاد صنهاجة فوصل إلى موضع يُسمى قرية دمره . فاتصل به الأمير زيري بن مناد الصنهاجي الحميري بعساكر صنهاجة . وهذا

زيري هو جد بني باديس ، ملوك أفريقية كما يأتي ذكره ، إن شاء الله تعالى. فأكرمه المنصور وأحسن إليه .

ووصل كتاب محمد بن خزر يذكر الموضع الذي فيه أبو يزيد من الرمال . ومرض المنصور مرضاً شديداً أشفي منه . فلما أفاق من مَرَضِهِ رحل إلى المُسيلة ثاني رجب . وكان أبو يزيد قد سبقه إليها لمّا بلغه مرض المنصور ، وحصرها . فلما قصده المنصور هرب منه يريد بلاد السودان ، فأبى ذلك بنو كملان وهوارة وخدعوه وصعد إلى جبال كتامة وعجيسة وغيرهم فتحصن بها واجتمع إليه أهلها وصاروا ينزلون يتخطفون الناس فسار المنصور عاشر شعبان إليه فلم ينزل أبو يزيد. فلما عاد نزل إلى ساقة العسكر ، فرجع المنصور ووقعت الحرب. فانهزم أبو يزيد وأسلم أولاده وأصحابه. ولحقه فارسان فعُقِر فرسه فسقط عنه، فأركبه بعض أصحابه ، ولحقه زيري بن مناد، فطعنه فألقاه. وكثر القتال عليه فخلّصه أصحابه، وخلّصوا من معه. وتبعهم أصحاب المنصور، فقتلوا منهم ما يزيد على عشرة آلاف.

ثم سار المنصور في اثره أول شهر رمضان فاقتتلوا أيضاً أشدَّ قتال، ولم يقدر أحد الفريقين على الهزيمة لضيق المكان وخشونته، ثم انهزم أبو يزيد أيضاً واحترقت أثقاله وما فيها، وطلع أصحابه على رؤوس الجبال يرمون بالصخر، وأحاط القتال بالمنصور، وتواخذوا بالأيدي ، وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء وافترقوا على السواء. والتجأ أبو يزيد إلى قلعة كُتامة ـ وهي منيعة فاحتمى بها ، وفي ذلك اليوم أتى إلى المنصور جند له من كُتامة برجل ظهر في أرضهم ، ادّعى الربوبية . فأمر المنصور بقتله ، وأقبلت هوارة ، وأكثر من مع أبي يزيد يطلبون الأمان فأمّنهم المنصور.

وسار إلى قلعة كتامة ، فحصرها أبا يزيد فيها وفرّق جنده حولها فناشبه أصحاب أبي يزيد القتال ، وزحف إليها المنصور غير مرة ، ففي آخرها ملك أصحابه بعض القلعة ، وألقوا فيها النيران وانهزم اصحاب ابي يزيد ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، ودخل ابو يزيد وأولاده وأعيان أصحابه إلى قصر في القلعة ، فاجتمعوا فيه ، فاحترقت ابوابه وأدركهم القتل . فأمر المنصور بإشعال النار في شعاري الجبل ، وبين يديه لئلا يهرب أبو يزيد فصار الليل كالنهار . فلما كان آخر الليل ، خرج أصحابه ـ وهم يحملونه على أيديهم ـ وحملوا على الناس حملة منكرة ، فأفرجوا لهم فنجوا به . ونزل من القلعة

خلق كثير فأخذوا، فأخبِرُوا بخروج أبي يزيد فأمر المنصور بطلبه وقال: ما أظنه إلّا قريباً منا، فبينماهم كذلك إذ أتي بأبي يزيد، وذلك أن ثلاثة من اصحابه حملوه من المعركة ثم ولّوا عنه، وإنما حملوه لقبح عرجه. فذهب لينزل من الوعر فسقط في مكان صعب، فأدرك فأُخِذَ وحُمِلَ إلى المنصور، فسجد شكراً لله تعالى، والناس يكبرون حوله. وبقي عنده إلى سلخ المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، فمات من الجراح التي به، فأمر بإدخاله في قفص عمل له وجعل معه قردين يلعبان عليه وأمر بسلخ جلده وحشاه تبناً، وأمر بالكتب إلى سائر البلاد بالبشارة، ثم خرج عليه عدَّة خوارج، منهم محمد بن خزر فظفر به المنصور، سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. وكان يريد نصرة أبي يزيد، وخرج أيضاً فضل بن أبي يزيد وأفسد وقطع الطريق فغدر به بعض أصحابه، وقتله وحُمِلَ رأسه إلى المنصور، سنة ست وثلاثين أيضاً. وعاد المنصور إلى المهدية فدخلها في شهر رمضان من السنة.

ذكر قتل أبي الحسين البريدي وإحراقه

في هذه السّنة في ربيع الأول قَدِمَ أبو الحسين البريدي إلى بغداد، مستأمناً إلى توزون فأمّنه. وأنزله أبو جعفر بن شيرزاد إلى جانب داره وأكرمه. وطلب أن يقوّي يده على ابن أخيه، وضمن أنه إذا أخذ البصرة يوصل له مالاً كثيراً، فوعدوه النجدة والمساعدة. فأنفذ ابن أخيه من البصرة مالاً كثيراً خدم به توزون، وابن شيرزاد، فانفذوا له الخلع وأقرُّوه على عمله، فلما علم أبو الحسين بذلك سعى في أن يكتب لتوزون، ويقبض على ابن شيرزاد. فعلم ابن شيرزاد بذلك فسعى به إلى أن قبض عليه وقُيِد وضُرِبَ ضرباً عنيفاً، وكان أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي قد أخذ أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء، والقضاة بإحلال دمه فأحضرها، وأحضر القضاة والفقهاء في دار الخليفة. وأخرج أبو الحسين وسأل الفقهاء عن الفتاوى، فأعترفوا أنهم أفتوا بذلك فأمر بضرب رقبته، فقُتِلَ وصُلِبَ، ثم أُنزِلَ وأُحرِقَ ونُهِبَتْ دارُه، وكان هذا آخر أمر البريديين. وكان قتله منتصف ذي الحجة. وفيها نُقِلَ المستكفي بالله القاهر بالله من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر، وكان قد بلغ به الضرُّ والفقر إلى أن كان ملتفاً بقطن جبة وفي رجله قبقاب خشب.

ذكر مسير أبي علي إلى الري وعوده قبل ملكها

لما استقرَّ الأمير نوح في ولايته بما وراء النهر وخراسان ، أمر أبا عليّ بن محتاج أن يسير في عساكر خراسان إلى الرّي ، ويستنقذها من يدِ رُكنِ الدولة بن بويه ؛ فسار في جمع كثير فلقيه وشمكير بخراسان ـ وهو يقصد الأمير نوحاً ـ فسيَّره إليه ، وكان نوح حينئذ بمرو . فلما قَدِمَ عليه أكرمه ، وأنزله ، وبالغ في إكرامه والإحسان إليه ، وأما أبو علي فإنه سار نحْو الرّي ، فلما نزل ببسطام خالف عليه بعض من معه ، وعادوا عنه مع منصور بن قراتكين ـ وهو من أكابر أصحاب نوح وخواصه ـ فساروا نحو جرجان ، وبها الحسن بن الفيرزان فصدَّهم الحسن عنها فانصرفوا إلى نيسابور، وسار أبو عليّ نحو الرّي فيمن بقي معه ، فخرج إليه رُكنِ الدولة محارباً ، فالتقوا على ثلاث فراسخ من الرّي، وكان مع أبي عليّ جماعة كثيرة من الأكراد فغدروا منه ، واستأمنوا إلى ركن الدولة ، فانهزم ابو عليّ ، وعاد نحو نيسابور وغنموا بعض أثقاله .

ذكر استيلاء وشمكير على جرجان

لما عاد أبو عليّ إلى نيسابور ، لقيه وشمكير وقد سيَّره الأمير نوح ، ومعه جيش فيهم مالك بن شكرتكين . وأرسل إلى أبيّ علي يأمره بمساعدة وشمكير ، فوجّه فيمن معه إلى جرجان ، وبها الحسن بن الفيرزان ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم الحسن واستولى وشمكير على جرجان في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

ذكر استيلاء أبي عليّ على الريّ

في هذه السنة ، سار أبو عليّ من نيسابور إلى نوح ـ وهو بمرو ـ فاجتمع به فأعاده إلى نيسابور ، وأمره بقصدِ الرّي وأمدّه بجيشٍ كثير ، فعاد إلى نيسابور ، وسار منها إلى الرّي في جُمادى الآخرة وبها ركن الدولة . فلما علم ركن الدولة بكثرة جموعه ، سار عن الرّي واستولى أبو عليّ عليها وعلى سائر أعمال الجبال ، وأنفذ نوابه إلى الأعمال وذلك في شهر رمضان من هذه السنة . ثم إن الأمير نوحاً سار من مرو إلى نيسابور فوصل إليها في رجب ، وأقام بها خمسين يوماً . فوضع أعداء أبي عليّ جماعة من الغوغاء، والعامة ، فاجتمعوا واستغاثوا عليه وشكوا سوء سيرته وسيرة نوّابه ، فاستعمل الأمير نوح على نيسابور إبراهيم بن سيمجور ، وعاد عنها إلى بُخارى في رمضان . وكان مرادهم

بذلك أن يقطعوا طمع أبي عليّ عن خراسان، ليقيم بالرّي وبلاد الجبل . فاستوحش أبو علي لذلك ، فإنه كان يعتقد أنه يحسن إليه بسبب فتح الرّي وتلك الأعمال . فلما عزل شق ذلك عليه ووجّه أخاه أبا العباس الفضل بن محمد إلى كور الجبال وولّاه همذان ، وجعله خليفة على من معه من العساكر . فقصد الفضل نهاوند ، والدينور ، وغيرهما . واستولى عليها واستأمن إليه رؤساء الأكراد من تلك الناحية ، وأنفذوا إليه رهائنهم .

ذكر وصول معز الدولة إلى واسط وعوده عنها

في هذه السّنة آخر رجب ، وصل معز الدولة أبو الحسين أحمد بن بويه إلى مدينة واسط . فسمع توزون به ، فسار هو والمستكفي بالله من بغداد إلى واسط ، فلما سمع معز الدولة بمسيرهم إليه فارقها سادس رمضان . ووصل الخليفة وتوزون إلى واسط ، فأرسل أبو القاسم البريدي يضمن البصرة فأجابه توزون إلى ذلك ، وضمَّنه وسلَّمها إليه . وعاد الخليفة وتوزون إلى بغداد، فدخلاها ثامن شوّال من السنة .

ذكر ملك سيف الدولة مدينة حلب وحمص

في هذه السّنة ، سار سيف الدولة عليّ بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب ، فملكها واستولى عليها ، وكان مع المتقي لله بالرّقة ، فلما عاد المتقي إلى بغداد، وانصرف الإخشيد إلى الشام ، بقي يأنس المؤنسي بحلب ، فقصده سيف الدولة . فلما نازلها فارقها يأنس ، وسار إلى الإخشيد، فملكها سيف الدولة . ثم سار منها إلى حمص فلقيه بها عسكر الإخشيد محمد بن طغج صاحب الشام ومصر مع مولاه كافور ، واقتتلوا . فانهزم عسكر الإخشيد وكافور وملك سيف الدولة مدينة حمص ، وسار إلى دمشق فحصرها فلم يفتحها أهلها له فرجع . وكان الإخشيد قد خرج من مصر إلى الشام ، وسار خلف سيف الدولة فالتقيا بقشرين ، فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر . ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة . فلما عاد الإخشيد إلى دمشق رجع سيف الدولة إلى حلب . ولما ملك سيف الدولة حلب سارت الروم إليها فخرج إليهم فقاتلهم بالقرب منها فظفر بهم ، وقتل منهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة ثامن جُمادى الأولى قبض المستكفي بالله على كاتبه أبي

عبد الله بن أبي سليمان وعلى أخيه . واستكتب أبا أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي على خاص أمره . وكان أبو أحمد لما تقلّد المستكفي الخلافة بالموصل يكتب لناصر الدولة . فلمّا بلغه خبر تقلده الخلافة ، انحدر إلى بغداد لأنه كان يخدم المستكفي بالله ويكتب له وهو في دار ابن طاهر . وفيها في رجب سار توزون ومعه المستكفي بالله من بغداد يريدان الموصل ، وقصدا ناصر الدولة ، لأنه كان قد أخّر حمل المال الذي عليه من ضمان البلاد واستخدم غلماناً هربوا من توزون وكان الشرط بينهم أنه لا يقبل أحداً من عسكر توزون ، فلما خرج الخليفة وتوزون من بغداد ترددت الرّسل في الصلح . وتوسَّط أبو جعفر بن شيرزاد الأمر وانقاد ناصر الدولة لحمل المال . وكان أبو القاسم بن مكرم كاتب ناصر الدولة هو الرسول في ذلك . ولما تقرر الصلح عاد المستكفي وتوزون فدخلا بغداد. وفيها في سابع ربيع الآخر، قبض المستكفي على وزيره أبي الفرج السرمراي[1] وصُودِرَ على ثلاثمائة ألف درهم ، وكانت مدة وزارته اثنين وأربعين يوماً .

---

(١) وفي نسخة « السامري » وهو صحيح أيضاً .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة

ذكر موت توزون وإمارة ابن شيرزاد

في هذه السّنة في المحرم مات توزون في داره ببغداد ، وكانت مدة إمارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً . وكتب له ابن شيرزاد مدة إمارته غير ثلاثة أيام . ولما مات توزون كان ابن شيرزاد بهيت لتخليص أموالها، فلما بلغه الخبر عزم على عقد الإمارة لناصر الدولة بن حمدان ، فاضطربت الأجناد، وعقدوا الرياسة عليهم لابن شيرزاد[1] . فحضر ونزل بباب حرب مستهلّ صفر . وخرج عليه الأجناد جميعهم واجتمعوا عليه وحلفوا له . ووجه إلى المستكفي بالله ليحلف له ، فأجابه إلى ذلك ، وحَلَفَ له بحضرة القضاة والعدول . ودخل إليه ابن شيرزاد ، وعاد مكرَّماً يخاطب بأمير الأمراء . وزاد الأجناد زيادة كثيرة ، فضاقت الأموال عليه . فأرسل إلى ناصر الدولة مع أبي عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي - وهو بالموصل - يطالبه بحمل المال ويعدهُ بردّ الرياسة إليه ، وأنفذ له خمسمائة ألف درهم ، وطعاماً كثيراً ، ففرَّقها في عسكره فلم يؤثر ، فقسَّط الأموال على العمال والكتّاب والتجار وغيرهم لأرزاق الجند وظلم الناس ببغداد ، وظهر اللصوص ، وأخذوا الأموال وجلا التجار ، واستعمل على واسط ينال كوشة وعلى تكريت اللشكري . فأما ينال فإنه كاتب معز الدولة بن بويه ، واستقدمه وصار معه . وأما الفتح اللشكري فإنه سار إلى ناصر الدولة بالموصل ، وصار معه فأقره على تكريت.

ذكر استيلاء معز الدولة على بغداد

لما كاتب ينال كوشة معز الدولة بن بويه - وهو بالأهواز - ودخل في طاعته سار معز

---

(١) وفي النجوم الزاهرة : « وبها في المحرم توفي توزون التركي الأمير بهيت وكان معه كاتبه أبو جعفر بن شيرزاد فطمع في المملكة وحلف العساكر لنفسه الخ » .

الدولة نحوه فأضطرب الناس ببغداد . فلما وصل إلى باجسري اختفى المستكفي بالله . وابن شيرزاد وكانت إمارته ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . فلما استتر سار الأتراك إلى الموصل ، فلما أبعدوا ظهر المستكفي ، وعاد إلى بغداد إلى دار الخلافة . وقدم أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي صاحب معز الدولة إلى بغداد، فاجتمع بابن شيرزاد بالمكان الذي استتر فيه .

ثم إجتمع بالمستكفي ، فأظهر المستكفي السرورَ بقدومِ معز الدولة ، وأعلمه أنه إنما استتر من الأتراك ليتفرّقوا ، فيحصل الأمر لمعز الدولة بلا قتال ، ووصل معز الدولة إلى بغداد حادي عشر جُمادى الاولى[1] فنزل بباب الشماسية ، ودخل من الغد إلى الخليفة المستكفي وبايعه ، وحلف له المستكفي ، وسأله معز الدولة أن يأذن لابن شيرزاد بالظهور ، وأن يأذن أن يستكتبه . فأجابه إلى ذلك . فظهر ابن شيرزاد ولقي معز الدولة فولاّه الخراج وجباية الأموال وخلع الخليفة على معز الدولة ، ولقّبه ذلك اليوم معز الدولة ، ولقّب أخاه علياً عماد الدولة ولقّب أخاه الحسن ركن الدولة ، وأمر أن تضرب ألقابهم ، وكناهم على الدنانير والدراهم[2]، ونزل معز الدولة بدار مؤنس ونزل أصحابه في دُور الناس فلحِقَ الناس من ذلك شدَّة عظيمة ، وصار رسماً عليهم بعد ذلك ـ وهو أول من فعله ببغدادَ ولم يعرف بها قبله ـ وأُقيمَ للمستكفي بالله كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته ، وكانت ربما تأخرت عنه فأقرت له مع ذلك ضياع سُلِّمَتْ إليه تولاها أبو أحمد الشيرازي كاتبه .

ذكر خلع المستكفي بالله

وفي هذه السّنة خلع المستكفي بالله لثمان بقينَ من جُمادى الآخرة. وكان سبب ذلك أن علماً القهرمانة صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم ، والأتراك ، فأتهمها معز الدولة، أنها فعلت ذلك لتأخذَ عليهم البيعة للمستكفي ، ويزيلوا معز الدولة، فساء ظنّه لذلك لمّا رأى من أقدام علم، وحضراسفهد وست عند

---

(١) في تجارب الأمم « لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة » .

(٢) ومعز الدولة المذكور هو أول من ملك من الديلم من بني بويه . وهو أول من وضع السعاة ببغداد ليجعلهم رسلاً بينه وبين أخيه ركن الدولة إلى الري . وكان له ساعيان : فضل ، ومرعوش ، وكان كل واحد منهما يمشي في اليوم ستة وثلاثين فرسخاً فضرى بذلك شباب بغداد وانهمكوا فيه حتى نجب منهم عدة سعاة .

معز الدولة وقال : قد راسلني الخليفة[1] في أنْ ألقاهُ متنكراً . فلما مضى اثنان وعشرون يوماً من جُمادى الآخرة حضر معز الدولة والناس عند الخليفة ، وحضر رسول صاحب خراسان ومعز الدولة جالس ، ثم حضر رجلان من نقباء الدّيلم يصيحان ، فتناولا يدَ المستكفي بالله ، فظنَّ أنهما يريدان تقبيلها فمدَّها إليهما فجذباه عن سريره وجعلا عمامته في حلقه ، ونهضَ معز الدولة ، واضطرب الناس ، ونهبت الأموال ، وساق الديلمان المستكفي بالله ماشياً إلى دار معز الدولة ، فاعتُقِلَ بها ، ونُهِبَتْ دار الخلافة ، حتى لم يبقَ بها شيء . وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي وأخذت علم القهرمانة فقطع لسانها وكانت مدّة خلافة المستكفي سنة واحدة وأربعة أشهر، وما زال مغلوباً على أمره مع توزون، وابن شيرزاد، ولما بويع المطيعُ لله سلم إليه المستكفي ، فسمله وأعماه وبقي محبوساً إلى أن مات في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . وكان مولده ثالث عشر صفر سنة ست وتسعين ومائتين ،وأمه أم ولد اسمها غصن، وكان أبيض حسن الوجه قد ، وخطَّه الشيب.

ذكر خلافة المطيع لله

لما وُلِيَ المستكفي بالله الخلافة خافَهُ المطيع ـ وهو أبو القاسم الفضل بن المقتدر ـ لأنه كان بينهما منازعة ، وكان كل منهما يطلب الخلافة ـ وهو يسعى فيها ـ، فلما وُلّي المستكفي خافه، واستتر منه ، فطلبه المستكفي أشدّ الطلب فلم يظفر به . فلما قَدِمَ معز الدولة بغداد قيل : إن المطيع انتقلَ إليه، واستتر عنده وأغراه بالمستكفي حتى قبض عليه وسمله . فلما قبض المستكفي بويع للمطيع لله بالخلافة يوم الخميس ثاني عشر جُمادى الآخرة ولقِّبَ المطيع لله .

وأحضر المستكفي عنده فسلَّم عليه بالخلافة، وأُشهِدَ على نفسه بالخلع ، وازداد أمر الخلافة إدباراً ولم يبقَ لهم من الأمر شيء البتة ، وقد كانوا يراجعون، ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء . فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه

---

(١) بين ابن مسكويه الحامل لاصفهدوست على ذلك « وهو أن المستكفي بالله قبض على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشفع فيه أصفهدوست فلم يشفعه فاحفظه ذلك وذهب الى معز الدولة وقال له : راسلني الخليفة الخ .

بحيث أنّ الخليفة لم يبقَ له وزيرٌ، وإنما كان له كاتب يدبر أقطاعه وإخراجاته لا غير . وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد . وكان من أعـظم الأسباب في ذلك ، أن الديلم يتشيعون ويغالون في التشييع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة، وأخذوها من مستحقيها فلم يكن عندهم باعث ديني يحثّهم على الطاعة حتى لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين ، والبيعة للمعز لدين الله العلوي أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار عليه بذلك ما عدا بعض خواصه ، فإنه قال : « ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابُك أنك ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلسْتَ بعض العلويين خليفـة كان معـك من تعتقد أنت وأصحـابـك صحـة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه ، فأعـرض عن ذلك[١] » . فهـذا كان من أعـظم الأسباب في زوال أمرهم ونهبهم مع حب الدنيا، وطلب التفرد بها. وتسلّم معز الدولة العراق بأسره ولم يبقَ بيدِ الخليفة منه شيء البتة إلّا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته .

ذكر الحرب بين ناصر الدولة ومعز الدولة

وفيها في رجب ، سيَّر معز الدولة عسكراً فيهم موسى فيادة[٢] ، وينال كوشة[٣] إلى الموصل في مقدمته . فلما نزلوا عكبراء أوقع ينال كوشة[٤] بموسى فيادة ، ونهب سواده ، ومضى هو ومن معه إلى ناصر الدولـة ، وكان قـد خرج من المـوصل نحـو العراق . ووصل ناصر الدولة إلى سامراء في شعبان، ووقعت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا .

---

(١) قال صاحب التكملة : وعزم معز الدولة على أن يبايع ابا الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلوي فمنعه الصيمري من ذلك وقال إذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك. وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مراراً وتمرض تارة وتستقل اطواراً لأن اصلها ثابت وبنيانها راسخ فعدل معز الدولة عن تعويله ».

(٢) في تجارب الامم « فياذة » وقد تقدم .

(٣) في تجارب الامم « وكان ذلك في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب » .

(٤) في تجارب الامم أوقع ينال كوشة وابن البارد.

وفي رمضان سار معز الدولة مع المطيع لله إلى عكبرا ، فلما سار عن بغداد لحق ابن شيرزاد بناصر الدولة ، وعاد إلى بغدادَ مع عسكر لناصر الدولة ، فاستولوا عليها ودبّر ابن شيرزاد الأمور بها نيابة عن ناصر الدولة ، وناصر الدولة يحارب معز الدولة . فلما كان عاشر رمضان سار ناصر الدولة من سامراء إلى بغداد فأقام بها. فلما سمع معز الدولة الخبر ، سار إلى تكريت فنهبها لأنها كانت لناصر الدولة ، وعاد الخليفة معه إلى بغداد ، فنزلوا بالجانب الغربي ، ونزل ناصر الدولة بالجانب الشرقي ، ولم يخطب للمطيع ببغداد . ثم وقعت الحرب بينهم ببغداد وانتشرت أعراب ناصر الدولة بالجانب الغربي ، فمنعوا أصحاب معز الدولة من الميرة ، والعلف فغلت الأسعار على الديلم ، حتى بلغ الخبز عندهم كل رطل بدرهم وربع ، وكان السعر عند ناصر الدولة رخيصاً كانت تأتيه الميرة في دجلة من الموصل ، فكان الخبز عنده كل خمسة أرطال بدرهم . ومنع ناصر الدولة من المعاملة بالدنانير التي عليها اسم المطيع ، وضرب دنانير . ودراهم على سكة ، سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة وعليها اسم المتقي لله[1] . واستعان ابن شيرزاد بالعيارين والعامة على حرب معز الدولة ، فكان يركب في الماء،وهم معه ، ويقاتل الديلم .

وفي بعض الليالي عبر ناصر الدولة في ألف فارس لكبس معز الدولة ، فلقيهم اسفهدوست[2] فهزمهم ، وكان من أعظم الناس شجاعة . وضاق الأمر بالديلم حتى عزم معز الدولة على العود إلى الأهواز وقال : « نعمل معهم حيلةً هذه المرة فإن أفادت وإلاّ عدنا » . فرتب ما معه من المعابر بناحية الثمارين ، وأمر وزيره أبا جعفر الصيمري ، واسفهدوست بالعبور ، ثم أخذ معه باقي العسكر . وأظهر أنه يعبر في قطربل . وسار ليلاً ومعه المشاعل على شاطىء دجلة ، فسار أكثر عسكر ناصر الدولة بإذائه ليمنعوه من العبور . فتمكّن الصيمري ، واسفهدوست من العبور ، فعبروا، وتبعهم أصحابهم . فلما عَلِمَ معز الدولة بعبور أصحابه ، عاد إلى مكانه فعلموا بحيلته . فلقيهم ينال كوشة في جماعة أصحاب ناصر الدولة فهزموه ، واضطرب عسكر

(١) في تجارب الامم « وضرب ناصر الدولة دنانير ودراهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقي لله ، وناصر الدولة ، وسيف الدولة » .

(٢) في تجارب الامم « اصفهدوست » بالصاد المهملة .

ناصر الدولة ، وملك الديلم الجانب الشرقي وأُعِيدَ الخليفةُ إلى دارِهِ في المحرم سنة خمس وثلاثين ، وغنم الديلم ونهبوا أموال الناس ببغداد . فكان مقدار ما غنموه ونهبوه من أموال المعروفين دون غيرهم عشرة آلاف ألف دينار . وأمرهم معز الدولة برفع السّيف والكفّ عن النهب ، وأمّن الناس فلم ينتهوا . فأمر وزيره أبا جعفر الصيمري ، فركب وقتلَ وصلبَ جماعة ، وطاف بنفسه فامتنعوا . واستقرَّ معز الدولة ببغداد ، وأقام ناصر الدولة بعُكبراء . وأرسل في الصلح بغير مشورة من الأتراك التوزونية ، فهمُّوا بقتله ، فسار عنهم مجداً نحو الموصل ، ثم استقرّ الصلح بينه وبين معز الدولة في المحرم سنة خمس وثلاثين .

ذكر وفاة القائم وولاية المنصور

في هذه السّنة توفي القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن عبد الله المهدي العلوي صاحب أفريقية[1] لثلاث عشرة مضت من شوّال . وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل ، وتلقب بالمنصور بالله وكتم موته خوفاً أن يعلم بذلك أبو يزيد ـ وهو بالقرب منه على سوسة ـ وأبقى الأمور على حالها ، ولم يتَّسمْ بالخليفة ، ولم يغيّر السكة ، ولا الخطبة ولا البنود . وبقي على ذلك إلى أن فرغ من أمر أبي يزيد . فلما فرغ منه أظهر موته ، وتسمّى بالخلافة وعمل آلات الحرب والمراكب وكان شهماً شُجاعاً ، وضبط الملك والبلاد .

ذكر أقطاع البلاد وتخريبها

فيها شغب الجند على معز الدولة بن بويه وأسمعوه المكروه ، فضمن لهم إيصال أرزاقهم في مـدة ذكرها لهم فأضطر إلى خبط الناس ، وأخذ الأموال من غير وجوهها . وأقطع قواده وأصحابه القرى جميعها التي للسلطان وأصحاب الأملاك ، فبطل لذلك أكثر الدواوين ، وزالت أيدي العمال . وكانت البلاد قد خُرِّبَتْ من الاختلاف والغلاء

---

(١) قال الحافظ ابو عبد الله الذهبي في تاريخ الاسلام : وكان القائم شراً من ابيه المهدي زنديقا ملعوناً ، وذكر القاضي عبد الجبار انه أظهر سب الأنبياء عليهم السلام وكان مناديه ينادي العنوا الغار وما حوى وقتل خلقاً من العلماء وكان يراسل ابا طاهر القرمطي الى البحرين وهجر وامره باحراق المساجد والمصاحف فلما كثر فجوره خرج عليه رجل يقال له : مخلد بن كيداد الخ ما ذكر من الأمور العجيبة .

والنَّهبِ فأخذ القوّاد القرى العـامرة ، وزادت عمـارتها معهم ، وتـوفّر دخلهـا بسبب الجاه ، فلم يمكن معز الدولة العود عليها بذلك . وأما الأتبـاع فإنّ الذي أخذوه ازداد خراباً فردُّوه ، وطلبوا العوض عنه فعوِّضُوا . وترك الأجناد الإهتمام بمشارب القرى ، وتسوية طرقها ، فهلكت وبَطُلَ الكثير منها . وأخذ غلمان المقطعين في ظلم وتحصيل العاجل . فكان أحدهم إذا عَجِزَ الحاصل تممه بمصادراتها. ثم إن معز الدولة فرض حماية كل موضع إلى بعض أكابر أصحابـه فأتخـذه مسكناً، وأطمعـه فاجتمـع إليهم الأخوة، وصار القواد يدعون الخسارة في الحاصل فلا يقدر وزيـره ، ولا غيره على تحقيق ذلك ، فإن اعترضهم معترض صاروا أعداء له ، فتركوا وما يريدون ، فازداد طمعهم ، ولم يقفوا عند غاية . فتعذَّرَ على معز الدولة جمـع ذخيرة تكـون للنوائب والحوادث ، وأكثر من إعطاء غلمانه الأتراك ، والزيادة لهم في الإقـطاع، فحسدَهُم الدّيلم ، وتولَّد من ذلك الوحشة والمنافرة، فكان من ذلك ما نذكره.

ذكر موت الإخشيد[١] وملك سيف الدولة دمشق

في هذه السّنة في ذي الحجة ، مات الإخشيد أبو بكر محمد بن طغج صاحب ديار مصر ، وكان مولدُهُ سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد ، وكان موته بدمشق ، وقيل : مات سنة خمس وثلاثين وولّى الأمر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور[٢] فاستولى على الأمر كافور الخادم الأسود ـ وهو من خدم الاخشيد ـ وغلب أبا القاسم واستضعفه ، وتفرَّدَ بـالـولايـة ، وهـذا كـافـور هـو الـذي مـدحـه المتنبي ثم هجـاه . وكـان أبـو القـاسم صغيـراً وكـان كـافـور أتـابكـه فلهـذا استضعفـه ، وحكم عليـه .

---

(١) قال صاحب التكملة وكان ابن طغج جباناً شديد التيقظ في حروبه ، وكان جيشه يحتوي على اربعمائة رجل ، وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنوبة كل نوبة الفا مملوك ويوكل . بجانبه خيمته الخدم ثم لا يثق بعد ذلك فيمضي إلى خيم الفراشين فينام ، قال التنـوخي : لقب الراضي ابـا بكر محمد بن طغج امير مصر بالاخشيد . وسبب ذلك انه فرغاني وكل من ملك فرغانة يدعى اخشيد كما تدعو الروم ملكها بقيصر . والفرس بكسرى. وشاهانشاه والمسلمون بأمير المؤمنين وملك اشرو سنة الافشين وملك خوارزم خوارزم شاه . وملك الترك خاقان ، وملك جرجان صول. وملك اذربيجان اصبهبذ، وملك طبرستان يدعى سالار . وكان ابو بكر بن الاخشيد على مذهب الجبائي المعتزل المشهور.

(٢) ضبطه صاحب عقد الجمان ـ بفتح الهمزة وضم النون والجيم بعدها وقبلها واو ساكنة وفي آخره راء ساكنة وانوجور اسم اعجمي غير كنية معناه باللغة العربية محمود مقامه .

فسار كافور إلى مصر فقصد سيف الدولة دمشق فملكها ، وأقام بها . فاتفق أنه كان يسير هو والشّريف العقيلي بنواحي دمشق، فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد فقال له العقيلي : « هي لأقوام كثيرة » . فقال سيف الدولة : « لئن أخذتها القوانين السلطانية لينبرون منها » . فأعلم العقيلي أهل دمشق بذلك فكاتبوا كافوراً يستدعونه، فجاءهم فأخرجوا سيف الدولة عنهم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، وكان أنوجور مع كافور فتبعوا سيف الدولة إلى حلب فخافهم سيف الدولة فعبر إلى الجزيرة. وأقام أنوجور على حلب ثم استقرَّ الأمر بينهما وعاد أنوجور إلى مصر ، وعاد سيف الدولة إلى حلب . وأقام كافور بدمشق يسيراً ، وولى عليها بدر الإخشيدي ويعرف ببدير ، وعاد إلى مصر ، فبقي بدير على دمشق سنة ثم وليها أبو المظفر بن طغج وقبض على بدير .

ذكر مخالفة ابي عليّ على الأمير نوح

وفي هذه السّنة خالف أبو عليّ بن محتاج على الأمير نوح صاحب خُراسان وما وراء النهر . وسبب ذلك أنّ أبا عليّ لمّا عاد من مرو إلى نيسابور، وتجهّز للمسير إلى الرّي أنفذ إليه الأمير نوح عارضاً يستعرض العسكر ، فأساء العارض السيرة معهم ، وأسقط منهم ونقص فنفرت قلوبهم ، فساروا وهم على ذلك ، وانضاف إلى ذلك أن نوحاً أنفذ معهم من يتولّى أعمال الديوان ، وجعل إليه الحلّ والعقد والإطلاق بعد أن كان جميعه أيام السعيد نصر بن أحمد إلى أبي عليّ فنفر قلبه لذلك . ثم إنه عُزِلَ عن خراسان ، وأُستُعمِلَ عليها إبراهيم بن سيمجور ، كما ذكرناه .

ثم ان المتولّي أساء إلى الجند في معاملاتهم ، وحوائجهم وأرزاقهم ، فازدادوا نفوراً . فشكا بعضهم إلى بعض ـ وهم إذ ذاك بهمذان ـ واتفقَ رأيهم على مكاتبة إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل عم نوح واستقدامه إليهم ومبايعته وتمليكه البلاد . وكان إبراهيم حينئذ بالموصل في خدمة ناصر الدولة ، وكان سبب مسيره إليها ، ما ذكرناه قبل .

فلما اتفقوا على ذلك أظهروا عليه أبا عليّ فنهاهم عنه فتوعدوه ، بالقبض عليه إن خالفهم فأجابهم إلى ما طلبوا، فكاتبوا إبراهيم وعرّفوه حالهم ، فسار إليهم في تسعين

فارساً فقَدِمَ عليهم في رمضان من هذه السنة . ولقيه أبو علي بهمذان ، وساروا معه إلى الرّي في شوّال. فلما وصلوا إليها إطّلع أبو عليّ من أخيه الفضل على كتاب كتبه إلى الأمير نوح يطلعه على حالهم ، فقُبِضَ عليه ، وعلى ذلك المتولي الذي أساء إلى الجند ، وسار إلى نيسابور ، واستخلف على الرّي والجبل نوابه .

وبلغ الخبر إلى الأمير نوح ، فتجهَّز وسار إلى مرو من بُخارى، وكان الأجناد قد ملُّوا من محمد بن أحمد الحاكم المتولّي للأمور لسوء سيرته ، فقالوا لنوح : « ان الحاكم أفسد عليك الأمور بخراسان، وأحوج أبا علي إلى العصيان وأوحش الجنود ، وطلبوا تسليمه إليهم وإلا ساروا إلى عمه إبراهيم وأبي عليّ فسلّمه إليهم » . فقتلوه في جُمادى الأولى سنة خمس وثلاثين. ولما وصل أبو عليّ إلى نيسابور كان بها إبراهيم بن سيمجور، ومنصور بن قراتكين. وغيرهما من القوّاد فاستمالهما أبو علي فمالا إليه، وصارا معه ودخلها في المحرم سنة خمس وثلاثين. ثم ظهر له من منصور ما يكره فقبض عليه. ثم سار أبو عليّ ، وإبراهيم من نيسابور ، في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين إلى مرو ، وبها الأمير نوح . فهرب الفضل أخو أبي عليّ من محبسِهِ، احتال على الموكلين به . وهرب إلى قهستان فأقام بها . وسار أبو عليّ إلى مرو ، فلما قاربها ، أتاه كثير من عسكر نوح . وسار نوح عنها إلى بخارى ، واستولى أبو عليّ على مرو في جُمادى الأولى سنة خمس وثلاثين، وأقام بها أياماً، وأتاه أكثر أجناد نوح . وسار نحو بخارى وعبر النهر إليها. ففارقها نوح وسار إلى سمرقند، ودخل أبو عليّ بُخارى في جُمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، وخطب فيها لإبراهيم العمر، وبايع له الناس، ثم أن أبا عليّ اطلع من إبراهيم على سوء قد أضمره له ففارقه ، وسار إلى تركستان . وبقي إبراهيم في بخارى.

وفي خلال ذلك أطلق أبو عليّ منصور بن قراتكين ، فسار إلى الأمير نوح ، ثم إن إبراهيم وافق جماعة في السِّر على أن يخلعَ نفسه من الأمر ويردّه إلى ولد أخيه الأمير نوح ، ويكون هو صاحب جيشه ، ويتفق معه على قصد أبي عليّ . ودعا أهل بُخارى إلى ذلك فأجابوه ، واجتمعوا ، وخرجوا إلى أبي عليّ ، وقد تفرّق عنه أصحابه ، وركب إليهم في خيل ، فردّهم إلى البلد أقبح ردٍّ ، وأراد إحراق البلد ، فشفع إليه مشايخ بُخارى فعفا عنهم ، وعاد إلى مكانه . واستحضر أبا جعفر محمد بن نصر بن أحمد ـ وهو أخو الأمير نوح ـ وعقد له الإمارة وبايع له ، وخطب له في النواحي كلها .

ثم ظهر لأبي عليّ فساد نيات جماعة من الجند ، فرتّب أبا جعفر في البلد ، ورتّب ما يجب ترتيبه ، وخرج عن البلد يظهر المسير إلى سمرقند ، ويضمر العود إلى الصغانيان، ومنها إلى نَسَفَ[١] .

فلما خرج من البلد ردَّ جماعة من الجند والحشم إلى بُخارى وكاتب نوحاً بإفراجه عنها ، ثم سار إلى الصغانيان في شعبان . ولما فارق أبو عليّ بُخارى خرج إبراهيم ، وأبو جعفر محمد بن نصر إلى سمرقند، مستأمنين إلى نوح مظهرين الندم على ما كان منهم ، فقرَّبهم وقَبلَهُم ، ووعدهم ، وعاد إلى بُخارى في رمضان ، وقَتَلَ نوح في تلك الأيام طغان الحاجب وسمل عمه إبراهيم ، وأخويه أبا جعفر محمداً ، وأحمد ، وعادت الجيوش فاجتمعت عليه والأجناد ، وأُصلِحَ الفساد .

وأما الفضل بن محمد أخو أبي عليّ فإنه لما هرب من أخيه ، كما ذكرناه ، ولحق بقهستان جمع جمعاً كثيراً ، وسار نحو نيسابور، وبها محمد بن عبد الرزاق من قبل أبي عليّ . فخرج منها إلى الفضل ، فالتقيا وتحاربا ، فانهزم الفضل ومعه فارس واحد . فلحق ببُخارى فأكرمه الأمير نوح ، وأحسن إليه ، وأقام في خدمته .

ذكر استعمال منصور بن قراتكين على خراسان

لما عاد الأمير نوح إلى بُخارى، وأصلح البلاد ، وكان أبو علي بالصغانيان ، وبمرو أبو أحمد محمد بن عليّ القزويني . فرأى نوح أن يجعل منصور بن قراتكين على جيوش خراسان ، فولّاه ذلك ، وسيّره إلى مرو ، وبها أبو أحمد وقد غور المناهل ما بين آمل ، ومرو ، ووافق أبا عليّ ثم تخلّى عنه . وسار إلى منصور جريدة في ألفي فارس ، فلم يشعر القزويني إلّا بنزول منصور بكُشْماهن[٢] على خمسة فراسخ من مرو، واستولى منصور على مرو ، واستقبله أبو أحمد القزويني فأكرمه ، وسيَّره إلى بخارى مع ماله وأصحابه . فلما بلغها أكرمه الأمير نوح ، وأحسن إليه إلا أنه وكّل به ، فظفر بعض الأيام برقعة قد كتبها القزويني بما أنكره . فأحضره وبكته بذنوبه ، ثم قتله .

---

(١) نسف : بفتح أوله وثانيه ، مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق بين جيحون وسمرقند .

(٢) كُشماهن : في معجم البلدان : كشميهن بالضم ثم السكون وفتح الميم وباء ساكنة وهاء مفتوحة ونون : قرية كانت عظيمة من قرى مرو على طرف البرية ، آخر عمل مرو .

ذكر مصالحة أبي علي مع نوح

ثم أن أبا علي أقام بالصغانيان ، فبلغه أن الأمير نوحاً قد عزم على تسيير عسكر إليه فجمع أبو علي الجيوش ، وخرج إلى بلخ ، وأقام بها . وأتاه رسول الأمير نوح في الصُّلحِ ، فأجاب إليه ، فأبى عليه جماعة ممن معه من قواد نوح الذين انتقلوا إليه ، وقالوا : « نحب أن تردَّنا إلى منازلنا » . ثم صالح ، فخرج أبو عليّ نحو بُخارى ، فخرج إليه الأمير نوح في عساكره ، وجعل الفضل بن محمد أخا أبي علي صاحب جيشه . فالتقوا بجرجيك في جُمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة . وتحاربوا قبيل العصر فاستأمن اسماعيل بن الحسن الدّاعي إلى نوح ، وتفرّق العسكر عن أبي علي ، فانهزم ، ورجع إلى الصغانيان . ثم بلغه أن الأمير نوحاً قد أمر العساكر ، بالمسير إليه من بخارى ، وبلخ ، وغيرهما . وان صاحب الختل قد تجهّز لمساعدة أصحاب أبي علي . فسار أبو عليّ في جيشه إلى ترمذ ، وعبر جيحون . وسار إلى بلخ فنازلها واستولى عليها وعلى طخارستان وجبى مال تلك الناحية . وسار من بُخارى عسكر جرار إلى الصغانيان ، فأقاموا بنسف، ومعهم الفضل بن محمد أخو أبي عليّ .

فكتب جماعة من قوّاد العسكر إلى الأمير نوح بان الفضل قد اتهموه بالميل إلى أخيه . فأمرهم بالقبض عليه، فقبضوا عليه وسيَّروه إلى بُخارى. وبلغ خبر العسكر إلى أبي علي وهو بطخارستان ، فعاد إلى الصغانيان ، ووقعت بينهم حروب، ، وضيَّق عليهم أبو عليّ في العلوفة . فانتقلوا إلى قرية أخرى على فرسخين من الصغانيان ، فقاتلهم أبو عليّ في ربيع الأول سنة سبع وثلاثين قتالاً شديداً فقهروه .

وسار إلى شومان وهي على ستة عشر فرسخاً من الصغانيان ، ودخل عسكر نوح إلى الصغانيان ، فأخربوا قصور أبي عليّ ومساكنه ، وتبعوا أبا عليّ فعاد إليهم ، واجتمع إليه الكتيبة ، وضيّق على عسكر نوح وأخذ عليهم المسالك ، فانقطعت عنهم أخبار بُخارى، وأخبارهم عن بُخارى نحو عشرين يوماً ، فأرسلوا إلى أبي عليّ يطلبون الصُّلح فأجابهم إليه . واتفقوا على انفاذ ابنه أبي المظفر عبد الله رهينة إلى الأمير نوح . واستقرَّ الصُّلح بينهما في جُمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

وسيَّر ابنه إلى بخارى فأمر نوح باستقباله فأكرمه وأحسن إليه . وكان قد دخل إليه بعمامة ، فخلع عليه القلنسوة ، وجعله من ندمائه، وزال الخلف ، وكان ينبغي أن

نذكر هذه الحوادث في السنين التي هي فيها كانت ، وإنما أوردناها متتابعة في هذه السنة لئلا يتفرق ذكرها . هذا الذي ذكره أصحاب التواريخ من الخراسانيين . وقد ذكر العراقيون هذه الحوادث على غير هذه السِّياقة ، وأهل كل بلد أعلم بأحوالهم .

ونحن نذكر ما ذكره العراقيون مختصراً قالوا : إن أبا علي لما سار نحو الري في عساكر خراسان ، كتب ركن الدولة إلى أخيه عماد الدولة ، يستمده ، فأرسل إليه يأمره بمفارقة الري والوصول إليه لتدبير له في ذلك . ففعل ركن الدولة ذلك ودخل أبو علي الريّ .

فكتب عماد الدولة إلى نوح سراً يبذل له في الري في كل سنة زيادة على ما بذله أبو عليّ مائة ألف دينار ، ويعجل ضمان سنة ، ويبذل من نفسه مساعدته على أبي عليّ يظفر به ، وخوّفه منه . فاستشار نوح أصحابه ، وكانوا يحسدون أبا عليّ ويعادونه ، فأشاروا عليه بإجابته : فأرسل نوح إلى ابن بويه من يقرّر القاعدة ويقبض المال فأكرم الرسول ، ووصله بمال جزيل ؛ وأرسل إلى أبي عليّ يعلمه خبر هذه الرسالة ، وأنه مقيم على عهده ووده ، وحذره من غدر الأمير نوح ، فأنفذ أبو عليّ رسوله إلى إبراهيم ـ وهو بالموصل ـ يستدعيه ليملكه البلاد . فسار إبراهيم فلقيه أبو عليّ بهمذان وساروا إلى خراسان .

وكتب عماد الدولة إلى أخيه ركن الدولة يأمره بالمبادرة إلى الرّي ، فعاد إليه واضطربت خراسان ، ورد عماد الدولة رسول نوح بغير مال وقال : « أخاف أن أنفذ المال فيأخذه أبو علي » . وأرسل إلى نوح يحذره من أبي عليّ ويعِدهُ المساعدة عليه . وأرسل إلى أبي علي يعده بإنفاذ العساكر نجدة له ، ويشير عليه بسرعة اللقاء . وأن نوحاً سار فالتقى هو وأبو علي بنيسابور ، فانهزم نوح وعاد إلى سمرقند واستولى أبو عليّ على بُخارى ، وأن أبا عليّ استوحش من إبراهيم ، فانقبض عنه ، وجمع نوع العساكر وعاد إلى بُخارى ، وحارب عمه إبراهيم . فلما التقى الصفّان عاد جماعة من قوّاد إبراهيم إلى نوح ، وانهزم الباقون . وأخِذَ إبراهيم أسيراً ، فسمل هو وجماعة من أهل بيته ، سملهم نوح .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة اصطلح معز الدولة وأبو القاسم البريدي وضمن ابو القاسم مدينة

واسطَ ، وأعمالها منه . وفيها اشتدَّ الغلاء ببغداد حتى أكل النـاس الميتة والكـلاب والسنانير ، وأخذ بعضهم ومعه صبي قد شواه ليأكله، وأكل الناس خروب الشوك ، فأكثروا منه وكانوا يسلقون حبه ، ويأكلونه. فلحق الناس أمراض وأورام في أحشائهم ، وكَثُرَ فيهم الموت حتى عجز الناس عن دفن الموتى . فكانت الكلاب تأكل لحومهم ، وانحـدر كثيـر من أهـل بغـداد إلى البصـرة فمـات أكثـرهم في الـطريق ، ومن وصـل منهم مات بعد مـدة يسيرة . وبِيْعَتْ الدُّور ، والعقار بالخبز ، فلما دخلت الغلات انحل السعر . وفيها توفّي عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح الوزيـر ، وله تسعـون سنة . وقد تقدم من أخباره ما يدل على دينه وكفايته [١] . وفيها توفي أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي الفقيه الحنبلي ببغداد[٢] وأبو بكر الشّبلي الصوفي توفي في ذي الحجة ، ومحمد بن عيسى أبو عبد الله ، ويُعرَفُ بابن أبي موسى الفقيه الحنفي في ربيع الأول .

---

(١) وزر المقتدر . والقاهر وحدث عن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن وغيره ، روى عنه الطبراني وغيره . وكان صدوقاً ديناً خيراً صالحاً عالماً من خيار الوزراء ومن صلحاء الكبراء وكان كثير البر والمعروف والصلاة والصيام ومجالسة العلماء .

(٢) هو صاحب المختصر في الفقه شـرحه القـاضي ابو يعلى بن الفـراء . والشيخ مـوفق الدين بن قـدامة المقدسي .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

في هذه السّنة في المحرم استقرّ معز الدولة ببغدادَ ، وأعاد المطيع لله إلى دار الخلافة ، بعد أن استوثـق منه . وقد تقدم ذلك مفصلا . وفيها اصطلح معز الدولة ، وناصر الدولة ، وكانت الرسل تردد بينهما بغير علم من الأتراك التوزونية ، وكان ناصر الدولة نازلاً شرقي تكريت ، فلما عَلِمَ الأتراك بذلك[١] ، ثاروا بناصر الدولة ، فهرب منهم ، وعبر دجلة إلى الجانب الغربي ، فنزل على مُلهم ، والقرامطة ، فأجاروه[٢] وسيَّروه ومعه ابن شيرزاد إلى الموصل .

ذكر حرب تكين وناصر الدولة

لما هرب ناصر الدولة من الأتراك، ولم يقدروا عليه اتفقوا على تأمير تكين الشيرازي وقبضوا على ابن قرابة وعلى كتاب ناصر الدولة ومن تخلَّف من أصحابه . وقبض ناصر الدولة على ابن شيرزاد عند وصوله إلى جهينة[٣] ، ولم يلبث ناصر الدولة بالموصل بل

---

(١) عبارة ابن مسكويه في تجارب الامم اوضح من هذا قال : وفيها ورد ابو بكر بن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح ، وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرات فتقرر أمر الصلح على أن يكون في يد ناصر الدولة من حد تكريت إلى فوق ويضاف إلى اعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً مما كان يحمله من المال ويكون الذي حمله عن مصر والشام . ماكان يحمله الإخشيد محمد بن طغج عنهما وعلى أن يدر ناصر الدولة الميرة إلى بغداد ولا توخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به وانفذ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لالتماس الصلح بغير موافقة منه للاتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر امر الصلح اجتمع الاتراك للايقاع به» الخ .

(٢) قال صاحب التكملة : فاستجار بأم ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره .

(٣) في تجارب الامم « ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلمه وعلى طازاذ . وعلى أبي سعيد وهب بن ابراهيم . وجوهر خادم ابن شيرزاد ، وأنفذ جماعتهم الى القلعة» الخ .

سار إلى نصيبين ، ودخل تكين والأتراك إلى الموصل ، وساروا في طلبه ، فمضى إلى سنجار فتبعه تكين إليها ، فسار ناصر الدولة من سنجار إلى الحديثة فتبعه تكين ، وكان ناصر الدولة قد كتب إلى معز الدولة يستصرخه فسيَّر الجيوش إليه . فسار ناصر الدولة من الحديثة إلى السن ، فاجتمع هناك بعسكر معز الدولة، وفيهم وزيره أبو جعفر الصيمري ، وساروا بأسرهم إلى الحديثة لقتال تكين ، فالتقوا بها واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم تكين والأتراك بعد أن كادوا يستظهرون فلما انهزموا تبعهم العرب من أصحاب ناصر الدولة ، فأدركوهم وأكثروا القتل فيهم ، وأسروا تكين الشيرازي، وحملوه إلى ناصر الدولة ، فسمله في الوقت فأعماه ، وحمله إلى قلعة من قلاعه فسجنه بها .

وسار ناصر الدولة، والصيمري إلى الموصل فنزلوا شرقيها ، وركب ناصر الدولة إلى خيمة الصَّيمري ، فدخل إليه ، ثم خرج من عنده إلى الموصل ، ولم يعد إليه .

فحُكِيَ عن ناصر الدولة أنه قال : « ندمت حين دخلْتُ خيمته فبادرت وخرجت » . وحُكِيَ عن الصيمري أنه قال : « لما خرج ناصر الدولة من عندي ندمْتُ ، حيث لم أقبضْ » عليه ثم تسلم الصيمري ابن شيرزاد من ناصر الدولة ألف كر حنطة، وشعيراً وغير ذلك[1] .

ذكر استيلاء ركن الدولة على الري

لما كان من عساكر خراسان ما ذكرناه ، من الإختلاف. وعاد أبو علي إلى خراسان . رجع ركن الدولة إلى الرّي واستولى عليها ، وعلى سائر أعمال الجبل ، وأزال عنها الخراسانية، وأعظم ملك بني بويه ، فإنهم صار بأيديهم أعمال الرّي ، والجبل ، وفارس ، والأهواز ، والعراق ، ويّحمل إليهم ضمان الموصل ، وديار بكر وديار مضر من الجزيرة .

---

(١) في تجارب الامم « ثم تسلم ابو جعفر الصيمري طازاذ ووهباً ، وجوهراً وألف كرّ حنطة وشعيراً وانحدر بهم إلى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له : هبة الله وأدخل ابن شيرزاد بعده بيوم الى بغداد موكلاً به وصادره معز الدولة على خمسمائة ألف درهم ثم حمل ناصر الدولة تكين الشيرازي مسمولا إلى معز الدولة فأحسن إليه معز الدولة وأطلقه وأقطعه اقطاعاً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة اختلف معز الدولـة بن بويـه ، وأبو القـاسم بن البريـدي والي البصرة ، فارسل معز الدولة جيشاً إلى واسطَ، فسيَّر إليهم ابن البريدي جيشاً من البصرة في الماء ، وعلى الظهر فالتقوا ، واقتتلوا . فانهزم أصحاب البريدي وأُسِرَ من أعيانهم جماعة كثيرة . وفيها كان الفداء بالثغور بين المسلمين ، والروم على يد نصر الثملي أمير الثغور لسيف الدولة بن حمدان، وكان عدة الأسرى ألفين وأربعمائة أسير وثمانين أسيراً من ذكر وأنثى ، وفضَّل الروم على المسلمين مائتان وثلاثون أسيراً ، لكثرة من معهم من الأسرى فوافاهم ذلك سيف الدولة .

وفيهـا في شعبـان قبض سيف الـدولـة بن حمـدان على أبي إسحـاق محمـد القراريطي ، وكـان استكتبه استـظهاراً على أبي الفـرج محمد بن علي السـرمري ، واستكتب أبا عبد الله محمد بن سليمان بن فهـد الموصلي . وفيهـا توفي محمـد بن اسماعيل بن بحـر[1] أبو عبـد الله الفارسي الفقيـه الشافعي في شـوَّال ، ومحمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو بكر الصولي وكان عالماً بفنـون الآداب والأخبار[2] .

---

(١) في الاصل « نجر » وهو تصحيف .

(٢) ويعرف بالشطرنجي جده الأعلى هو صول ملك جرجان ، وكان احد العلماء البارزين بفنـون الادب . وحسن المعـرفة بـأخبار الملوك وأيـام الخلفاء ومـآثر الأشـراف وطبقات الشعـراء. البدايـة والنهايـة: ١١/٢٣٣ ، وقد اورد ابن كثير وفاته في سنة ٣٣٦ .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة

ذكر استيلاء معز الدولة على البصرة

في هذه السّنة سار معز الدولة ومعه المطيع لله إلى البصرة، لاستنقاذها من يد أبي القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي ، وسلكوا البرية إليها . فأرسل القرامطة من هجر إلى معز الدولة ينكرون عليه مسيره إلى البرية بغير أمرهم ، وهي لهم فلم يجبهم عن كتابهم ، وقال للرسول : قل لهم: من أنتم حتى تستأمروا؟ وليس قصدي من أخذ البصرة غيركم ، وستعلمون ما تقولون مني ، ولما وصل معز الدولة إلى الدرهمية استأمن إليه عساكر أبي القاسم البريدي وهرب أبو القاسم في الرابع والعشرين من ربيع الآخر إلى هجر، والتجأ إلى القرامطة وملك معز الدولة البصرة ، فانحلّت الأسعار ببغداد إنحلالاً كثيراً ، وسار معز الدولة من البصرة إلى الأهواز ليلقى أخاه عماد الدولة . وأقام الخليفة وأبو جعفر الصيمري بالبصرة. وخالف كوركير - وهو من أكابر القوّاد - على معز الدولة فسيَّر إليه الصيمري ، فقاتله فانهزم كوركير ، وأُخِذَ أسيراً ، فحبسه معز الدولة بقلعة رامهرمز . ولقي معز الدولة أخاه عماد الدولة بأرجان في شعبان ، وقبّل الأرض بين يديه ، وكان يقف قائماً عنده فيأمره بالجلوس فلا يفعل . ثم عاد إلى بغداد وعاد المطيع أيضاً إليها ، وأظهر معز الدولة أنه يريد أن يسيرَ إلى الموصل فتردَّت الرسل بينه وبين ناصر الدولة ، واستقر الصلح ، وحُمِلَ المال إلى معز الدولة فسكت عنه .

ذكر مخالفة محمد بن عبد الرزاق بطوس

كان محمد بن عبد الرزاق بطوس وأعمالها ، وهي في يده ويد نوّابه، فخالف على الأمير نوح بن نصر السّاماني . وكان منصور بن قراتكين صاحب جيش خراسان بمرو عند نوح، فوصل إليهما وشمكير منهزماً من جرجان قد غلبه عليها الحسن بن الفيرزان ، فأمر نوح منصوراً بالمسير إلى نيسابور ، ومحاربة محمد بن عبد الرزاق ،

وأخذ ما بيده من الأعمال ، ثم يسير مع وشمكير إلى جرجان ، فسار منصور ووشمكير إلى نيسابور ، وكان بها محمد بن عبد الرزاق ففارقها نحو أُستُوا[1] فاتبعه منصور .

فسار محمد إلى جرجان، وكاتب ركن الدولة بن بويه، واستأمن إليه، فأمره بالوصول إلى الري . وسار منصور من نيسابور إلى طوس، وحصروا رافع بن عبد الرزاق بقلعة شميلان ، فاستأمن بعض أصحاب رافع إليه فهرب رافع من شميلان إلى حصن درك . فاستولى منصور على شميلان ، وأخذ ما فيها من مال وغيره . واحتمى رافع بدرك ، وبها أهله ووالدته ـ وهي على ثلاثة فراسخ من شميلان ـ فأخرب منصور شميلان ، وسار إلى درك فحاصرها ، وحاربهم عدَّة أيام فتغيّرت المياه بدرك ، فاستأمن أحمد بن عبد الرزاق إلى منصور في جماعة من بني عمه وأهله . وعمد أخوه رافع إلى الصامت من الأموال والجواهر ، وألقاها في البسط إلى تحت القلعة . ونزل هو وجماعة فأخذوا تلك الأموال، وتفرّقوا في الجبال. واحتوى منصور على ما كان في قلعة درك ، وأنفذ عيال محمد بن عبد الرزاق ، ووالدته إلى بُخارى فاعتقلوا بها. وأما محمد بن عبد الرزاق فإنه سار من جرجان إلى الري وبها ركن الدولة بن بويه فأكرمه ركن الدولة، وأحسن إليه وحمل إليه شيئاً كثيراً من الأموال وغيرها ، وسرَّحه إلى محاربة المرزبان ، على ما نذكره.

ذكر ولاية الحسن بن علي صقلية

في هذه السّنة استعمل المنصور الحسن بن عليّ بن أبي الحسن الكلبي على جزيرة صقلية ، وكان له محل كبير عند المنصور ، وله أثر عظيم في قتال أبي يزيد. وكان سبب ولايته أن المسلمين كانوا قد استضعفهم الكفار بها أيام عطاف ، لعجزه وضعفه ، وامتنعوا من اعطاء مال الهدنة . وكان بصقلية بنو الطبري من أعيان الجماعة ، ولهم اتباع كثيرون، فوثبوا بعطاف أيضاً ، وأعانهم أهل المدينة عليه يوم عيد الفطر ، سنة خمس وثلاثين ، وقتلوا جماعة من رجاله وأفلتَ عطاف هارباً بنفسه إلى الحصن ، فأخذوا أعلامه وطبوله ، وانصرفوا إلى ديارهم ، فارسل أبو عطاف إلى المنصور يعلمه الحال ، ويطلب المدد . فلما علم المنصور ذلك استعمل على الولاية

---

(١) بضم أوله وسكون ثانيه وضم التاء المثناة من فوق وواو وألف . ومعناه بلسانهم المضحاة والمشرقة .

الحسن بن عليّ وأمره بالمسير . فسار في المراكب فأرسى بمدينة مازر[١] فلم يلتفت إليه أحد فبقي يومه . فأتاه في الليل جماعة من أهل افريقية وكُتامة ، وغيرهم ، وذكروا أنهم خافوا الحضور عنده من ابن الطبري ومن اتفق معه من أهل البلاد وان عليّ بن الطبري ومحمد بن عبدون وغيرهما قد ساروا إلى افريقية ، وأوصوا بنيهم ليمنعوه من دخول البلد ، ومفارقة مراكبه إلى أن تصل كتبهم بما يلقون من المنصور . وقد مضوا يطلبون أن يولّي المنصور غيره . ثم أتاه نفر من أصحاب ابن الطبري ومن معه ليشاهدوا من معه فرأوه في قلة فطمعوا فيه وخادعوه وخادعهم .

ثم عادوا إلى المدينة وقد وعدهم أنه يقيم بمكانه إلى أن يعودوا إليه . فلما فارقوه جدَّ السَّيْر إلى المدينة قبل أن يجمعوا أصحابهم ، ويمنعوه . فلما انتهى إلى البيضاء أتاه حاكم البلد وأصحاب الدواوين ، وكل من يريد العافية ، فلقيهم وأكرمهم وسألهم عن أحوالهم . فلما سمع اسماعيل بن الطبري بخروج هذا الجميع إليه اضطرَّ إلى الخروج إليه ، فلقيه الحسن ، وأكرمه ، وعاد إلى داره . ودخل الحسن البلد ومال إليه كل منحرف عن بني الطبري ومن معه . فلما رأى ابن الطبري ذلك أمر رجلاً صقلياً ، فدعا بعض عبيد الحسن ، وكان موصوفاً بالشجاعة، فلما دخل بيته خرج الرجل يستغيث ويصيح ويقول : « هذا فعلهم ولم يتمكنوا من البلد » . وأمر الناس بالحضور عند الحسن ظناً منه أنه لا يعاقب مملوكه ، فيثور الناس به فيخرجونه من البلد . فلما اجتمع الناس وذلك الرجل يصيح ويستغيث أحضره الحسن عنده . وسأله عن حاله ، فحلَّفه بالله تعالى على ما يقول ، فحلف فأمر بقتل الغلام فقُتِلَ فسرَّ أهل البلد وقالوا : الآن طابت نفوسنا، وعلمنا أن بلدنا يتعمر ، ويظهر فيه العدل . فانعكس الأمر على ابن الطبري وأقام الحسن وهو خائف منهم .

ثم إن المنصور أرسل إلى الحسن يعرفه أنه قبض على عليّ بن الطبري ، وعلى محمد بن عبدون ومحمد بن جنا ، ومن معهم ويأمره بالقبض على اسماعيل بن الطبري ، ورجاء بن جنا ، ومحمد ومخلفي الجماعة المقبوضين . فاستعظم الأمر ، ثم أرسل إلى ابن الطبري يقول له : « كنت قد وعدتني أن نتفرج في البستان الذي لك فتحضر لنمضي إليه » . وأرسل إلى الجماعة على لسان ابن الطبري يقول : تحضرون

---

(١) بتقديم الزاي المفتوحة على الراء .

لنمضي مع الأمير إلى البستان . فحضروا عنده وجعل يحادثهم ، ويطول إلى أن أمسوا فقال: قد فات الليل، وتكونون أضيافنا. فأرسل إلى أصحابهم يقول: إنهم الليلة في ضيافة الأمير فتعودون إلى بيوتهم إلى الغد. فمضى أصحابهم ، فقبض عليهم ، وأخذ جميع أموالهم وكَثُرَ جمعه، واتفق الناس عليه وقويت نفوسهم ، فلما رأى الروم ذلك أحضر الراهب مال الهدنة لثلاث سنين.

ثم إن ملك الروم أرسل بطريقاً في البحر في جيش كثير إلى صقلية، واجتمع هو والسردغوس . فارسل الحسن بن عليّ إلى المنصور يعرِّفه الحال ، فأرسل إليه إسطولاً فيه ، سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل سوى البحرية. وجمع الحسن إليهم جمعاً كثيراً وسار في البر والبحر ، فوصل إلى مسيني[١] وعدت العساكر الاسلامية إلى ريو[٢] وبثَّ الحسن السرايا في أرض قلورية[٣] ، ونزل الحسن على جراجة[٤] وحاصرها أشدَّ حصار ، وأشرفوا على الهلاك من شدَّة العطش . فوصله الخبر انّ الروم قد زحفوا إليه فصالح أهل جراجة على مال أخذه منهم . وسار إلى لقاء الروم ، ففروا من غير حرب إلى مدينة بارة . ونزل الحسن على قلعة قسانة ، وبثَّ سراياه إلى قلورية ، وأقام عليها شهراً ، فسألوه الصُّلحَ فصالحهم على مال أخذه منهم .

ودخل الشتاء فرجع الجيش إلى مسيني وشتى الأسطول بها . فارسل المنصور يأمره بالرجوع إلى قلورية ، فسار الحسن وعدي المجاز إلى جراجة ، فالتقى المسلمون والسردغوس ، ومعه الروم يوم عرفة ، سنة اربعين وثلاثمائة ، فاقتتلوا أشدّ قتال رآه الناس . فانهزمت الروم وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل وأكثروا القتل فيهم ، وغنموا أثقالهم وسلاحهم ودوابهم .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين فقصد الحسن جراجة فحصرها فأرسل إليه قسطنطين ملك الروم يطلب منه الهدنة فهادنه. وعاد الحسن إلى ريو وبنى بها

---

(١) بفتح اوله ثم سين مشددة مكسورة وياء تحتها نقطتان ساكنة ونون مكسورة وياء ساكنة مقابل ريو الآتي ذكرها .

(٢) بفتح اوله وضم ثانيه وواو ساكنة مدينة مقابل جزيرة صقلية من ناحية المشرق على بر قسطنطينية .

(٣) بكسر اوله وتشديد اللام وفتحه وسكون الواو وكسر الراء والياء مفتوحة خفيفة جزيرة في شرقي صقلية .

(٤) غير موجود في معجم البلدان .

مسجداً كبيراً في وسط المدينة ، وبنى في أحد أركانه مئذنة ، وشرط على الروم أنهم لا يمنعون المسلمين من عمارته ، وإقامة الصلاة فيه والأذان ، وأن لا يدخله نصراني . ومن دخله من الأسارى المسلمين فهو آمن سواء كان مرتداً أو مقيماً على دينه ، وإن أخرجوا حجراً منه هدمت كنائسهم كلها بصقلية وأفريقية . فوفي الروم بهذه الشروط كلها ذلة وصغاراً . وبقي الحسن بصقلية إلى أن توفي المنصور، وملك المعز فسار إليه ، وكان ما نذكره .

ذكر عصيان جمان بالرّحبة وما كان منه

كان هذا جمان من أصحاب توزون ، وصار في جملة ناصر الدولة بن حمدان ، فلما كان ناصر الدولة ببغداد في الجانب الشرقي ـ وهو يحارب معز الدولة ـ ضمَّ ناصر الدولة جميع الدّيلم الذين معه إلى جمان لقلة ثقته بهم ، وقلّده الرحبة ، وأخرجه إليها ، فعظم أمره هناك ، وقصده الرجال فأظهر العصيان على ناصر الدولة ، وعزم على التغلب على الرِّقة ، وديار مضر ، فسار إلى الرّقة فحصرها سبعة عشر يوماً ، فحاربه أهلها وهزموه ، ووثب أهل الرحبة بأصحابه وعُمّاله، فقتلوهم لشدَّةِ ظلمهم ، وسوء معاملتهم . فلما عاد من الرّقة وضع السَّيف في أهلها ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . فأرسل إليه ناصر الدولة حاجبه ياروخ في جيش ، فاقتتلوا على شاطىء الفرات ، فانهزم جمان فوقع في الفرات فغرق . واستأمن أصحابه إلى ياروخ، وأخرج جمان من الماء فدُفِنَ مكانه .

ذكر ملك ركن الدولة طبرستان وجرجان

وفيها في ربيع الأول اجتمع ركن الدولة بن بويه ، والحسن بن الفُيرزان ، وقصدوا بلاد وشمكير ، فالتقاهم وشمكير وانهزم منهم . وملك ركن الدولة طبرستان ، وسار منها إلى جرجان فملكها . واستأمن من قواد وشمكير مائة وثلاثة عشر قائداً . فأقام الحسن بن الفيرزان بجرجان ، ومضى وشمكير إلى خراسان مستجيراً ، ومستنجداً لإعادة بلاده ، فكان ما نذكره .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في صفر ظهر كوكب له ذنب طوله نحو ذراعين في المشرق وبقي

نحو عشرة أيام[١] واضمحلّ ، وفيها مات سلامة الطولوني الذي كان حاجب الخلفاء فأخذ ماله ، وعياله وسار إلى الشام أيام المستكفي فمات هناك . ولما سار عن بغداد أخذ ماله في الطريق ، ومات هو الآن ، فذهبت نعمته ونفسه حيث ظنَّ السلامة . ولقد أحسن القائل حيث يقول :

وإذا خشيْتُ من الأمور مقدرا   فهربت منه فنحوه تتقدم

وفيها توفي محمد بن أحمد بن حماد أبو العباس الأثرم المقرى [٢].

---

(١) في شذرات الذهب « فبقي ثلاثة عشر يوماً ».

(٢) توفي بالبصرة وله ست وتسعون سنة .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

ذكر ملك معز الدولة الموصل وعوده عنها

في هذه السّنة سار معز الدولة من بغداد إلى الموصل قاصداً لناصر الدولة . فلما سمع ناصر الدولة بذلك سار عن الموصل إلى نصيبين . ووصل معز الدولة فملكَ الموصل في شهر رمضان ، وظلم أهلها وعسفهم ، وأخذ أموال الرعايا ، فكَثُرَ الدعاء عليه . وأراد معز الدولة أن يملك جميع بلاد ناصر الدولة ، فأتاه الخبر من أخيه ركن الدولة أن عساكر خراسان ، قد قصدت جرجان والرّي ، ويستمده ويطلب منه العساكر . فاضطّرإلى مصالحة ناصر الدولة فتردّدت الرُّسل بينهما في ذلك ، واستقرّ الصلح بينهما على أن يؤدي ناصر الدولة عن الموصل وديار الجزيرة كلها ، والشام كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ، ويخطب في بلاده لعماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة بني بويه . فلما استقرَّ الصُّلح عاد معز الدولة إلى بغداد، فدخلها في ذي الحجة من السنة .

ذكر مسير عسكر خراسان إلى جرجان

في هذه السّنة سار منصور بن قراتكين ، في جيوش خراسان إلى جرجان صحبة وشمكير ، وبها الحسن بن الفيرزان ، وكان منصور منحرفًا عن وشمكير في السَّير فتساهل لذلك مع الحسن، وصالحه وأخذ ابنه رهينة . ثم بلغ منصوراً أن الأمير نوحاً اتصل بابنة ختكين مولى قراتكين ـ وهو صاحب بست والرخج ـ فساء ذلك منصوراً وأقلقه ، وكان نوح قد زوّج قبل ذلك بنتاً لمنصور من بعض مواليه اسمه فتكين ، فقال منصور : « يتزوج الأمير بابنة مولاي وتزوج ابنتي من مولاه» . فحمله ذلك على مصالحة الحسين بن الفيرزان وأعاد عليه ابنه ، وعاد عنه إلى نيسابور ، وأقام الحسن بزوزن وبقي وشمكير بجرجان .

ذكر مسير المرزبان إلى الرّي

في هذه السّنة سار المرزبان محمد بن مسافر صاحب أذربيجان إلى الري . وسبب ذلك أنه بلغه خروج عساكر خراسان إلى الرّي ، وأن ذلك يشغل ركن الدولة عنه . ثم إنه كان أرسل رسولاً إلى معز الدولة ، فحلق معز الدولة لحيته وسبّه، وسبَّ صاحبه وكان سفيهاً . فعظم ذلك على المرزبان وأخذ في جمع العساكر ، واستأمن إليه بعض قواد ركن الدولة ، وأطمعه في الري ، وأخبره أن من ورائه من القواد ، يريدونه فطمع لذلك . فراسله ناصر الدولة يعده المساعدة ويشير عليه أن يبتدىء ببغداد فخالفه ، ثم أحضر أباه وأخاه وهسوذان ، واستشارهما في ذلك فنهاه أبوه عن قصد الري ، فلم يقبل . فلما ودَّعه بكى أبوه وقال : « يا بني أين أطلبك بعد يومي هذا » ؟ قال: أما في دار الأمارة بالرّي وأما بين القتلى ، فلما عرف ركن الدولة خبرُه ، كتب إلى أخويه عماد الدولة. ومعز الدولة يستمدهما ، فسيَّر عماد الدولة ألفي فارس ، وسيَّر إليه معز الدولة جيشاً مع سبكتكين التركي ، وأنفذ عهداً من المطيع لله لركن الدولة بخراسان . فلما صاروا بالدينور خالف الديلم على سبكتكين ، وكبسوه ليلاً ، فركب فرس النوبة ونجا . واجتمع الأتراك عليه ، فعلم الدّيلم إنهم لا قوة لهم به، فعادوا إليه وتضرَّعوا ، فقبل عذرهم .

وكان ركن الدولة قد شرع مع المرزبان في المخادعة ، وأعمال الحيلة . فكتب إليه يتواضع له ويعظمه ، ويسأله أن ينصرف عنه على شرط، أن يسلّم إليه ركن الدولة زنجان ، وأبهر وقزوين ، وترددت الرّسل في ذلك إلى أن وصله المدد من عماد الدولة ، ومعز الدولة ، وأحضر معه محمد بن عبد الرزاق . وأنفذ له الحسن بن الفيرزان عسكراً مع محمد بن ماكان ، فلما كثر جمعه قبض على جماعة ممن كان يتهمهم من قواده ، وسار إلى قزوين ، فعلم المرزبان عجزه عنه وأنف من الرجوع ، فالتقيا فانهزم عسكر المرزبان ، وأُخِذَ أسيراً وحُمِلَ إلى سميرم فحبس بها ، وعاد ركن الدولة .

ونزل محمد بن عبد الرزاق بنواحي أذربيجان . وأما أصحاب المرزبان ، فإنهم اجتمعوا على أبيه محمد بن مسافر ، وولّوه أمرهم . فهرب منه ابنه وهسوذان إلى حصن له ، فأساء محمد السيرة مع العسكر ، فأرادوا قتله ، فهرب إلى ابنه وهسوذان فقبض عليه وضيَّق عليه حتى مات . ثم تحيَّر وهسوذان في أمره فاستدعى ديسم الكردي لطاعة

الأكراد له ، وقوّاه وسيَّره إلى محمد بن عبد الرزاق، فالتقيا فانهزم ديسم، وقوّى ابن عبد الرزاق فأقام بنواحي أذربيجان يجبي أموالها . ثم رجع إلى الرّي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وكاتب الأمير نوحاً وأهدى له هدية وسأله الصفح فقبل عذره ، وكاتب وشمكير بمهادنته فهادنه ، ثم عاد محمد إلى طوس سنة تسع وثلاثين لما خرج منصور إلى الرّي .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة سار سيف الدولة بن حمدان إلى بلد الروم ، فلقيه الروم ، واقتتلوا. فانهزم سيف الدولة ، وأخذ الروم مرعش ، وأوقعوا بأهل طرسوس . وفيها قبض معز الدولة على اسفهدوست[١] ـ وهو خال معز الدولة ـ وكان من أكابر قواده وأقرب الناس إليه . وكان سبب ذلك أنه كان يكثر الدالة عليه ويعيبه في كثير من أفعاله. ونُقِلَ عنه أنه كان يراسل المطيع لله في قتل معز الدولة ، فقبض عليه وسيَّره إلى رامهرمز ، فسجنه بها[٢] . وفيها استأمن أبو القاسم البريدي إلى معز الدولة ، وقَـدِمَ بغداد فلقي معـز الدولة ، فأحسن إليه، وأقطعه[٣] .

---

(١) في تجارب الامم « اصفهدوست » بالصاد المهملة .

(٢) قال صاحب التكملة « ومات بقلعتها معتقلاً » .

(٣) قال ابن مسكويه « واقطعه بمائة وعشرين الف درهم ضياعاً . زاد صاحب التكملة . واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخاباذ من بادوريا وأنزله في الدار المعروفة بالموزة بمشرعة الساج محتاطاً عليه .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

ذكر حال عمران بن شاهين

في هذه السّنة استفحل أمر عمران بن شاهين وقوي شأنه . وكان ابتداء حاله أنه من أهل الجامدة فجبى جبايات فهرب إلى البطيحة[٢] خوفاً من السلطان ، وأقام بين القصب والآجام ، واقتصر على ما يصيده من السمك وطيور الماء قوتاً . ثم صار يقطع الطريق على من يسلك البطيحة . واجتمع إليه جماعة من الصيادين ، وجماعة من اللصوص فقوي بهم ، وحمى جانبه من السلطان . فلما خاف أن يقصد، استأمن إلى أبي القاسم البريدي ، فقلّده حماية الجامدة ونواحي البطائح ، وما زال يجمع الرجال إلى أن كَثُرَ أصحابه ، وقوي واستعدَّ بالسلاح ، واتخذ معاقل على التلول التي بالبطيحة ، وغلب على تلك النواحي . فلما اشتدَّ أمره سيَّر معز الدولة إلى محاربته ، وزيره أبا جعفر الصيمري . فسار إليه في الجيوش وحاربه مرة بعد مرة ، واستأسر أهله وعياله . وهرب عمران بن شاهين واستتر وأشرف على الهلاك . فاتفق أن عماد الدولة بن بويه مات ، واضطرب جيشه بفارس فكتب معز الدولة إلى الصيمري بالمبادرة إلى شيراز لإصلاح الأمور بها ، فترك عمران ، وسار إلى شيراز على ما نذكره ، في موت عماد الدولة . فلما سار الصيمري عن البطائح ظهر عمران بن شاهين من استتاره ، وعاد إلى أمره، وجمع من تفرّق عنه من أصحابه وقوّى أمره . وسنذكر من أخباره فيما بعد ما تدعو الحاجة إليه .

ذكر موت عماد الدولة بن بويه

في هذه السّنة مات عماد الدولة أبو الحسن عليّ بن بويه بمدينة شيراز في جُمادى الآخرة. وكانت علته التي مات بها ، قرحة في كِلاهُ طالت به ، وتوالت عليه الأسقام ، والأمراض. فلما أحسَّ بالموت، أنفذ إلى أخيه ركن الدولة يطلب منه أن ينفذ إليه ابنه

عضد الدولة ، فناخسرو ، ليجعله ولّي عهده ، ووارث مملكته بفارس لأن عماد الدولة لم يكن له ولد ذكر . فأنفذ ركن الدولة ولده عضد الدولة فوصل في حياة عمه قبل موته بسنة . وسار في جملة ثقات أصحاب ركن الدولة . فخرج عماد الدولة إلى لقائه في جميع عسكره ، وأجلسه في داره على السرير ، ووقف هو بين يديه ، وأمر الناس بالسلام على عضد الدولة والانقياد له ، وكان يوماً عظيماً مشهوداً .

وكان في قواد عماد الدولة جماعة من الأكابر يخافهم ، ويعرفهم بطلب الرياسة ، وكانوا يرون أنفسهم أكبر منه نفساً وبيتاً وأحقُّ بالتقدّم ، وكان يداريهم . فلما جعل ولد أخيه في الملك خافهم عليه فأفناهم بالقبض . وكان منهم قائد كبير يقال له : شيرنجين بن جليس ، فقبض عليه فشفع فيه أصحابه وقواده ، فقال لهم : « إني أحدِّثكم عنه بحديث فإن رأيتم بعد استماعه أن أطلقه فعلت» . فحدثهم أنه كان في خراسان في خدمة نصر بن أحمد ونحن [يومئذ] شرذمة قليلة من الديلم، ومعنا هذا فجلس يوماً نصر وفي خدمته من مماليكه ، ومماليك أبيه بضعة عشر ألفاً سوى سائر العسكر، فرأيت شيرنجين هذا قد جرّد سكيناً[1] معه ، ولفّه في كسائه فقلت له : ما هذا ؟ فقال : أريد أن أقتل هذا الصبي - يعني نصراً - ولا أبالي بالقتل بعده ، فإني قد أنفت نفسي من القيام في خدمته . وكان عمر نصر بن أحمد يومئذ عشرين سنة وقد خرجت لحيته ، فعلمت أنه إذا فعل ذلك لم يقتل وحده بل نقتل كلنا . فأخذت بيده وقلت له : بيني وبينك حديث . فمضيت به إلى ناحية وجمعت الديلم وحدثتهم حديثه ، فأخذوا منه السكين أفتريدون مني بعد أن سمعتم حديثه في معنى نصر ، أن أمكِّنه من الوقوف بين يدي هذا الصبي - يعني ابن أخي - فأمسكوا عنه ، وبقي محبوساً حتى مات في محبسه . ومات عماد الدولة وبقي عضد الدولة بفارس، فاختلف أصحابه .

فكتب معز الدولة إلى وزيره الصيمري بالمسير إلى شيراز، وترك محاربة عمران بن شاهين . فسار إلى فارس . ووصل ركن الدولة أيضاً واتفقا على تقرير قاعدة عضد الدولة . وكان ركن الدولة قد استخلف على الرّي عليّ بن كامة - وهو من أعيان أصحابه .

---

(١) في تجارب الامم « دشنيا» والمستعمل عند الفرس دشته اي خنجر .

ولما وصل ركن الدولة إلى شيراز ابتدأ بزيارة قبر أخيه باصطخر ، فمشى حافياً حاسراً ومعه العساكر على حاله ولزم القبر ثلاثة أيام إلى أن سأله القواد الأكابر ، ليرجعَ إلى المدينة ، فرجع إليها وأقام تسعة أشهر ، وأنفذ إلى أخيه معز الدولة شيئاً كثيراً من المال والسلاح وغير ذلك .

وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الأمراء فلما مات صار أخوه ركن الدولة أمير الأمراء . وكان معز الدولة هو المستولي على العراق والخلافة ، وهو كالنائب عنهما ، وكان عماد الدولة كريماً حليماً عاقلاً حسن السياسة ، للملك والرعية ، وقد تقدَّم من أخباره ما يدل على عقله وسياسته[١] .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في جُمادى الآخرة قلَّد أبو السائب عتبة بن عبد الله قضاء القضاة ببغداد . وفيها في ربيع الآخر مات المستكفي بالله في دار السلطان ، وكانت علّتهُ نفث الدم[٢] .

---

(١) هو ابو الحسن عماد الدولة علي بن بويه وهو أكبر أولاد بويه . وأول من تملك منهم وكان عاقلاً حاذقاً حميد السيرة رئيساً في نفسه كان أول ظهوره في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وفي هذا العام قويت عليه الاسقام وتواترت عليه الآلام فأحس من نفسه بالهلاك ولم يفاده ولا دفع عنه أمر الله ما هو فيه من الاموال والملك وكثرة الرجال .

(٢) هوعبد الله المستكفي بالله بن الخليفة المكتفي بالله علي بن الخليفة المعتضد بالله أحمد بن ولي العهد طلحة الموفق بن الخليفة جعفر المتوكل الهاشمي العباسي البغدادي مات معتقلاً بعد أن خلع من الخلافة .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة

ذكر موت الصيمري ووزارة المهلبي

في هذه السّنة توفي أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري، وزير معز الدولة بأعمال الجامدة، وكان قد عاد من فارس إليها وأقام يحاصر عمران بن شاهين، فأخذته حمى حادة مات منها. واستوزر معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبي في جُمادى الأولى، وكان يخلف الصيمري بحضرة معز الدولة، فعرف أحوال الدولة والدواوين، فامتحنه معز الدولة، فرأى فيه ما يريده من الأمانة، والكفاية والمعرفة بمصالح الدولة، وحسن السِّيرة فاستوزره ومكّنه من وزارته، فأحسن السيرة وأزال كثيراً من المظالم خصوصاً بالبصرة، فإن البريديين كانوا قد أظهروا فيها كثيراً من المظالم، فأزالها وقرّب أهل العلم والأدب، وأحسن إليهم، وتنقّل في البلاد لكشف ما فيها من المظالم، وتخليص الأموال، فحسن أثره رحمه الله تعالى.

ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم

في هذه السّنة دخل سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم، فغزا وأوغل فيها وفتح حصوناً كثيرة وسبى وغنم، فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذوا عليه المضايق، فهلك من كان معه من المسلمين أسراً وقتلاً، واستردَّ الروم الغنائم والسبي وغنموا أثقال المسلمين، وأموالهم ونجا سيف الدولة في عدد يسير[1].

---

(١) ذكر الذهبي في تاريخ الاسلام الغزوة مفصلة انظر: ١٢٢/٣.

ذكر إعادة القرامطة الحجر الأسود

في هذه السّنة أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة[١] ، وقالوا : أخذناه بأمر وأعدناه بأمر ، وكان بجكم قد بذل لهم في ردِّه خمسين ألف دينار ، فلم يجيبوه وردُّوه الآن بغير شيء في ذي القعدة . فلما أرادوا ردَّه حملوه إلى الكوفة، وعلّقوه بجامعها حتى رآه الناس ، ثم حملوه إلى مكة وكانوا أخذوه من ركن البيت الحرام ، سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة .

ذكر مسير الخراسانيين إلى الريّ

في هذه السّنة سار منصور بن قراتكين من نيسابور إلى الرّي ، في صفر . أمره الأمير نوح بذلك . وكان ركن الدولة ببلاد فارس على ما ذكرناه . فوصل منصور إلى الريّ وبها عليّ بن كامة خليفة ركن الدولة ، فسار عليّ عنها إلى أصبهان ، ودخل منصور الريّ ، واستولى عليها وفرّق العساكر في البلاد ، فملكوا بلاد الجبل إلى قرميسين وأزالوا عنها نواب ركن الدولة ، واستولوا على همذان، وغيرها . فبلغ الخبر إلى ركن الدولة ـ وهو بفارس ـ فكتب إلى أخيه معز الدولة يأمره بإنفاذ عسكر يدفع تلك العساكر عن النواحي المجاورة للعراق ، فسيّر سبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الأتراك ، والديلم ، والعرب ، فلما سار سبكتكين عن بغداد، خلف أثقاله وأسرى جريدة إلى من بقرميسين من الخراسانيين ، فكبسهم وهم غارون . فقتل فيهم وأسر مقدمهم من الحمام واسمه بجكم الخمارتكيني . فأنفذه مع الأسرى إلى معز الدولة فحبسه مدة ثم أطلقه فلما بلغ الخراسانية ذلك اجتمعوا إلى همذان فسار سبكتكين نحوهم ، ففارقوا همذان ولم يحاربوه ، ودخل سبكتكين همذان ، وأقام بها إلى أن ورد عليه ركن الدولة في شوّال .

وسار منصور من الرّي في العساكر نحو همذان ، وبها ركن الدولة فلما بقي بينهما مقدار عشرين فرسخاً عدل منصور إلى أصبهان ، ولو قصد همذان لانحاز ركن

---

(١) وكان الذي جاء به كما حكاه في تاريخ الاسلام ابو محمد بن سنبر ثم سار به إلى مكة ورده الى موضعه قال المسبحي : ووافي سنبر بن الحسن إلى مكة ومعه الحجر الأسود ـ وأمير مكة معه ـ فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط وعليه ضباب فضة قدعملت من طوله وعرضه تضبط شقوقاً حدثت عليه بعد انقلاعه وأحضر له صانعاً معه جص يشده به فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجص.

الدولة عنه وكان ملك البلاد بسبب اختلاف كان في عسكر ركن الدولة ، ولكنه عدل عنه لأمر يريده الله تعالى . وتقدَّم ركن الدولة إلى سبكتكين بالمسير في مقدمته . فلما أراد المسير شغب عليه بعض الأتراك مرة بعد أخرى ، فقال ركن الدولة : « هؤلاء أعداؤنا ومعنا ، والرأيُ أن نبدأ بهم » . فواقعهم واقتتلوا فانهزم الأتراك .

وبلغ الخبر إلى معز الدولة، فكتب إلى ابن أبي الشوك الكردي وغيره ، يأمرهم بطلبهم والإيقاع بهم . فطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا ومضى من سلم منهم إلى الموصل ، وسار ركن الدولة نحو أصبهان ، ووصل ابن قراتكين إلى أصبهان فانتقل من كان بها من أصحاب ركن الدولة ، وأهله وأسبابه، وركبوا الصعب والذلول ، حتى البقر والحمير . وبلغ كراء الثور والحمار إلى خان لنجان[1] مائة درهم وهي على تسعة فراسخ من أصبهان. فلم يمكنهم مجاوزة ذلك الموضع ولو سار إليهم منصور لغنمهم وأخذ ما معهم وملك ما وراءهم إلا أنه دخل أصبهان ، وأقام بها . ووصل ركن الدولة فنزل بخان لنجان ، وجرت بينهما حروب عدّة أيام ، وضاقت الميرة على الطائفتين . وبلغ بهم الأمر إلى أن ذبحوا دوابهم ، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل ، ولكنّه تعذر عليه ذلك . واستشار وزيره أبا الفضل بن العميد في بعض الليالي في الهرب فقال له : « لا ملجأ لك إلاّ الله تعالى فانوِ؟ للمسلمين خيراً » . وصمَمَ العزم على حسن السيرة ، والإحسان إليهم فان الحيل البشرية كلها تقطَّعت بنا ، وان انهزمنا تبعونا وأهلكونا، وهم أكثر منا فلا يفلت منا أحد. فقال له : « قد سبقتك إلى هذا » .

فلما كان الثلث الأخير من الليل أتاهم الخبر ، أن منصوراً وعسكره قد عادوا إلى الرّي وتركوا خيامهم وكان سبب ذلك أن الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضاً إلاّ ان الديلم كانوا يصبرون ويقنعون بالقليل من الطعام ، وإذا ذبحوا دابة أو جملاً اقتسمه الخلق الكثير منهم. وكان الخراسانية بالضد منهم لا يصبرون ولا يكفيهم القليل. فشغبوا على منصور واختلفوا وعادوا إلى الرّي ، فكان عودهم في المحرم سنة أربعين .

فأتى الخبر ركن الدولة فلم يصدقْهُ حتى تواتر عنده . فركب هو وعسكره واحتوى على ما خلفه الخراسانية، حكى أبو الفضل بن العميد قال : استدعاني ركن الدولة تلك

---

(١) خان لَنْجَان : موضع بفارس ، قال ابو سعد : موضع بأصبهان وهي مدينة حسنة ذات سوق وعمارة بينها وبين اصفهان يومان .

الليلة الثلث الأخير ، وقال لي : « قد رأيت الساعة في منامي كأني على دابتي فيروز ، وقد انهزم عدونا ، وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب ، فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتماً، فأخذته فإذا فصّه من فيروزج، فجعلته في اصبعي وتبرَّكتُ به وانتبهت ، وقد أيقنت بالظفر » . فإن الفيروزج معناه الظفر ، ولذلك لقِّب الدابة فيروز ، قال ابن العميد ، فأتانا الخبر والبشارة بأن العدو قد رحل فما صدقنا، حتى تواترت الأخبار فركبنا ولا نعرف سبب هربهم وسرنا حذرين من كمين ، وسرت إلى جانب ركن الدولة ـ وهو على فرسه فيروز ـ فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه ناولني ذلك الخاتم ، فأخذ خاتماً من الأرض فناوله إياه ، فإذا هو فيروزج فجعله في اصبعه ، وقال : هذا تأويل رؤياي ، وهذا الخاتم الذي رأيت منذ ساعة، وهذا من أحسن ما يُحكى، وأعجبه »[1] .

ذكر أخبار عمران بن شاهين وانهزام عساكر معز الدولة

وقد ذكرنا حال عمران بن شاهين بعد مسير الصيمري عنه ، وأنه زاد قوة وجراءة، فأنفذ معز الدولة إلى قتاله روزبهان ـ وهو من أعيان عسكره ـ فنازله وقاتله فطاوله عمران وتحصَّن منه في مضايق البطيحة ، فضجر روزبهان ، وأقدم عليه طالباً للمناجزة ، فاستظهر عليه عمران وهزمه وأصحابه ، وقتل منهم وغنم جميع ما معهم من السلاح وآلات الحرب فقوي بها ، وتضاعفت قوته . فطمع أصحابه في السلطان فصاروا إذا اجتاز بهم أحد من أصحاب السلطان يطلبون الحرب فقوي بها ، وتضاعفت قوته ، فطمع أصحابه في السلطان فصاروا إذا اجتاز بهم أحد من أصحاب السلطان يطلبون منه البذرقة والخفارة ، فإن أعطاهم وإلّا ضربوه ، واستخفوا به وشتموه ، وكان الجند لا بد لهم من العبور عليهم إلى ضياعهم ،ومعايشهم بالبصرة وغيرها . ثم انقطع الطريق إلى البصرة إلّا على الظهر ، فشكا الناس ذلك إلى معز الدولة .

فكتب إلى المهلبي بالمسير إلى واسط لهذا السبب، وكان بالبصرة، فأصعد إليها وأمدَّه معز الدولة بالقواد والأجناد والسلاح ، وأطلق يده في الإنفاق ، فزحف إلى البطيحة وضيّق على عمران وسدَّ المذاهب عليه ، فانتهى إلى المضايق لا يعرفها إلّا

---

(١) ذكر مسير الخراسانيين الى الرّي وهزيمتهم حكاه ابن مسكويه في حوادث سنة أربعين وثلاثمائة بأوسع من هذا.

عمران وأصحابه . وأحب روزبهان أن يصيب المهلبي بما أصابه من الهزيمة، ولا يستبد بالظفر ، والفتح . وأشار على المهلبي بالهجوم على عمران فلم يقبل منه ، فكتب إلى معز الدولة يعجز المهلبي ويقول إنه يطاول لينفقَ الأموال، ويفعل ما يريد فكتب معز الدولة بالعتب والاستبطاء. فترك المهلبي الحزم وما كان يريد أن يفعله ودخل بجميع عسكره ، وهجم على مكان عمران . وكان قد جعل الكمناء في تلك المضايق وتأخر روزبهان ليسلّم عند الهزيمة فلما تقدم المهلبي خرج عليه وعلى أصحابه الكمناء ووضعوا فيهم السلاح فقتلوا وغرقوا وأسروا ، وانصرف روزبهان سالماً هو وأصحابه وألقى المهلبي نفسه في الماء فنجا سباحة ، وأسر عمران القواد ، والأكابر . فاضطر معز الدولة إلى مصالحته وإطلاق من عنده من أهل عمران ، وإخوته ، فاطلق عمران من في أسره من أصحاب معز الدولة، وقلّده معز الدولة البطائح فقوي واستفحل أمره .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة ليلة يوم السبت رابع عشر ذي الحجة ، طلع القمر منكسفاً وانكسف جميعه . وفيها في المحرم توفّي أبو بكر محمد بن أحمد بن قرابة بالموصل ، وحُمِلَ تابوته إلى بغداد. وفيها توفي أبو نصر محمد بن محمد الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها[١] ، وكان موته بدمشق ، وكان تلميذ يوحنا بن حيلان ، وكانت وفاة يوحنا أيام المقتدر بالله ، وفيها مات أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي النحوي[٢] وقيل : سنة أربعين .

---

(١) كان الفارابي من أعلم الناس بالموسيقى بحيث كان يتوسل به وبصناعته إلى الناس في الحاضرين من المستمعين إن شاء حرك ما يبكي أو يضحك أو ينوّم وكان حاذقاً في الفلسفة ومن كتبه تفقه ابن سينا وكان يقول بالمعاد الروحاني والجثماني ويخصص بالمعاد الارواح العالمة لا الجاهلة وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الاقدمين فعليه ـ ان كان مات على ذلك ـ لعنة رب العالمين ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه لنتنه وقباحته قاله ابو الفدا.

(٢) هو من أهل بغداد وسكن طبرية وأيلة وحدث بدمشق وصنف في النحو مختصراً وله كتاب الجمل وقد انتفع به خلق لا يحصون قال بعض المغاربة لكتابه عندنا مائة وعشرون شرحاً من احسنها واجمعها ما وضعه ابن عصفور والزجاجي نسبة الى الزجاج توفي بطبرية في رمضان .

ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمائة

ذكر وفاة منصور بن قراتكين وأبي المظفر بن محتاج

في هذه السّنة مات منصور بن قراتكين صاحب جيوش الخراسانية في شهر ربيع الأول بعد عوده من أصبهان إلى الرّي ، فذكر العراقيون أنه أدمن الشُّرب عدة أيام بلياليها فمات فجأة . وقال الخراسانيون : إنه مرض ومات والله أعلم. ولما مات رجعت العساكر الخراسانية إلى نيسابور وحُمِلَ تابوت منصور ، ودُفِنَ إلى جانب والده بأسبيجاب .

ومن عجيب ما يُحكى أن منصوراً لما سار من نيسابور إلى الرّي سيَّر غلاماً له إلى أسبيجاب ليقيمَ في رباط والده قراتكين الذي فيه قبره ، فلما ودّعه قال : كأنك بي قد حملت في تابوت إلى تلك البرية ، فكان كما قال بعد قليل مات وحُمِلَ تابوته إلى ذلك الرباط، ودُفِنَ عند قبر والده ، وفيها توفي أبو المظفر بن أبي علي بن محتاج ببُخارى ، كان قد ركب دابة أنفذها إليه أبوه ، فألقته وسقطت عليه فهشمته ، ومات من يومه وذلك في ربيع الأول ، وعظم موته على الناس كافة وشق موته على الأمير نوح . وحُمِلَ إلى الصغانيان إلى والده أبي عليّ وكان مقيماً بها .

ذكر عود أبي عليّ إلى خراسان

وفي هذه السّنة أُعيد أبو عليّ بن محتاج إلى قيادة الجيوش بخراسان ، وأمر بالعود إلى نيسابور . وكان سبب ذلك أن منصور بن قراتكين كان قد تأذّى بالجند ، واستصعب إيالتهم وكانوا قد استبدوا بالأمور دونه وعاثوا في نواحي نيسابور ، فتواترت كتبه إلى الأمير نوح بالاستعفاء من ولايتهم ، ويطلب أن يقتصر به على هراة وتولّى ما بيده من أراد نوح . فكان نوح يرسل إلى أبي عليّ ، يعده بإعادته إلى مرتبته . فلما توفّي

منصور أرسل الأمير نوح إلى أبي عليّ الخلع واللواء، وأمره بالمسير إلى نيسابـور ، وأقطع الرّي ، وأمره بالمسير إليها . فسار عن الصغانيان في شهر رمضان . واستخلف مكانه ابنه أبا منصور ووصل إلى مرو ، وأقام بها إلى أن أصلح أمر خوارزم ، وكانت شاغرة . وسار إلى نيسابور فوردها في ذي الحجة فأقام بها .

ذكر الحرب بصقلية بين المسلمين والروم

كان المنصور العلويّ صاحب أفريقية قد استعمل على صقلية سنة ست وثلاثين وثـلاثمائـة ، الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي ، فدخلهـا ، واستقرّ بهـا كما ذكرناه ، وغزا الروم الذين بها عدة غزوات فاستمدوا بملك قسطنطينية . فسيّر إليهم جيشاً كثيراً فنـزلوا إذرنت ، فـأرسل الحسن بن عليّ إلى المنصـور يعرِّفـه الحال فسيَّـر إليه، فهادن أهل جراجة على مال يؤدونه، وسار إلى الروم. فلما سمعوا بقربه منهم وبثَّ السرايا في أرضٍ قلورية ، وحاصر الحسن جراجة، أشدّ حصار . فأشْرف أهلها على الهلاك من شدَّةِ العطشِ ، ولم يبقَ إلاّ أخذها . فأتاه الخبر أن عسكر الروم واصل إليه، فهادن أهل جراحة على مال يؤدونه ، وسار إلى الروم . فلما سمعوا بقربه منهم انهزموا بغير قتال وتركوا اذرنت ونزل الحسن على قلعة قسانة ، وبثَّ سراياه تنهب، فصالحه أهل قسانة على مال ، ولم يزل كذلك إلى شهر ذي الحجة . وكان المصاف بين المسلمين ، وعكسر قسطنطينية ومن معه من الروم الذين بصقلية ليلة الأضحى ، واقتتلوا واشتدّ القتال فانهزم الروم ، وركبهم المسلمون يقتلون ويأسرون إلى الليل ، وغنموا جميع أثقالهم وسلاحهم ودوابهم ، وسيَّر الرؤوس إلى مدائن صقلية وأفريقية ، وحصر الحسن جراجة، فصالحوه على مال يحملونه، ورجع عنهم. وسيَّر سرية إلى مدينة بطرقوقة ، ففتحوها وغنموا ما فيها . ولم يزل الحسن بجزيرة صقلية إلى سنـة إحدى وأربعين ، فمات المنصور . فسار عنها إلى أفريقية واتّصل بالمعز بن المنصور ، واستخلف على صقلية ابنه أبا الحُسين . أحمد .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة رفع إلى المهلبي أن رجلاً يُعرف بالبصري ، مات ببغداد ـ وهو مقدم القراقرية ـ يدَّعي أن روح أبي جعفر محمد بن عليّ بن أبي القراقر ، قد حلَّتْ

فيه ، وأنه خلّف مالاً كثيراً كـان يجبيه من هـذه الطائفـة، وأن له أصحـاباً يعتقـدون ربوبيته ، وأن أرواح الأنبيـاء والصدِّيقين ، حلَّتْ فيهم ، فـأمر بـالختم على التركـة والقبض على أصحابه . والذي قام بأمرهم بعده فلم يجد إلّا مالاً يسيراً . ورأى دفاتر فيها أشياء من مذاهبهم . وكان فيهم غلام شاب يدَّعي أن روح عليّ بن أبي طالب حلَّت فيه . وامرأة يقال لها فاطمة تدّعي أن روح فاطمة حلَّتْ فيها . وخادم لبني بسطام يدّعي أنه ميكائيل ، فأمر بهم المهلبي فضربوا ونالهم مكروه ، ثم إنهم توصلوا بمن ألقى إلى معز الدولة[١] من أنهم شيعة عليّ بن أبي طالب . فأمر باطلاقهم وخاف المهلبي أن يقيم على تشددِهِ في أمرهم فينسب إلى ترك التشيع ، فسكت عنهم . وفي هذه السنة توفي عبد الله بن الحسين بن لال أبو الحسن الكرخي الفقيه الحنفي المشهور[٢] في شعبان ، ومولده سنة ستين ومائتين . وكان عابداً معتزلياً . وفيها توفي أبو جعفر الفقيه ببُخارى .

---

(١) والمشهور عن بني بويه التشيع والرفض .

(٢) كان فقيهاً اديباً بارعاً عارفاً بالأصول والفروع انتهت إليه رياسة السادة الحنفية في زمانه وانتشرت تلامذته في البلاد وكان عظيم العبادة كثير الصلاة والصوم ورعاً زاهداً.

ثم دخلت سنة احدى وأربعين وثلاثمائة

ذكر حصار البصرة

في هذه السّنة سار يوسف بن وجيه صاحب عمان في البحر والبر إلى البصرة ، فحصرها . وكان سبب ذلك أنّ معز الدولة ، لما سلك البرية إلى البصرة ، وأرسل القرامطة ينكرون عليه ذلك . وأجابهم بما ذكرناه . علم يوسف بن وجيه استيحاشهم من معز الدولة، فكتب إليهم يطمِّعهم في البصرة وطلبَ منهم أن يمدُّوه من ناحية البر ، فأمدوه بجمع كثير منهم . وسار يوسف في البحر ، فبلغ الخبر إلى الوزير المهلبي ، وقد فرغ من الأهواز ، والنظر فيها فسار مجدًّا في العساكر إلى البصرة فدخلها قبل وصول يوسف إليها وشحنها بالرجال . وأمدَّه معز الدولة بالعساكر وما يحتاج إليه[١] ، ويحارب هو وابن وجيه أياماً . ثم انهزم ابن وجيه وظفر المهلبي بمراكبه ، وما معه من سلاح وغيره[٢] .

ذكر وفاة المنصور العلوي وملك ولده المعز

في هذه السّنة توفي المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل بن القائم أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي سلخ شوال ، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً . وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة[٣] وكان خطيباً بليغاً يخترع الخطبة لوقته ، وأحواله مع أبي

---

(١) في تجارب الامم « وكان المهلبي رتب على سور المدينة بالبصرة الرجال يحمونه وجمع إلى نفسه وجوه القواد مثل لشكر ورز بن سهلان وموسى فياذه وموسى بن ماكان. واشباههم من وجوه الناس وطبقات الغلمان» .

(٢) عبارة ابن مسكويه : « وظفر المهلبي بمراكبه ورجاله واسر جماعة من وجوه اصحابه فخف بذلك بعض ما كان في قلب معز الدولة وانجلى هم كثير كان في نفسه .

(٣) وخلف خمسة بنين وخمس بنات . قال في الشذرات « حارب خالد بن كنداد الاباضي الذي كان قد قمع بني عبيد واستولى على ممالكهم فأسر المنصور فسلخه بعد موته وحشا جلده» .

يزيد الخارجي وغيره تدلُّ على شجاعة وعقل ، وكان سبب وفاته أنه خرج إلى سفاقس[١] وتونس ثم إلى قابس[٢] وأرسل إلى أهل جزيرة جربة[٣] يدعوهم إلى طاعته، فأجابوه إلى ذلك . وأخذ منهم رجالاً معه وعاد . وكانت سفرته شهراً وعهد إلى ابنه معد بولاية العهد ، فلما كان رمضان خرج متنزهاً أيضاً إلى مدينة جلولاء ، وهو موضع كثير الثمار ، وفيه من الأترج ما لا يُرى مثله في عظمه يكون شيء يحمل الجمل منه أربع أترنجات ، فحمل منه إلى قصره .

وكان للمنصور جارية حظية عنده فلما رأته استحسنته ، وسألت المنصور ان تراه في أغصانه ، فأجابها إلى ذلك. ورحل إليها في خاصته وأقام بها أياماً . ثم عاد إلى المنصورية، فأصابه في الطريق ريحٌ شديد . وبرد ، ومطر ، ودام عليه فصبر وتجلد ، وكَثُرَ الثلج ، فمات جماعة من الذين معه ، واعتلّ المنصور علة شديدة لأنه لما وصل إلى المنصورية أراد دخول الحمام ، فنهاه طبيبه اسحاق بن سليمان الإسرائيلي عن ذلك ، فلم يقبل منه ودخل الحمام ففنيت الحرارة الغريزية منه ولازمه السهر فاقبل اسحاق يعالج المرض والسهرباق بحاله فاشتد ذلك على المنصور. فقال لبعض الخدم : « أما في القيروان طبيب غير إسحاق يخلّصني من هذا الأمر ؟» قال ؛ ههنا شاب قد نشأ الآن اسمه إبراهيم » . فأمر بإحضاره وشكا إليه ما يجده من السهر ، فجمع له أشياء منومة ، وجُعِلَتْ في قنينة على النار ، وكلّفه شمها ، فلما أدمن شمها نام وخرج إبراهيم وهو مسرور بما فعل ، وبقي المنصور نائماً . فجاء اسحاق فطلب الدخول عليه فقيل : هو نائم . فقال: ان كان صنع له شيء ينام منه فقد مات فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً . فدُفِنَ في قصره. وأرادوا قتل إبراهيم فقال اسحاق : « ما له ذنب إنما داواه بما ذكره الأطباء ، غير أنه جهل أصل المرض وما عرفتموه . وذلك أنني كنت في معالجته أنظر في تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون النوم فلما عولج بالأشياء المطفئة لها علمت أنه قد مات » . ولما مات ولي الأمر بعده ابنه معد ، وهو المعز لدين

---

(١) بفتح أوله وله وبعد الألف قاف وآخره سين مهملة مدينة من نحو افريقية جل غلاتها الزيتون .

(٢) بكسر الباء الموحدة مدينة بين طرابلس وسفاقس.

(٣) بفتح اوله وسكون ثانيه وباء موحدة خفيفة قرية بالمغرب ، وروى فيها جربة بكسر اوله وهي جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية .

الله ، وأقام في تدبير الأمور إلى سابع ذي الحجة ، فأذن للناس ، فدخلوا عليه وجلس لهم فسلموا عليه بالخلافة ، وكان عمره أربعاً وعشرين سنة .

فلما دخلت سنة ست وأربعين صعد جبل أوراس وجال فيه عسكره، وهو ملجأ كل منافق على الملوك، وكان فيه بنو كملان ومليلة، وقبيلتان من هوارة. لم يدخلوا في طاعة من تقدمه فأطاعوا المعز ودخلوا معه البلاد. وأمر نوّابه بالاحسان إلى البربر، فلم يبقَ منهم أحد إلاّ أتاه وأحسنَ إليهم المعز، وعظم أمره. ومن جملة من استأمن إليه محمد بن خزرالزناتي أخو معبد، فأمّنه المعز وأحسن إليه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في ربيع الأول ضرب معز الدولة وزيره أبا محمد المهلبي بالمقارع مائة وخمسين مقرعة . ووكل به في داره ، ولم يعزله من وزارتهوكان نقم عليه أموراً ضربه بسببها[١] . وفيها في ربيع الآخر ، وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء ، فاحترق فيه للناس ما لا يحصى .

وفي هذه السنة ملك الروم مدينة سروج[٢] وسبوا أهلها وغنموا أموالهم ، وأخربوا المساجد . وفيها سار ركن الدولة من الرّي إلى طبرستان وجرجان، فسار عنها إلى ناحية نسا وأقام بها . واستولى ركن الدولة على تلك البلاد وعاد عنها إلى الرّي واستخلف بجرجان الحسن ابن فيرزان ، وعليّ بن كامة . فلما رجع ركن الدولة عنها قصدها وشمكير ، فانهزموا منه واستردها وشمكير . وفيها ولد أبو الحسن عليّ بن ركن الدولة بن بويه وهو فخر الدولة . وفيها توفي أبو عليّ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار النحوي المحدث ـ وهو من أصحاب المبرد ـ وكان مولده سنة سبع وأربعين ومائتين. وكان مكثراً من الحديث .

---

(١) انظر كتاب تجارب الامم لابن مسكويه فانه ذكر السبب الذي لأجله ضرب الوزير ابو محمد المهلبي .
(٢) بفتح اوله بلدة قريبة من حران من ديار مضر .

ثم دخلت سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة

ذكر هرب ديسم عن أذربيجان

في هذه السّنة هرب ديسم بن إبراهيم أبو سالم عن أذربيجان، وكنا قد ذكرنا استيلاءه عليها. وأما سبب هربه عنها، فإنه كان ركن الدولة بن بويه قد قبض على بعض قواده واسمه عليّ بن ميسكي فأفلِتَ من الحبس ، وقصد الجبل . وجمع جمعاً وسار إلى وهسوذان أخي المرزبان ، فاتفق معه وتساعدا على ديسم . ثم إن المرزبان استولى على قلعة سُمَيْرَم على ما نذكره ووصلت كتبه إلى أخيه ، وعليّ بن ميسكي بخلاصه، وكاتب الديلم واستمالهم ولم يعلم ديسم بخلاصه ، إنما كان يظن أن وهسوذان وعليّ بن ميسكي يقاتلانه وكان له وزير يُعرف بأبي عبد الله النعيمي فشره إلى ماله وقبض عليه. واستكتب انساناً كان يكتب للنعيمي . فاحتال النعيمي بأن أجابه إلى كل ما التمس منه وضمن منه ذلك الكاتب بمال فأطلقه ديسم وسلّم إليه كاتبه وأعاده إلى حاله .

ثم سار ديسم ، وخلفه بأردبيل ليحصل المال الذي بذله ، فقتل النعيمي ذلك الكاتب وهرب بما معه من المال إلى عليّ بن ميسكي . فبلغ الخبر ديسم بقرب زنجان، فعاد إلى أردبيل، فشغب الديلم عليه ففرّق فيهم ما كان له من مال وأتاه الخبر بمسير عليّ بن ميكسي إلى أردبيل في عدة يسيرة . فسار نحوه والتقيا واقتتلا . فانحاز الديلم إلى عليّ[1] ، وانهزم ديسم إلى ارمينية في نفر من الأكراد ، فحمل إليه ملوكها ما تماسك به . وورد عليه الخبر بمسير المرزبان عن قلعة سميرم إلى أردبيل واستيلائه على اذربيجان ، وأنفاذه جيشاً نحوه فلم يمكنه المقام . فهرب عن ارمينية إلى بغداد، فكان وصوله هذه السنة فلقيه

---

(١) في تجارب الامم « سوى جستان بن شرمزن فإنه أخلص مودة ديسم فقبض الديلم عليه » .

معز الدولة وأكرمه وأحسن إليه فأقام عنده في أرغد عيش ثم كاتبه أهله وأصحابه بأذربيجان يستدعونه فرحل عن بغداد سنة ثلاث واربعين ، وطلب من معز الدولة أن ينجده بعسكر ، فلم يفعل لأن المرزبان قد كان صالح ركن الدولة وصاهره ، فلم يمكن معز الدولة مخالفة ركن الدولة . فسار ديسم إلى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل يستنجده فلم ينجده . فسار إلى سيف الدولة بالشام ، وأقام عنده إلى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. واتفق أن المرزبان خرج عليه جمع بباب الأبواب ، فسار إليهم فأرسل مقدم من أكراد أذربيجان إلى ديسم يستدعيه إلى أذربيجان ليعاضده على ملكها . فسار إليها ملك مدينة سلماس ، فأرسل إليه المرزبان قائداً من قواده فقاتله. فاستأمن أصحاب القائد إلى ديسم ، فعاد القائد منهزماً، وبقي ديسم بسلماس ، فلما فرغ المرزبان من أمر الخوارج عليه عاد إلى اذربيجان . فلما قرب من ديسم فارق سلماس وسار إلى ارمينية وقصد ابن الديراني ، وابن حاجيق لثقته بهما ، فكتب المرزبان إلى ابن الديراني يأمره بالقبض على ديسم ، فدافعه ثم قبض عليه خوفاً من المرزبان . فلما قبض عليه أمره المرزبان بأن يحمله إليه فدافعه ثم اضطرً إلى تسليمه . فلما تسلّمه المرزبان سمله وأعماه، وثم حبسه. فلما توفي المرزبان قتل ديسم بعض أصحاب المرزبان خوفاً من غائلته.

ذكر استيلاء المرزبان على سميرم

قد ذكرنا أسر المرزبان وحبسه بسميرم، وأما سبب خلاصه فإن والدته ـ وهي ابنة جستان ابن وهسوذان الملك ـ وضعت جماعة للسعي في خلاصه. فقصدوا سميرم . وأظهروا أنهم تجار ، وأن المرزبان قد أخذ منهم أمتعة نفيسة ، ولم يوصل ثمنها إليهم.. واجتمعوا بمتولي سميرم ويُعرف بشير أسفار وعرفوه . ما ظَلَمَهُم به المرزبان ، وسألوه أن يجمع بينه وبينهم ليحاسبوه ، وليأخذوا خطه إلى والدته بإيصال ما لهم إليهم ، فرّق لهم بشير أسفار وجمع بينه وبينهم، فطالبوه بمالهم . فأنكر المرزبان ذلك، فغمزه أحدهم ففطن لهم واعترف لهم وقال : حتى أتذكر ما لكم فإنني لا أعرف مقداره ، فأقاموا هناك وبذلوا الأموال لبشير اسفار ، والأجناد ، وضمنوا لهم الأموال الجليلة إذا خلص ما لهم عند المرزبان . فصاروا لذلك يدخلون الحصن بغير إذن ، وكثُرَ اجتماعهم بالمرزبان . وأوصلوا إليه أموالاً من عند والدته وأخباراً ، وأخذوا منه ما

عنده من الأموال . وكان لبشيرأسفار غلام أمرد جميل الوجه يحمل ترسه وزوبينه . فأظهر المرزبان لذلك الغلام محبة شديدة وعشقاً وأعطاه مالاً كثيراً مما جاءه من والدته ، فواطأه على ما يريد ، وأوصل إليه درعاً ومبادر فبردقيده . واتفق المرزبان وذلك الغلام والذين جاؤوا لتخليص المرزبان على أن يقتلوا بشير أسفار في يوم ذكروه ، وكان بشير أسفار يقصد المرزبان كل اسبوع ذلك اليوم يفتقده وقيوده ويصبره ويعود ، فلما كان يوم الموعد دخل أحد أولئك التجار فقعد عند المرزبان ، وجلس آخر عند البواب ، وأقام الباقون عند باب الحصن ينتظرون الصوت . ودخل بشير اسفار إلى المرزبان فتلطَّفَ به المرزبان وسأله أن يطلقه ، وبذل له أموالاً جليلة وأقطاعاً كثيراً ، فامتنع عليه وقال : « لا أخون ركن الدولة أبداً» . فنهض المرزبان وقد أخرج رجله من قيده وتقدم إلى الباب ، فأخذ الترس والزوبين من ذلك الغلام ، وعاد إلى بشير أسفار ، فقتله هو وذلك التاجر الذي عنده . وثار الرجل الذي عند البواب به فقتله ، ودخل من كان عند باب الحصن إلى المرزبان ، وكان اجناد القلعة متفرقين ، فلما وقع الصوت اجتمعوا فرأوا صاحبهم قتيلاً ، فسألوا الأمان فأمّنهم المرزبان ، وأخرجهم من القلعة واجتمع إليه أصحابه وغيرهم وكَثُرَ جمعه ، وخرج فلحق بأمه وأخيه ، واستولى على البلاد ، على ما ذكرناه قبل .

ذكر مسير أبي عليّ إلى الرّي

لما كان من أمر وشمكير وركن الدولة ، ما ذكرناه . كتب وشمكير إلى الأمير نوح يستمدَّه فكتب نوح إلى أبي عليّ محتاج يأمره بالمسير في جيوش خراسان إلى الرّي ، وقتال ركن الدولة . فسار أبو عليّ في جيوش كثيرة واجتمع معه . وشمكير فسارا إلى الرّي في شهر ربيع الأول من هذه السنة . وبلغ الخبر ركن الدولة فعلم أنه لا طاقة له بمن قصده فرأى أن يحفظ بلده ويقاتل عدوه من وجهٍ واحد . فحارب الخراسانيين بطبرك ، وأقام عليه أبو عليّ عدَّةَ شهور يقاتله ، فلم يظفر به وهلكت دواب الخراسانية وأتاهم الشتاء وملُّوا فلم يصبروا فاضطرَّ أبو عليّ إلى الصلح ، فتراسلوا في ذلك . وكان الرسول أبا جعفر الخازن صاحب كتاب زيج الصفائح . وكان عارفاً بعلوم الرياضة ، وكان المشير به محمد بن عبد الرزاق ، المقدم ذكره ، فتصالحا وتقرر على ركن الدولة كل سنة مائتا ألف دينار ، وعاد أبو عليّ إلى خراسان .

وكتب وشمكير إلى الأمير نوح يعرِّفه الحال ويذكر له أن أبا عليّ لم يصدق في الحرب ، وأنه مالأ ركن الدولة ، فاغتاظ نوح من أبي عليّ . وأما ركن الدولة فإنه لما عاد عنه أبو عليّ سار نحو وشمكير ، فانهزم وشمكير من بين يديه إلى أسفراين ، واستولى ركن الدولة على طبرستان .

ذكر عزل أبي عليّ عن خراسان

لما اتصل خبر عود أبي عليّ عن الريّ إلى الأمير نوح ساءه ذلك . وكتب وشمكير إلى نوح يلزم الذنب فيه أبا علي . فكتب إلى أبي عليّ بعزله عن خراسان . وكتب إلى القواد يعرِّفهم أنه قد عزله عنهم . فاستعمل على الجيوش بعده أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني . فأنفذ أبو عليّ يعتذر وراسل جماعة من أعيان نيسابور يقيمون عذره ويسألون أن لا يعزل عنهم . فلم يجابوا إلى ذلك . وعُزِلَ أبو عليّ عن خراسان ، وأظهر الخلاف وخطب لنفسه بنيسابور ، وكتب نوح إلى وشمكير ، والحسن بن فيرزان يأمرهما بالصلح وأن يتساعدا على من يخالف الدولة ففعلا ذلك . فلما علم أبو عليّ باتفاق الناس مع نوح عليه ، كاتب ركن الدولة في المصير إليه لأنه علم أنه لا يمكنه المقام بخراسان ، ولا يقدر على العود إلى الصغانيان ، فاضطرّ إلى مكاتبة ركن الدولة في المصير إليه فأذِنَ له في ذلك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في الحادي والعشرين من شباط ، ظهر بسواد العراق جراد كثير أقام أياماً ، وأثر في الغلات أثاراً قبيحة ، وكذلك ظهر بالأهواز ، وديار الموصل ، والجزيرة ، والشام ، وسائر النواحي ، ففعل مثل ما فعله بالعراق .

وفيها عاد رسل كان الخليفة أرسلهم إلى خراسان للصلح بين ركن الدولة ، ونوح صاحب خراسان . فلما وصلوا إلى حلوان ، خرج عليهم ابن أبي الشوك في أكراده ، فنهبهم ونهب القافلة التي كانت معهم ، وأسر الرسل ثم أطلقهم ، فسيَّر معز الدولة عسكراً إلى حلوان فأوقعوا بالأكراد ، وأصلحوا البلاد هناك وعادوا .

وفيها سيَّر الحجاج الشريفان ، أبو الحسن محمد بن عبد الله ، وأبو عبد الله

أحمد بن عمر بن يحيى العلويان ، فجرى بينهما وبين عساكر المصريين من اصحاب ابن طغج حرب شديدة وكان الظفر لهما، فخطب لمعز الدولة بمكة. فلما خرجا من مكة لحقهما عسكر مصر، فقاتلهما فظفرا به أيضاً.

وفيها توفّي عليّ بن أبي الفهم داود أبو القاسم ، جدُّ القاضي عليّ بن الحسن بن عليّ التنوخي في ربيع الأول، وكان عالماً بأصول المعتزلة ، والنجوم وله شعر[١] وفيها في رمضان ، مات الشريف أبو علي عمر بن علي العلوي الكوفي ببغدادَ بصرع لحقه. وفيها في شوّال مات أبو عبد الله محمد بن سليمان بن فهد الموصلي. وفيها مات أبو الفضل العباس بن فسانجسن بالبصرة من ذرب لحقه. وحُمِل إلى الكوفة فدُفِن بمشهد أمير المؤمنين علي[٢]. وتقلَّد الديوان بعده ابنه أبو الفرج، وأجرى على قاعدة أبيه. وفيها في ذي القعدة ماتت بدعة المغنية المشهورة المعروفة، ببدعة الحمدونية عن اثنتين وتسعين سنة.

---

(١) أصله من ملوك تنوخ الأقدمين من ولد قضاعة . ولد بأنطاكية في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ولّي القضاء بالاهواز وغيرها وكان فهماً ذكياً حفظ ـ وهو ابن خمس عشرة سنة ـ قصيدة دعبل الشاعر في ليلة واحدة وهي ستمائة بيت . وكان نديماً للوزير المهلبي ووفد على سيف الدولة بن حمدان فأكرمه وأحسن اليه ، ومن شعره في مُلح دخل الحمام :

رأيت في الحمام بدر الدجى ... وشعره الاسود محلول

قد عمموه بدجى شعره ... ونقطوا الفضة باللولو

وكانت وفاته بالبصرة في شهر ربيع الاول . وله ديوان شعر . وكتاب الفرج بعد الشدة طبع بمصر غير مرة .

(٢) زاد صاحب التكملة وسنة سبع وسبعون سنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة

ذكر حال أبي علي بن محتاج

قد ذكرنا من أخبار أبي عليّ ما تقدم. فلما كتب إلى ركن الدولة يستأذنه في المصير إليه أذن له، فسار إلى الريّ فلقيه ركن الدولة وأكرمه، وأقام له الإنزال والضيافة ولمن معه. وطلب أبو علي أن يكتب له عهداً من جهة الخليفة بولاية خراسان، فأرسل ركن الدولة إلى معز الدولة في ذلك فسيَّر له عهداً بما طلب وسيَّر له نجدة من عسكره. فسار أبو علي إلى خراسان، واستولى على نيسابور، وخطب للمطيع بها. وبما استولى عليه من خراسان ولم يكن يخطب له بها قبل ذلك.

ثم إن نوحاً مات في خلال ذلك وتولّى بعده ولده عبد الملك. فلما استقرّ أمره سيَّر بكر بن مالك إلى خراسان من بُخارى، وجعله مقدماً على جيوشها، وأمره بإخراج أبي عليّ من خراسان. فسار في العساكر نحو أبي علي فتفرّق عن أبي علي أصحابه. وعسكره. وبقي معه من أصحابه مائتا رجل، سوى من كان عنده من الديلم نجدة له. فاضطرّ إلى الهرب، فسار نحو ركن الدولة فأنزله معه في الرّي. واستولى ابن مالك على خراسان فأقام بنيسابور وتتبّع أصحاب أبي علي.

ذكر موت الأمير نوح بن نصر وولاية ابنه عبد الملك

وفي هذه السّنة مات الأمير نوح بن نصر السّاماني في ربيع الآخر، وكان يلقب بالأمير الحميد، وكان حسن السِّيرة كريم الأخلاق، ولما توفي ملك بعده ابنه عبد الملك. وكان قد استعمل بكر بن مالك على جيوش خراسان كما ذكرنا، فمات قبل أن يسير بكر إلى خراسان. فقام بكر بأمر عبد الملك بن نوح وقرر أمره. فلما استقرّ حاله وثَبَّتَ ملكه، أمر بكراً بالمسير إلى خراسان. فسار إليها. وكان من أمره مع أبي علي ما قدمنا ذكره.

ذكر غزاة لسيف الدولة بن حمدان

في هذه السّنة في شهر ربيع الأول ، غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم ، فقتل وأسر وسبى وغنم. وكان فيمن قتل، قسطنطين بن الدمستق، فعظم الأمر على الروم، وعظم الأمر على الدمستق. فجمع عساكره من الروم. والروس، والبلغار، وغيرهم، وقصد الثغور. فسار إليه سيف الدولة بن حمدان، فالتقوا عند الحدث في شعبان. فاشتدَّ القتال بينهم وصبر الفريقان، ثم ان الله تعالى نصر المسلمين. فانهزم الروم وقُتِلَ منهم وممن معهم خلق عظيم وأُسِرَ صهر الدمستق وابن ابنته، وكثير من بطارقته، وعاد الدمستق مهزوماً مسلولاً[1].

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كان بخُراسان والجبال وباء عظيم ، هلك فيه خلق كثير لا يحصون كثرة . وفيها صرف الأبرعاجي[2] عن شرطة بغداد وصُودِرَ على ثلاثمائة ألف درهم . ورتّب مكانه بكبيك[3] نقيب الأتراك . وفيها سار ركن الدولة إلى جرجان ومعه أبو علي بن محتاج ، فدخلها بغير حرب ، وانصرف وشمكير عنها إلى خراسان . وفيها وقعت الحرب بمكة بين أصحاب معز الدولة ، وأصحاب ابن طغج من المصريين . فكانت الغلبة لأصحاب معز الدولة[4] فخطب بمكة والحجاز لركن الدولة ، ومعز الدولة وولده عز الدولة بختيار ، وبعدهم لابن طغج .

وفيها أرسل معز الدولة سبكتكين في جيش إلى شهرزور في رجب ومعه المنجنيقات لفتحها. فسار إليها وأقام بتلك الولاية إلى المحرم من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة . فعاد ولم يمكنه فتحها لأنه اتصل به خروج عساكر خراسان إلى الريّ على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى. فعاد إلى بغداد فدخلها في المحرم . وفيها في شوّال مات

---

(١) ذكر ابن تغري بردى هذه الحادثة مختصرة ولم يذكر قتل قسطنطين بن الدمستق وذكر اسره في حوادث سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة وجعلهما حادثتين فلذلك ذكرنا احداهما في حوادث السنة التي قبل هذه في تعليقنا صفحة ٣٤٦ تنبه .

(٢) في تجارب الامم « الابزاعجي ».

(٣) في تجارب الأمم « تكينك » .

(٤) في تجارب الأمم « وكان أبو علي بن محمد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه ».

أبو الحسين محمد بن العباس بن الوليد المعروف بابن النحوي الفقيه [١] وفيها في شوّال أيضاً مات أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي .

(١) القاضي البغدادي كان فاضلاً بارعاً توفي ببغداد في شوال وكان ثقة صدوقاً .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة

ذكر مرض معز الدولة وما فعله ابن شاهين

كان قد عرض لمعز الدولة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين مرض يسمى فريافسمس ، وهو دوام الإنعاظ مع وجع شديد في ذكره مع توتر أعصابه . وكان معز الدولة خواراً في أمراضه فأرجف الناس به ، واضطربت بغداد. فاضطرّ الى الركوب ، فركب في ذي الحجة على ما به من شدة المرض .

فلما كان في المحرم من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، أوصى إلى ابنه بختيار ، وقلّده الأمر بعده ، وجعله أمير الأمراء. وبلغ عمران بن شاهين أن معز الدولة قد مات ، واجتاز عليه مال يحمل إلى معز الدولة من الأهواز وفي صحبته خلق كثير من التجار[١] . فخرج عليهم فأخذ الجميع[٢]. فلما عُوفِيَ معز الدولة راسل ابن شاهين في المعنى ، فردّ عليه ما أخذه له ، وحصل له أموال التجار، وانفسخ الصلح بينهما. وكان ذلك في المحرم .

ذكر خروج الخراسانية إلى الريّ وأصبهان

في هذه السّنة خرج عسكر خراسان إلى الريّ ، وبها ركن الدولة كان قد قدمها من جرجان أول المحرم . فكتب إلى أخيه معز الدولة يستمدّه ، فأمده بعسكره مقدمهم الحاجب سبكتكين . وسيَّر من خراسان عسكراً آخر إلى أصبهان على طريق المفازة ، وبها الأمير أبو منصور بويه بن ركن الدولة . فلما بلغه خبرهم سار عن أصبهان بالخزائن ، والحرم التي لأبيه ، فبلغوا خان لنجان[٣] . وكان مقدم العسكر الخراساني

(١) في تجارب الامم « وكان مقدار المال المحمول لمعز الدولة مائة ألف دينار وما للتجار أضعاف ذلك » .

(٢) في تجارب الامم « وقبض على المزعل ملاح معز الدولة الذي كان مع المال فصادره وضربه ضرباً عظيماً ودهقه إلى أن أزمنه » .

(٣) في تجارب الامم « النجان » وكذا ما بعد .

محمد بن ماكان ، فوصلوا إلى أصبهان، فدخلوها وخرج ابن مـاكان منهـا في طلب بويه ، فأدرك الخزائن فأخذها، وسار في أثره .

وكان من لطف الله به ، أن الأستاذ أبا الفضل بن العميد وزير ركن الدولة اتصل بهم في تلك الساعة . فعارض ابن ماكان وقاتله. فانهزم أصحاب ابن العميد عنه ، واشتغل أصحاب ابن مـاكان بـالنهب . قال ابن العميـد: « فبقيتُ وحدي ، وأردْتُ اللحـاق بأصحـابي . ففكرت . وقلت : « بـأي وجه ألقي صـاحبي ، وقد أسلمْتُ أولاده ، وأهله ، وأمواله ، وملكه ونجوت بنفسي ، فرأيت القتل أيسر عليّ من ذلك ، فوقفْتُ وعسكر ابن ماكان ينهب أثقالي وأثقال عسكري » . فلحق بابن العميد نفر من أصحـابه ، ووقفـوا معه ، وأتـاهم غيـرهم ، فـاجتمـع معهم جمـاعـة فحمـل على الخراسانيين ـ وهم مشغولون بالنّهبِ ـ وصاحوا فيهم ، فانهزم الخراسانيون ، فأخذوا من بين قتيل وأسير . وأسر ابن ما كان ، وأحضِرَ عند ابن العميد وسار ابن العميد إلى أصبهان، فاخرج من كان بها من أصحاب ابن ماكان، وأعاد أولاد ركن الدولة وحرمه إلى أصبهان واستنقذ أمواله . ثم إن ركن الدولة راسل بكر بن مالك صاحب جيوش خراسان ، واستماله ، فاصطلحا على مال يحمله ركن الدولة إليه ويكون الرّي وبلد الجبل بأسره مع ركن الدولة . وأرسل ركن الدولة إلى أخيه معز الدولة يطلب خلعاً ولواء بولاية خراسان لبكر بن مالك ، فارسل إليه ذلك .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة وقع بالرّي وباء كثير ، مات فيه من الخلق مالا يُحصى وكان فيمن مات أبو علي بن محتاج الذي كان صاحب جيوش خراسان ، ومات معه ولده وحمل أبو علي إلى الصغانيان ، وعاد من كان معه من القوّاد إلى خراسان ، وفيها وقع الأكراد بناحية سـاوة على قفل من الحجاج ، فاستباحوه . وفيها خرج بناحية دينوند رجل ادّعى النبوة فقتل ، وخرج بأذربيجان رجل آخر يدّعي أنـه يحرِّم اللحـوم ، وما يخـرج من الحيوان ، وإنه يعلم الغيب . فأضافه رجل أطعمه كشكية بشحم ، فلما أكلها قال له : « الستَ تحرِّمُ اللحم ، وما يخرج من الحيوان وإنـك تعلم الغيب » ؟ قال : بلى . قال : « فهذه الكشكية بشحم ، ولو علمت الغيب لما خفي عليك ذلك » . فاعرض الناس عنه . وفيها أنشأ عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس مركباً كبيراً لم يعمـل

مثله ، وسيَّر فيه أمتعة إلى بلاد الشرق فلقي في البحر مركباً فيه رسول من صقلية إلى المعز ، فقطع عليه أهل المركب الأندلسي ، وأخذوا ما فيه وأخذوا الكتب التي إلى المعز فبلغ ذلك المعز فعمَّر أسطولاً ، واستعمل عليه الحسن بن علي صاحب صقلية ، وسيَّره إلى الأندلس . فوصلوا إلى المرية فدخلوا المرسي ، وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب ، وأخذوا ذلك المركب وكان قد عاد من الإسكندرية ، وفيه أمتعة لعبد الرحمن وجوار مغنيات وصعد من في الأسطول إلى البر ، فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية. ولما سَمِعَ عبد الرحمن الأموي، سيّر أسطولاً إلى بعض بلاد أفريقية، فنزلوا ونهبوا فقصدتهم عساكر المعز، فعادوا إلى مراكبهم ورجعوا إلى الأندلس ، وقد قتلوا وقُتِلَ منهم خلقٌ كثير.

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة

ذكر عصيان روزبهان على معز الدولة

في هذه السّنة خرج روزبهان بن ونـداد خرشيـد الدّيلمي على معـز الدولـة ، وعصي عليه . وخرج أخوه بلكا بشيراز . وخرج أخوهما أسفار بالأهواز ، ولحق به روزبهان إلى الأهواز . وكان يقاتل عمران بـالبطيحـة . فعاد إلى واسط، وسـار إلى الأهواز في رجب ، وبها الوزير المهلبي فأراد محاربة روزبهان . فاستأمن رجاله إلى روزبهان فانحاز المهلبي عنه . وورد الخبر بذلك إلى معز الدولة فلم يصدِّق لإحسانه إليه لأنه رفعه بعد الضعة ونوّه بذكره بعد الخمول . فتجهَّز معز الدولة إلى محاربته ومال الدّيلم بأسرهم إلى روزبهان ، ولقوا معز الدولة بما يكره ، واختلفوا عليه وتتابعوا على المسير إلى روزبهان .

وسار معز الدولة عن بغداد خامس شعبان. وخرج الخليفة المطيع لله منحدراً إلى معز الدولة لأن ناصر الدولة ، لما بلغه الخبر سيّر العساكر من الموصل مع ولده أبي المرجا جابر لقصد بغداد والاستيلاء عليها . فلما بلغ ذلك الخليفة انحدر من بغداد، فأعاد معز الدولة الحاجب سبكتكين ، وغيره ممن يثق بهم من عسكره إلى بغداد فشغب الديلم الذين ببغداد فوعدوا بأرزاقهم فسكنوا ، وهم على قنوط من معز الدولة . وأما معز الدولة فإنه سار إلى أن بلغ قنطرة أربق فنزل هناك ، وجعل على الطرق من يحفظ أصحاب الدّيلم من الاستئمان إلى روزبهان لأنهم كانوا يأخذون العطاء منه ، ثم يهربون عنه .

وكان اعتماد معز الدولة على أصحابه الأتراك ومماليكه ونفر يسير من الدّيلم ، فلما كان سلخ رمضان أراد معز الدولة العبور هو وأصحابه الذين يثق بهم إلى محاربة روزبهان . فاجتمع الديلم وقالوا لمعز الدولة : « إن كنا رجالك ، فأخرجنا معك ونقاتل

بين يديك ، فإنه لا صبر لنا على القعود مع الصبيان والغلمان ، فان ظفرت كان الأسم لهؤلاء دوننا ، وإن ظفر عدوُّك لحقنا العار » . وإنما قالوا هذا الكلام خديعة ليمكنهم من العبور معه فيتمكنون منه . فلما سمع قولهم سألهم التوقف وقال : « إنما أريد أن أذوق حربهم ، ثم أعود فإذا كان الغد لقيناهم بأجمعنا ، وناجزناهم » . وكان يكثر لهم العطاء فأمسكوا عنه . وعبر معز الدولة وعبى أصحابه كراديس تتناوب الحملات ، فما زالوا كذلك إلى غروب الشمس . ففنى نشاب الأتراك، وتعبوا وشكوا إلى معز الدولة ما أصابهم من التعب ، وقالوا : « نستريح الليلة ونعود غداً . » فعلم معز الدولة إنه إن رجع زحف إليه روزبهان ، والديلم ، وثار معهم أصحابه الديلم فيهلك ولا يمكنه الهرب فبكى بين يدي أصحابه ، وكان سريع الدمعة . ثم سألهم أن تجمع الكراديس كلها ، ويحملوا حملة واحدة وهو في أولهم ، فأما أن يظفروا ، وأما أن يقتل أول من يقتل . فطالبوه بالنشاب فقال : « قد بقي مع صغار الغلمان نشاب ، فخذوه واقسموه » . وكان جماعة صالحة من الغلمان الأصاغر تحتهم الخيل الجياد ، وعليهم اللبس الجيد وكانوا سألوا معز الدولة أن يأذن لهم في الحرب فلم يفعل . وقال : « إذا جاء وقت يصلح لكم أذنت لكم في القتال » . فوجَّه إليهم تلك الساعة من يأخذ منهم النشاب وأومأ معز الدولة إليهم بيده ، أن اقبلوا منه وسلموا إليه النشاب . فظنوا أنه يأمرهم بالحملة فحملوا ـ وهم مستريحون ـ فصدموا صفوف روزبهان ، فخرقوها وألقوا بعضها فوق بعض ، فصاروا خلفهم ، وحمل معز الدولة فيمن معه باللتوت فكانت الهزيمة على روزبهان وأصحابه . وأُخِذَ روزبهان أسيراً وجماعة من قواده ، وقُتِلَ من أصحابه خلق كثير . وكتب معز الدولة بذلك فلم يصدِّق الناس لما علموا من قوة روزبهان ، وضعف معز الدولة . وعاد إلى بغداد ومعه روزبهان ليراه الناس . وسيّر سبكتكين إلى أبي المرجا بن ناصر الدولة ، وكان بُعكبرا ، فلم يلحقه لأنه لما بلغه الخبر عاد إلى الموصل . وسَجَنَ معز الدولة روزبهان . فبلغه أن الديلم قد عزموا على إخراجه قهراً والمبايعة له فاخرجه ليلاً وغرّقه .

وأما أخو روزبهان الذي خرج بشيرازفان الأستاذ أبا الفضل بن العميد ، سار إليه في الجيوش فقاتله ، فظفر به وأعاد عضد الدولة بن ركن الدولة إلى ملكه . وانطوى خبر روزبهان وإخوته وكان قد اشتعل اشتعال النار . فقبض معز الدولة على جماعة من الديلم وترك من سواهم واصطنع الأتراك وقدّمهم وأمرهم بتوبيخ الديلم ، والاستطالة

عليهم . ثم أطلق للأتراك إطلاقات زائدة على واسط ، والبصرة فساروا لقبضها مدلين بما صنعوا فأخربوا البلاد ، ونهبوا الأموال وصار ضررهم أكثر من نفعهم .

ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم

في هذه السّنة في رجب سار سيف الدولة بن حمدان في جيوش إلى بلاد الروم ، وغزاها حتى بلغ خرشنة ، وصارخة[١] ، وفتح عدة حصون وسبى وأسَرَ وأحرَقَ وخرَّبَ ، وأكثر القتل فيهم ، ورجع إلى أذنة فأقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس ، فخلع عليه وأعطاه شيئاً وكثيراً ، وعاد إلى حلب، فلما سَمِعَ الروم بما فعل جمعوا وساروا إلى ميافارقين وأحرقوا سوادها ، ونهبوه وخرَّبوا وسبوا أهله ونهبوا أموالهم ، وعادوا .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة وقعت الفتنة بأصبهان بين أهلها وبين أهل قم بسبب المذاهب . وكان سببها أنه قيل عن رجل قمي أنه سب بعض الصحابة ، وكان من أصحاب شحنة أصبهان ، فثار أهلها واستغاثوا بأهل السواد، فاجتمعوا في خلق لا يحصون كثرة ، وحضروا دار الشحنة ، وقتل بينهم قتلى ونهب أهل أصبهان أموال التجار من أهل قم . فبلغ الخبر ركن الدولة ، فغضب لذلك وأرسل إليها فطرح على أهلها مالاً كثيراً . وفيها توفي محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب في ذي القعدة[٢] . وفيها كانت الزلزلة بهمذان ، وإستراباذ ، ونواحيها وكانت عظيمة أهلكت تحت الهدم خلقاً كثيراً وانشقّت منها حيطان قصر شيرين من صاعقة .

وفيها في جُمادى الآخرة ، سار الروم في البحر فأوقعوا بأهل طرسوس ، وقتلوا منهم ألفا وثمانمائة رجل ، وأحرقوا القرى التي حولها . وفيها سار الحسن بن علي صاحب صقلية على أسطول كثير إلى بلاد الروم .

---

(١) تقدم ضبطهما صفحة ٣٣٨ وهذه الغزوة شبيهة بما تقدم ذكره سنة ٣٣٩ .

(٢) كان كثير العلم والزهد حافظاً كان يملي من حفظه شيئاً كثيراً قيل : أنه املى من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة وضابطاً لما يحفظه وكان يؤدب ولد أبي عمرو القاضي دفن في الصفة المقابلة لقبر معروف الكرخي ببغداد.

ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة

ذكر موت المرزبان

في هذه السّنة في رمضان توفّي السلار المرزبان بأذربيجان ـ وهو صاحبها ـ فلما يئس من نفسه أوصى إلى أخيه وهسوذان بالملك ، وبعده لابنه جستان بن المرزبان ، وكان المرزبان قد تقدَّم أولاً إلى نوّابه بالقلاع أن لا يسلموها بعده إلّا إلى ولده جستان فإن مات فإلى ابنه إبراهيم ، فإن مات فإلى ابنه ناصر[١] . فإن لم يبقَ منهم أحد فإلى أخيه وهسوذان ، فلما أوصى هذه الوصية إلى أخيه عرفه علامات بينه وبين نوّابه في قلاعه ليتسلمها منهم . فلما مات المرزبان أنفذ أخوه وهسوذان خاتمه وعلاماته إليهم فأظهروا وصيته الأولى ، فظنّ وهسوذان أن أخاه خدعه بذلك . فأقام مع أولاد أخيه فاستبدوا بالأمر دونه . فخرج من أدربيل كالهارب إلى الطرم . فاستبد جستان بالأمر وأطاعه أخوته وقلّد وزارته أبا عبد الله النعيمي ، وأتاه قوّاد أبيه إلّا جستان بن شرمزن فإنه عزم على التغلب على أرمينية ، وكان والياً عليها . وشرع وهسوذان في الإفساد بين أولاد أخيه وتفريق كلمتهم ، وأطماع أعدائهم فيهم حتى بلغ ما أراد، وقتل بعضهم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كثر ببغداد ونواحيها أورام الحلق والماشرا ، وكَثُرَ الموت بهما وموت الفجأة[٢] وكل من اقتصد انصب إلى ذراعيه مادة حادة عظيمة تبعها حمّى حادة ، وما سلم أحد ممن اقتصد ، وكان المطر معدوماً . وفيها تجهّز معز الدولة ، وسار نحو الموصل لقصد ناصر الدولة بسبب ما فعله . فراسله ناصر الدولة وبذل له مالاً وضمن البلاد منه كل سنة بألفي ألف درهم ، وحمل إليه مثلها . فعاد معز الدولة بسبب خراب

---

(١) قال ابن مسكويه : « وكان له ولد رابع يقال له : كيخسره فلم يذكره لصغره » .

(٢) قال ابو الفدا عماد الدين : « حتى أن لصاً نقب داراً ليدخلها فمات وهو في النقب . ولبس القاضي خلعة القضاء ليخرج للحكم فلبس احدى خفيه فمات قبل أن يلبس الأخرى » .

بلاده للفتنة المذكورة . ولأنه لم يثق بأصحابه . ثم إن ناصر الدولة منع حمل المال فسار إليه معز الدولة على ما نذكره . وفيها نقص البحر ثمانين باعاً فظهرت فيه جزائر ، وجبال لم تُعرفْ قبل ذلك .

وفيها توفي أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل الأموي النيسابوري المعروف بالأصم . وكان عالي الإسناد في الحديث ، وصحب الربيع بن سليمان صاحب الشافعي . وروى عنه كتب الشافعي[1] . وفيها توفي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إسحاق الفقيه البُخاري الأمين. وفيها كانت بالعراق، وبلاد الجبال ، وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوماً ، تسكن وتعود فتهدَّمت الأبنية، وغارت المياه ، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير ، وكذلك كانت زلزلة بالرّي ونواحيها مستهل ذي الحجة أخربت كثيراً من البلد وهلك من أهلها كثير . وكذلك أيضاً الزلزلة بالطالقان ، ونواحيها عظيمة جداً أهلكت أمماً كثيرة .

---

(١) هو مولى بني أمية . صم بعد أن رحل به أبوه إلى أصبهان . ومكة ، ومصر، والشام ، والجزيرة وبغداد وغيرها من البلاد .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة

ذكر استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده عنها

قد ذكرنا صلح معز الدولة مع ناصر الدولة على ألفي ألف درهم كل سنة ، فلما كان هذه السنة أخر ناصر الدولة حمل المال فتجهّز معز الدولة إلى الموصل ، وسار نحوها منتصف جُمادى الأولى ومعه وزيره المهلبي . ففارقها ناصر الدولة إلى نصيبين ، واستولى معز الدولة على الموصل . فكان من عادة ناصر الدولة إذا قصده أحد سار عن الموصل ، واستصحب معه جميع الكتّاب والوكلاء ، ومن يعرف أبواب المال ، ومنافع السلطان ؛ وربما جعلهم في قلاعه كقلعة كواشي ، والزعفران ، وغيرهما ، وكانت قلعة كواشي تُسمّى ذلك الوقت قلعة أردمشت .

وكان ناصر الدولة يأمر العرب بالإغارة على العلافة ، ومن يحمل الميرة . فكان الذي يقصد بلاد ناصر الدولة يبقى محصوراً مضيقاً عليه . فلما قصده معز الدولة هذه المرة فعل ذلك به ، فضاقت الأقوات على معز الدولة وعسكر ه. وبلغه أن بنصيبين من الغلات السلطانية شيئاً كثيراً . فسار عن الموصل نحوها واستخلف بالموصل سبكتكين الحاجب الكبير . فلما توسَّط الطريق بلغه أن أولاد ناصر الدولة أبا المرجا ، وهبة الله بسنجار في عسكر . فسيَّر إليهم عسكراً ، فلم يشعر أولاد ناصر الدولة بالعسكر إلاّ وهم معهم فعجَّلوا عن أخذ أثقالهم، فركبوا دوابهم وانهزموا ، ونهب عسكر معز الدولة ما تركوه ونزلوا في خيامهم . فعاد أولاد ناصر الدولة إليهم ـ وهم غارون ـ فوضعوا السيف فيهم فقتلوا وأسروا ، وأقاموا بسنجار . وسار معز الدولة إلى نصيبين ، ففارقها ناصر الدولة إلى ميافارقين ، ففارقه أصحابه، وعادوا إلى معز الدولة مستأمنين .

فلما رأى ناصر الدولة ذلك سار إلى أخيه سيف الدولة بحلب . فلما وصل خرج إليه ولقيه ، وبالغ في إكرامه وخدمه بنفسه حتى إنه نزع خفَّه بيديه . وكان أصحاب

ناصر الدولة في حصونه ببلد الموصل ، والجزيرة يغيرون على أصحاب معز الدولة بالبلد فيقتلون فيهم ، ويأسرون منهم ويقطعون الميرة عنهم . ثم إن سيف الدولة راسل معز الدولة في الصلح وترددت الرسل في ذلك . فامتنع معز الدولة من تضمين ناصر الدولة لخلافة معه مرة بعد أخرى . فضمن سيف الدولة البلاد منه بألفي ألف درهم وتسعمائة ألف درهم ، وإطلاق من أسر من أصحابه بسنجار وغيرها ، وكان ذلك في المحرم سنة ثمان وأربعين ، وإنما أجاب معز الدولة إلى الصلح بعد تمكنه من البلاد لأنه ضاقت عليه الأموال وتقاعد الناس في حمل الخراج ، واحتجّوا بأنهم لا يصلون إلى غلّاتهم وطلبوا الحماية من العرب أصحاب ناصر الدولة ، فاضطر معز الدولة إلى الانحدار ، وأنف من ذلك . فلما وردَتْ عليه رسالة سيف الدولة استراح إليها وأجابه إلى ما طلبه من الصلح ثم انحدر إلى بغداد.

ذكر مسير جيوش المعز العلوي إلى أقاصي المغرب

وفيها عظم أمر أبي الحسن جوهر عند المعز بإفريقية ، وعلا محله ، وصار في رتبة الوزارة . فسيَّره المعز في صفر في جيش كثيف منهم زيري بن مناد الصنهاجي وغيره ، وأمره بالمسير إلى أقاصي المغرب . فسار إلى تاهرت فحضر عنده يعلى بن محمد الزناتي ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم خالف على جوهر فقبض عليه وثار أصحابه ، فقاتلهم جوهر ، فانهزموا . وتبعهم جوهر إلى مدينة أفكان ، فدخلها بالسيف ونهبها ، ونهب قصور يعلى ، وأخذ ولده ـ وكان صبياً ـ وأمر بهدم أفكان وإحراقها بالنار ، وكان ذلك في جُمادى الآخرة.

ثم سار منها إلى فاس ، وبها صاحبها أحمد بن بكر ، فأغلق أبوابها . فنازلها جوهر وقاتلها مدة ، فلم يقدر عليها ، وأتته هدايا الأمراء الفاطميين بأقاصي السوس ، وأشاروا على جوهر وأصحابه بالرحيل إلى سجلماسة ـ وكان صاحبها محمد بن واسول قد تلقَّبَ بالشاكر لله ، ويخاطب بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه ـ وهو على ذلك ست عشرة سنة ـ فلما سمع بجوهر ، هرب ثم أراد الرجوع إلى سجلماسة ، فلقيه أقوام فأخذوه أسيراً وحملوه إلى جوهر، ومضى جوهر حتى انتهى إلى البحر المحيط فأمر أن يصطاد له من سمكه ، فاصطادوا له فجعله في قلال الماء وحمله إلى المعز . وسلك تلك البلاد جميعها ، فافتتحها وعاد إلى فاس فقاتلها مدة طويلة . فقام زيري بن مناد ،

فاختار من قومه رجالاً لهم شجاعة وأمرهم أن يأخذوا السلاليم وقصدوا البلد فصعدوا إلى السور الأدنى في السلاليم ، وأهل فاس آمنون . فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه ، ونزلوا إلى السور الثاني وفتحوا الأبواب، وأشعلوا المشاعل وضربوا الطبول ، وكانت الإمارة بين زيري وجوهر فلما سمعها جوهر ركب في العساكر ، فدخل فاساً فاستخفى صاحبها، وأخذ بعد يومين ، وجعل مع صاحب سجلماسة . وكان فتحها في رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، فحملهما في قفصين إلى المعز بالمهدية وأعطى تاهرت لزيري بن مناد.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كان ببلاد الجبل وباء عظيم ، مات فيه أكثر أهل البلاد ، وكان أكثر من مات فيه النساء والصبيان ، وتعذر على الناس عيادة المرضى ، وشهود الجنائز لكثرتها . وفيها انخسف القمر جميعه . وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي الصوفي بنيسابور ـ وهو أحد المشهورين منهم[١] ، وأبو الحسن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب قاضي بغداد وكان مولده سنة اثنتين وتسعين ومائتين[٢] ، وأبو علي الحسين بن علي ابن يزيد الحافظ النيسابوري في جُمادى الأولى[٣] . وفيها توفي عبد الله بن جعفر بن درستويه أبو محمد الفارسي النحوي في صفر[٤] ، وكان مولده سنة ثمان وخمسين ومائتين أخذ النحو عن المبرد .

---

(١) وهو شيخ الصوفية في وقته صحب أبا عروة الدمشقي . وأبا العباس بن عطاء الأدمي روى عنه الحاكم وغيره ، قال السلمي : هو أحد ائمة خراسان وله معرفة بعلوم عديدة وكان أكثر الخراسانيين تلامذته وكان عارفاً بعلوم القوم ؛

(٢) ولي القضاء بمدينة السلام ثم ولي أعمالاً كثيرة في أيام المطيع ثم صرف عن الجميع وكان جواداً واسع الأخلاق كريماً مع قبح سيره في الاحكام .

(٣) قال الحاكم : هو واحد عصره في الحفظ والاتقان والورع والمذاكرة والتصنيف قال فيه الدارقطني : امام مهذب مولده سنة سبع وسبعين ومائتين .

(٤) سكن بغداد وسمع عباساً الدوري وابن قتيبة وغيرهما ومسع منه الدارقطني وغيره ، وله مصنفات كثيرة مفيدة تتعلق باللغة والنحو وغير ذلك ترجمه ابن خلكان في تاريخه فارجع إليه .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة

في هذه السّنة في المحرم تم الصلح بين سيف الدولة ، ومعز الدولة وعاد معز الدولة إلى العراق، ورجع ناصر الدولة إلى الموصل . وفيها أنفذ الخليفة لواء وخلعة لأبي عليّ بن إلياس صاحب كرمان(١) . وفيها مات أبو الحسن محمد بن أحمد المافروخي كاتب معز الدولة ، وكتب بعده أبو بكر بن أبي سعيد(٢) . وفيها كانت حرب شديدة بين علي بن كامة ـ وهو ابن أخت ركن الدولة ـ وبين بيستون بن وشمكير فانهزم بيستون . وفيها غرق من حجاج الموصل في الماء بضعة عشر زورقاً(٣) ، وفيها غزت الروم طرسوس ، والرها فقتلوا وسبوا وغنموا ، وعادوا سالمين(٤) . وفيها سار مؤيد الدولة بن ركن الدولة من الرّي إلى بغداد، فتزوّج بابنة عمه معز الدولة ونقلها معه إلى الرّي ، ثم عاد إلى أصبهان(٥) ، وفيها في جُمادى الأولى وقعت حرب شديدة بين عامة بغداد وقُتِلَ فيها جماعة ، واحترق من البلد كثير(٦) .

---

(١) قال ابن مسكويه : وكان السفير في ذلك كله القاضي ابو بكر احمد بن سيار الصيمري .

(٢) قال ابن مسكويه : وكتب له بعده ابو محمد علي بن عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفى وانصرف وتقلد مكانه ابو بكر بن ابي سعيد .

(٣) في تجارب الامم « فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة » .

(٤) قال صاحب التكملة « اسروا ـ اي الروم ـ محمد بن ناصر الدولة من نواحي حلب واسروا ابا الهيثم بن القاضي أبي حصين بن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلمانه من سواد حران » .

(٥) قال ابن مسكويه : وفيها ورد الأمير ابو منصور بويه بن ركن الدولة إلى بغداد يخطب ابنة معز الدولة ومعه أبو علي بن أبي الفضل القاشاني وزيراً ومعه أبو القاسم اسماعيل بن عباد يكتب له على سبيل الترسل فلما كان ليلة السبت لليلتين خلتا من جمادى الأولى زفت بنت معز الدولة إلى أبي منصور بويه ثم حملها إلى اصبهان .

(٦) قال ابن كثير « فيها كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة » الخ .

وفيهـا توفي أبـو بكرّ أحمـد بن سليمان بن الحسن الفقيـه الحنبلي المعـروف بالنجاه ، وكان عمره خمساً وتسعين سنة[١] . وجعفر بن محمد نصر الخلدي الصوفي - وهو من أصحاب الجنيد ـ فروى الحديث وأكثر[٢] وفيها انقطعت الأمطار وغلت الأسعار في كثير من البلاد . فخرج الناس يستسقون في كانون الثاني في البلاد ، ومنها بغداد فما سقوا ، فلما كان في آذار ظهر جراد عظيم ، فأكل ما كان قد نبت من الخضراوات وغيرها. فاشتدّ الأمر على الناس .

---

(٧) ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين وكان يطلب الحديث ماشياً حافياً جمع المسند وصنف في السنن كتاباً كبيراً وكان له بجامع المنصور حلقتان . واحدة للفقه ، وأخرى لاملاء الحديث كان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ويعزل منه لقمة فاذا كانت ليلة الجمعة أكل اللقـم وتصدق بالرغيف صحيحاً تـوفي ليلة الجمعة لعشرين من ذي الحجة ودفن قريباً من قبر بشر الحافي .

(٨) وكان مرجعاً في علوم القوم حج قريباً من ستين حجة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة

ذكر ظهور المستجير بالله

في هذه السّنة ظهر بأذربيجان(١) رجل من أولاد عيسى بن المكتفي بالله وتلقَّب بالمستجير بالله وبايع للرضا(٢) من آل محمد ، ولبس الصوف وأظهر العدل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكثر أتباعه . وكان السبب في ظهوره أن جستان بن المرزبان صاحب أذربيجان ترك سيرة والده في سياسة الجيش ، واشتغل باللعب ومشاورة النساء . وكان جستان بن شرمزن بأرمينية متحصناً بها . وكان وهسوذان بالطرم يصرب(٣) بين أولاد أخيه ليختلفوا . ثم أن جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي ، وكان بينه وبين وزير جستان بن شرمزن مصاهرة ـ وهو أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه ـ فاستوحش أبو الحسن لقبض النعيمي ، فحمل صاحبه ابن شرمزن على مكاتبة إبراهيم بن المرزبان ، وكان بأرمينية فكاتبه وأطمعه في الملك فسار إليه فقصدوا مراغة واستولوا عليها .

فلما علم جستان بن المرزبان بذلك راسل ابن شرمزن ووزيره أبا الحسن ، فأصلحهما وضمن لهما إطلاق النعيمي ، فعاد عن نصرة إبراهيم ، وظهر له ولأخيه نفاق ابن شرمزن ، فتراسلا واتفقا عليه . ثم إن النعيمي هرب من حبس جستان بن المرزبان ، وسار إلى موقان ، وكاتب ابن عيسى ابن المكتفي بالله وأطمعه في الخلافة ، وأن يجمع له الرجال ويملك له أذربيجان ، فإذا قوي قصد العراق . فسار إليه في نحو ثلاثمائة رجل، وأتاه جستان بن شرمزن فقوي به وبايعه الناس ، واستفحل

---

(١) في تجارب الامم « ظهر بناحية ارمينية » .

(٢) في تجارب « يدعو الى المرتضى ».

(٣) في نسخة « يضرب» بالضاد المعجمة

أمره ، فسار إليهم جستان ، وإبراهيم ابنا المرزبان قاصدين قتالهم فلما التقوا ، انهزم أصحاب المستجير ، وأُخِذَ أسيراً فعدِم فقيل : إنه قُتِلَ وقيل : بل مات .

ذكر استيلاء وهسوذان على بني أخيه وقتلهم

وأما وهسوذان فإنه لما رأى اختلاف أولاد أخيه ، وأن كل واحد منهم قد انطوى على غش صاحبه . راسل إبراهيم بعد وقعة المستجير واستزاره ، فزاره فأكرمه عمّه ووصله بما ملأ عينه ، وكاتب ناصراً ولد أخيه أيضاً واستغواه ، ففارق أخاه جستان وصار إلى موقان فوجد الجند طريقاً إلى تحصيل الأموال ، ففارق أكثرهم جستان وصاروا إلى أخيه ناصر ، فقوي بهم على أخيه جستان واستولى على أردبيل . ثم إن الأجناد طالبوا ناصراً بالأموال فعجز عن ذلك . وقعد عمّه وهسوذان عن نصرته ، فعلم أنه كان يغويه فراسل أخاه جستان . وتصالحا واجتمعا وهما في غاية ما يكون من قلة الأموال، واضطراب الأمور ، وتغلّب أصحاب الأطراف على ما بأيديهم فاضطرَّ جستان وناصر ابنا المرزبان إلى المسير إلى عمهما ، وهسوذان مع والدتهما . فراسلاه في ذلك وأخذا عليه العهود وساروا إليه . فلما حضروا عنده نكث وغدر بهم ، وقبض عليهم وهم جستان ، وناصر ، ووالدتهما . واستولى على العسكر وعقد الإمارة لابنه اسماعيل وسلَّم إليه أكثر قلاعه ، وأخرج الأموال وأرضى الجند .

وكان إبراهيم بن المرزبان قد سار إلى إرمينية فتأهب لمنازعة اسماعيل واستنقاذ أخويه من حبس عمهما وهسوذان . فلما علم وهسوذان ذلك ، ورأى اجتماع الناس عليه بادر، فقتل جستان ، وناصراً ابني أخيه . وأمهما . وكاتب جستان بن شرمزن وطلب إليه أن يقصد إبراهيم وأمدّه بالجند والمال ففعل ذلك واضطرّ إبراهيم إلى الهرب والعود إلى ارمينية ، واستولى ابن شرمزن على عسكره ، وعلى مدينة مراغة مع إرمينية .

ذكر غزو سيف الدولة بلاد الروم

في هذه السنة غزا سيف الدولة بلاد الروم في جمع كثير، فآثر فيها آثاراً كثيرة، وأحرق وفتح عدّة حصون وأخذ من السبي والغنائم والأسرى شيئاً كثيراً ، وبلغ إلى خرشنة . ثم إن الروم أخذوا عليه المضايق ، فلما أراد الرجوع قال له من معه من أهل

طرسوس : « إن الروم قد ملكوا الدرب خلف ظهرك فلا تقدر على العود منه والرأي أن ترجعَ معنا » . فلم يقبلْ منهم ، وكان معجباً برأيه يحبُّ أن يستبدَّ ولا يشاور أحداً لئلا يقال : إنه أصاب برأي غيره ، وعاد في الدرب الذي دخل منه . فظهر الروم عليه واستردُّوا ما كان معه من الغنائم وأخذوا أثقاله ، ووضعوا السّيف في أصحابه فأتوا عليه قتلاً وأسراً ، وتخلّص هو في ثلاثمائة رجل بعد جُهدٍ ومشقة[١] . وهذا من سوء رأي كل من يجهل آراء الناس العقلاء والله أعلم بالصَّواب .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قبض عبد الملك بن نوح صاحب خراسان ، وما وراء النهر على رجل من أكابر قواده ، وأمرائه يسمى نجتكين[٢] وقتله . فاضطربت خراسان . وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابن العريان[٣] أخو عمران بن شاهين صاحب البطيحة إلى معز الدولة بأهله وماله ، وكان خاف أخاه فأكرمه معز الدولة وأحسن اليه . وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي . وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه [٤] ، وفيها إنصرف حجاج مصر من الحج ، فنزلوا وادياً وباتوا فيه . فأتاهم السيل ليلاً فأخذهم جميعهم مع أثقالهم وجمالهم ، فألقاهم في البحر ، وفيها سار ركن الدولة من الري إلى جرجان ، فلقيه الحسن بن الفيرزان ، وابن عبد الرزاق ، فوصلهما بمال جليل . وفيها كان بالبلاد غلاء شديد ، وكان أكثره بالموصل فبلغ الكر من الحنطة ألفاً ومائتي درهم ، والكرمن الشعير ثمانمائة درهم ، وهرب أهلها إلى الشام والعراق . وفيها خامس شعبان كان ببغداد فتنة عظيمة بين العامة . وتعطلت الجمعة من الغد لاتصال الفتنة في الجانبين سوى مسجد براثا[٥] فإن الجمعة تمت فيه ، وقبض على جماعة من بني هاشم ، اتهموا أنهم سبب الفتنة ثم أُطلقوا من الغد . وفيها توفي أبو

---

(١) في تجارب الامم « وقتل من الوجوه الذين كانوا معه حامد بن النمس ، وموسى بن سياكان، والقاضي ابو حصين ، وكان معه من المسلمين ثلاثون الفاً ، وخرج أهل طرسوس من طريق آخر فسلموا ».

(٢) في تجارب الامم « بختكين ».

(٣) في تجارب الامم « بأبي العربان » .

(٤) هي كلمة فارسية معناها الخيمة الكبيرة ، قال الحافظ عماد الدين : فسموا ترك ايمان ثم خفف اللفظ بذلك فقيل : تركمان .

(٥) وهذا الجامع كان يأوي اليه الرافضة .

الخير الأقطع التيناتي ، أو قريباً من هذه السنة ، وكان عمره مائة وعشرين سنة ، وله كرامات مشهورة مسطورة[١] (التيناتي) بالتاء المكسورة المعجمة باثنتين من فوق ، ثم الياء المعجمة باثنتين من تحت ثم بالنون والألف ثم بالتاء المثناة من فوق أيضاً . وفيها مات أبو إسحاق بن ثوابة كاتب الخليفة ومعز الدولة . وقلد ديوان الرسائل بعده إبراهيم بن هلال الصابي . وفيها في آخرها مات أنوجور بن الإخشيد صاحب مصر ، وتقلّد أخوه على مكانه .

---

(١) ذكرناه في تعليقنا على حوادث سنة احدى وأربعين وثلاثمائة .

ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة

ذكر بناء معز الدولة دوره ببغداد

في هذه السّنة في المحرم ، مرض معز الدولة وامتنع عليه البول ، ثم كان يبول بعد جهد ومشقة دماً ، وتبعه البول والحصا والرمل ، فأشتدّ جزعه وقلقه ، وأحضر الوزير المهلبي في الليل والحاجب سبكتكين ، فأصلح بينهما ووصاهما بابنه بختيار ، وسلّم جميع ماله إليه . ثم إنه عوفي فعزم على المسير إلى الأهواز، لأنه اعتقد أن ما اعتاده من الأمراض ، انما هو بسبب مقامه ببغداد . وظنّ أنه إن عاد إلى الأهواز عاوده ما كان فيه من الصحة ، ونسي الكبر والشباب .

فلما انحدر إلى كلواذي ليتوجه إلى الأهواز، أشار عليه أصحابه بالمقام وأن يفكر في هذه الحركة ولا يعجّل ، فأقام بها ولم يؤثر أحمد من أصحابه انتقاله لمفارقة أوطانهم واسفاً على بغداد، كيف تخرب بانتقال دار الملك عنها . فأشاروا عليه بالعود إلى بغداد وأن يبني بها له داراً في أعلى بغداد ، لتكون أرق هواء وأصفى ماء . ففعل . وشرع في بناء داره في موضع المسناة المعزية، فكان مبلغ ما خرج عليها إلى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم فاحتاج بسبب ذلك إلى مصادرة جماعة من أصحابه[1] .

ذكر موت الأمير عبد الملك بن نوح

في هذه السّنة سقط الفرس تحت الأمير عبد الملك بن نوح صاحب خراسان ،

---

(١) قال في تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر وبقي مكانها دحلة ـ وهي البئر ـ يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من يراه اهـ ، وقال الحافظ عماد الدين : ويقال : انفق عليها الفي الف دينار ومات وهو يبني فيها ولم يسكنها : وقد خرب أشياء كثيرة من معالم الخلفاء ببغداد في بنائها وكان مما خرب المعشوق من سر من رأى وقلع الابواب الحديد التي على مدينة المنصور والرصافة وقصورها وحولها الى داره هذه لا تمت فرحته بها فإنه كان رافضياً خبيثاً اهـ .

فوقع إلى الأرض فمات من سقطته، وافتتنت خراسان بعده ، وولي بعده أخوه منصور بن نوح[1] . وكان موته يوم الخميس حادي عشر شوّال .

ذكر وفاة عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس وولاية ابنه الحاكم

في هذه السّنة توفي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله صاحب الأندلس الملقَّب بالناصر لدين الله في رمضان . فكانت إمارته خمسين سنة وستة أشهر ، وكان عمره ثلاثاً وسبعين سنة . وكان أبيض أشهل حسن الوجه عظيم الجسم قصير الساقين ، كان ركاب سرجه يقارب الشبر وكان طويل الظهر ، وهو أول من تلقّب من الأمويين بألقاب الخلفاء وتسمّى بأمير المؤمنين . وخلّف أحدَ عشر ولداً ذكراً . وكان من تقدمه من آبائه يخاطبون ويخطب لهم بالأمير وأبناء الخلائف . وبقي هو كذلك إلى أن مضى من إمارته سبع وعشرون سنة . فلما بلغه ضعف الخلفاء بالعراق ، وظهور العلويين بأفريقية ومخاطبتهم بأمير المؤمنين . أمر حينئذ أن يلقب الناصر لدين الله ، ويخطب له بأمير المؤمنين . ويقول أهل الاندلس : إنه أول خليفة ولي بعد جده ، وكانت أمه أم ولد اسمها مزنة ، ولم يبلغ أحد ممن تلقَّب بأمير المؤمنين مدته في الخلافة غير المستنصر العلوي صاحب مصر ، فإن خلافته كانت ستين سنة . ولما مات ولي الأمر بعده ابنه الحاكم بن عبد الرحمن وتلقب بالمستنصر . وأمه أم ولد تسمى مرجانة ، وخلّف الناصر عدة أولاد منهم عبد الله ، وكان شافعي المذهب عالماً بالشعر والأخبار وغيرهما وكان ناسكاً .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة سار قفل عظيم من أنطاكية إلى طرسوس ومعهم صاحب أنطاكية فخرج عليهم كمين للروم فأخذ من كان فيها من المسلمين ، وقتل كثيراً منهم وأفلت صاحب أنطاكية وبه جراحات .

وفيها في رمضان دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم من ناحية ميافارقين غازياً . وأنه في رمضان غنم ما قيمته قيمة عظيمة وسبى وأسر وخرج سالماً . وفيها مات

---

(١) في النجوم الزاهرة «وأرسل اليه الخليفة المطيع لله بالخلع والتقليد» .

القاضي أبو السائب عتبة بن عبيد الله، وقبضت أملاكه[١] وتولّى قضاء القضاة أبو العباس بن عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب، وضمن أن يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم. وهو أول من ضمن القضاء وكان ذلك أيام معز الدولة ولم يسمع بذلك قبله، فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول عليه. وأمر بأن لا يحضر الموكب لما ارتكبه من ضمان القضاء. ثم ضمنت بعده الحسبة، والشرطة ببغداد. وفيها وصل أبو القاسم أخو عمران بن شاهين إلى معز الدولة مستأمناً. وفيها توفي القاضي أبو بكر أحمد بن كامل[٢] ـ وهو من أصحاب الطبري ـ وكان يُروي تاريخه .

---

(١) قال في تاريخ الاسلام في ترجمته : عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الهمذاني القاضي ابو السائب كان أبوه تاجراً يؤم بمسجد همذان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء التصوف والزهد وسافر فلقي الجنيد والعلماء ومن يفهم القرآن وكتب الحديث وتفقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بأبي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء اذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همذان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه إلى أن ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٨ وتوفي في ربيع الاول وله ست وثمانون سنة ، وهو أول من ولى قضاء القضاة بالعراق من الشافعية اهـ وفي الاصل « عتبة بن عبد الله » . وهو غلط .

(٢) ولي قضاء الكوفة . قال الدارقطني . ربما حدث من حفظه بما ليس في كتابه اهلكه العجب وكان يختار لنفسه ولم يقلد أحداً . عاش تسعين سنة توفي في المحرم .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة

ذكر استيلاء الروم على عين زربىٰ[1]

في هذه السنة في المحرم نزل الروم مع الدّمُسْتُق على عين زَرْبىٰ، وهي في سفح جبل عظيم، وهو مشرف عليها، وهم في جمع عظيم، فأنفذَ بعضَ عسكرِه، فصعدوا الجبل، فملكوه، فلما رأى ذلك أهلها وأنَّ الدمستق قد ضيق عليهم ـ ومعه الدّبابات، وقد وصل إلى السور، وشرع في النقب ـ طلبوا الأمان فأَمَّنَهُمْ الدمستق، وفتحوا له بابَ المدينة، فدخلها، فرأى أصحابَه الذين في الجبل قد نزلوا إلى المدينة، فندم على إجابتهم إلى الأمان، ونادى في البلد أول الليل بأن يخرج جميعُ أهله إلى المسجد الجامع، ومن تأخّر في منزله قتل، فخرج من أمْكَنَهُ الخروج، فلما أصبحَ أنفذ رجّالته في المدينة، وكانوا ستين ألفاً، وأمرهم بقتل من وجدوه في منزِله، فقتلوا خلقاً كثيراً من الرجال والنساء والصبيان، وأمر بجمع ما في البلد فجمع، فكان شيئاً كثيراً، وأمر من في المسجد بأن يخرجوا من البلد حيث شاؤوا يومهم ذلك، ومن أمسى قتل، فخرجوا مزدحمين، فمات بالزحمة جماعة، ومرّوا على وجوههم لا يدرون أين يتوجهون فماتوا في الطرقات، وقتل الروم من وجدوه بالمدينة آخر النهار، وأخذوا كل ما خَلّفه الناس من أموالهم وأمتعتهم، وهدموا سُورَي المدينة، وأقام الدمستق في بلد الإسلام أحداً وعشرين يوماً، وفتح حول عين زربى أربعة وخمسين حصناً للمسلمين بعضها بالسيف وبعضها بالأمان.

وإن حصناً من تلك الحصون التي فتحت بالأمان أَمِرَ أهله بالخروج منه فخرجوا

---

(١) عين زربىٰ: بلد بالثغر من نواحي المصيصة. معجم البلدان ٤/١٧٧.

فتعرَّضَ أحدُ الأرمن لبعض حرم المسلمين، فلحق المسلمين غيرةٌ عظيمةٌ، فجردوا سيوفَهُمْ، فاغتاظ الدمستق لذلك، فأمر بقتل جميع المسلمين، وكانوا أربعمائة رجل، وقتل النساء والصبيان، ولم يترك إلا من يصلح أن يُسْتَرَقّ، فلما أدركه الصَّوْم انصرف على أنه يعود بعد العيد، وخلف جيشَهُ بقَيْسَارِيّة.

وكان ابن الزيّات صاحبُ طرسوس قد خرج في أربعة آلاف رجل من الطرسوسيِّين، فأوقع بهم الدمستق، فقتل أكثرهم، وقتل أخاً لابن الزيات، فعاد إلى طرسوس، وكان قد قطع الخطبة لسيف الدولة بن حمدان، فلما أصابهم هذا الوهن أعاد أهل البلد الخطبة لسيف الدولة وراسلوه بذلك، فلما علم ابن الزيّات حقيقة الأمر صعد إلى رَوْشَنٍ[١] في داره، فألقى نفسه منه إلى نهرٍ تحته فغَرِق، وراسل أهلُ بَغْراس[٢] الدمستقَ، وبذلوا له مائة ألف درهم فأقرَّهم وترك معارضتهم.

ذكر استيلاء الرّوم على مدينةِ حَلَب وَعَوْدُهُمْ عنها بغيرِ سبب

في هذه السنة استولى الرومُ على مدينة حلب دون قلعتها؛ وكان سببُ ذلك أن الدمستق سار إلى حلب، ولم يشعر به المسلمون لأنه كان قد خلف عسكره بقيساريه، ودخل بلادهم كما ذكرناه، فلما قضى صوم النصارى خرج إلى عسكره من البلاد جريدة ولم يعلمْ به أحدٌ، وسار بهم، فعند وصوله سبق خبره، وكبس مدينةَ حلب، ولم يعلم به سيف الدولة بن حمدان ولا غَيْرُه، فلما بَلَغَها، وعلم سيف الدولة الخبرَ أعجله الأمر عن الجمع والاحتشاد، فخرج إليه فيمن معه، فقاتله فلم يكن له قوة الصبر لقلة من معه، فقتل أكثرهم، ولم يبق من أولاد داود بنِ حمدانَ أحدٌ، قتلوا جميعُهُمْ.

فانهزم سيفُ الدولة في نفر يسير، وظفر الدمستق بداره، وكانت خارجَ مدينة حلب تسمى الدارين، فوجد فيها لسيف الدولة ثلاثمائة بدرة[٣] من الدراهم وأخذ له ألفاً وأربعمائة بَغْلٍ، ومن خزائن السلاح ما لا يحصى، فأخذ الجميعَ وخرَّب الدارَ ومَلك الحاضِرَ[٤] وحصرَ المدينة فقاتله أهلُها، وهدم الروم في السور ثُلْمَةً، فقاتلهم

---

(١) الروشن: الرف أو الكوة.
(٢) بغراس: مدينة في لحف جبل اللُّكام، بينها وبين انطاكية أربعة فراسخ.
(٣) البدرة: كيس توضع فيه كمية من الدراهم تختلف.
(٤) الحاضر: الحيُّ العظيم.

أهلُ حلب عليها، فقتل من الروم كثيرٌ، ودفعوهم عنها، فلما جَنَّهُم الليل عَمَرُوها، فلما رأى الروم ذلك تأخروا إلى جبل جَوْشَن، ثم إنَّ رجالة الشرطة بحلب قصدوا منازل الناس وخانات التجار لينهبوها، فلحق الناس أموالَهُم ليمنعوها، فخلا السُّورُ منهم، فلما رأى الروم السورَ خالياً من الناس قصدوه وقَربوا منه فلم يمنعهم أحدٌ، فصعدوا إلى أعلاه، فرأوا الفتنة قائمة في البلد بين أهله، فنزلوا، وفتحوا الأبـواب، ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا، ولم يرفعوا السيف إلى أن تَعِبوا وضَجِروا، وكَان في حلب ألفٌ وأربعمائة من الأسارى، فتخلصوا وأخذوا السلاح، وقتلوا الناس، وسبي من البلد بضعة عشر ألف صبيّ وصبيّة، وغنموا ما لا يوصف كثـرةً، فلما لم يبقَ مع الروم ما يحملون عليه الغنيمة أمرَ الدمستقُ بإحراق الباقي وأحرَقَ المساجدَ، وكان قد بذل لأهل البلد الأمان على أن يسلموا إليه ثلاثة آلاف صبيّ وصبيّة ومالاً ذكره وينصرف عنهم، فلم يجيبوه إلى ذلك، فملكهم كما ذكرنا، وكان عدة عسكره مائتي ألف رجل منهم ثلاثون ألفَ رجلٍ بالجواشن، وثلاثون ألفاً للهدم وإصلاح الطرق من الثلج . وأربعة آلاف بغل يحمل الحسك الحديد.

ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فمن دخلها نجا بحشاشة نفسه، وأقام الدمستق تسعةَ أيام وأراد الانصراف عن البلد بما غنم، فقال له ابن أخت الملك وكان معه: هذا البلد قد حصل في أيدينا وليس من يدفعنا عنه فلأي سبب نَنْصَرِفُ عنه؟ فقال الدمستق: قد بلغنا ما لم يكن الملك يؤمله وغنمنا وقتلنا وخربنا وأحرقنا وخلصنا أسرانا وبلغنا ما لم يسمع بمثله، فتراجعا الكلام إلى أن قال له الدمستق: آنزل على القلعة فحاصرها فإنني مقيمٌ بعسكري على باب المدينة، فتقدم ابن أخت الملك إلى القلعة ومعه سيف وترس، وتبعه الروم، فلما قرب من باب القلعة أُلقي عليه حجر فسقط ورمي بخشب فقتل، فأخذه أصحابه وعادوا إلى الدمستق، فلما رآه قتيلاً قتل من معه من أسرى المسلمين وكانوا ألفاً ومائتي رجل، وعاد إلى بلاده ولم يعرض لسواد حلب وأمر أهله بالزراعة والعمارة ليعود إليهم بزعمه.

ذكر استيلاء ركن الدولة بن بويه على طَبَرِستان وجُرْجَان

في هذه السنة في المحرم سار ركن الدولة إلى طبرستان، وبها وشمكير، فنزل على مدينة سارية فحصرها وملكها، ففارق حينئذ وشمكير طَبَرِستان وقصد جُرجان،

فأقام ركن الدولة بطبَرستان إلى أن ملكها كلها، وأصلح أمورها، وسار في طلب وشمكير إلى جُرجان، فأزاح وشمكير عنها واستولى عليها، واستأمن إليه من عسكر وشمكير ثلاثة آلاف رجل، فازداد قوة، وازداد وشمكير ضعفاً ووهناً فدخل بلاد الجِيل.

ذكر ما كتب على مساجد بغداد

في هذه السّنة في ربيع الآخر، كتب عامة الشِّيعة ببغداد، بأمر معز الدولة على المساجد. ما هذه صورته لَعَنَ الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة رضي الله عنها فدكاً[1]. ومن منع من أن يُدفَنَ الحسن عند قبر[2] جدّه عليه السلام. ومن نفى أبا ذر الغفاري[3] ومن أخرج العباس من الشورى؟[4] فاما الخليفة فكان محكوماً عليه لا يقدر على المنع، وأما معز الدولة، فبأمره كان ذلك، فلما كان الليل حكه بعض الناس، فأراد معز الدّولة إعادته، فأشار عليه الوزير أبو محمد المهلبي، بأن يكتب مكان ما مُحِيَ، لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ، ولا يذكر أحداً في اللعن إلا معاوية. ففعل ذلك.

ذكر فتح طَبَرْمِين من صقلية

وفي هذه السّنة، سارت جيوش المسلمين بصقلية وأميرهم حينئذ أحمد بن الحسن بن عليّ بن أبي الحسين إلى قلعة طَبَرْمين من صقلية أيضاً ـ وهي بيد الروم ـ فحصروها ـ وهي من أمنع الحصون وأشدّها على المسلمين ـ فامتنع أهلها، ودام الحصار عليهم. فلما رأى المسلمون ذلك عمدوا إلى الماء الذي يدخلها، فقطعوه عنها، وأجروه إلى مكان آخر. فعظم الأمر عليهم، وطلبوا الأمان، فلم يجابوا إليه فعادوا. وطلبوا أن يؤمنوا على دمائهم، ويكونوا رقيقاً للمسلمين، وأموالهم فيئاً. فأجيبوا إلى ذلك، وأخرجُوا من البلد، وملكه المسلمون في ذي القعدة. وكان مدة الحصار

---

(١) وردت « حقها ». انظر البداية والنهاية ١١/٢٥٦ ط. دار الكتب العلمية ببيروت. يعنون به أبا بكر رضي الله عنه.

(٢) يعنون به مروان بن الحكم.

(٣) يعنون به عثمان رضي الله عنه.

(٤) يعنون به عمر رضي الله عنه.

سبعة أشهر ونصْفاً. وأُسكِنَ القلعة نفراً من المسلمين، وسمِّيت المعزية، نسبة إلى المعز العلويّ صاحب أفريقية. وسار جيش إلى رمطة مع الحسن بن عمار، فحصروها وضيَّقوا عليها، فكان ما نذكره سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول، أرسل الأمير منصور بن نوح صاحب خراسان، وما وراءً النهر إلى بعض قوّاده الكبار، واسمه الفتكين يستدعيه، فامتنع. فأنفذ إليه جيشاً، فلقيهم الفتكين، فهزمهم وأسر وجوه القواد منهم، وفيهم خال منصور.

وفيها في منتصف ربيع الأول أيضاً، انخسف القمر جميعه.

وفيها في جُمادى الأولى، كانت فتنة بالبصرة وبهمذان أيضاً بين العامة بسبب المذاهب[1] قُتِلَ فيها خلقٌ كثير.

وفيها أيضاً فتح الروم حصنَ دُلوك، وثلاثة حصون مجاورة له بالسيف.

وفيها لقب الخليفة المطيع لله فناخسرو بن ركن الدولة بعضد الدولة.

وفيها في جُمادى الآخرة، أعاد سيف الدولة بناء عين زَربى وسيَّر حاجبه في جيش مع أهل طرسوس إلى بلاد الروم، فغنموا وقتلوا وسبوا وعادوا. فقصد الروم حصن سيسية فملكوه.

وفيها سار نجا غلام سيف الدولة في جيش إلى حصن زياد، فلقيه جمع من الروم فهزمهم، واستأمن إليه من الروم خمسمائة رجل.

وفيها في شوّال أسرت الروم أبا فراس بن سعيد بن حمدان من منبج، وكان متقلداً لها وله ديوان شعر جيد.

وفيها سار جيش من الروم في البحر إلى جزيرة أقريطش، فأرسل أهلها إلى المعز لدين الله العلوي صاحب أفريقية، يستنجدونه، فأرسل إليهم نجدة فقاتلوا الروم فانتصر المسلمون، وأُسِرَ من كان بالجزيرة من الروم.

---

(١) «بسبب السبّ أيضاً» انظر البداية والنهاية ٢٥٧/١١ ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقّاش المقري صاحب كتاب شفاء الصدور[1]، وعبد الباقي بن قانع مولى بني أمية[2]، وكان مولده سنة خمس وتسعين ومائتين، ودعلج بن أحمد السجزي المعدّل[3]، وأبـو عبد الله محمـد بن أبي موسى الهاشمي.

---

(١) ابو بكر النقاش (محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر) المفسر المقرىء. مولى أبي دُجانة سِماك بن خراش، كان عالماً بالتفسير وبالقراءات، له كتاب التفسير الذي سماه « شفاء الصدور »، وقال بعضهم بل سقام الصدور. البداية والنهاية ٢٥٨/١١ ط. دار الكتب العلمية في بيروت. وانظر ايضاً شذرات الذهب ٨/٣ - ٩.

(٢) هو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق، ابو الحسن. البداية والنهاية ٢٥٨/١١ ط. دار الكتب العلمية ببيروت. وقد جاء في شذرات الذهب ٨/٣: « ابو الحسين ».

(٣) في شذرات الذهب ٨/٣: دعلج بن أحمد أبو محمد الشجري المعدّل. وفي البداية والنهاية السجستاني (٢٥٧/١١).

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة

ذكر عصيان أهل حران

في هذه السّنة في صفر، امتنع أهل حرّان على صاحبها هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، وعصوا عليه، وسبب ذلك أنه كان متقلداً لها ولغيرها من ديار مضر من قبل عمه سيف الدولة، فعسفهم نوابه وظلموهم وطرحوا الأمتعة على التجّار من أهل حرّان وبالغوا في ظلمهم، وكان هبة الله عند عمه سيف الدولة بحلب، فثار أهلها على نوابه وطردوهم، فسمع هبة الله بالخبر، فسار إليهم وحاربهم، وحصرهم فقاتلهم وقاتلوه أكثر من شهرين، فقتل منهم خلق كثير، فلما رأى سيف الدولة شدة الأمر واتصال الشر، قرب منهم، وراسلهم وأجابهم إلى ما يريدون، فاصطلحوا وفتحوا أبواب البلد، وهرب منه العيارون خوفاً من هبة الله.

ذكر وفاة الوزير أبي محمد المهلبي

في هذه السّنة سار الوزير أبو محمد المهلبي وزير معز الدولة في جُمادى الآخرة في جيش كثيف إلى عمان، ليفتحها، فلما بلغ البحر اعتلَّ، واشتدَّتْ علّتُه، فأُعِيدَ إلى بغداد، فمات في الطريق، في شعبان. وحُمِلَ تابوته إلى بغداد فدفن بها، وقبض معز الدولة أمواله وذخائره، وكل ما كان له وأخذ أهله وأصحابه، وحواشيه حتى ملاحه ومن خدمه يوماً واحداً، فقبض عليهم وحبسهم، فاستعظم الناس ذلك واستقبحوه، وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان كريماً فاضلاً ذا عقل ومروءة فمات بموته الكرم، ونظر في الأمور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس من غير تسمية لأحدهما بوزارة.

ذكر غزوة إلى الروم وعصيان حرّان

في هذه السّنة في شوّال دخل أهل طرسوس بلاد الروم غازين، ودخلها أيضاً نجا غلام سيف الدولة بن حمدان من درب آخر، ولم يكن سيف الدولة معهم لمرضه، فإنه كان قد لحقه قبل ذلك بسنتين فالج، فأقام على رأس درب من تلك الدروب، فأوغل أهل طرسوس في غزوتهم حتى وصلوا إلى قونية وعادوا. فرجع سيف الدولة إلى حلب، فلحقه في الطريق غشية أرجف عليه الناس بالموت. فوثب هبة الله ابن أخيه ناصر الدولة بن حمدان بابن دنجا النصراني فقتله، وكان خصيصاً بسيف الدولة، وإنما قتله لأنه يتعرّض لغلام له، فغار لذلك. ثم أفاق سيف الدولة، فلما علم هبة الله أن عمه لم يمتْ هرب إلى حرّان، فلما دخلها أظهر لأهلها أن عمه مات، وطلب منهم اليمين على أن يكونوا سلماً لمن سالمه وحرباً لمن حاربه، فحلفوا له واستثنوا عمه في اليمين فأرسل سيف الدولة غلامه نجا إلى حران في طلب هبة الله، فلما قاربها هرب هبة الله إلى أبيه بالموصل، فنزل نجا على حرّان في السابع والعشرين من شوّال، فخرج أهلها إليه من الغد، فقبض عليهم وصادرهم على ألف ألف درهم، ووكل بهم حتى أدوها في خمسة أيام بعد الضرب الوجيع بحضرة عيالاتهم، وأهليهم فأخرجوا أمتعتهم فباعوا كل ما يساوي ديناراً بدرهم، لأن أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ليس فيهم من يشتري لأنهم مصادرون. فاشترى ذلك أصحاب نجا بما أرادوا، وافتقر أهل البلد. وسار نجا إلى ميافارقين، وترك حران شاغرة بغير والٍ، فتسلط العيارون على أهلها. وكان من أمر نجا ما نذكره سنة ثلاث وخمسين.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة عاشر المحرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن يدرن في البلد، بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك. ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان معهم.

وفيها في ربيع الأول اجتمع من رجالة الأرمن جماعة كثيرة، وقصدوا الرّها، فأغاروا عليها فغنموا، وأسروا وعادوا موفورين.

وفيها عُزِل ابن أبي الشوارب عن قضاء بغداد، وتقلّد مكانه أبو بشر عمرو بن أكثم[١]، وأعفى عما كان يحمله ابن أبي الشـوارب من الضمان عن القضـاء، وأمر بإبطال أحكامه وسجلاته.

وفيها في شعبان ثار الروم بملكهم فقتلوه، وملكوا غيره. وصار ابن شمشقيق دمستقاً[٢]، وهو الذي يقوله العامة ابن الشمشكي.

وفيها في ثامن عشر ذي الحجة، أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد وأُشعِلَت النيران بمجلس الشرطة، وأظهِرَ الفرح، وفُتِحَت الأسواق بالليل، كما يفعل ليـالي الأعياد فعل ذلك فرحاً بعيد الغدير ـ يعني غدير خم ـ وضربت الدبادب، والبوقات وكان يوماً مشهوداً[٣].

وفيها في ذي الحجة الواقع في كانون الثاني خرج الناس في العراق للإستسقاء لعدم المطر.

---

(١) ورد في البداية والنهاية ١١/٢٦٩ ط. دار الكتب العلمية ببيروت، وفي تاريخ بغداد ١١/٢٤٩ : « عمر بن أكثم بن أحمد بن حبان بن بشر أو بشر الأسدي ».

(٢) جاء في البداية والنهاية: « ومات الـدمستق أيضاً ملك الأرمن واسمـه النقفـور وهو الـذي أخذ حلب » (١١/٢٥٩ ط. دار الكتب العلمية ببيروت).

(٣) في البداية والنهاية (١١/٢٥٩ ط. دار الكتب العلمية في بيروت): « فكان وقتاً عجيباً مشهوداً ».

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

ذكر عصيان نجا وقتله وملك سيف الدولة بعض أرمينية

قد ذكرنا سنة اثنتين وخمسين ما فعله نجا غلام سيف الدولة بن حمدان بأهل حران، وما أخذه من أموالهم، فلما اجتمعت عنده تلك الأموال قوي بها وبَطرَ، ولم يشكر وليّ نعمته، بل كفره، وسار إلى ميافارقين، وقصد بلاد أرمينية. وكان قد استولى على كثير منها رجلَ من العرب يُعرفُ بأبي الورد، فقاتله نجا. فقتل أبو الورد، وأخذ نجا قلاعه وبلاده خَلاط وملازكرد ومُوش وغيرها. وحصل له من أموال أبي الورد شيء كثير، فأظهر العصيان على سيف الدولة، فاتفق أن معز الدولة بن بويه، سار من بغداد إلى الموصل ونصيبين، واستولى عليها، وطرد عنها ناصر الدولة، على ما نذكره آنفاً، فكاتبه نجا، وراسله وهو بنصيبين يعده المعاضدة، والمساعدة على مواليه بني حمدان. فلما عاد معز الدولة إلى بغداد، واصطلح هو وناصر الدولة سار سيف الدولة إلى نجا ليقاتله على عصيانه عليه، وخروجه عن طاعته، فلما وصل إلى مَيَّافَارقين[1] هرب نجا من بين يديه، فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه التي أخذها من أبي الورد، واستأمن إليه جماعة من أصحاب نجا فقتلهم، واستأمن إليه أخو نجا، فأحسن إليه وأكرمه. وأرسل إلى نجا يرَغّبه ويرهبه، إلى أن حضر عنده، فأحسن إليه، وأعاده إلى مرتبته. ثم إن غلمان سيف الدولة وثبوا على نجا في دار سيف الدولة بميافارقين، في ربيع الأول سنة أربع وخمسين، فقتلوه بين يديه فغشي على سيف الدولة، وأُخرِجَ نجا فألقِيَ في مجرى الماء والأقذار، وبقي إلى الغد، ثم أُخرِج ودُفِنَ.

---

(١) مَيّافارقين: أشهر مدينة بديار بكر في تركيا.

ذكر حصر الروم المصِّيصة ووصول الغزاة من خراسان

في هذه السّنة حصر الروم مع الدمستق المصِّيصة، وقاتلوا أهلها ونقبوا سورها، واشتدّ قتال أهلها على النقب، حتى دفعهم أهلها بعد قتال عظيم، وأحرق الروم رستاقها، ورستاق أذنة وطرسوس لمساعدتهما أهلها. فقُتِلَ من المسلمين خمسة عشر ألف رجل، وأقام الروم في بلاد الإسلام خمسة عشر يوماً لم يقصدهم من يقاتلهم، فعادوا لغلاء الأسعار وقلّة الأقوات. ثم إن إنساناً وصل إلى الشام من خراسان يريد الغزاة، ومعه نحو خمسة آلاف رجل، وكان طريقهم على أرمينية وميّافارقين. فلما وصلوا إلى سيف الدولة في صفر، أخذهم سيف الدولة وسار بهم نحو بلاد الروم لدفعهم عن المسلمين، فوجدوا الروم قد عادوا فتفرّق الغزاة الخراسانية في الثغور لشدَّة الغلاء، وعاد أكثرُهم إلى بغداد، ومنها إلى خراسان. ولما أراد الدمستق العود إلى بلاد الروم أرسل إلى أهل المصّيصة. وأذنة وطرسوس: أني منصرفُ عنكم لا لعجز، ولكن لضيق العلوفة وشدّةِ الغلاء، وأنا عائد إليكم فمن انتقل منكم فقد نجا، ومن وجدته بعد عودتي قتلته.

ذكر ملك معز الدولة الموصل وعوده عنها

في هذه السنة في رجب سار معز الدولة من بغداد إلى الموصل وملكها، وسبب ذلك أن ناصر الدولة كان قد استقرّ الصلح بينه وبين معز الدولة على ألف ألف درهم، يحملها ناصر الدولة كل سنة، فلما حصلت الإجابة من معز الدولة، بذل زيادة ليكون اليمين أيضاً لولده أبي تغلب فضل الله الغضنفر معه، وأن يحلف معز الدولة لهما، فلم يجب إلى ذلك. وتجهّز معز الدولة، وسار إلى الموصل في جُمادى الآخرة. فلما قاربها سار ناصر الدولة إلى نصيبين، ووصل معز الدولة إلى الموصل وملكها في رجب، وسار يطلب ناصر الدولة حادي عشر شعبان. واستخلف على الموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الغلاّت، ويجبي الخراج. وخلف بكتوزون وسبكتكين العجمي في جيش ليحفظ البلد، فلما قارب معز الدولة نصيبين فارقها ناصر الدولة، وملك معز الدولة نصيبين، ولم يعلم أي جهة قصد ناصر الدولة، فخاف أن يخالفه إلى الموصل، فعاد عن نصيبين نحو الموصل وترك بها من يحفظها.

وكان أبو تغلب بن ناصر الدولة قد قصد الموصل، وحارب من بها من أصحاب معز الدولة، وكانت الدائرة عليه، فانصرف بعد أن أحرق السفن التي لمعز الدولة، وأصحابه. ولما انتهى الخبر إلى معز الدولة بظفر أصحابه سكنت نفسه، وأقام ببرقعيد يتوقع أخبار ناصر الدولة، فبلغه أنه نزل بجزيرة ابن عمر فرحل عن برقعيد إليها، فوصلها سادس شهر رمضان، فلم يجد بها ناصر الدولة فملكها. وسأل عن ناصر الدولة فقيل: إنه بالحسنية ولم يكن كذلك وإنما كان قد اجتمع هو وأولاده وعساكره، وسار نحو الموصل فأوقع بمن فيها من أصحاب معز الدولة، فقتل كثيراً منهم وأسر كثيراً. وفي الأسرى أبو العلاء، وسبكتكين، وبكتوزون، وملك جميع ما خلفه معز الدولة من مال وسلاحٍ وغير ذلك. وحمل جميعه مع الأسرى إلى قلعة كواشي. فلما سمع معز الدولة بما فعله ناصر الدولة، سار يقصده، فرحل ناصر الدولة إلى سنجاره.

فلما وصل معز الدولة بلغه مسير ناصر الدولة إلى سنجار فعاد إلى نصيبين. فسار أبو تغلب بن ناصر الدولة إلى الموصل، فنزل بظاهرها عند الدّير الأعلى، ولم يتعرض إلى أحد ممن بها من أصحاب معز الدولة، فلما سمع معز الدولة بنزول أبي تغلب بالموصل، سار إليها، ففارقها أبو تغلب، وقصد الزاب فأقام عنده. وراسل معز الدولة في الصّلح، فأجابه لأنه علم أنه متى فارق الموصل عادوا، وملكوها، ومتى أقام بها لا يزال متردداً وهم يغيرون على النواحي، فأجابه إلى ما التمسه، وعقد عليه ضمان الموصل، وديار ربيعة، والرّحبة، وما كان في يد أبيه بمالٍ قرّره، وأن يطلق من عندهم من الأسرى، فاستقرت القواعد على ذلك. ورحل معز الدولة إلى بغداد وكان معه في سفرته هذه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة.

ذكر حال الدّاعي العلوي

كان قد هرب أبو عبد الله محمد بن الحسين، المعروف بابن الدّاعي من بغداد، وهو حسني من أولاد الحسن بن عليّ رضي الله عنهما. وسار نحو بلاد الديلم، وترك أهله وعياله ببغداد. فلما وصل إلى بلاد الدّيلم، اجتمع عليه عشرة آلاف رجل، فهرب ابن الناصر العلوي من بين يديه، وتلقّب ابن الداعي بالمهدي لدين الله، وعَظُمَ شأنه، وأوقع بقائد كبير من قواد وشمكير، فهزمه.

ذكر حصر الروم طرسوس والمصيصة

وفي هذه السّنة أيضاً، نزل ملك الروم على طرسوس وحصرها، وجرى بينهم وبين أهلها حروب كثيرة، سقط في بعضها الدُّمسْتُق، بن الشمشقيق إلى الأرض، وكاد يؤسر، فقاتل عليه الروم وخلصوه. وأسر أهل طرسوس بطريقاً كبيراً من بطارقة الروم. ورحل الروم عنهم وتركوا عسكراً على المصيصة مع الدمستق، فحصرها ثلاثة أشهر، لم يمنعهم منها أحد. فاشتدَّ الغلاء على الروم، وكان شديداً قبل نزولهم، فلهذا طمعوا في البلاد لعدم الأقوات عندهم، فلما نزل الروم زاد شدّة، وكثر الوباء أيضاً، فمات من الروم كثير فاضطروا إلى الرّحيل.

ذكر فتح رَمْطَة والحرب بين المسلمين والروم بصقلية

قد ذكرنا سنة إحدى وخمسين، فتح طَبَرْمِين، وحصر رَمْطَة[1] والروم فيها. فلما رأى الروم ذلك خافوا، وأرسلوا إلى ملك القسطنطينية يعلمونه الحال، ويطلبون منه أن ينجدهم بالعساكر. فجهَّز إليهم عسكراً عظيماً، يزيدون على أربعين ألف مقاتل، وسيَّرهم في البحر. فوصلت الأخبار إلى الأمير أحمد أمير صقلية، فأرسل إلى المعز بأفريقية يعرفه ذلك، ويستمده ويسأل إرسال العساكر إليه سريعاً، وشرع هو في اصلاح الأسطول والزيادة فيه، وجمع الرجال المقاتلة في البر والبحر. وأما المعز فإنه جمع الرجال وحشد وفرّق فيهم الأموال الجليلة وسيَّرهم مع الحسن بن علي والد أحمد، فوصلوا إلى صقلية في رمضان، وسار بعضهم إلى الذين يحاصرون رمطة فكانوا معهم على حصارها. فأما الروم فإنهم وصلوا أيضاً إلى صقلية ونزلوا عند مدينة مسيني في شوّال، وزحفوا منها بجموعهم التي لم يدخل صقلية مثلها إلى رمطة، فلما سمع الحسن بن عمّار مقدم الجيش الذين يحاصرون رمطة ذلك، جعل عليها طائفة من عسكره يمنعون من يخرج منها. وبرز بالعساكر للقاء الروم وقد عزموا على الموت.

ووصل الروم وأحاطوا بالمسلمين، ونزل أهل رمطة إلى من يليهم ليأتوا المسلمين من ظهورهم، فقاتلهم الذين جعلوا هناك لمنعهم وصدوهم عما أرادوا. وتقدّم الروم إلى القتال، وهم مدلون بكثرتهم، وبما معهم من العدد وغيرها. والتحم

---

(١) رَمْطَة: اسم أعجمي لقلعة حصينة بجزيرة صقلية، بينهما ثمانية أيام، وهي بعيدة عن البحر فوق جبل.

القتال وعظم الأمر على المسلمين، وألحقهم العدو بخيامهم، وأيقن الروم بالظفر. فلما رأى المسلمون عظم ما نزل بهم إختاروا الموت، ورأوا أنه أسلم لهم. وأخذوا بقول الشاعر:

تـأخَرْتُ أستبقي الحيـاة فلم أجِـدْ   لنفسي حيــاةً مثــلَ أنْ أتقــدمــا

فحمل بهم الحسن بن عمّار أميرهم، وحمي الوطيس حينئذ، وحرَّضَهُم على قتال الكفار. وكذلك فعل بطارقة الروم حملوا وحرَّضوا عساكرهم، وحمل منويل مقدم الروم، فقتل في المسلمين فطعنه المسلمون فلم يؤثر فيه لكثرة ما عليه من اللباس فرمى بعضهم فرسه، فقتله، واشتدّ القتال عليه فقُتِل هو وجماعة من بطارقته. فلما قُتِلَ، انهزم الروم أقبح هزيمة وأكثر المسلمون فيهم القتل. ووصل المنهزمون إلى جرف خندق عظيم كالحفرة، فسقطوا فيها من خوف السيف، فقتل بعضهم بعضاً حتى امتلأت، وكانت الحرب من بكرة إلى العصر. وبات المسلمون يقاتلونهم في كل ناحية وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الأموال ما لا يحدّ، وكان في جملة الغنيمة سيف هندي عليه مكتوب هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً طالما ضرب به بين يدي رسول الله ﷺ، فأرسل إلى المعز مع الأسرى والرؤوس، وسار من سلم من الروم إلى ريو.

وأما أهل رَمْطة فإنهم ضعفت نفوسهم وكانت الأقوات قد قلّتْ عندهم، فأخرجوا من فيها من الضعفاء وبقي المقاتلة، فزحف إليهم المسلمون وقاتلوهم إلى الليل ولزموا القتال في الليل أيضاً، وتقدموا بالسلاليم فملكوها عنوة، وقتلوا من فيها وسبوا الحرم والصغار وغنموا ما فيها، وكان شيئاً كثيراً عظيماً، ورتّب فيها من المسلمين من يعمرها ويقيم فيها. ثم إن الروم تجمَّع من سلم منهم، وأخذوا معهم من في صقلية وجزيرة ريو منهم، وركبوا مراكبهم يحفظون نفوسهم، فركب الأمير أحمد في عساكره وأصحابه في المراكب أيضاً، وزحف إليهم في الماء، وقاتلهم، وإشتـدّ القتال بينهم. وألقى جمـاعة من المسلمين نفـوسهم في الماء، وخـرقوا كثيـراً من المراكب التي للروم، فغرقت، وكثر القتل في الروم فانهزموا لا يلوي أحد على أحد، وسارت سرايا المسلمين في مدائن الروم، فغنموا منها فبذل أهلها لهم من الأموال وهادنوهم. وكان ذلك سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. وهذه الوقعة الأخيرة هي المعروفة بوقعة المجاز.

ذكر عدة حوادث[١]

في هذه السّنة عاشر المحرم، أُغلِقَت الأسواق ببغداد يوم عاشوراء، وفعل الناس ما تقدم ذكره، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنية جرح فيها كثير، ونُهِبَت الأموال.

وفيها في ذي الحجة، ظهر بالكوفة إنسان ادّعى أنه علوي، وكان مبرقعاً فوقع بينه وبين أبي الحسن محمد بن عمر العلوي، وقائع فلما عاد معز الدولة من الموصل هرب المبرقع[٢].

---

(١) وفي هذه السنة قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الإخشيد صاحب مصر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً، فقلع له أبواب الرقة، وكانت من حديد صامت. البداية والنهاية ١١/ ٢٧٠ ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) جاء في البداية والنهاية (١١/ ٢٧١ ط. دار الكتب العلمية ببيروت) : «وفي ذي الحجة منها خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوي، وكان يتبرقع فسمي المبـرقع وغلظت فتنته وبَعُدَ صيته. . . ».

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

ذكر استيلاء الرومِ على المصيصة وطرسوس

في هذه السَّنة، فتح الروم المصِّيصة، وطَرْسوس، وكان سبب ذلك، أن تقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة، ليقرب من بلاد الإسلام، وأقام بها، ونقل أهله إليها. فأرسل إليه أهل طرسوس والمصيصة يبذلون له أتاوة ويطلبون منه أنْ ينفِذَ إليهم بعض أصحابه يقيم عندهم، فعزم على إجابتهم إلى ذلك. فأتاه الخبر بأنهم قد ضعفوا وعجزوا وأنهم لا ناصر لهم، وأن الغلاء قد اشتدّ عليهم، وقد عجزوا عن القوت، وأكلوا الكلاب والميتة وقد كثُر فيهم الوباء فيموت منهم في اليوم نحو ثلاثمائة نفس، فعاد تقفور عن إجابتهم، وأحضر الرسول وأحرق الكتاب على رأسه، وآحترقَتْ لحيته وقال لهم: « أنتم كالحية في الشتاء تخدرُ وتذبل حتى تكاد تموت، فإن أخذها انسان وأحسن إليها وأدفأها انتعشت ونهشته، وأنتم إنما أطعتم لضعفكم، وإن تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم . وأعاد الرسول وجمع جيوش الروم، وسار إلى المصيصة بنفسه، فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف يوم السبت ثالث عشر رجب، ووضع السيف فيهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم رفع السيف ونَقَل كل من بها إلى بلد الروم، وكانوا نحو مائتي ألف انسان.

ثم سار إلى طرسوس فحصرها فاذعن أهلها بالطاعة وطلبوا الأمان فأجابهم إليه، وفتحوا البلد، فلقيهم بالجميل وأمرهم أن يحملوا من سلاحهم وأموالهم ما يطيقون، ويتركوا الباقي ففعلوا ذلك. وساروا براً وبحراً وسيَّر معهم من يحميهم، حتى بلغوا أنطاكية، وجعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلاً لدوابه، وأحرق المنبر وعمَّر طرسوس وحصَّنها، وجلب الميرة إليهاحتى رَخُصت الأسعار، وتراجع إليها كثير من أهلها، ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم. وأراد المقام بها ليقرب من بلاد

المسلمين، ثم عاد إلى القسطنطينية، وأراد الدُّمسْتُق ـ وهو ابن الشمشقيق ـ أن يقصد ميافارقين، وبها سيف الدولة فأمره الملك باتِّباعِهِ إلى القسطنطينية، فمضى إليه.

ذكر مخالفة أهل أنطاكية على سيف الدولة

وفي هذه السّنة عصى أهل أنطاكية على سيف الدولة بن حمدان، وكان سبب ذلك أن إنساناً من أهل طرسوس كان مقدماً فيها، يسمّى رشيقاً النسيمي، كان في جملة من سلمها إلى الروم وخرج إلى انطاكية، فلما وصلها خدمه إنسان يُعرَفُ بابن الأهوازي، كان يضمن الأرحاء[1] بأنطاكية فسلّم إليه ما اجتمع عنده من حاصل الأرجاء وحسن له العصيان، وأعلمه أن سيف الدولة بميّافارقين، قد عجز عن العود إلى الشام فعصى واستولى على انطاكية.

وسار إلى حلب وجرى بينه وبين النائب عن سيف الدولة وهو قرعويه حروب كثيرة، صعد قرعويه إلى قلعة حلب فتحصّن بها. وأنفذ سيف الدولة عسكراً مع خادمه بشارة نجدة لقرعويه، فلما علم بهم رشيق انهزم عن حلب فسقط عن فرسه. فنزل إليه إنسان عربي فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى قرعويه، وبشارة.

ووصل ابن الأهوازي إلى أنطاكية، فأظهر إنساناً من الدّيلم اسمه دزبر[2]، وسمّاه الأمير وتقوّى بإنسان علوي ليقيم له الدعوة، وتسمّى هو بالأستاذ، فظلم الناس وجمع الأموال وقصد قرعويه إلى أنطاكية، وجرت بينهما وقعة عظيمة، فكانت على ابن الأهوازي أولاً، ثم عادت على قرعويه، فانهزم وعاد إلى حلب. ثم ان سيف الدولة عاد عن ميّافارقين عند فراغه من الغزاة إلى حلب، فأقام بها ليلة وخرج من الغد فواقع دزبر، وابن الاهوازي فقاتل من بها فانهزموا، وأسر دزبر، وابن الأهوازي. فقتل دزبر وسجن ابن الأهوازي مدة ثم قتله.

ذكر عصيان أهل سجستان

وفي هذه السّنة عصى أهل سجستان على أميرهم خلف بن أحمد. وكان هذا

---

(١) جاء في البداية والنهاية: «وكان يضمن الطواحين». (٢٧٢/١١ ط. دار الكتب العلمية ببيروت).

(٢) جاء في البداية والنهاية: «فأقام رجلاً من الروم اسمه دزبر فسماه الأمير» (٢٧٢/١١ ط. دار الكتب العلمية ببيروت).

خلف هو صاحب سجستان حينئذ، وكان عالماً محبًّا لأهل العلم. فاتفق أنه حج سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واستخلف على أعماله إنساناً من أصحابه يسمى طاهر بن الحسين، فطمع في الملك وعصى على خلف لما عاد من الحج، فسار خلف إلى بُخارى واستنصر بالأمير منصور بن نوح وسأله معونته، ورده إلى ملكه، فأنجده، وجهّز معه العساكر فسار بهم نحو سجستان، فلما أحسَّ بهم طاهر فارق مدينة خلف وتوجّه نحو أسفرار، وعاد خلف إلى قراره وملكه، وفرّق العساكر. فلما علم طاهر بذلك عاد إليه وغلب على سجستان، وفارقها خلف، وعاد إلى حضرة الأمير منصور أيضاً ببُخارى، فأكرمه وأحسن إليه، وأنجده بالعساكر الكثيرة وردّه إلى سجستان فوافق وصوله موت طاهر وانتصاب ابنه الحسين مكانه، فحاصره خلف وضايقه، وكثر بينهم القتلى واستظهر خلف عليه. فلما رأى ذلك كتب إلى بُخارى يعتذر ويتنصل، ويظهر الطاعة ويسأل الإقالة، فأجابه الأمير منصور إلى ما طلبه، وكتب في تمكينه من المسير إليه، فسار من سجستان إلى بُخارى، فأحسن الأمير منصور إليه. واستقر خلف بن أحمد بسجستان ودامت أيامه فيها وكثرت أمواله ورجاله، فقطع ما كان يحمله إلى بُخارى من الخلع والخدم والأموال التي استقرَّتْ عليها. فجهِّزت العساكر إليه وجعل مقدمها الحسين بن طاهر بن الحسين المذكور. فساروا إلى سجستان، وحصروا خلف بن أحمد بحصن أرك وهو من أمنع الحصون، وأعلاها محلاً وأعمقها خندقاً فدام الحصار عليه سبع سنين، وكان خلف يقاتلهم بأنواع السِّلاح، ويعمل بهم أنواع الحيل حتى أنه كان يأمر بصيد الحيات، ويجعلها في جرب ويقذفها في المنجنيق إليهم، فكانوا ينتقلون لذلك من مكان إلى مكان، فلما طال ذلك الحصار وفَنِيَت الأموال والآلات، كتب نوح بن منصور إلى أبي الحسن بن سيمجور الذي كان أمير جيوش خراسان ـ وكان حينئذ قد عُزِل عنها على ما سنذكره ـ يأمره بالمسير إلى خلف، ومحاصرته، وكان بقهستان فسار منها إلى سجستان، وحصر خلفاً وكان بينهما مودة، فأرسل إليه أبو الحسن يشير عليه بالنزول عن حصن أرك وتسليمه إلى الحسين بن طاهر ليصيرَ لمن قد حصره من العساكر طريق وحجة يعودون بها إلى بُخارى فاذا تفرقت العساكر عاود هو محاربة الحسين. وبكر ابن الحسين مفرداً من العساكر، فقبل خلف مشورته وفارق حصن أرك إلى حصن الطارق، ودخل أبو الحسن السيمجوري إلى أرك، وأقام به الخطَبة للأمير نوح، وانصرف عنه وقرر الحسين بن طاهر فيه، وسنورد ما يتجدد

فيما بعد، وكان هذا أول وهن دخل على دولة السّامانية، فطمع أصحاب الأطراف فيهم لسوء طاعة أصحابهم لهم، وقد كان ينبغي أن نورد كل حادثة من هذه الحوادث في سنتها لكننا جمعناها لقلتها، فانه كان ينسى أوله لبعد ما بينه وبين آخره.

ذكر طاعة أهل عمان معز الدولة وما كان منهم

وفيها سيَّر معز الدولة عسكراً إلى عمان فلقوا أميرها ـ وهو نافع مولى يوسف بن وجيه ـ وكان يوسف قد هلك وملك نافع البلد بعده، وكان أسود. فدخل نافع في طاعة معز الدولة وخطب له وضرب له اسمه على الدّينار والدرهم ـ فلما عاد العساكر عنه وثب به أهل عمان، فأخرجوه عنهم وأدخلوا القرامطة الهجريين إليهم وتسلّموا البلد فكانوا يقيمون فيه نهاراً، ويخرجون ليلاً إلى معسكرهم، وكتبوا إلى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليأمروهم بما يفعلون.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة ليلة السبت رابع عشر صفر انخسف القمر جميعه.

وفيها نزلت طائفة من الترك على بلاد الخزر، فانتصر الخزر بأهل خوارزم، فلم ينجدوهم وقالوا: أنتم كفّار فإن أسلمتم نصرناكم فأسلموا إلاّ ملكهم، فنصرهم أهل خوارزم وأزالوا الترك عنهم، ثم أسلم ملكهم بعد ذلك.

وفيها رابع جُمادى الآخرة تقلّد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضي والمرتضى نقابة العلويين، وامارة الحاج، وكتب له منشور من ديوان الخليفة.

وفيها أنفذ القرامطة سرية إلى عمان والشراة في جبالها كثير، فاجتمعوا فأوقعوا بالقرامطة فقتلوا كثيراً منهم، وعاد الباقون.

وفيها ثار إنسان من القرامطة الذين استأمنوا إلى سيف الدولة ـ واسمه مروان ـ وكان يتقلّد السواحل لسيف الدولة، فلما تمكّن ثار بحمص فملكها وملك غيرها، فخرج إليه غلام لقرعويه حاجب سيف الدولة اسمه بدر، وواقع القرمطي عدة وقعات، ففي بعضها رمى بدر مروان بنشابة مسمومة. واتفق أن أصحاب مروان أسروا بدراً، فقتله مروان ثم عاش بعد قتله أياماً ومات.

وفيها قُتِل المتنبي الشاعر واسمه أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندي قريباً من النعمانية، وقتل معه ابنه وكان قد عاد من عند عضد الدولة بفارس، فقتله الأعراب هناك وأخذوا ما معه(١).

وفيها توفي محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي، صاحب التصانيف المشهورة(٢)، وأبو بكر محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم المفسر النحوي المقري، وكان عالماً بنحو الكوفيين، وله تفسير كبير حسن(٣)، ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه(٤) أبو بكر الشافعي في ذي الحجة، وكان عالماً بالحديث عالي الإسناد و(حبان) بكسر الحاء والباء الموحدة.

---

(١) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي صاحب الديوان وحامل لواء الشعر في عصره المولود سنة ثلاث وثلاثمائة وكان يكثر المقام بالبادية لاقتباس اللغة ونظر في فنون الأدب وتعاطى قول الشعر من صغره حتى بلغ فيه الغاية وفاق أهل زمانه ومدح الملوك وسار شعره في الدنيا ومدح سيف الدولة بن حمدان. وكافوراً الاخشيدي وغيرهما، وكان أبوه سقاء بالكوفة يعرف بعبدان السقاء، ثم انتقل إلى الشام بولده ونشأ ولده بالشام؛ وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي :

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ ... ـل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع في الكوفة المـا ... ء وحينا يبيع ماء المحيا

وخرج الى كلب ـ بطن من قضاعة ـ وأقام فيهم وادعى أنه علوي ثم ادعى النبوة في بادية السماوة وتبعه منهم خلق كثير فخرج عليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً وأشرف على القتل ثم استتيب وأطلق ومن ثم سمي المتنبي، ثم التحق بالأمير سيف الدولة وبعده بكافور الإخشيدي وبعد ذلك قصد بلاد فارس ومدح عضد الدوّلة بن بويه الديلمي وكذلك مدح ابن العميد الوزير وقتل في رمضان واسم ابنه محسد، وديوان شعره تعرض لشرحه كثير من العلماء الفطاحل بالشعر واللغة نحواً من ستين شرحاً وجيزاً وبسيطاً وطبع بعض شروحه غير مرة.

(٢) محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، أبو حاتم البستي صاحب الأنواع والتقاسيم، وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين، البداية والنهاية ١١/٢٧٦ ط. دار الكتب العلمية ببيروت. وشذرات الذهب ٣/١٦.

(٣) محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مقسم، ابو بكر بن مقسم المقري، ولد سنة ٢٠٥، وسمع الكثير من المشايخ، روى عنه الدارقطني وغيره، وكان من اعرف الناس بالقراءات. البداية والنهاية ١١/٢٧٦ ـ ٢٧٧ ط. دار الكتب العلمية ببيروت. شذرات الذهب ٣/١٦.

(٤) جاء في البداية والنهاية « ابن عبد ربه ». (١١/٢٧٧ ط. دار الكتب العلمية ببيروت).

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة

ذكر ما تجدد بعمان واستيلاء معز الدولة عليها

قد ذكرنا في السّنة التي قبل هذه خبر عمان ودخول القرامطة إليها وهرب نافع عنها. فلما هرب نافع واستولى القرامطة على البلد، كان معهم كاتب يُعرَفُ بعليّ بن أحمد ينظر في أمر البلد، وكان بعمان قاضٍ له عشيرة وجاء فاتفق هو وأهل البلد أن ينصبوا في الأمرة رجلاً يُعرف بابن طَغان، وكان من صغار القواد بعمان وأدناهم مرتبة، فَلما استقرَّ في الأمرة خاف ممن فوقه من القواد أن يغلبوه على أمره، فقبض على ثمانين قائداً فقتل بعضهم، وغرق بعضهم.

وقدم البلد ابنا أخت لرجل ممن قد غرقهم، فأقاما مدة، ثم إنهما دخلا على طغان يوماً من أيام السلام، فسلما عليه فلما تقوض المجلس قتلاه، فاجتمع رأي الناس على تأمير عبد الوهاب بن أحمد بن مروان ـ وهو من أقارب القاضي ـ فولي الإمارة بعد امتناع منه، واستكتب علي بن أحمد الذي كان مع الهجريين. فأمر عبد الوهاب كاتبه علياً أن يعطي الجند أرزاقهم صلة، ففعل ذلك. فلما انتهى إلى الزُّنج، وكانوا ستة آلاف رجل، ولهم بأس وشدة قال لهم عليّ: إن الأمير عبد الوهاب أمرني أن أعطي البيض من الجند كذا وكذا، وأمر لكم بنصف ذلك». فاضطربوا وامتنعوا، فقال لهم: «هل لكم أن تبايعوني، فأعطيكم مثل سائر الأجناد»؟ فاجابوه إلى ذلك، وبايعوه وأعطاهم مثل البيض من الجند، فامتنع البيض من ذلك، ووقع بينهم حرب. فظهر الزُّنج عليهم فسكنوا واتفقوا مع الزنج، وأخرجوا عبد الوهاب من البلد، فاستقرّ في الإمارة عليّ بن أحمد، ثم إن معز الدولة، سار إلى واسط لحرب عمران بن شاهين، ولإرسال جيش إلى عمان. فلما وصل إلى واسط قدم عليه نافع الأسود الذي كان صاحب عمان فأحسن إليه، وأقام للفراغ من أمر عمران بن شاهين، على ما نذكره، إن

شاء الله تعالى، وانحدر من واسط إلى الأبلة في شهر رمضان، فأقام بها يجهِّز الجيش والمراكب، ليسيروا إلى عمان ففرغ منه وساروا منتصف شوال واستعمل عليهم أبا الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، وكانوا في مائة قطعة. فلما كانوا بسيراف انضمَّ إليهم الجيش الذي جهَّزه عضد الدولة من فارس نجدة لعمه معز الدولة، فاجتمعوا وساروا إلى عمان ودخلها تاسع ذي الحجة، وخطب لمعز الدولة فيها وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وأحرقت مراكبهم وهي تسعة وثمانون مركباً.

ذكر هزيمة إبراهيم بن المرزبان

في هذه السَّنة، انهزم إبراهيم بن المرزبان عن أذربيجان إلى الرّي. وسبب ذلك أن إبراهيم لما انهزم من جستان بن شرمزن، على ما ذكرناه سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، قصد أرمينية وشرع يستعد ويتجهَّز للعود إلى اذربيجان. وكانت ملوك أرمينية من الأرمن والأكراد، وراسل جستان بن شرمزن وأصلحه، فأتاه الخلق الكثير، واتفق أن إسماعيل ابن عمه وهسوذان، توفي فسار ابراهيم إلى أردبيل فملكها. وانصرف أبو القاسم بن مسيكي إلى وهسوذان وصار معه. وسار إبراهيم إلى عمه وهسوذان يطالبه بثأر إخوته فخافه عمه وهسوذان. وسار هو وابن مسيكي إلى بلد الديلم، واستولى إبراهيم على أعمال عمه، وخبط أصحابه وأخذ أمواله التي ظفر بها. وجمع وهسوذان الرجال، وعاد إلى قلعته بالطرم وسيَّر أبا القاسم بن مسيكي في الجيوش إلى إبراهيم. فلقيهم إبراهيم، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم إبراهيم وتبعه الطلب فلم يدركوه، وسار وحده حتى وصل إلى الرّي إلى ركن الدولة، فأكرمه ركن الدولة وأحسن إليه. وكان زوج أخت ابراهيم، فبالغ في إكرامه لذلك، وأجزل له الهدايا والصِّلات.

ذكر خبر الغزاة الخراسانية مع ركن الدولة

في هذه السَّنة في رمضان، خرج من خراسان جمع عظيم يبلغون عشرين ألفاً إلى الري بنية الغزاة. فبلغ خبرهم إلى ركن الدولة، وكثرة جمعهم، وما فعلوه في أطراف بلاده من الفساد، وأن رؤساءهم لم يمنعوهم عن ذلك. فأشار عليه الأستاذ أبو الفضل بن العميد ـ وهو وزيره ـ بمنعهم من دخول بلاده مجتمعين فقال: «لا تتحدث الملوك أنني خفت جمعاً من الغزاة»، فأشار عليه بتأخيرهم إلى أن يجمع عسكره، وكانوا متفرقين في أعمالهم فلم يقبل منه. فقال له: «أخافُ أن يكونَ لهم مع صاحب

خراسان مواطأة على بلادك. ودولتك » . فلم يلتفت إلى قوله، فلما وردوا الرّي اجتمع رؤساؤهم، وفيهم القفال الفقيه، وحضروا مجلس ابن العميد، وطلبوا مالاً ينفقونه، فوعدهم، فاشتطوا في الطلب وقالوا: « نريد خراج هذه البلاد جميعها فإنه لبيت المال، وقد فعل الروم بالمسلمين ما بلغكم واستولوا على بلادكم، وكذلك الأرمن، ونحن غزاة وفقراء، وأبناء سبيل فنحن أحق بالمال منكم». وطلبوا جيشاً يخرج معهم واشتطوا في الاقتراح. فعلم ابن العميد حينئذ خُبثَ سرائرهم، وتيقن ما كان ظنه فيهم ، فرفق بهم وداراهم، فعدلوا عنه إلى مشاتمة الديلم، ولعنهم وتكفيرهم، ثم قاموا عنه وشرعوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسلبون العامة بحجة ذلك. ثم إنهم أثاروا الفتنة، وحاربوا جماعة من الديلم إلى أن حجز بينهم الليل، ثم باكروا القتال، ودخلوا المدينة، ونهبوا دار الوزير ابن العميد، وجرحوه وسلم من القتل.

وخرج ركن الدولة إليهم في أصحابه، وكان في قلة، فهزمه الخراسانية فلو تبعوه لأتوا عليه، وملكوا البلد منه، لكنّهم عادوا عنه لأنّ الليل أدركهم. فلما أصبحوا، راسلهم ركن الدولة، ولطف بهم لعلهم يسيرون من بلده، فلم يفعلوا وكانوا ينتظرون مدداً يأتيهم من صاحب خراسان، فإنه كان بينهم مواعدة على تلك البلاد.

ثم إنهم اجتمعوا وقصدوا البلد ليملكوه، فخرج ركن الدولة إليهم، فقاتلهم، وأمر نفراً من أصحابه أن يسيروا إلى مكان يراهم، ثم يثيروا غبرة شديدة، ويرسلوا إليه من يخبره أن الجيوش قد أتته ففعلوا ذلك. وكان أصحابه قد خافوا لقلّتِهم، وكثرة عدوهم. فلما رأوا الغبرة، وأتاهم من أخبرهم أن أصحابهم لحقوهم، قويت نفوسهم. وقال لهم ركن الدولة: « احملوا على هؤلاء، لعلنا نظفر بهم قبل وصول أصحابنا فيكون الظفر والغنيمة لنا » فكبروا وحملوا حملة صادقة، فكان لهم الظفر، وانهزم الخراسانية وقتل منهم خلق كثير وأسر أكثر ممن قتل، وتفرّق الباقون، فطلبوا الأمان فأمّنهم ركن الدولة. وكان قد دخل البلد جماعة منهم يكبرون، كأنهم يقاتلون الكفار ويقتلون كل من رأوه بزِّي الديلم، ويقولون: هؤلاء رافضة، فبلغهم خبر انهزام أصحابهم، وقصدهم الدّيلم ليقتلوهم، فمنعهم ركن الدولة وأمّنهم، وفتح لهم الطريق ليعودوا، ووصل بعدهم نحو ألفي رجل بالعدة والسلاح، فقاتلهم ركن الدولة فهزمهم وقتل فيهم، ثم أطلق الأسارى وأمر لهم بنفقات، وردُّهم إلى بلادهم. وكان إبراهيم بن المرزبان عند ركن الدولة فأثر فيهم آثاراً حسنة.

ذكر عود إبراهيم بن المرزبان إلى أذربيجان

في هذه السّنة عاد إبراهيم بن المرزبان إلى أذربيجان واستولى عليها، وكان سبب ذلك أنه لما قصد ركن الدولة على ما ذكرناه، جهّزَ العساكر معه وسيَّر معه الأستاذ أبا الفضل بن العميد، ليردَّه إلى ولايته ويصلح له أصحاب الأطراف، فسار معه إليها واستولى عليها. وأصلح له جستان بن شرمزن وقاده إلى طاعته وغيره من طوائف الأكراد ومكَّنه من البلاد.

وكان ابن العميد لما وصل إلى تلك البلاد ورأى كثرة دخلها وسعة مياهها ورأى ما يتحصَّل لإبراهيم منها. فوجده قليلاً لسوء تدبيره، وطمع الناس فيه لاشتغاله بالشرب والنساء. فكتب إلى ركن الدولة يعرِّفهُ الحال ويشير بأن يعوِّضه من بعض ولايته بمقدار ما يتحصل له من هذه البلاد، ويأخذها منه فإنه لا يستقيم له حال مع الذين بها، وأنها تؤخذ منه. فامتنع ركن الدولة من قبول ذلك منه وقال: « لا يتحدث الناس عني أني استجار بي إنسان وطمعت فيه ». وأمر أبا الفضل بالعود عنه وتسليم البلاد إليه ففعل، وعاد. وحكى لركن الدولة صورة الحال، وحذَّرَهُ خروج البلاد من يد إبراهيم، وكان الأمر كما ذكره، حتى أخذ إبراهيم وحبس على ما نذكره.

ذكر خروج الروم إلى بلاد الاسلام

وفي هذه السّنة في شوّال خرجت الروم، فقصدوا مدينة آمد ونزلوا عليها وحصروها، وقاتلوا أهلها، فقتل منهم ثلاثمائة رجل وأسر نحو أربعمائة أسير. ولم يمكنهم فتحها، فانصرفوا إلى دارا وقربوا من نصيبين. ولقيهم قافلة واردة من ميّافارقين، فأخذوها وهرب الناس من نَصيبين خوفاً منهم، حتى بلغت أجرة الدابة مائة درهم. وراسل سيف الدولة الأعراب ليهرب معهم، وكان في نصيبين، فاتفق أن الروم عادوا قبل هربه، فأقام بمكانه. وساروا من ديار الجزيرة إلى الشام، فنازلوا انطاكية، فأقاموا عليها مدة طويلة يقاتلون أهلها، فلم يمكنهم فتحها فخربوا بلدها ونهبوه، وعادوا إلى طرسوس.

ذكر ما جرى لمعز الدولة مع عمران بن شاهين

قد ذكرنا انحدار معز الدولة إلى واسط لأجل قصد ولاية عمران بن شاهين

بالبطائح، فلما وصل إلى واسط أنفذ الجيش مع أبي الفضل العباس بن الحسن فساروا فنزلوا الجامدة، وشرعوا في سدّ الأنهار التي تصب إلى البطائح، وسار معز الدولة إلى الأُبُلة، وأرسل الجيش إلى عمان على ما ذكرناه، وعاد إلى واسط لاتمام حرب عمران وملك بلده، فأقام بها، فمرض وأُصعِدَ إلى بغداد لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة ست وخمسين - وهو عليل - وخلفَ العسكر بها ووعدهم أنه يعود إليهم. فلما وصل إلى بغداد توفي على ما نذكره، فدعت الضرورة إلى مصالحة عمران والانصراف عنه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة خرجت بنو سليم على الحجاج السائرين من مصر، والشام[1] وكانوا عالماً كثيراً، ومعهم من الأموال ما لا حدّ عليه لأن كثيراً من الناس من أهل الثغور، والشام هربوا من خوفهم من الروم بأموالهم وأهليهم وقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق، فأخذوا ومات من الناس في البرية ما لا يحصى ولم يسلم إلا القليل.

وفيها عظم أمر أبي عبد الله الدّاعي بالديلم، ولبس الصوف، وأظهر النسك والعبادة، وحارب ابن وشمكير فهزمه، وعزم على المسير إلى طبرستان وكتب إلى العراق كتاباً يدعوهم فيه إلى الجهاد.

وفيها تم الفداء بين سيف الدولة والروم وسلم سيف الدولة ابن عمه أبا فراس بن حمدان، وأبا الهيثم بن القاضي أبي الحصين[2].

وفيها انخسف القمر جميعه ليلة السبت ثالث عشر شعبان وغاب منخسفاً.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم المعروف بابن الجعابي الحافظ البغدادي بها وكان يتشيع[3] وأبو عبد الله محمد بن الحسين بن علي بن

---

(١) في البداية والنهاية: «من أهل الشام ومصر والمغرب». (١١/٢٧٨ ط. دار الكتب العلمية ببيروت)

(٢) في البداية والنهاية: «وابو الهيثم بن حصن القاضي». (١١/٢٧٧ ط. دار الكتب العلمية ببيروت)

(٣) كان قاضي الموصل ولد في صفر سنة اربع وثمانين ومائتين سمع الكثير وتخرج بابي العباس بن عقدة، وأخذ عنه علم الحديث وشيئاً من التشيع أيضاً وكان حافظاً مكثراً يقال انه كان يحفظ اربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ويذاكر بستمائة ألف حديث. ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريباً من ذلك. ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم. وأوقات وفياتهم ومذاهبهم حتى تقدم على أهل زمانه وفاق =

الحسين بن الوضّاح الوضاحي الشاعر الأنباري (١).

= سائر أقرانه وحكي عنه قلة دين وشرب خمر ولما احتضر أوصى أن تحرق كتبه فأحرقت وقد أحرق معها كتب كثيرة كانت عنده للناس، قال ابن كثير : فبئس ما عمل ولما أخرجت جنازته كانت سكينة نائحة الرافضة تنوح عليه في جنازته. البداية والنهاية ١١/٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(١) كان يذكر انه سمع الحديث من المحاملي، وابن مخلد، وابي روق. روى عنه الحاكم شيئاً من شعره كان اشعر من في وقته، ومن شعره :

سقى الله بـاب الكَـرْخ رَبعـا ومنـزلاً ... ومن حلَّهُ صـوبَ السحـاب المجلل

فلو أن بـاكي دُمنة الـدارِ بـالكـرى ... وجـارتـهـا أمَ الـربـاب بمـأسـلِ

رأى عـرصـاتِ الكَـرخِ أوحَـلَ أرضُهـا ... لأمسك عن ذكر الـدخـول فحـومـل

البداية والنهاية ١١/٢٧٨ .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة

ذكر موت معز الدولة وولاية ابنه بختيار

في هذه السّنة ثالث عشر ربيع الآخر توفي معز الدولة بعلة الذرب، وكان بواسط، وقد جهز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين، فابتدأ به الإسهال وقوي عليه. فسار نحو بغداد وخلف أصحابه، ووعدهم أنه يعود إليهم لأنه رجا العافية. فلما وصل إلى بغداد اشتد مرضه، وصار لا يثبت في معدته شيء، فلما أحس بالموت عهد إلى ابنه عز الدولة بختيار، وأظهر التوبة وتصدَّق بأكثر ماله وأعتق مماليكه، وردَّ شيئاً كثيراً على أصحابه، وتوفي في ربيع الآخر ودُفِنَ بباب التبن في مقابر قريش[1]، فكانت إمارته إحدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً ويومين. وكان حليماً كريماً عاقلاً، ولما مات معز الدولة وجلس ابنه عز الدولة في الإمارة مطر الناس ثلاثة أيام بلياليها مطراً دائماً منع الناس من الحركة. فأرسل إلى القواد فأرضاهم فانجلت السماء، وقد رضوا فسكنوا ولم يتحرك أحد.

وكتب عز الدولة إلى العسكر بمصالحة عمران بن شاهين، ففعلوا وعادوا، وكانت إحدى يدي معز الدولة مقطوعة، واختلف في سبب قطعها فقيل: قطعت بكرمان لما سار إلى قتال من بها وقد ذكرناه، وقيل: غير ذلك.

---

(١) قال ابن كثير: وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة هاتفاً يقول:

لما بلغت ابا الحسين ... مرادَ نفسكِ بالطلب
وامنعت من حديث الليا ... لي واحتجبت عن النوب
مدت اليك يد الردى ... وأخذت من بين الرتب

البداية والنهاية ١١/ ٢٨٠.

وهو الذي أحدث أمر السعاة، وأعطاهم عليه الجرايات الكثيرة لأنه أراد أن يصل خبره إلى أخيه ركن الدولة سريعاً. فنشأ في أيامه فضل، ومرعوش وفاقا جميع السعاة؛ وكان كل واحد منهما يسير في اليوم نيفاً وأربعين فرسخاً. وتعصب لهما الناس، وكان أحدهما ساعي السنَّة والآخر ساعي الشيعة.

ذكر سوء سيرة بَخْتِيار وفساد حاله

لما حضر معز الدولة الوفاة وصَّى ولده بختيار بطاعة عمِّه ركن الدولة، واستشارته في كل ما يفعله، وبطاعة عضد الدولة ابن عمه لأنه أكبر منه سناً وأقوم بالسياسة، ووصَّاه بتقرير كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسين، وأبي الفرج محمد بن العباس لكفايتهما وأمانتهما، ووصّاه بالديلم والأتراك وبالحاجب سبكتكين، فخالف هذه الوصايا جميعها، واشتغل باللهو واللعب وعِشرَة النساء والمساخر والمغنين، وشرع في إيحاش كاتبيه وسبكتكين، فاستوحشوا. وانقطع سبكتكين عنه فلم يحضر داره، ونفى كبار الديلم عن مملكته شرهاً إلى إقطاعاتهم، وأموالهم وأموال المتصلين بهم، فاتفق أصاغرهم عليه وطلبوا الزيادات، واضطرّ إلى مرضاتهم، واقتدى بهم الأتراك فعملوا مثل ذلك. ولم يتم له على سبكتكين ما يريد لاحتياطه. واتفق الأتراك معه، وخرج الديلم إلى الصحراء وطالبوا بختيار بإعادة من أسقط منهم فاحتاج أن يجيبهم لتغير سبكتكين عليه، وفعل الأتراك أيضاً مثل فعلهم.

واتصل خبر موت معز الدولة بكاتبه أبي الفرج محمد بن العباس ـ وهو متولي أمر عمان ـ فسلّمها إلى نواب عضد الدولة، وسار نحو بغداد. وكان سبب تسليمها إلى عضد الدولة أن بختيار لما ملك بعد موت أبيه تفرّد أبو الفضل بالنظر في الأمور، فخاف أبو الفرج أن يستمر إنفراده عنه، فسلّم عمان إلى عضد الدولة لئلا يؤمر بالمقام فيها لحفظها وإصلاحها. وسار إلى بغداد فلم يتمكّن من الذي أراد، وتفرّد ابو الفضل بالوزارة.

ذكر خروج عساكر خراسان وموت وشمكير

وفي هذه السنة جهَّز الأمير منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر الجيوش إلى الرَّي، وكان سبب ذلك أن أبا عليّ بن الياس سار من كرمان إلى بُخارى

ملتجئاً إلى الأمير منصور على ما نذكره إن شاء الله تعالى، فلما ورد عليه أكرمه وعظّمه فأطمعه في ممالك بني بويه، وحسَّن له قصدها، وعرّفه أن نوّابه لا يناصحونه وأنهم يأخذون الرشا من الديلم، فوافق ذلك ما كان يذكره له وشمكير.

فكاتب الأمير منصور وشمكير. والحسن بن الفيرزان يعرفهما ما عزم عليه من قصد الري ويأمرهما بالتجهز لذلك ليسيروا مع عسكره، ثم انه جهّز العساكر، وسيّرها مع صاحب جيوش خراسان ـ وهو أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور الدواتي ـ وأمره بطاعة وشمكير والانقياد له والتصرّف بأمره، وجعله مقدم الجيوش جميعها. فلما بلغ الخبر إلى ركن الدولة أتاه ما لم يكن في حسابه وأخذه المقيم المقعد، وعلم أن الأمر قد بلغ الغاية، فسيَّر اولاده، وأهله إلى أصبهان، وكاتب ولده عضد الدولة يستمده، وكاتب ابن أخيه عز الدولة بختيار يستنجده أيضاً. فأما عضد الدولة فإنه جهز العساكر وسيّرهم إلى طريق خراسان، وأظهر أنه يريد قصد خراسان لخلوها من العساكر. فبلغ الخبر أهل خراسان فاحجموا قليلاً ثم ساروا حتى بلغوا الدامغان، وبَرَزَ ركنُ الدولةِ في عساكره، مِنَ الرّي نحوهم. فاتفق موت وشمكير.

فكان سبب موته أنه وصله من صاحب خراسان هدايا من جملتها خيل، فاستعرض الخيل، واختار أحدها، وركبه للصيد، فعارضه خنزير قد رُمي بحربة وهي ثابتة فيه، فحملَ الخنزير على وشمكير ـ وهو غافل ـ فضرب الفرس فشبَّ تحته فألقاه إلى الأرض، وخرج الدم من أذنيه، وأنفه فحُمِلَ ميتاً، وذلك في المحرم من سنة سبع وخمسين، وانتقض جميع ما كانوا فيه، وكفى الله ركن الدولة شرَّهم.

ولما مات وشمكير قام ابنه بيستون مقامه، وراسل ركن الدولة وصالحه، فأمده ركن الدولة بالمال والرجال، ومن أعجب ما يُحكى مما يرغب في حسن النية، وكرم المقدرة ان وشمكير لما اجتمعت معه عساكر خراسان، وسار. كتب إلى ركن الدولة يتهدده بضروب من الوعيد والتهديد ويقول: « والله لئن ظفرْتُ بك لأفعلنَّ بك ولأصنعَنَّ بألفاظ قبيحة ». فلم يتجاسر الكاتب أن يقرأه. فأخذه ركن الدولة فقرأه، وقال للكاتب، « أكتبْ إليه أما جمعك وأحشادك، فما كنت قط أهون منك علي الآن، وأما تهديدك وإيعادك، فوالله لئن ظفرت بك لأعاملنك بضده، ولأحسنَنَّ إليك، ولأكرمنك». فلقي وشمكير سوء نيته، ولقي ركن الدولة حسن نيته.

وكان بطبرستان عدو لركن الدولة يقال له: نوح بن نصر، شديد العداوة له لا يزال يجمع له ويقصد أطراف بلاده، فمات الآن، وعصى عليه بهمذان إنسان يقال له: أحمد بن هارون الهمذاني لما رأى خروج عساكر خراسان وأظهر العصيان؛ فلما أتاه خبر موت وشمكير مات لوقته، وكفى الله ركن الدولة همّ الجميع.

ذكر القبض على ناصر الدولة بن حمدان

في هذه السّنة قبض أبو تغلب بن ناصر الدولة على أبيه، وحبسه في القلعة ليلة السبت لستٍّ بقينَ من جُمادى الاولى، وكان سبب قبضه، أنه كان قد كبر وساءت أخلاقه، وضيّق على أولاده وأصحابه وخالفهم في أغراضهم للمصلحة فضجروا منه، وكان فيما خالفهم فيه أنه لما مات معز الدولة، عزم أولاده على قصد العراق، وأخذه من بختيار فنهاهم، وقال لهم: «ان معز الدولة قد خلف مالاً يستظهر به ابنه عليكم، فاصبروا حتى يتفرّق ما عنده من المال، ثم اقصدوه وفرقوا الأموال فإنكم تظفرون به لا محالة». فوثب عليه أبو تغلب فقبضه ورفعه إلى القلعة ووكل به من يخدمه، ويقوم بحاجاته وما يحتاج إليه. فلما فعل ذلك خالفه بعض إخوته، وانتشر أمرهم الذي كان يجمعهم، وصار قصاراهم حفظ ما في أيديهم، واحتاج أبو تغلب إلى مداراة عز الدولة بختيار، وتجديد عقد الضمان ليحتجَّ بذلك على إخوته، ومن خالفه، فضمَّنه البلاد بألف ألف ومائتي ألف درهم كل سنة.

ذكر من مات هذه السنة من الملوك

مات فيها وشكمير بن زيّار كما ذكرناه، ومعز الدولة وقد ذكرناه، والحسن بن الفيرزان، وكافور الإخشيدي[1]: وتقفور ملك الروم[2]، وأبو علي محمد بن إلياس صاحب كرمان، وسيف الدولة بن حمدان، فأما سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي، فإنه مات بحلب في صفر

---

(١) هو ابو المسك كافور الحبشي الأسود الخادم الاخشيدي صاحب الديار المصرية اشتراه الاخشيد وتقدم عنده حتى صار من أكبر قواده لعقله ورأيه وشجاعته.

(٢) وتقفور ملك الروم واسمه الدمستق كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً واشدهم كفراً وأقواهم بأساً وأحدُّهم شوكةً وأكثرهم قتلاً وقتالاً للمسلمين في زمانه استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل أكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسراً.

وحُمِلَ تابوته إلى ميافارقين، فدُفِنَ بها، وكانت علّته الفالج، وقيل: عسر البول، وكان مولده في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة، وكان جواداً كريماً شجاعاً وأخباره مشهورة في ذلك، وكان يقول الشعر فمِن شعره في أخيه ناصر الدولة:

وهبْتُ[1] لك العُليا وقد كنْتَ أهلَها ... وقلتَ لهم بيني وبين أخي فرقُ
وما كان بي[2] عنها نُكُول وإنما ... تجاوزْتُ عن حقي فتَمَّ لكَ الحقُّ[3]
أما كنْتَ ترضى أن أكون مصلياً ... إذا كنْتُ أرضى أن يكونَ لكَ السبقُ

وله أيضاً:

قد جرى في دمعه دمُه ... فإلى كمْ أنت تظلِمهْ
رُدَّ عنه الطرفَ منك فقد ... جرَّحَتْهُ منك أسهمهْ
كيف يستطيع التجلّدَ من ... خطراتِ الوهمِ تُؤلمهْ

ولما توفي سيف الدولة ملك بلاده بعده ابنه أبو المعالي شريف. وأما أبو علي بن إلياس فسيرد ذكر موته سنة سبع وخمسين، وأما كافور فإنه كان صاحب مصر، وكان من موالي الإخشيد محمد بن طغج، واستولى على مصر ودمشق بعد موت الإخشيد لصغر أولاده، وكان خصياً أسود، وللمتنبي فيه مدح وهجو، وكان قصده إلى مصر، وخبره معه مشهور، ولما دُفِنَ كُتِب على قبره:

أنظرْ إلى غِيَرِ الأيام ما صنعَتْ ... أفنت أناساً بها كانوا وقد فنِيَتْ
دنياهم ضحِكَتْ أيام دولتهم ... حتى إذا انقرضوا ناحَتْ لهم وبكَتْ

وفيها توفي أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصبهاني الأموي وهو من ولد محمد بن مروان بن الحكم الأموي، وكان شيعياً وهذا من العجب وهو صاحب الأغاني وغيره[4].

---

(١) في البداية والنهاية ١١/٢٨١: «وهبت».
(٢) في البداية والنهاية ١١/٢٨١: «لي».
(٣) في البداية والنهاية ١١/٢٨١: «السبق».
(٤) البداية والنهاية ١١/٢٨٠ وشذرات الذهب ٣/١٩.

وفيهـا توفي يـوسف بن عمر بن أبي عمـر القاضي، وكـان مولـده سنة خمس وثلاثمائة وولي قضاء بغداد في حياة أبيه وبعده.

وفيها توفي أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم، صاحب سهل التستري رضي الله عنه.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة

ذكر عصيان حبشي بن معز الدولة على أخيه بختيار بالبصرة وأخذه قهراً

في هذه السنة عصى حبشي بن معز الدولة على أخيه بختيار، وكان بالبصرة لما مات والده فحسَّن له مَنْ عنده من أصحابه الاستبداد بالبصرة، وذكروا له أن أخاه بختيار لا يقدر على قصده فشرع في ذلك، فانتهى الخبر إلى أخيه، فسيَّر وزيره أبا الفضل العبّاس بن الحسين إليه، وأمره بأخذه كيف أمكن، فأظهر الوزير أنه يريد الانحدار إلى الأهواز. ولما بلغ واسط أقام بها ليصلح أمرها وكتب إلى حبشي يعده أنه يسلم إليه البصرة سلماً، ويصالحه عليها ويقول له: «إنني قد لزمني مال على الوزارة، ولا بدّ من مساعدتي»، فنفذ إليه حبشي مائتي ألف درهم، وتيقَّنَ حصول البصرة له. وأرسل الوزير إلى عسكر الأهواز يأمرهم بقصد الأبلة في يوم ذكره لهم. وسار هو من واسط نحو البصرة، فوصلها هو وعسكر الأهواز لميعادهم، فلم يتمكن حبشي من إصلاح شأنه وما يحتاج إليه، فظفروا به وأخذوه أسيراً وحبسوه برامهرمز فأرسل عمه ركن الدولة وخلّصه، فسار إلى عضد الدولة فأقطعه إقطاعاً وافراً، وأقام عنده إلى أن مات في آخر سنة تسع وستين وثلاثمائة. وأخذ الوزير من أمواله بالبصرة شيئاً كثيراً. ومن جملة ما أخذ له خمسة عشر ألف مجلّد سوي الأجزاء والمسرس[1] وما ليس له جلد.

ذكر البيعة لمحمد بن المستكفي

في هذه السّنة ظهر ببغداد بين الخاص والعام دعوة إلى رجل من أهل البيت اسمه محمد بن عبد الله، وقيل: إنه الدجّال الذي وعد به رسول الله ﷺ، وأنه يأمر بالمعروف

---

(١) قال صاحب تاج العروس: يقال: مصحف مشرز ومسرس، المشرز المشدود بعضه الى بعض المضموم طرفاه فإن لم يضم فهو مسرس ـ بسينين ـ

وينهى عن المنكر، ويجدد ما عفا من أمور الدين، فمن كان من أهل السنّة قيل له: إنه عباسي ومن كان من أهل الشيعة قيل له: إنه علوي. فكَثُرَت الدعاة إليه والبيعة له. وكان الرجل بمصر وقد أكرمه كافور الإخشيدي، وأحسن إليه؛ وكان في جملة من بايع له سبكتكين العجمي ـ وهو من أكابر قواد معز الدولة وكان يتشيَّع ـ فظنه علوياً وكتب إليه يستدعيه من مصر فصار إلى الأنبار وخرج سبكتكين إلى طريق الفرات، وكان يتولى حمايته، فلقي ابن المستكفي وترجَّل له، وخدمه، وأخذه وعاد إلى بغداد، وهو لا يشك في حصول الأمر له، ثم ظهر لسبكتكين أن الرجل عباسي فعاد عن ذلك الرأي، ففطن ابن المستكفي وخاف هو وأصحابه فهربوا، وتفرّقوا فأخذ ابن المستكفي ومعه أخ له، وأحضرا عند بختيار فأعطاهما الأمان. ثم أن المطيع تسلمه من بختيار، فجدع أنفه ثم خفي خبره.

ذكر استيلاء عضد الدولة على كرمان

في هذه السّنة ملك عضد الدولة بلاد كرمان، وكان سبب ذلك أن أبا علي بن إلياس كان صاحبها مدة طويلة على ما ذكرناه، ثم إنه أصابه فالج خاف منه على نفسه فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة، اليسع، وإلياس، وسليمان فاعتذر إلى اليسع من جفوة كانت منه له قديماً وولّاه الأمر ثم بعده أخاه إلياس. وأمر سليمان بالعود إلى بلادهم وهي بلاد الصغد، وأمره بأخذ أموال له هناك، وقصد إبعاده عن اليسعِ، لعداوة كانت بينهما، فسار من عند أبيه واستولى على السيرجان.

فلما بلغ أباه ذلك أنفذ إليه اليسَع في جيش، وأمره بمحاربته وإجلائه عن البلاد ولا يمكنه من قصد الصغد إن طلب ذلك. فسار إليه وحصره، واستظهر عليه، فلما رأى سُليمان ذلك، جمع أمواله وسار نحو خراسان؛ واستقرّ أمر اليسع بالسيرجان وملكها، وأمر بنهبها فنُهِبَتْ، فسأله القاضي وأعيان البلد العفو عنهم فعفا ـ ثم إن جماعة من أصحاب والده خافوه، فسعوا به إلى أبيه فقبض عليه وسجنه في قلعة له، فمشت والدته إلى والدة أخيه إلياس، وقالت لها: «إن صاحبنا قد فسخ ما كان عقده لولدي، وبعده يفعل بولدك مثله ويخرج الملك عن آل إلياس، والرأي أن تساعديني على تخليص ولدي ليعود الأمر إلى ما كان عليه»، وكان والده أبو علي تأخذه غشية في بعض الأوقات، فيمكث زماناً طويلاً لا يعقل. فاتفقت المرأتان وجمعتا الجواري في وقت غشيته، وأخرجن اليسع من

حبسه ودلينه من ظهر القلعة إلى الأرض، فكسر قيده، وقصد العسكر، فاستبشروا به وأطاعوه وهرب منه من كان أفسد حاله مع أبيه، وأُخِذَ بعضهم ونجا بعضهم، وتقدم إلى القلعة ليحصرها. فلما أفاق والده وعرف الصورة راسل ولده، وسأله أن يكفَّ عنه ويؤمنه على ماله وأهله، حتى يسلّم إليه القلعة، وجميع أعمال كرمان، ويرحل إلى خراسان ويكون عوناً له هناك فأجابه إلى ذلك، وسلّم إليه القلعة وكثيراً من المال، وأخذ معه ما أراد، وسار إلى خراسان وقصد بُخارى فأكرمه الأمير منصور بن نوح، وأحسن إليه وقرّبه منه فحمل منصوراً على تـجهيز العساكر إلى الري وقصد بني بويه على ما ذكرناه، وأقام عنده إلى أن توفي في سنة ست وخمسين وثلاثمائة بعلة الفالج على ما ذكرناه. وكان ابنه سليمان ببُخارى أيضاً، وأما اليسع فإنه صفت له كرمان، فحمله ترف الشباب وجهله على مغالبة عضد الدولة على بعض حدود عمله، وأتاه جماعـة من أصحاب عضـد الدولة، وأحسن إليهم، ثم عاد بعضهم إلى عضد الدولة، فاتّهم اليسع الباقين فعاقبهم، ومثّل بهم.

ثم إن جماعة من أصحابه، استأمنوا إلى عضد الدولة فأحسن إليهم وأكـرمهم ووصلهم. فلما رأى أصحابه تباعد ما بين الحالين تألبوا عليه وفارقوه متسللين إلى عضد الدولة وأتاه منهم في دفعة واحدة نحو ألف رجل من وجوه أصحابه فبقي في خاصته، وفارقه معظمُ عسكرِهِ.

فلما رأى ذلك، أخذ أمواله وأهله، وسار بهم نحو بُخارى لا يلوي على شيء وسار عضد الدولة إلى كرمان، فاستولى عليها وملكها، وأخذ ما بها من أموال آل إلياس، وكان ذلك في شهر رمضان، وأقطعها ولده أبا الفوارس ـ وهو الذي لقِّبَ بعد ذلك شرف الدولة ـ وملك العراق، واستخلف عليها كورتكين بن جستان، وعاد إلى فارس وراسله صاحب سجستان، وخطب له بها. وكان هذا أيضاً من الوهن على بني سامان، ومما طرق الطمع فيهم.

وأما اليسع، فإنه لما وصل إلى بُخارى أكرمه، وأحسن إليه، وصار يذم أهـل سامان في قعودهم عن نصره، وإعادته إلى ملكه. فنفِيَ عن بُخارى إلى خوارزم. وبلغ أبا علي بن سيمجور خبره، فقصد ماله وأثقاله، وكان خلفها ببعض نواحي خراسان، فاستولى على ذلك جميعه. وأصاب اليسع رمدٌ شديد بخوارزم، فأقلقه، فحمله الضجر

وعدم السعادة إلى أن قلع عينه الرمدة بيده. وكان ذلك سبب هلاكه. ولم يعدْ لآل إلياس بكرمان دولة، وكان الذي أصابه لشؤم عصيان والده، وثمرة عقوقه.

ذكر قتل أبي فراس بن حمدان

في هذه السّنة في ربيع الآخر، قُتِل أبو فراس بن أبي العلاء سعيد بن حمدان. وسبب ذلك أنه كان مقيماً بحمص، فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان وحشةٌ، فطلبه أبو المعالي، فانحاز أبو فراس إلى صَدَد - وهي قرية في طرف البرية عند حمص - فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم، وسيَّرهم في طلبه مع قرعويه، فأدركه بصدد، فكبسوه. فاستأمن أصحابه واختلط هو بمن استأمن منهم. فقال قرعويه لغلام له: «اقتله». فقتله وأُخِذَ رأسه وتُرِكَتْ جثته في البرية حتى دفنها بعض الأعراب. وأبو فراس هو خال أبي المعالي بن سيف الدولة، ولقد صدق من قال: إن المُلكَ عقيمٌ.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة منتصف شعبان مات المتقي لله إبراهيم بن المقتدر في داره، ودُفِنَ فيها[١].

وفيها في ذي القعدة وصلت سرية كثيرة من الروم إلى انطاكية، فقتلوا في سوادها وغنموا وسبوا اثني عشر ألفاً من المسلمين.

وفيها كان بين هبة الرُّفعاي وبين أسد بن وزير الغبري حرب، فاستمد أسد خزر اليشكري الذي مع عمران بن شاهين صاحب البطائح، وأوقع بها وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة، وهزمه واستولى على جُنْبُلاء، وقُسِّين[٢] من أرض العراق. فسار سبكتكين العجمي إلى خَزَر وضيَّق عليه، فمضى إلى البصرة، واستأمن إلى الوزير أبي الفضل.

---

(١) المتقي لله أبو اسحاق ابراهيم بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق العباسي المخلوع. انظر شذرات الذهب ٢٢/٣. والبداية والنهاية ٢٨٣/١١ ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) جنبلاء: كورة وبليدة، وهو منزل بين واسط والكوفة. وقيس: كورة من نواحي الكوفة.

وفيها عمل أهل بغداد يوم عاشوراء، وغدير خم. كما جرت به عادتهم من إظهار الحزن يوم عاشوراء والسرور يوم الغدير، وتوفي علي بن بندار بن الحسين، أبو الحسن الصوفي، المعروف بالصّيرفي النيسابوري.

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة

ذكر ملك المعز العلوي مصر

في هذه السّنة سيّر المعز لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل المنصور بـالله، القائد أبا الحسن جوهراً غلام والده المنصور ـ وهـو روميٌّ ـ[1] في جيش كثيف إلى الديار المصرية، فاستولى عليها. وكان سبب ذلك أنه لمـا مات كـافور الإخشيـدي صاحب مصر اختلفت القلوب فيها، ووقع بها غلاء شديدٌ، حتى بلغ الخبز كل رطل بدرهمين، والحنطة كل ويبة[2] بدينار وسدس مصري.

فلما بلغ الخبر بهذه الأحوال إلى المعز ـ وهو بأفريقية ـ سيّر جوهراً إليها. فلما اتصل خبر مسيره إلى العساكر الإخشيدية بمصر، هربوا عنها جميعهم قبل وصوله، ثم إنه قدمها سابع عشر شعبان، وأقيمت الدعوة للمعز بمصر في الجامع العتيق في شوّال. وكان الخطيب أبا محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطي.

وفي جُمادى الأولى من سنة تسع وخمسين، سار جوهر إلى جامع ابن طولون

---

(١) قال ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة : هو ابو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزي المعروف بالكاتب مولى المعز لدين الله أبي تميم معد العبيدي الفاطمي . كان خصيصاً عند استاذه المعز وكان من كبار قواده ثم جهزه أستاذه المعز إلى أخذ مصر بعد موت الأستاذ كافور الاخشيدي وأرسل معه العساكر وهو المقدم على الجميع، وكان رحيله من أفريقية يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الأول من هذه السنة وتسلم مصر يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان من السنة، ولما دخل مصر صعد المنبر يوم الجمعة خطيباً وخطب ودعا لمولاه المعز بافريقية. وذلك في نصف شهر رمضان، وكان المعز لما ندب جوهراً هذا إلى التوجه الى الديار المصرية اصحبه من الاموال والخزائن ما لا يحصى وأطلق يده في جميع ذلك وأفرغ الذهب في صور الارحاء وحملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس. وقد جاء في البداية والنهاية ١١/٢٨٤ : « أبو الحسين ».

(٢) الوَيبة : اثنان وعشرون أو اربعة وعشرون مداً.

وأمر المؤذن فأذَّنَ بحيَّ على خير العمل ـ وهـو أول ما أُذِّنَ بمصر ـ ثم أُذِّنَ بعده في الجامع العتيق، وجهر في الصلاة. « ببسم الله الرحمن الرحيم » ولما استقر جـوهر بمصر شرع في بناء القاهرة.

ذكر ملك عسكر المعز دمشق وغيرها من بلاد الشام

لما استقرَّ جوهر بمصر، وثبت قدمه، سيَّر جعفر بن فلاح الكُتامي إلى الشام في جمع كبير، فبلغ الرملة، وبها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن طغج، فقاتله في ذي الحجة من السنة وجرت بينهما حروب كان الظفر فيها لجعفر بن فلاح، وأسر ابن طغج وغيره من القواد، فسيَّرهم إلى جوهر، وسيّرهم جوهر إلى المعز بأفريقية، ودخل ابن فلاح البلد عنوة فقتل كثيراً من أهله، ثم أمَّنَ من بقي وجبى الخراج، وسار إلى طبرية فرأى ابن ملهم قد أقام الدعوة للمعز لدين الله، فسار عنها إلى دمشق فقاتله أهلها فظفر بهم. وملك البلد ونهب بعضه وكفَّ عن الباقي، وأقام الخطبة للمعز يوم الجمعة لأيام خَلَتْ من المحرم، سنة تسع وخمسين، وقُطِعَت الخطبة العباسية.

وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي، وكان جليل القدر نافذ الحكم في أهلها، فجمع أحداثها ومن يريد الفتنة. فثار بهم في الجمعة الثانية، وأبطل الخطبة للمعز لدين الله، وأعاد خطبة المطيع لله، ولبس السواد وعاد إلى داره، فقاتله جعفر بن فلاح، ومن معه قتالاً شديداً وصبر أهل دمشق ثم افترقوا آخر النهار، فلما كان الغد تزاحف الفريقان واقتتلوا ونشبت الحرب بينهما، وكَثُر القتلى من الجانبين، ودام القتال. فعاد عسكر دمشق منهزمين والشريف بن أبي يعلى مقيم على باب البلد يحرِّض الناس على القتال، ويأمرهم بالصبر.

وواصل المغاربة الحملات على الدماشقة حتى ألجؤوهم إلى باب البلد، ووصل المغـاربة إلى قصـر حجاج ونهبـوا ما وجـدوا. فلما رأى ابن أبي يعلى الهـاشمي، والأحداث ما لقي الناس من المغاربة، خرجوا من البلد ليلاً، فأصبح الناس حيارى.

فدخل الشريف الجعفري، وكان خرج من البلد إلى جعفر بن فلاح في الصّلح، فأعاده وأمره بتسكين الناس، وتطييب قلوبهم، ووعدهم بالجميل، ففعـل ما أمـره. وتقدم إلى الجند والعامة بلزوم منازلهم، وأن لا يخرجوا منها إلى أن يدخل جعفر بن

فلاح البلد ويطوف فيه ويعود إلى عسكره، ففعلوا ذلك. فلما دخل المغاربة البلد عاثوا فيه ونهبوا قطراً منه، فثار الناس وحملوا عليهم، ووضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم جماعة، وشرعوا في تحصين البلد، وحفر الخنادق وعزموا على إصطلاء الحرب، وبذل النفوس في الحفظ، واحجمت المغاربة عنهم. ومشى الناس إلى الشَّريف أبي القاسم بن أبي يعلى، فطلبوا منه أن يسعى فيما يعود بصلاح الحال ففعل. ودبَّرَ الحال إلى أن تقرر الصلح يوم الخميس لستٍ عشرة خلت من ذي الحجة سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. وكان الحريق قد أتى على عدة كثيرة من الدُّورِ وقت الحرب، ودخل صاحب الشرطة جعفر بن فلاح البلد يوم الجمعة فصلّى مع الناس، وسكنهم وطيَّبَ قلوبهم، وقبض على جماعة من الأحداث في المحرم سنة ستين وثلاثمائة، وقبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي المذكور، وسيَّره إلى مصر، واستقرَّ أمر دمشق، وكان ينبغي أن يؤخّر ملك ابن فلاح دمشق إلى آخر السنة، وإنما قدمته ليتصل خبر المغاربة بعض ببعض.

ذكر اختلاف أولاد ناصر الدولة وموت أبيهم

كان سبب اختلاف أولاد ناصر الدولة، أنه كان قد اقطع ولده حمدان مدينة الرحبة، وماردين، وغيرهما. وكان أبو تغلب، وأبو البركات، وأختهما جميلة أولاد ناصر الدولة، من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية. وكانت مالكة أمر ناصر الدولة. فاتفقت مع ابنها أبي تغلب، وقبضوا ناصر الدولة على ما ذكرناه، فابتدأ ناصر الدولة يدبِّر في القبض عليهم؛ فكاتب ابنه حمدان يستدعيه ليتقوى به عليهم، فظفر أولاده بالكتاب فلم ينفذوه، وخافوا أباهم وحذروه، فحملهم خوفه على نقله إلى قلعة كواشي، واتصل ذلك بحمدان فعظم عليه، وصار عدواً مبايناً وكان أشجعهم. وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرّحبة إلى الرقة فملكها، وسار إلى نصيبين وجمع من أطاعه، وطالب إخوته بالإفراج عن والده، وإعادته إلى منزلته. فسار أبو تغلب إليه ليحاربه، فانهزم حمدان قبل اللقاء إلى الرقة. فنازله أبو تغلب وحصره، ثم اصطلحا على دخن، وعاد كل واحد منهما إلى موضعه. وعاش ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي شهوراً ومات في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. ودُفِنَ بتل توبة شرقي الموصل. وقبض ابو تغلب أملاك أخيه حمدان، وسيَّر أخاه أبا

البركات إلى حمدان، فلما قَرُبَ من الرَّحبة استأمن إليه كثير من أصحـاب حمدان، فانهزم حينئذ وقصدَ العراق مستأمناً إلى بختيار، فوصل بغداد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، فأكرمه بختيار وعظمه وحمل إليه هدية كثيرة جليلة المقدار، ومعها كل ما يحتاج إليه مثله. وارسل إلى أبي تغلب النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي في الصلح مع أخيه، فاصطلحوا. وعاد حمدان إلى الرّحبة، وكان مسيره من بغداد في جُمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، فلما سمع أبو البركات بمسير أخيه حمدان على هذه الصورة فارق الرّحبة، ودخلها حمدان. وراسله أخوه ابو تغلب في الاجتماع، فامتنع من ذلك. فعاد أبو تغلب وسيَّر إليه أخاه أبا البركات. فلما علم حمدان بذلك فارقها فاستولى أبو البركات عليها واستناب بها من يحفظها في طائفة من الجيش، وعاد إلى الرقّة، ثم منها إلى عَرَبان[1].

فلما سَمِعَ حمدان بعوده عنها وكان ببرية تدمر، عاد إليها في شعبان، فوافاها ليلاً فأصعَدَ جماعة من غلمانه السور، وفتحوا له باب البلد، فدخله ولا يعلم من به من الجند بذلك. فلما صار في البلد وأصبح أمر بضرب البوق، فبادر من بالـرحبة من الجنـد منقطعين يظنون أن صوت البوق من خارج البلد. وكل من وصل إلى حمدان أسره حتى أخذهم جميعهم فقَتَلَ بَعضاً واستبقى بعضاً.

فلما سمع أبو البركات بذلـك عاد إلى قـرقيسيا، واجتمـع هو وأخـوه حمدان منفردين، فلم يستقر بينهما قاعدة فقال أبو البركات لحمدان: «أنا أعود إلى عربان، وأرسل إلى أبي تغلب لعله يجيب إلى ما تلتمسه منه». فسار عائداً إلى عُربان، وعبر حمدان الفرات من مخاضة بها، وسار في أثر أخيه أبي البركات، فأدركه بعربان ـ وهو آمن ـ فلقيهم ابو البركات بغير جنة ولا سلاح، فقاتلهم واشتدَّ القتال بينهم، وحمل ابو البركات بنفسه في وسطهم، فضربه أخوه حمدان فألقاه، وأخذه أسيراً فمات من يومه وهو ثالث رمضان فحُمِلَ في تابوت إلى الموصل ودُفِنَ بتل توبة عند أبيه. وتجهَّز أبو تغلب ليسير إلى حمدان، وقدم بين يديه أخاه أبا الفوارس محمداً إلى نصيبين. فلما وصلها كاتب أخاه حمدان ومالا على أبي تغلب. فبلغ الخبر أبا تغلب، فأرسل إليه يستدعيه ليزيد في إقطاعه. فلما حضر عنده قبض عليه وسيَّره إلى قلعة كواشي من بلد

---

(١) عربان: وهي بليدة بالخابور من أرض الجزيرة.

الموصل، وأخذ أمواله، وكانت قيمتها خمسمائة ألف دينار.

فلما قبض عليه سار إبراهيم والحسين ابنا ناصر الدولة إلى اخيهما حمدان خوفاً من أبي تغلب، فاجتمعا معه وساروا إلى سنجار. فسار أبو تغلب إليهم من الموصل في شهر رمضان سنة ستين وثلاثمائة ولم يكن لهم بلقائه طاقة فراسله أخواه إبراهيم، والحسين يطلبان العود إليه خديعة منهما ليأمنهما، ويفتكا به فأجابهما إلى ذلك. فهربا إليه وتبعهما كثير من اصحاب حمدان، فعاد حمدان حينئذ من سنجار إلى عربان، واستأمن إلى أبي تغلب صاحب حمدان، وأطلعه على حيلة أخويه عليه ـ وهما إبراهيم، والحسين ـ فأراد القبض عليهما فحذرا وهربا. ثم إن نما غلام حمدان ونائبه بالرحبة أخذ جميع ماله بها، وهرب إلى أصحاب أبي تغلب بحرّان، وكانوا مع صاحبه سلامة البرقعيدي، فاضطرّ حمدان إلى العود إلى الرّحبة، وسار أبو تغلب إلى قرقيسية وارسل سرية عبروا الفرات، وكبسوا حمدان بالرحبة ـ وهو لا يشعر ـ فنجا هارباً، واستولى أبو تغلب عليها، وعمَّر سورها، وعاد إلى الموصل ودخلها في ذي الحجة سنة ستين وثلاثمائة. وسار حمدان إلى بغداد فدخلها آخر ذي الحجة سنة ستين ملتجئاً إلى بختيار، ومعه أخوه إبراهيم . وكان أخوهما الحسين قد عاد إلى أخيه أبي تغلب مستأمناً. وحمل بختيار إلى حمدان، وأخيه إبراهيم هدايا جليلة كثيرة المقدار، وأكرمهما واحترمهما.

ذكر ما فعله الروم بالشام والجزيرة

وفي هذه السّنة دخل ملك الروم الشام، ولم يمنعه أحد ولا قاتله. فسار في البلاد إلى طرابلس وأحرق بلدها. وحصر قلعة عرقة، فملكها ونهبها وسبى من فيها. وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها لشدَّة ظلمه، فقصد عرقة، فأخذه الروم وجميع ماله وكان كثيراً. وقصد ملك الروم حمص وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها فأحرقها ملك الروم، ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهبا، وتخريباً وملك ثمانية عشر منبراً. فأما القرى فكثير لا يحصى. وأقام في الشام شهرين يقصد أيَّ موضع شاء، ويخرِّب ما شاء، ولا يمنعه أحد إلّا أن بعض العرب كانوا يغيرون على أطرافهم. فأتاه جماعة منهم، وتنصروا وكادوا المسلمين من العرب، وغيرهم. فامتنعت العرب من قصدهم، وصار للروم الهيبة العظيمة في قلوب المسلمين. فأراد أن يحصر انطاكية وحلب، فبلغه

أن أهلها قد أعدُّوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون إليه، فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبي نحو مائة ألف رأس، ولم يأخذ إلاّ الصبيان، والصبايا، والشبان. فأما الكهول، والشيوخ، والعجائز فمنهم من قتله ومنهم من أطلقه. وكان بحلب قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان وقد أخرج أبا المعالي بن سيف الدولة منها على ما نذكره، فصانع الروم عليها فعادوا إلى بلادهم فقيل: كان سبب عودهم كثرة الأمراض والموت. وقيل: ضجروا من طول السفر والغيبة عن بلادهم، فعادوا على عزم العود. وسيَّر ملك الروم سرية كثيرة إلى الجزيرة، فبلغوا كفرتوثا، ونهبوا وسبوا وأحرقوا وعادوا. ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك نكير ولا أثر.

ذكر استيلاء قرعويه على حلب وإخراج أبي المعالي بن حمدان منها[1]

في هذه السّنة أيضاً استولى قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان على حلب، وأخرج منها أبا المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان. فسار أبو المعالي إلى حرّان فمنعه أهلها من الدخول إليهم، فطلب منهم أن يأذنوا لأصحابه أن يدخلوا يتزودوا منها يومين، فأذنوا لهم. ودخل إلى والدته بميافارقين - وهي ابنة سعيد بن حمدان - وتفرَّق عنه أكثر أصحابه، ومضوا إلى أبي تغلب بن حمدان. فلما وصل إلى والدته بلغها أن غلمانه وكتابه قد عملوا على القبض عليها وحبسها، كما فعل أبو تغلب بأبيه ناصر الدولة، فأغلَقَتْ أبواب المدينة، ومَنَعَتْ إبنها من دخولها ثلاثة أيام، حتى أبعدت من تحب إبعاده، واستوثقت لنفسها، وأذنت له ولمن بقي معه في دخول البلد، وأطلقت لهم الأرزاق. وبقيت حرّان لا أميرَ عليها، ولكن الخطبة فيها لأبي المعالي بن سيف الدولة، وفيها جماعة من مقدمي أهلها يحكمون فيها، ويصلحون من أمور الناس. ثم إن أبا المعالي عبر الفرات إلى الشام وقصد حماة، فأقام بها على ما نذكره سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة.

ذكر خروج أبي خزر بأفريقية

في هذه السّنة خرج بأفريقية أبو خزر الزناتي واجتمع إليه جموع عظيمة من البربر

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/٣١٢.

والنكار، فخرج المعز إليه بنفسه يريد قتاله حتى بلغ مدينة بَاغايَة[1]: وكان أبو خرز قريباً منها وهو يقاتل نائب المعز عليها، فلما سمع أبو خزر بقرب المعز تفرّقت عنه جموعه، وسار المعز في طلبه، فسلك الأوعار فعاد المعز. وأمر أبا الفتوح يوسف بلكين بن زيري بالمسير في طلبه أين سلك، فسار في اثره حتى خفي عليه خبره، ووصل المعز إلى مستقرِّه بالمنصورية. فلما كان ربيع الآخر من سنة تسع وخمسين وصل أبو خزر الخارجي إلى المعز مستأمناً ويطلب الدخول في طاعته، فقبل منه المعز ذلك وفرح به وأجرى عليه رزقاً كثيراً، ووصله. عُقَيْبَ هذه الحال كتب جوهز بإقامة الدعوة له في مصر، والشام ويدعوه إلى المسير إليه، ففرح المعز فرحاً شديداً أظهره لكافة الناس ومدحه الشعراء. فممن ذكر ذلك محمد بن هانىء الأندلسي فقال:

يقولُ بنو العباس قد فُتحت مصر ... فقل لبني العباس قد قضي الأمرُ

ذكر قصد أبي البركات بن حمدان ميّافارقين وانهزامه

في هذه السّنة، في ذي القعدة سار أبو البركات بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكره، إلى ميّافارقين فأغلقت زوجة سيف الدولة أبواب البلد في وجهه، ومنعته من دخوله. فأرسل إليها يقول: إنني ما قصدْتُ إلا الغزاة. ويطلب منها ما يستعين به، فاستقرَّ بينهما أن تحمل إليه مائتي ألف درهم وتسلِّم إليه قرايا كانت لسيف الدولة بالقرب من نصيبين. ثم ظهر لها أنه يعمل سراً في دخول البلد، فأرسلت إلى من معه من غلمان سيف الدولة تقول لهم: «ما من حقّ مولاكم أن تفعلوا بحرمه وأولاده هذا». فنكّلوا عن القتال والقصد لها. ثم جمعت رجاله، وكبست أبا البركات ليلاً، فانهزم ونهب سواده وعسكره وقتل جماعة من أصحابه وغلمانه. فراسلها: انني لم أقصد لسوء. فردَّتْ رداً جميلاً، وأعادت إليه بعض ما نُهِبَ منه، وحملت إليه مائة ألف درهم. وأطلقت الأسرى فعاد عنها. وكان ابنها أبو المعالي بن سيف الدولة على حلب يقاتل قرعويه غلام أبيه.

---

(١) بَاغايَة: مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجّانة وقُسنطينة الهواء.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة عاشر المحرم عمل أهل بغداد، ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعايش وإظهار النوح، والمأتم بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما.

وفيها أرسل القرامطة رسلاً إلى بني نُمَيْر وغيرهم من العرب يدعونهم إلى طاعتهم، فأجابوا إلى ذلك، وأخذت عليهم الأيمان بالطاعة. وأرسل أبو تغلب بن حمدان إلى القرامطة بهجر هدايا جميلة قيمتها خمسون ألف درهم.

وفيها طلب سابور بن أبي طاهر القرمطي من أعمامه أن يسلّموا الأمر إليه والجيش، وذكر أن أباه عهد إليه بذلك، فحبسوه في داره، ووكلوا به، ثم أُخرِجَ ميتاً في نصف رمضان، فدُفِنَ ومُنِعَ أهله من البكاء عليه. ثم أذن لهم بعد أسبوع أن يعملوا ما يريدون.

وفيها ليلة الخميس رابع عشر رجب، انخسف القمر جميعه وغاب منخسفاً.

وفيها في شعبان وقعت حرب بين أبي عبد الله بن الداعي العلوي، وبين علوي آخر يعرف بأميرك ـ وهو أبو جعفر الثائر في الله ـ قتل فيها خلق كثير من الديلم والجيل. وأسر أبو عبد الله بن الدّاعي، وسجن في قلعة ثم أطلق في المحرم سنة تسع وخمسين، وعاد إلى رياسته، وصار أبو جعفر صاحب جيشه.

وفيها قَبَضَ بختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين، وعلى جميع أصحابه وقبض أموالهم وأملاكهم، واستوزر أبا الفرج محمد بن العباس، ثم عزل أبا الفرج، وأعاد أبا الفضل.

وفيها اشتدَّ الغلاء بالعراق، واضطرب الناس، فسعَّر السلطان الطعام، فاشتدَّ البلاء فدعته الضرورة إلى إزالة التسعير، فسهل الأمر، وخرج الناس من العراق إلى الموصل والشام وخراسان من الغلاء.

وفيها نُفِيَ شيرزاد، وكان قد غلب على أمر بختيار، وصار يحكم على الوزير والجند وغيرهم، فأوحش الأجناد وعزم الأتراك على قتله فمنعهم سبكتكين، وقال لهم:

خوفوه ليهرب، فهرب من بغداد وعهد إلى بختيار ليحفظ ماله وملكه. فلما سار عن بغداد قبض بختيار أمواله وأملاكه ودوره. وكان هذا مما يعاب به بختيار. ثم إن شيرزاد سار إلى ركن الدولة ليصلح أمره مع بختيار فتُوفيَ بالرّي عند وصوله إليها.

وفيها توفي عبيدُ اللهِ بن أحمد بن محمد أبو الفتح النحوي المعروف بخجخج[١]. وفيها مات عيسى الطبيب، الذي كان طبيب القاهر بالله والحاكم في دولته. وكان قد عمي قبل موته بسنتين، وكان مولده سنة إحدى وسبعين ومائتين.

---

(١) ضبطه السيوطي في بغية الوعاة بجيم ثم خاء ثم جيم ثم خاء وفي الاصل بخاء ثم جيم ثم خاء ثم جيم قال ياقوت: سمع البغوي. وابن دريد وكان ثقة صحيح الكتابة صنف مجالسات العلماء، العزلة والانفراد، اخبار جحظة وغير ذلك.

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة

ذكر ملك الروم مدينة أنطاكية

في هذه السّنة في المحرم ملك الروم مدينة أنطاكية. وسبب ذلك أنهم حصروا حصناً بالقرب من أنطاكية يقال له: حصن لوقا، وانهم وافقوا أهله ـ وهم نصارى ـ على أن يرتحلوا منه إلى أنطاكية، ويظهروا أنهم إنما انتقلوا منه خوفاً من الروم، فإذا صاروا بأنطاكية أعانوهم على فتحها، وانصرف الروم عنهم بعد موافقتهم على ذلك وانتقل أهل الحصن، ونزلوا بأنطاكية بالقرب من الجبل الذي بها. فلما كان بعد انتقالهم بشهرين وافى الروم مع أخي تقفور الملك، وكانوا نحو أربعين الف رجل، فأحاطوا بسور أنطاكية وصعدوا الجبل إلى الناحية التي بها أهل حصن لوقا، فلما رآهم أهل البلد قد ملكوا تلك الناحية طرحوا أنفسهم من السور وملك الروم البلد ووضعوا في أهله السيف، ثم أخرجوا المشايخ، والعجائز، والأطفال من البلد وقالوا لهم: اذهبوا حيث شئتم، فأخذوا الشباب من الرجال، والنساء، والصبيان، والصبايا فحملوهم إلى بلاد الروم سبياً، وكانوا يزيدون على عشرين ألف إنسان. وكان حصرهم له في ذي الحجة.

ذكر ملك الروم مدينة حلب وعودهم عنها

لما ملك الروم أنطاكية أنفذوا جيشاً كثيفاً إلى حلب، وكان أبو المعالي شريف بن سيف الدولة محاصراً لها، وبها قرعويه السيفي متغلباً عليها. فلما سمع أبو المعالي خبرهم، فارق حلب وقصد البرية ليبعد عنهم، وحصروا البلد وفيه قرعويه، وأهل البلد قد تحصنوا بالقلعة. فملك الروم المدينة وحصروا القلعة، فخرج إليهم جماعة من أهل حلب، وتوسَّطوا بينهم وبين قرعويه، وترددت الرُّسل، فاستقر الأمر بينهم على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه اليهم، وأن يكون الروم إذا أرادوا الغزاة لا يمكن قرعويه

أهل القرايا من الجلاء عنها، ليبتاع الروم ما يحتاجون إليه منها. وكان مع حلب حماة، وحمص، وكفرطاب، والمعرَّة، وأفامية، وشيزر، وما بين ذلك من الحصون والقرايا. وسلّموا الرهائن إلى الروم، وعادوا عن حلب وتسلّمها المسلمون.

ذكر ملك الروم ملازكرد

وفيها أرسل ملك الروم جيشاً إلى ملازكرد من أعمال ارمينية فحصروها وضيقوا على من بها من المسلمين وملكوها عنوة وقهراً وعظمت شوكتهم وخافهم المسلمون في أقطار البلاد وصارت كلها سائبة لا تمتنع عليهم يقصدون أيها شاؤوا.

ذكر مسير ابن العميد إلى حسنويه

وفي هذه السّنة جهَّز ركن الدولة وزيره أبا الفضل بن العميد في جيش كثيف، وسيَّرهم إلى بلد حسنويه. وكان سبب ذلك أن حسنويه بن الحسين الكردي، كان قد قوي واستفحل أمره لاشتغال ركن الدولة بما هو أهم منه، ولأنه كان يعين الديلم على جيوش خراسان إذا قصدتهم فكان ركن الدولة يراعيه لذلك، ويغضي على ما يبدو منه. وكان يتعرض إلى القوافل وغيرها بخفارة، فبلغ ذلك ركن الدولة فسكت عنه. فلما كان الآن وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف أدى إلى أن قصده سهلان، وحاربه وهزمه حسنويه. فانحاز هو وأصحابه إلى مكان اجتمعوا فيه فقصدهم حسنويه وحصرهم فيه. ثم إنه جمع من الشوك والنبات وغيره شيئاً كثيراً وفرقه في نواحي أصحاب سهلان، وألقى فيه النار ـ وكان الزمان صيفاً ـ فاشتدَّ عليهم الأمر حتى كادوا يهلكون. فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان، فأمّنهم فأخذهم عن آخرهم. وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمله له؛ فحينئذ أمر ابن العميد بالمسير إليه، فتجهَّز وسار في المحرم، ومعه ولده أبو الفتح. وكان شاباً مرحاً قد أبطره الشباب والأمر والنهي وكان يظهر منه ما يغضب بسببه والده، وازدادت علته، وكان به نقرس وغيره من الأمراض. فلما وصل إلى همذان توفي بها، وقام ولده مقامه. فصالح حسنويه على مال أخذه منه، وعاد إلى الريّ إلى خدمة ركن الدولة. وكان والده يقول عند موته: «ما قتلني إلاّ ولدي وما أخاف على بيت العميد أن يخرب ويهلكوا إلاّ منه». فكان على ما ظن.

وكان أبو الفضل بن العميد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره

من حسن التدبير، وسياسة الملك والكتابة التي أتي فيها بكل بديع. وكان عالماً في عدة فنون منها الأدب فإنه كان من العلماء به، ومنها حفظ أشعار العرب، فإنه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله، ومنها علوم الأوائل فإنه كان ماهراً فيها مع سلامة اعتقاد إلى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق، ولين عشرة مع أصحابه وجلسائه، وشجاعة تامة، ومعرفة بأمور الحرب والمحاصرات، وبه تخرَّج عضد الدولة، ومنه تعلم ساسية الملك ومحبة العلم والعلماء. وكان عمر ابن العميد قد زاد على ستين سنة يسيرا، وكانت وزارته أربعاً وعشرين سنة.

ذكر قتل تقفور ملك الروم[١]

في هذه السّنة قُتِلَ تقفور ملك الروم، ولم يكن من أهل بيت المملكة، وإنما كان دمستقاً. والدمستق عندهم الذي كان يلي بلاد الروم التي هي شرقي خليج القسطنطينية، وأكثرها اليوم بيد أولاد قلج أرسلان. وكان كل من يليها يلقب بالدمستق. وكان هذا تقفور شديداً على المسلمين، وهو الذي أخذ حلب أيام سيف الدولة فعظم شأنه عند الروم. وهو أيضاً الذي فتح طرسوس، والمصيصة، وأذنة، وعين زربى، وغيرها. ولم يكن نصراني الأصل، وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس ـ يُعرَفُ بابن الفقاس ـ تنصر، وكان ابنه هذا شهماً شجاعاً حسن التدبير لما يتولاه. فلما عظم أمره وقوي شأنه، قتل الملك الذي كان قبله وملك الروم بعده وقد ذكرنا هذا جميعه.

فلما مَلكَ تزوج امرأة الملك المقتول على كره منها، وكان لها من الملك المقتول ابنان. وجعل تقفور همته قصد بلاد الإسلام، والإستيلاء عليها وتم له ما أراد باشتغال ملوك الإسلام بعضهم ببعض فدوخ البلاد. وكان قد بنى أمره على أن يقصد سواد البلاد فينهبه، ويخربه فيضعف البلاد فيملكها. وغلب على الثغور الجزرية والشامية، وسبا وأسر ما يخرج عن الحصر، وهابه المسلمون هيبة عظيمة ولم يشكوا في أنه يملك جميع الشام، ومصر، والجزيرة، وديار بكر لخلو الجميع من مانع. فلما استفحل أمره، أتاه امر الله من حيث لم يحتسب. وذلك أنه عزم على أن يخصيَ ابني الملك المقتول لينقطعَ نسلهما، ولا يعارض أحد أولاده في الملك. فلما عَلِمَتْ أمهما ذلك قلقت منه،

(١) ذكر المصنف موته سنة ٣٥٦ راجع صفحة ٢٤ وانظر تاريخ ابن خلدون ٣١٤/٤، وقد أورد اسمه « يعفور ».

واحتالت على قتله فأرسلت إلى ابن الشمشقيق ـ وهو الدمستق حينئذ ـ ووافقته على أن يصير إليها في زيِّ النساء، ومعه جماعة وقالت لزوجها: إن نسوة من أهلها قد زاروها. فلما صار إليها هو ومن معه جعلتهم في بيعة تتصل بدار الملك، وكان ابن الشمشقيق شديد الخوف منه لعظم هيبته، فاستجاب للمرأة إلى ما دعته إليه. فلما كان ليلة الميلاد من هذه السنة نام تقفور، واستثقل في نومه ففتحت امرأته الباب، ودخلوا إليه فقتلوه. وثار بهم جماعة من أهله وخاصته، فقتل منهم نيف وسبعون رجلاً. وأجلس في الملك الأكبر من ولدي الملك المقتول، وصار المدبر له ابن الشمشقيق. ويقال: إن تقفور ما بات قط إلاّ بسلاح إلاّ تلك الليلة لما يريده الله تعالى من قتله وفناء أجلِهِ.

ذكر ملك أبي تغلب مدينة حرّان

في هذه السّنة في الثاني والعشرين من جُمادي الأولى، سار أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان إلى حران، فرأى أهلها قد أغلقوا أبوابها وامتنعوا منه فنازلهم وحصرهم، فرعى أصحابه زروع تلك الأعمال، وكان الغلاء في العسكر كثيراً فبقي كذلك إلى ثالث عشر جُمادى الآخرة، فخرج إليه نفران من أعيان أهلها ليلاً، وصالحاه وأخذا الأمان لأهل البلد وعادا فلما أصبحا أعلما أهل حران ما فعلاه، فاضطربوا وحملوا السلاح، وأرادوا قتلهما. فسكّنهم بعض أهلها فسكنوا. واتفقوا على إتمام الصلح، وخرجوا جميعهم إلى أبي تغلب، وفتحوا أبواب البلد. ودخله أبو تغلب وإخوته وجماعة من أصحابه. وصلوا به الجمعة وخرجوا إلى معسكرهم، واستعمل عليهم سلامة البرقعيدي، لأنه طلبه أهله لحسن سيرته، وكان إليه أيضاً عمل الرقة ـ وهو من أكابر أصحاب بني حمدان ـ وعاد أبو تغلب إلى الموصل، ومعه جماعة من أحداث حران. وسبب سرعة عوده أن بني نمير عاثوا في بلد الموصل، وقتلوا العامل ببرقعيد، فعاد إليهم ليكفهم.

ذكر قتل سُليمان بن أبي علي بن إلياس

في هذه السّنة قُتِلَ سُليمان بن أبي علي بن إلياس، الذي كان والده صاحب كرمان. وسبب ذلك أنه ذكر للأمير منصور بن نوح صاحب خراسان أن أهل كرمان من القفص، والبلوص معه وفي طاعته، وأطمعه في كرمان فسيَّر معه عسكراً إليها.

فلما وصل إليها وافقه القفص، والبلوص، وغيرهما من الأمم المفارقة لطاعة عضد الدولة . فاستفحل أمره وعظم جمعه . فلقيه كوركير بن جستان خليفة عضد الدولة بكرمان وحاربه. فقتل سليمان وابنا أخيه اليسع وهما بكر ، والحسين ، وعدد كثير من القواد والخراسانية، وحُمِلَتْ رؤوسهم إلى عضد الدولة بشيراز، فَسَيَّرَها إلى أبيه ركن الدولة، فأخذ منهم جماعة كثيرة أسرى.

ذكر الفتنة بصقلية

وفي هذه السّنة استعمل المعز لدين الله الخليفة العلوي على جزيرة صقلية يعيش مولى الحسن بن علي بن أبي الحسين، فجمع القبائل في دار الصناعة، فوقع الشرُّ بين موالي كُتامة والقبائل، فاقتتلوا. فقتل من موالي كتامة كثير، وقتل من الموالي بناحية سرقوسة جماعة، وازداد الشرُّ بينهم، وتمكنت العداوة، وسعى يعيش في الصلح ، فلم يوافقوه. وتطاول أهل الشرِّ من كل ناحية، ونهبوا وأفسدوا، واستطالوا على أهل المراعي واستطالوا على أهل القلاع المستأمنة. فبلغ الخبر إلى المعز فعزل يعيش، واستعمل أبا القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين نيابة عن أخيه أحمد. فسار إليها، فلما وصل فَرِحَ به الناس، وزال الشرُّ من بينهم، واتفقوا على طاعته.

ذكر حصر عمران بن شاهين

في هذه السّنة في شوّال انحدر بختيار إلى البطيحة لمحاصرة عمران بن شاهين، فأقام بواسط يتصيَّد شهراً. ثم أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدرَ إلى الجامدة، وطفوف البطيحة وبنى أمره على أن يسدَ أفواه الأنهار ومجاري المياه إلى البطيحة، ويردَّها إلى دجلة والفَارُوث[1] وربع طير. فبنى المسنيات التي يمكن السلوك عليها إلى العراق، فطالت الأيام وزادت دجلة، فخربت ما عملوه. وانتقل عمران إلى معقل آخر من معاقل البطيحة، ونقل كل ماله إليه، فلما نقصت المياه واستقامت الطرق، وجدوا مكان عمران بن شاهين فارغاً. فطالت الأيام وضجر الناس من المقام، وكرهوا تلك الأرض من الحرِّ والبقِّ والضفادع، وإنقطاع المواد التي ألفوها، وشغب الجند على الوزير وشتموه وأبوا أن يقيموا. فاضطر بختيار إلى مصالحة عمران على مال يأخذه منه. وكان

---

(١) الفاروث: قرية كبيرة ذات سوق على شاطىء دجلة بين واسط والمذار أهلها كلهم روافض.

عمران قد خافه في الأول، وبذل له خمسة آلاف ألف درهم. فلما رأى اضطراب أمر بختيار بذل الفي ألف درهم في نجوم ولم يسلم إليهم رهائن ولا حلف لهم على تأدية المال. ولما رحل العسكر تخطف عمران أطراف الناس، فغنم منهم وفسد عسكر بختيار، وزالت عنهم الطاعة والهيبة. ووصل بختيار إلى بغداد في رجب سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في ربيع الآخر إصطلح قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان، وأبو المعالي بن سيف الدولة، وخطب لأبي المعالي بحلب، وكان بحمص، وخطب هو وقرعويه في أعمالهما للمعز لدين الله العلوي صاحب المغرب ومصر.

وفيها في رمضان وقع حريق عظيم ببغداد في سوق الثلاثاء، فاحترق جماعة رجال ونساء، وأما الرحال وغيرها فكثير. ووقع الحريق أيضاً في أربع مواضع من الجانب الغربي فيها أيضاً.

وفيها كانت الخطبة بمكة للمطيع لله، وللقرامطة الهجريين، وخطب بالمدينةللمعز لدين الله العلوي. وخطب أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي خارج المدينة للمطيع لله.

وفيها مات عبيدُ بن عمر بن أحمد أبو القاسم العبسي المقري الشافعي بقرطبة، وله تصانيف كثيرة. وكان مولده ببغداد سنة خمس وتسعين ومائتين[١]. وأبو بكر محمد بن داود الدينوي الصوفي المعروف بالرقي[٢]، وهو من مشاهير

---

(١) قال في طبقات الشافعية: عبيد مصغر وغير مضاف. وربما قيل عبيدالله مضافاًوإياه أورد ابن باطيش في الطبقات هو عبيد بن عمر أحمد بن محمد أبو القاسم القيسي البغدادي نزيل قرطبة وهو المشهور بعبيد الفقيه أخذ عن الأصطخري. وسمع من ابي القاسم البغوي، والطحاوي. وابن صاعد وغيرهم. وكان صاحب الأندلس الملقب بالمستنصر يجله ويعظمه كثيراً توفي بقرطبة في ذي الحجة. وقد وقع في الاصول « العبسي » بالعين المهملة والباء الموحدة، وفي طبقات القراء للجزري. ١/٤٨٩. (القيسي).

(٢) هو من رجال الرسالة القشيرية قال أبو القاسم القشيري: المعروف بالدقي ـ هكذا وقع بالدال المهملة ـ وأقام بالشام وعاش اكثر من مائة سنة مات بدمشق بعد الخمسين والثلاثمائة صحب ابن الجلاء والزقاق قال =

مشايخهم. وقيل: مات سنة اثنتي وستين.

وفيها توفي القاضي أبو العلاء محارب بن محمد بن محارب[1] الفقيه الشافعي، في جُمادى الآخرة، وكان عالماً بالفقه والكلام.

= أبو بكر الدقي المذكور: المعدة موضع يجمع الاطعمة فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق الى الله وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب.

(١) هو من ذرية محارب بن دثار. كان ثقة روى عن جعفر الفريابي وغيره.

ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة

ذكر عصيان أهل كرمان على عضد الدولة

لما ملك عضد الدولة كرمان كما ذكرناه، اجتمع القفص، والبلوص، وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده، على كلمة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والإجتهاد، فضمَّ عضد الدولة إلى كوركير بن جستان عابد بن علي. فسارا إلى جِيْرَفت[1] فيمن معهما من العساكر، فالتقوا عاشر صفر، فاقتتلوا وصبر الفريقان. ثم انهزم القفص ومن معهم فقتل منهم خمسة آلاف من شجعانهم ووجوههم، وقتل ابنان لأبي سعيد ثم سار عابد بن علي يقصُّ آثارهم ليستأصلهم، فأوقع بهم عدة وقائع وأثخن فيهم.

وانتهى إلى هرموز فملكها واستولى على بلاد التين، ومُكْرَان[2]. وأسر الفي أسير وطلب الباقون الأمان، وبذلوا تسليم معاقلهم وجبالهم على أن يدخلوا في السلم، وينزعوا شعار الحرب، ويقيموا حدود الإسلام من الصلاة والزكاة والصوم. ثم سار عابد إلى طوائف أخر يعرفون بالحرومية والحاسكية[3] يخيفون السبيل في البحر والبر، وكانوا قد أعانوا سُليمان بن أبي علي بن إلياس ـ وقد تقدم ذكرهم ـ فأوقع بهم وقتل كثيراً منهم، وأنفذهم إلى عضد الدولة، فاستقامت تلك الأرض مدة من الزمان ثم لم يلبث البلوص أن عادوا إلى ما كانوا عليه، من سفك الدم وقطع الطريق. فلما فعلوا ذلك تجهّز عضد الدولة وسار إلى كرمان في ذي القعدة، فلما وصل إلى السِّيرجان[4]، رأى

---

(١) جِيرفت : مدينة بكرمان في الإقليم الثالث. وهي مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها.

(٢) مُكران : ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى. وهي بين كرمان وسجستان. والبحر والهند.

(٣) الحرومية والحاسكية : لم أجدهما في معجم البلدان.

(٤) السِّيرجان : مدينة بين كرمان وفارس.

فسادهم وما فعلوه من قطع الطريق بكَرمان، وسجستان، وخراسان، فجرَّد عابد بن علي في عسكر كثيف، وأمره بآتباعهم. فلما أحسُّوا به، أوْغَلوا في الهرب إلى مضايق، ظنّوا أن العسكر لا يتوغلها ، فأقاموا آمنين. فسار في آثارهم فلم يشعروا إلاّ وقد أطلّ عليهم، فلم يمكنهم الهرب، فصبروا يومهم وهو تاسع عشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وثلاثمائة. ثم انهزموا آخر النهار، وقتل أكثر رجالهم المقاتلة وسبى الذراري، والنساء وبقي القليل. وطلبوا الأمان فأجيبوا إليه، ونقلوا عن تلك الجبال. وأسكن عضد الدولة مكانهم الأكرة، والزراعين حتى طبقوا تلك الأرض بالعمل. وتتبع عابد تلك الطوائف براً وبحراً حتى أتى عليهم وبدَّدَ شملهم.

ذكر ملك القرامطة دمشق

في هذه السّنة في ذي القعدة وصل القرامطة إلى دمشق فملكوها، وقتلوا جعفر بن فلاح[1]. وسبب ذلك أنهم لما بلغهم استيلاء جعفر بن فلاح على الشام أهمهم وأزعجهم، وقلقوا لأنهم كان قد تقرَّرَ بينهم وبين ابن طغج[2] أن يحمل إليهم كل سنة ثلاثمائة ألف دينار. فلما ملكها جعفر، علموا أن المال يفوتهم، فعزموا على قصد الشام وصاحبهم حينئذ الحسين بن أحمد بن بهرام القرمطي، فأرسل إلى عز الدولة بختيار، يطلب منه المساعدةبالسلاح والمال. فأجابه إلى ذلك. واستقر الحال أنهم إذا وصلوا إلى الكوفة سائرين إلى الشام حمل الذي استقر، فلما وصلوا إلى الكوفة أوصل إليهم ذلك وساروا إلى دمشق، وبلغ خبرهم إلى جعفر بن فلاح، فاستهان بهم ولم يحترز منهم، فلم يشعر بهم، حتى كبسوه بظاهر دمشق وقتلوه، وأخذوا ماله وسلاحه ودوابه وملكوا دمشق وأمنوا أهلها. وساروا إلى الرملة واستولوا على جميع ما بينهما، فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا عنها إلى يافا فتحصنوا بها، وملك القرامطة الرملة. وساروا إلى مصر وتركوا على يافا من يحصرها. فلما وصلوا إلى مصر اجتمع معهم خلق كثيرٌ من العرب، والجند، والإخشيدية، والكافورية فاجتمعوا بعين شمس عند مصر، واجتمع عساكر جوهر وخرجوا إليهم. فاقتتلوا غير مرة الظفر في

---

(١) البداية والنهاية ١١/٢٨٧ ط. دار الكتب العلميةببيروت. شذرات الذهب ٣/٢٩ ووفيات الاعلام ١/٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٧٨.

(٢) الحسن بن عبيد الله بن طغج.

جميع تلك الأيام للقرامطة، وحصروا المغاربة حصراً شديداً .ثم إن المغاربة خرجوا في بعض الأيام من مصر، وحملوا على ميمنة القرامطة. فانهزم من بها من العرب وغيرهم وقصدوا سواد القرامطة، فنهبوه فاضطروا إلى الرَّحيل، فعادوا إلى الشام فنزلوا الرملة. ثم حصروا يافا حصراً شديداً وضيَّقوا على من بها. فسيَّر جوهر من مصر نجدة إلى أصحابه المحصورين بيافا ومعهم ميرة في خمسة عشر مركباً فأرسل القرامطة مراكبهم إليها فأخذوا مراكب جوهر، ولم ينجُ منها غير مركبين، فغنمهما مراكب الروم[1].

وللحسين بن بهرام مقدم القرامطة شعر، فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله.

زَعَمَتْ رجالُ الغربِ أني هبتها فدمي إذاً ما بينهم مطلولُ
يا مصرَ إن لم أسقِ أرضك من دمٍ يروي ثراك فلا سقاني النيلُ

ذكر قتل محمد بن الحسين الزناتي

في هذه السّنة قُتِلَ يوسف بلكين بن زيري محمد بن الحسين بن خزر الزناتي، وجماعة من أهله، وبني عمه. وكان قد عصى على المعز لدين الله بأفريقية، وكثر جمعه من زناتة، والبربر. فأهم المعز أمره لأنه أراد الخروج إلى مصر، فخاف أن يخلف محمداً في البلاد عاصياً. وكان جباراً عاتياً طاغياً. وأما كيفية قتله، فإنه كان يشرب هو وجماعة من أهله وأصحابه، فعلم يوسف به فسار إليه جريدة متخفياً فلم يشعر به محمد حتى دخل عليه، فلما رآه محمد قتل نفسه بسيف، وقتل يوسف الباقين، وأسَرَ منهم، فحلَّ ذلك عند المعز محلاً عظيماً، وقعد للهناء به ثلاثة أيام.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قبض عضد الدولة على كوكير بن جستان قبضاً فيه إبقاء، وموضع للصلح.

وفيها تزوج أبو تغلب بن حمدان ابنة عز الدولة بختيار وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة ألف دينار. وكان الوكيل في قبول العقد أبا الحسن علي بن عمرو بن ميمون

---

(١) في البداية والنهاية ١١/٢٨٧ : «فاخذتها القرامطة سوى مركبين أخذتها الافرنج».

صاحب أبي تغلب بن حمدان، ووقع في صفر.

وفيها قُتِلَ رجلان بمسجد دير مار ميخاييل بظاهر الموصل، فصادر أبو تغلب جماعة من النصارى.

وفيها استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب أبا القاسم بن عباد وأصلح أموره كلها.

وفيها مات أبو القاسم سُليمان بن أيوب الطبراني،[١] صاحب المعاجم الثلاثة بأصبهان، وكان عمره مائة سنة، وأبو بكر محمد بن الحسين الآجُري [٢] بمكة، وهما من حفاظ المحدثين.

وفيها توفي السري بن أحمد بن السري أبو الحسن الكندي الرفاء الشاعر الموصلي ببغداد [٣].

---

(١) سليمان بن أحمد بن ايوب بن مطير اللخمي . وقد ورد في ابن عساكر « مطر » والصواب مطير على ما في الأنساب والوفيات. شذرات الذهب ٣/ ٣٠ والبداية والنهاية ١١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٢) شذرات الذهب ٣/ ٣٥، البداية والنهاية ١١/ ٢٨٨، الاعلام ٦/ ٣٢٨ .

(٣) كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بالموصل. ومع ذلك يتولع بالادب وينظم الشعر حتى جاد شعره ومهر فيه، وله مدائح في سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والامراء، قال ابن خلكان: وللسري الرفا هذا ديوان كبير جداً.

ثم دخلت سنة احدى وستين وثلاثمائة

ذكر ما فعله الروم بالجزيرة[١]

في هذه السّنة في المحرم أغار ملك الروم على الرّها ونواحيها، وساروا في ديار الجزيرة، حتى بلغوا نصيبين فغنموا وسبوا وأحرقوا وخربوا البلاد، وفعلوا مثل ذلك بديار بكر، ولم يكن من أبي تغلب بن حمدان في ذلك حركة، ولا سعى في دفعه لكنّه حمل إليه مالاً كفَّه به، عن نفسه. فسار جماعة من أهل تلك البلاد إلى بغداد مستنفرين، وقاموا في الجوامع والمشاهد، واستنفروا المسلمين، وذكروا ما فعله الروم من النهب، والقتل، والأسر، والسبي، فاستعظمه الناس وخوَّفهم أهل الجزيرة من انفتاح الطريق، وطمع الروم، وأنهم لا مانع لهم عندهم. فاجتمع معهم أهل بغداد، وقصدوا دار الخليفة الطائع لله، وأرادوا الهجوم عليه فمُنِعُوا من ذلك وأُغلِقَت الأبوابُ فأُسمِعُوا ما يقبح ذكره. وكان بختيار حينئذ يتصيّد بنواحي الكوفة، فخرج إليه وجوه أهل بغداد[٢] مستغيثين منكرين عليه اشتغاله بالصيد، وقتال عمران بن شاهين ـ وهو مسلم ـ وترك جهاد الروم، ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغلوها، فوعدهم التجهّز للغزاة، وأرسل إلى الحاجب سبكتكين يأمره بالتجهّز للغزو، وأن يستنفر العامة. ففعل سبكتكين ذلك، فاجتمع من العامة عددٌ كثير لا يُحصَون كثرة. وكتب بختيار إلى أبي تغلب بن حمدان صاحب الموصل، يأمره بإعداد الميرة والعلوفات، ويعرِّفه عزمه على الغزاة فأجابه بإظهار الفرح، وإعداد ما طلب منه.

---

(١) ابن خلدون ٤/٣١٥. وتاريخ الاسلام ٣/١٤٩.

(٢) قال في تاريخ الاسلام: وفيهم أبو بكر الرازي الفقيه، وابو الحسن علي بن عيسىٰ النحوي. وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه.

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السّنة، وقعت ببغداد فتنةٌ عظيمةٌ، وأظهروا العصبية الزائدة، وتحزّب الناس، وظهر العيارون وأظهروا الفساد، وأخذوا أموال الناس، وكان سبب ذلك ما ذكرناه، من استنفار العامة للغزاة، فاجتمعوا وكثروا فتولّد بينهم من أصناف البنوية، والفِتيان، والسِّنية، والشيعة، والعيارين. فنُهِبَت الأموال وقُتِلَ الرجال، وأُحرِقَت الدور. وفي جملة ما احترق محلة الكرخ، وكانت معدن التجار والشيعة. وجرى بسبب ذلك فتنة بين النقيب أبي أحمد الموسوي، والوزير أبي الفضل الشيرازي وعداوة.

ثم إن بختيار أنفذ إلى المطيع لله يطلب منه مالاً يخرجه في الغزاة. فقال المطيع: «إن الغزاة والنفقةَ عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني، إذا كانت الدنيا في يدي وتجبى إليّ الأموال، وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده وليس لي إلاّ الخطبة فان شئتم أن اعتزل فعلت». وترددت الرسائل بينهما حتى بلغوا إلى التهديد، فبذل المطيع لله أربعمائة ألف درهم، فاحتاج إلى بيع ثيابه وأنقاض داره وغير ذلك، وشاع بين الناس من العراقيين، وحجاج خراسان، وغيرهم أن الخليفة قد صُودِرَ. فلما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزاة.

ذكر مسير المعز لدين الله العلوي من الغرب إلى مصر

في هذه السّنة سار المعز لدين الله العلوي من أفريقية يريد الديار المصرية. وكان أول مسيره أواخر شوّال من سنة إحدى وستين وثلاثمائة. وكان أول رحيله من المنصورية، فأقام بسَرْدانية[1] ـ وهي قرية قريبة من القيروان ـ ولحِقَهُ بها رجاله، وعماله واهل بيته وجمع ما كان له في قصره من أموال وأمتعة وغير ذلك، حتى أن الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين، وحمل كل طاحونتين على جمل وسار عنها. واستعمل على بلاد أفريقية يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الجميري، إلاّ أنه لم يجعل له حكماً على جزيرة صقلية، ولا على مدينة طرابلس الغرب ولا على أجْدَابيَة،

---

(١) سردانية: جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وأقريطش أكبر منها، تعرف اليوم باسم سردينية.

وسُرْت(١). وجعل على صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين على ما قدمنا ذكره. وجعل على طرابلس عبد الله بن يخلف الكُتامي، وكان أسيراً عنده. وجعل على جباية أموال أفريقية زيادة الله بن القديم. وعلى الخراج عبد الجبّار الخراساني، وحسين بن خلف الموصدي وأمرهم بالانقياد ليوسف بن زيري.

فأقام بسَرْدانية أربعة أشهر حتى فرغ من جميع ما يريد، ثم رحل عنها ومعه يوسف بلكين، وهو يوصيه بما يفعله، ونحن نذكر آنفاً من سلف، يوسف بلكين وأهله ما تمسُّ الحاجة إليه. ورُدَّ يوسف إلى أعماله، وسار إلى طرابلس ومعه جيوشه وحواشيه، فهرب منه بهما جمع من عسكره إلى جبال نفوسة فطلبهم فلم يقدر عليهم. ثم سار إلى مصر، فلما وصل إلى برقة ومعه محمد بن هانيء الشاعر الأندلسي(٢) قتل غيلة، فرؤي مُلقى على جانب البحرِ قتيلاً لا يدري من قتله. وكان قتله أواخر رجب من سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وكان من الشعراء المجيدين إلّا أنه غالى في مدح المعز، حتى كفره العلماء. فمن ذلك قوله:

مـا شئتَ لا مـا شـاءَت الأقـدارُ فـاحكمْ، فـأنت الـواحـدُ القهـارُ

---

(١) أجدابية: بلد بين برقة وطرابلس الغرب. وسرت: مدينة على ساحل البحر بين برقة وطرابلس الغرب.

(٢) هو محمد بن هانيء أبو القاسم. وقيل: أبو الحسن الازدي الأندلسي قيل: إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة، وقيل: بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم، وكان أبوه هانيء من قرية من قرى المهدية بأفريقية وكان شاعراً أديباً كان ماهراً في الأدب حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم. واتصل بصاحب اشبيلية وحظي عنده وكان كثير الانهماك في اللذات متهماً بمذهب الفلاسفة. ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل أشبيلية واتهم الملك بمذهبه فأشار عليه الملك بالغيبة عن البلد مدة ـ ينسى فيها خبره ـ فانفصل وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة فخرج إلى عدوة المغرب ولقي جوهر القائد ثم رحل إلى جعفر ويحيى ابني علي كانا بالمسيلة ـ وهي مدينة الزاب ـ وكانا والييها فبالغا في اكرامه والاحسان إليه. ونمى خبره إلى معز أبي تميم معد بن المنصور العبيدي، وطلبه منهما فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه، ثم توجه المعز إلى الديار المصريةفشيعه ابن هانيء ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه فلما دخل إلى برقة إلى آخر ما حكاه المؤلف، ومن شعره قصيدته النونية في مدح المعز لدين الله منها:

بيض ومـا ضحـك الصبـاح وأنهـا بـالمسك من طـرر الحسان لجـون
ادمى لهـا المـرجـان صفحـة خـده وبكـى عليهـا اللؤلؤ المكنـون

وكان ابن هانيء هذا بالمغرب مثل المتنبي في المشرق.

وقوله: ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلا

ومن ذلك ما يُنسب إليه ولم أجدها في ديوانه قوله:

حلَّ برقادةَ المسيحُ حلّ بها آدمُ ونوحُ[1]
حلَّ بها الله ذو المعالي فكلُّ شيء سواه ريحُ

ورقادة اسم مدينة بالقرب من القيروان إلى غير ذلك. وقد تأول ذلك من يتعصب له والله أعلم. وبالجملة فقد جاوز حد المديح. ثم سار المعز حتى وصل إلى الإسكندرية أواخر شعبان من السنة، وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقيهم وأكرمهم وأحسن إليهم. وسار فدخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وأنزل عساكره مصر والقاهرة في الديار، وبقي كثير منهم في الخيام، وأما يوسف بلكين فإنه لما عاد من وداع المعز، أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد، ثم سار في البلاد وباشر الأعمال وطيَّب قلوب الناس. فوثب أهل باغاية على عامله فقاتلوه، فهزموه فسيَّر إليهم يوسف جيشاً فقاتلهم، فلم يقدر عليهم، فأرسل إلى يوسف يعرِّفه الحال، فتأهب يوسف وجمع العساكر ليسير إليهم. فبينما هو في التجهُّزِ أتاه الخبر عن تاهرت، أن أهلها قد عصوا وخالفوا وأخرجوا عامله. فرحل إلى تاهرت فقاتلها فظفر باهلها وخرَّبها. فأتاه الخبر بها أن زناتة قد نزلوا على تلمسان، فرحل إليهم فهربوا منه، وأقام على تلمسان فحصرها مدة ثم نزلوا على حكمه فعفا عنهم، إلاّ أنه نقلهم إلى مدينة أشير، فبنوا عندها مدينة سموها تلمسان.

ثم إن زيادة الله بن القديم جرى بينه وبين عامل آخر كان معه اسمه عبد الله بن محمد الكاتب منافسة، صارت إلى محاربة، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة، وكان بينهما حروب عدة دفعات، وكان يوسف بلكين مائلاً مع عبد الله لصحبة قديمة بينهما. ثم إن أبا عبد الله قبض على ابن القديم وسجنه واستبدَّ بالأمور بعده. وبقي ابن القديم

---

(١) جلَّ بزيادة جلّ المسيح بها وجلَّ آدمٌ ونوح
جلّ بها الله ذو المعالي فكل شيءٍ سواهُ ريح

وجلّ: عظم، والبيت غير مستقيم الوزن.
هكذا وردت في البداية والنهاية ١١/٢٩٢.

محبوساً حتى توفي المعز بمصر، وقوي أمر يوسف بلكين.

وفي سنة أربع وستين طلع خلف بن حسين إلى قلعة منيعة، فاجتمع إليه خلقٌ كثيرٌ، من البربر وغيرهم، وكان من أصحاب ابن القديم المساعدين له. فسمع يوسف بذلك فسار إليه، ونازل القلعة وحاربه. فقتل بينهما عدَّة قتلى وافتتحها. وهرب خلف بن حسين، وقتل ممن كان بها خلق كثيرٌ، وبعث إلى القيروان من رؤوسهم سبعة آلاف رأس. ثم أخذ خلف وأمر به، فطِيفَ به على جمل، ثم صُلِبَ وسير رأسه إلى مصر، فلما سمع أهل باغاية بذلك، خافوا فصالحوا يوسف ونزلوا على حكمه، فأخرجهم من باغاية وخرَّب سورها.

ذكر خبر يوسف بلكين بن زيري بن مناد وأهل بيته

هو يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحِميري اجتمعت صنهاجة ومن والاها بالمغرب على طاعته قبل أن يقدِّمه المنصور، وكان أبوه منادٍ كبيراً في قومه، كثير المال والولد حَسَنَ الضيافة لمن يمر به. وتقدم ابنه زيري في أيامه، وقاد كثيراً من صنهاجة، وأغاربهم وسبى. فحسدته زناتة وجمعت له لتسير إليه وتحاربه. فسار إليهم مجدّاً فكبسهم ليلاً - وهم غارون - بأرض مغيلة فقتل منهم كثيراً، وغنم ما معهم فكثر تبعه، فضاقت بهم أرضهم فقالوا له: لو اتخذت لنا بلداً غير هذا. فسار بهم إلى موضع مدينة أشير، فرأى ما فيه من العيون، فاستحسنه وبنى فيه مدينة أشير وسكنها. هو وأصحابه، وكان ذلك سنة أربع وستين وثلاثمائة. وكانت زناتة تفسد في البلاد فإذا طلبوا احتموا بالجبال والبراري. فلما بُنِيَت أشير، صارت صنهاجة بين البلاد وبين زناتة والبربر، فسرَّ بذلك القائم.

وسمع زيري بغمارة وفسادهم واستحلالهم المحرمات، وإنهم قد ظهر فيهم نبي فسار إليهم، وغزاهم وظفر بهم، وأخذ الذي كان يدّعي النبوة أسيراً، وأحضر الفقهاء فقتله. ثم كان له أثرٌ حسنٌ في حادثة أبي يزيد الخارجي، وحمل الميرة إلى القائم بالمهدية، فحسَّن موقعها منه. ثم إن زناتة حصرت مدينة أشير فجمع لهم زيري جموعاً كثيرة وجرى بينهم عدة وقعات، قُتِل فيها كثير من الفريقين، ثم ظفر بهم واستباحهم، ثم ظهر بجبل أوراس رجل، وخالف على المنصور، وكثر جمعه يقال له: سعيد بن يوسف. فسيَّر إليه زيري ولده بلكين في جيش كثيف، فلقيه عند باغاية واقتتلوا فقُتِلَ

الخارجي ومن معه من هوارة وغيرهم، فزاد محله عند المنصور. وكان له في فتح مدينة فاس أثر عظيم على ما ذكرناه، ثم أن بلكين بن زيري قصد محمد بن الحسين بن خزر الزناتي وقد خرج عن طاعة المعز وكثر جمعه وعظم شأنه فظفر به يوسف بلكين وأكثر القتل في أصحابه فسرَّ المعز بذلك سروراً عظيماً لأنه كا يريد أن يستخلف يوسف بلكين على الغرب لقوّته وكثرة أتباعه، وكان يخاف أن يتغلب على البلاد بعد مسيره عنها إلى مصر، فلما استحكمت الوحشة بينه وبين زناتة أمّن تغلبه على البلاد، ثم إن جعفر بن عليّ صاحب مدينة مسيلة وأعمال الزاب، كان بينه وبين زيري محاسدة. فلما كثر تقدم زيري عند المعز ساء ذلك جعفراً، ففارق بلاده ولحق بزناتة فقبلوه قبولاً عظيماً وملكوه عليهم عداوة لزيري. وعصى على المعز فسار زيري إليه في جمع كثير من صنهاجة وغيرهم، فالتقوا في شهر رمضان، واشتدّ القتال بينهم فكبا بزيري فرسه، فوقع فقتل، ورأى جعفر من زناتة تغيراً عن طاعته، وندماً على قتل زيري فقال لهم: إن ابنه يوسف بلكين لا يترك ثأر ابيه، ولا يرضى بمن قتل منكم. والرأي أن نتحصَّنَ بالجبال المنيعة، والأوعار فأجابوه إلى ذلك. فحمل ماله وأهله في المراكب وبقي هو مع الزناتيين، وأمر عبيده في المراكب أن يعملوا في المراكب فتنة ففعلوا ـ وهو يشاهدهم من البر ـ فقال لزناتة: «أريد أنظر ما سبب هذا الشرّ. فصعد المركب ونجا معهم، وسار إلى الأندلس، إلى الحاكم الأموي فأكرمه وأحسن إليه. وندمت زناتة كيف لم يقتلوه، ويغنموا ما معه، ثم إن يوسف بلكين جمع فأكثر، وقصد زناتة وأكثر القتل فيهم، وسبى نساءهم وغنم أولادهم وأمر أن يجعل القدور على رؤوسهم ويطبخ فيها. ولما سمع المعز بذلك سرَّه أيضاً وزاد في إقطاع بلكين المسيلة، وأعمالها وعظم شأنه، ونذكر باقي أحواله بعد ملكه أفريقية.

ذكر الصلح بين الأمير منصور بن نوح وبين ركن الدولة وعضد الدولة

في هذه السّنة تم الصُّلحُ بين الأمير منصور بن نوح السّاماني صاحب خراسان، وما وراء النهر وبين ركن الدولة ، وابنه عضد الدولة على أن يحمل ركن الدولة وعضد الدولة إليه كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار. وتزوَّج نوح بابنة عضد الدولة وحمل إليه من الهدايا، والتحف ما لم يحمل مثله. وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه أعيان خراسان، وفارس، والعراق، وكـان الذي سعى في هـذا الصُّلح، وقرره محمـد بن إبراهيم بن سيمجور صاحب جيوش خراسان، من جهة الأمير منصور.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في صفر انقضَّ كوكب عـظيم، وله نـور كثير، وسُمِـعَ له عنـد انقضاضه صوتٌ كالرَّعدِ، وبقي ضوؤه.

وفي شوال منها ملك أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين، سلّمها إليه نائب أخيه حمدان فأخذ أبو تغلب كل ما كان لأخيه فيها من أهل، ومال، وأثاث، وسلاح وحمل الجميع إلى الموصل.

ثم دخلت سنة إثنتين وستين وثلاثمائة

ذكر انهزام الروم وأسر الدُّمسْتُق[١]

في هذه السّنة كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، وبين الدُّمسْتُق بناحية ميافارقين. وكان سببها ما ذكرناه، عن غزو الدمستق بلاد الإسلام، ونهبه ديار ربيعة، وديار بكر. فلما رأى الدُّمسْتُق أنه لا مانع له عن مراده قوي طمعه على أخذ آمد، فسار إليها وبها هزار مرد غلام أبي الهيجاء بن حمدان، فكتب إلى أبي تغلب يستصرخه، ويستنجده ويعلمه الحال. فسيَّر إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة، واجتمعا على حرب الدُّمسْتُق، وسارا إليه، فلقياه سلخ رمضان. وكان الدُّمسْتُق في كثرة، لكنَّهما لقياه في مضيق لا تجول فيه الخيل - والروم على غير أهبة - فانهزموا وأخذ المسلمون الدُّمسْتُق أسيراً. ولم يزلْ محبوساً إلى أن مرض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة. فبالغ أبو تغلب في علاجه، وجمع الأطباء له فلم ينفعه ذلك ومات.

ذكر حريق الكَرْخ[٢]

في هذه السّنة في شعبان احترق الكَرْخ حريقاً عظيماً. وسبب ذلك أن صاحب المعونة قَتَل عامياً. فثار به العامة والأتراك، فهرب ودخل دار بعض الأتراك، فأُخرج منها مسحوباً وقُتِل وأُحرِقَ، وفتحت السجون فأُخرجَ من فيها، فركب الوزير أبو الفضل لأخذ الجناة وأرسل حاجباً له - يسمى صافياً - في جمع لقتال العامة بالكَرخ، وكان شديد العصبية للسنّية، فألقى النار في عدَّةٍ أماكن من الكرخ، فاحترق حريقاً عظيماً. وكان

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/٣١٦، وقد أورد اسمه (الدِّمشق).

(٢) في البداية والنهاية ١١/٢٩٣ - ٢٩٤، قال ابن كثير: إن إحراق الكرخ كان في سنة ٣٦٣ هـ.

عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف إنسان وثلاثمائة دكان، وكثير من الدُّور، وثلاثة وثلاثين مسجداً ومن الأموال ما لا يُحصى.

ذكر عزل أبي الفضل من وزارة عز الدولة ووزارة ابن بقية

وفيها أيضاً عُزِل الوزير أبو الفضل العبّاس بن الحسين من وزارة عز الدولة بختيار في ذي الحجة.

واستوزر محمد بن بقية فعَجِبَ الناسُ لذلك لأنه كان وضيعاً في نفسه من أهل أوانا. وكان أبوه أحد الزراعين، لكنه كان قريباً من بختيار، وكان يتولى له المطبخ، ويقدِّم إليه الطعام، ومنديل الخوان على كتفه إلى أن استوزر، وحُبِس الوزير ابو الفضل فمات عن قريب فقيل: إنه مات مسموماً،[1] وكان في ولايته مضيعاً لجانب الله، فمن ذلك أنه أحرق الكرخ ببغداد، فهلك فيه من الناس والأموال ما لا يُحصى، ومن ذلك أنه ظلم الرَّعيةَ وأخذ الأموال ليفرِّقها على الجند ليسلم فما سلمه الله تعالى ولا نفعه ذلك. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» وكان ما فعله من ذلك أبلغ الطرق التي سلكها أعداؤه من الوقيعة فيه والسعي به، وتمشى لهم ما أرادوا لما كان عليه من تفريطه في أمر دينه وظلم رعيته، وعقب ذلك أن زوجته ماتت ـ وهو محبوس ـ وحاجبه وكاتبه. فخربَتْ داره وعفا أثرها نعوذ بالله من سوء الأقدار، ونسأله أن يختم بخير أعمالنا، فإن الدنيا إلى زوال ما هي. وأما ابن بقية فإنه استقامت أموره، ومشت الأحوال بين يديه بما أخذه من أموال أبي الفضل، وأموال أصحابه، فلما فني ذلك عاد إلى ظلم الرَّعية. فانتشرت الأمور على يده، وخرِّبت النواحي وظهر العيارون، وعملوا ما أرادوا. وزاد الاختلاف بين الأتراك وبين بختيار، فشرع ابن بقية في اصلاح الحال مع بختيار، وسبكتكين، فاصطلحوا وكانت هدنة على دخن.

وركب سبكتكين إلى بختيار ومعه الأتراك، فاجتمع به ثم عاد الحال إلى ما كان عليه من الفساد. وسبب ذلك أن ديلمياً اجتاز بدارسبكتكين ـ وهو سكران ـ فرمى الروشن بزوبين في يده، فأثبته فيه وأحسَّ به سبكتكين فصاح بغلمانه فأخذوه، وظنَّ

---

(١) قال صاحب التكملة: إنه سُقي ذراريح في سكنجبين فتقرحت مثانته ومات من ذلك.

سبكتكين أنه قد وَضَع على قتله، فقرره فلم يعترف وأنفذه إلى بختيار، وعرَّفه الحال فأمر به فقتل فقوي ظن سبكتكين أنه كان وضعه عليه وإنما قتله لئلا يفشي ذلك. وتحرك الديلم لقتله وحملوا السلاح، ثم أرضاهم بختيار فرجعوا.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في ذي الحجة أرسل عز الدولة بختيار الشَّريف أبا أحمد الموسوي والد الرضي، والمرتضى في رسالة إلى أبي تغلب بن حمدان بالموصل، فمضى إليه وعاد في المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

وفيها توفي أبو العباس محمد بن الحسن بن سعيد المخرمي الصوفي صاحب الشِّبلي بمكة[1].

---

(١) وممن توفي هذه السنة من الأعيان ابراهيم بن محمد بن شجنونة بن عبد الله المزكي احد الحفاظ انفق على الحديث وأهله أموالاً جزيلة واسمع الناس بتخريجه وعقد له مجلس للاملاء بنيسابور. ورحل وسمع من المشايخ غرباً وشرقاً، ومن مشايخه ابن جرير. وابن أبي حاتم. وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار المحدثين منهم أبو العباس الاصم واضرابه توفي بعد خروجه من بغداد ونقل إلى نيسابور فدفن بها عن سبع وستين سنة، ومحمد بن الحسن بن كوثر بن علي أبو بحر البربهاري ـ نسبة إلى بيع البربهار وهو ما يجلب من الهند ـ قال الدارقطني : اقتصروا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده، ومحمد بن عبد بن محمد أبو جعفر البلخي الهندواني الذي كان من براعته في الفقه يقال له : أبو حنيفة الصغير توفي ببخارى وكان شيخ تلك الديار في زمانه، والهندواني ـ بكسر الهاء وضم الدال المهملة ـ نسبة إلى باب هندوان محلة ببلخ (ومن حوادث هذه السنة) أن الرافضة لم تعمل المأتم ببغداد على الحسين بن علي رضوان الله عليهما بسبب ما جرى على المسلمين من الروم، وكان عز الدولة بختيار بن بويه بواسط والحاجب سبكتكين ببغداد، وكان سبكتكين المذكور يميل إلى السنة فمنعهم من ذلك، وفيها حج بالناس النقيب أبو أحمد الموسوي.

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة

ذكر استيلاء بختيار على الموصل وما كان من ذلك(١)

في هذه السّنة في ربيع الأول سار بختيار إلى الموصل ليستولي عليها، وعلى أعمالها وما بيد أبي تغلب بن حمدان، وكان سبب ذلك ما ذكرناه، من مسير حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان، وأخيه إبراهيم إلى بختيار واستجارتهما به وشكواهما إليه من أخيهما أبي تغلب، فوعدهما أن ينصرهما ويخلِّص أعمالهما وأموالهما منه، وينتقم لهما، واشتغل عن ذلك بما كان منه في البطيحة وغيرها. فلما فرغ من جميع أشغاله عاود حمدان، وابراهيم الحديث معه وبذل له حمدان مالاً جزيلاً وصَغَّرَ عنده أمر أخيه أبي تغلِب، وطلب أن يضمِّنَهُ بلاده ليكون في طاعته، ويحمل إليه الأموال ويقيم له الخطبة؛ ثم إن الوزير أبا الفضل حسَّن ذلك، وأشار به ظناً منه أن الأموال تكثر عليه، فتمشي الأمور بين يديه. ثم إن إبراهيم بن ناصر الدولة هرب من عند بختيار وعاد إلى أخيه أبي تغلب فقوي عزم بختيار على قصد الموصل أيضاً. ثم عزل أبا الفضل الوزير، واستوزر ابن بقية. فكاتبه أبو تغلب فقصَّر في خطابه فأغرى به بختيار، وحمله على قصده، فسار عن بغداد ووصل إلى الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الأعلى، وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قَرُبَ منه بختيار، وقصد سنجار وكسر العروب، وأخلى الموصل من كل ميرة، وكاتب الديوان.

ثم سار من سنجار يطلب بغداد ولم يعرضْ إلى أحد من سوادها، بل كان هو وأصحابه يشترون الأشياء بأوفى الأثمان، فلما سمع بختيار بذلك أعاد وزيره ابن بقية، والحاجب سبكتكين إلى بغداد. فأما ابن بقية فدخل إلى بغداد. وأما سبكتكين فأقام

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/٣١٦.

بحربى. وكان أبو تغلب قد قارب بغداد فثار العيارون بها وأهل الشر بالجانب الغربي. ووقعت فتنة عظيمة بين السُّنَّة والشِّيعة وحمل أهل سوق الطعام ـ وهم من السنة ـ امرأة على جمل وسمُّوها عائشة، وسمَّى بعضهم نفسه طلحة، وبعضهم الزبير وقاتلوا الفرقة الأخرى وجعلوا يقولون: نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب، وأمثال هذا من الشر، وكان الجانب الشرقي آمناً والجانب الغربي مفتوناً، فأخذ جماعة من رؤساء العيارين، وقتلوا. فسكن الناس بعض السكون.

وأما أبو تغلب فإنه لما بلغه دخول ابن بقية بغداد ونزول سبكتكين الحاجب بحربى، عاد عن بغداد ونزل بالقرب منه، وجرى بينهما مطاردة يسيرة. ثم اتفقا في السِّر على أن يُظهِرا الإختلاف إلى أن يتمكَّنا من القبضِ على الخليفة، والوزير، ووالدة بختيار، وأهله. فإذا فعلوا ذلك، انتقل سبكتكين إلى بغداد وعاد أبو تغلب إلى الموصل ليبلغ من بختيار ماأراد ويملك دولته. ثم إن سبكتكين خاف سوء الأحدوثة فتوقَّف، وسار الوزير ابن بقية إلى سبكتكين فاجتمع به وانفسخ ما كان بينهما. وتراسلوا في الصُّلحِ على أنّ أبا تغلب يضمن البلاد على ما كانت معه، وعلى أن يطلق لبختيار ثلاثة آلاف كرغلة عوضاً عن مؤنة سفره، وعلى أن يردَّ على أخيه حمدان أملاكه وأقطاعه إلّا ماردين. ولما اصطلحوا أرسلوا إلى بختيار بذلك، ليرحل عن الموصل، وعاد أبو تغلب إليها ودخل سبكتكين بغداد وأسلم بختيار.

فلما سمع بختيار بقرب أبي تغلب منه، خافه لأن عسكره كان قد عاد أكثره مع سبكتكين. وطلب الوزير بن بقية من سبكتكين أن يسير نحو بختيار. فتثاقل، ثم فكَّر في العواقب، فسار على مضض، وكان أظهر للناس ما كان هم به، وأما بختيار فإنه جمع أصحابه ـ وهو بالدير الأعلى ـ ونزل أبو تغلب بالحصباء تحت الموصل، وبينهما عرض البلد، وتعصَّب أهل الموصل لأبي تغلب، وأظهروا محبته لما نالهم من بختيار من المصادرات، وأخذِ الأموال. ودخل الناس بينهما في الصلح، فطلب أبو تغلب من بختيار أن يُلَقَّبَ لقباً سلطانياً وأن يسلّم إليه زوجته ابنة بختيار وأن يحطَّ عنه من ذلك القرار. فأجابه بختيار خوفاً منه وتحالفا. وسار بختيار عن الموصل عائداً إلى بغداد، فأظهر أهل الموصل السرور برحيله، لأنه كان قد أساءَ معهم السِّيرة وظلمهم. فلما وصل بختيار إلى الكحيل بلغه أن أبا تغلب، قد قَتَل قوماً كانوا من أصحابه، وقد

استأمنوا إلى بختيار، فعادوا إلى الموصل ليأخذوا ما لهم بها من أهل ومال فقتلهم. فلما بلغه ذلك اشتدَّ عليه، وأقام بمكانه، وأرسل إلى الوزير أبي طاهر بن بقية، والحاجب سبكتكين يأمرهمابالإصعاد إليه. وكان قد أرسل إليهما يأمرهما بالتوقّفِ ويقول لهما: إنّ الصُّلحَ قد استقرَّ. فلما أرسل إليهما يطلبهما أصعدا إليه في العساكر، فعادوا جميعهم إلى الموصل، ونزلوا بالدير الأعلى أواخر جُمادى الآخرة.

وفارقها أبو تغلب إلى تل يَعفُر، وعزم عز الدولة على قصده، وطلبه أين سلك فأرسل أبو تغلب كاتبه وصاحبه أبا الحسن عليّ بن أبي عمرو إلى عز الدولة، فاعتقله واعتقل معه أبـا الحسن بن عرس، وأبا أحمد بن حوقل، وما زالت المراسلات بينهما. وحلف أبو تغلب أنه لم يعلم بقتل أولئك، فعاد الصُّلحُ واستقرّ وحُمِلَ إليه ما استقرَّ من المال. فأرسل عز الدولة الشريف أبا أحمد الموسوي، والقاضي أبا بكر محمد بن عبد الرحمن، فحلّفا أبا تغلب وتجدَّد الصُّلح. وانحدر عز الدولة عن الموصل سابع عشر رجب، وعاد أبو تغلب إلى بلده. ولما عاد بختيار عن الموصل، جـهز ابنته وسيَّرها إلى أبي تغلب، وبقيت معه إلى أن أُخِذَتْ منه. ولم يعرف لها بعد ذلك خبر.

ذكر الفتنة بين بختيار وأصحابه

في هذه السّنة ابتدأت الفتنة بين الأتراك والديلم بالأهواز، فعمَّت العراق جميعه، واشتدَّتْ، وكان سبب ذلك أن عز الدولة بختيار، قلَّتْ عنده الأموال، وكَثُرَ إدلال جنده عليه، واطراحهم لجانبه وشغبهم عليه، فتعذَّر عليه القرار، ولم يجد ديوانه ووزيره جهة يحتال منها بشيء. وتوجهوا إلى الموصل لهـذا السبب فلم ينفتح عليهم. فـرأوا أن يتوجهوا إلى الأهواز ويتعرضـوا لبَخْتكين آزاذرويه، وكـان متوليهـا ويعملوا له حجـة يأخذون منه مالاً ومن غيره. فسار بختيار وعسكره وتخلف عنه سبكتكين التركي. فلما وصلوا إلى الأهواز خدم بختيار وحملَ له أموالاً جليلة المقـدار، وبذل لـه من نفسه الطاعة، وبختيار يفكر في طريق يأخذه به.

فاتفق أنه جرى فتنةٌ بين الأتراك والدَّيلم، وكان سببها أن بعض الديلم نزل داراً بالأهواز، ونزل قريباً منه بعض الأتراك. وكان هناك لبن موضوع، فأراد غلام الديلمي أن يبني منه معلفاً للدواب، فمنعه غلام التركي فتضاربا. وخرج كل واحد من التركي والدّيلمي إلى نصرة غلامه فضَعُفَ التركي عنه. فركب، واستنصر بالأتراك، فـركبوا

وركب الديلم، وأخذوا السلاح فقتل بينهم بعض قواد الأتراك. وطلب الأتراك بثأر صاحبهم، وقتلوا به من الديلم قائداً أيضاً. وخرجوا إلى ظاهر البلد واجتهد بختيار في تسكين الفتنة فلم يمكنه ذلك. فاستشار الدّيلم فيما يفعله، وكان أذناً يتبع كل قائل، فأشاروا عليه بقبض رؤساء الأتراك لتصفو له البلاد. فأحضروا آزاذرويه، وكاتبه سهل بن بشر، وسباشي الخوارزمي بكتيجور - وكان حما السبكتكين - فحضروا فاعتقلهم، وقيَّدَهم. وأطلق الديلم في الأتراك فنهبوا أموالهم ودوابهم، وقتل بينهم قتلى وهرب الأتراك. واستولى بختيار على أقطاع سبكتكين فأخذه، وأمر فنودِيَ بالبصرة بإباحة دم الأتراك.

ذكر حيلة لبختيار عادت عليه

كان بختيار قد واطأ والدته وإخوته أنه إذا كتب إليهم بالقبض على الأتراك، يظهرون أن بختيار قد مات، ويجلسون للعزاء، فإذا حضر سبكتكين عندهم قبضوا عليه. فلما قبض بختيار على الأتراك كتب إليهم على أجنحة الطيور يعرِّفهم ذلك. فلما وقفوا على الكتب وقع الصراخ في داره وأشاعوا موته ظناً منهم أن سبكتكين يحضر عندهم ساعة يبلغه الخبر. فلما سمع الصُّراخ أرسل يسأل عن الخبر فأعلموه. فأرسل يسأل عن الذي أخبرهم، وكيف أتاهم الخبر، فلم يجد نقلاً يثق القلب به، فارتاب بذلك. ثم وصله رسله الأتراك بما جرى فعلم أن ذلك كان مكيدة عليه. ودعاه الأتراك إلى أن يتآمر عليهم، فتوقف وأرسل إلى أبي اسحاق بن معز الدولة يعلمه أن الحالَ قد انفسد بينه وبين أخيه، فلا يرجى صلاحه، وأنه لا يرى العدول عن طاعةِ مواليه، وإن اساؤوا إليه ويدعوه إلى أن يعقد الأمر له، فعرض قوله على والدته فمنعته. فلما رأى سبكتكين ذلك ركب في الأتراك وحصر دار بختيار يومين، ثم أحرقها ودخلها، وأخذ أبا إسحاق وأبا طاهر ابني معز الدولة، ووالدتهما، ومن كان معهما. فسألوه أن يمكِّنَهُم من الإنحدار إلى واسط، ففعل. وانحدروا، وانحدر معهم المطيع لله في الماء، فانفذ سبكتكين فأعاده وردَّه إلى داره وذلك تاسع ذي القعدة. واستولى على ما كان لبختيار جميعه ببغداد. ونزل الأتراك في دور الدَّيلم، وتتبعوا أموالهم وأخذوها. وثارت العامة من أهل السُّنة ينصرون سبكتكين، لأنه كان يتسنن. فخلع عليهم وجعل لهم العُرفاء والقوّاد فثاروا بالشيعة

وحاربوهم. وسُفِكَتْ بينهم الدماء وأُحرِقَت الكرخ حريقاً ثانياً وظهرت السُّنة عليهم.

ذكر خلع المطيع لله وخلافة الطائع لله

وفي هذه السَّنة منتصف ذي القعدة، خلع المطيع لله، وكان به مرض الفالج، وقد ثقل لسانه وتعذَّرت الحركة عليه، وهو يستر ذلك. فانكشف حاله لسبكتكين هذه الدفعة فدعاه إلى أن يخلع نفسه من الخلافة، ويسلمها إلى ولده الطائع لله ـ واسمه أبو الفضل[1] عبد الكريم ـ ففعل ذلك وأشهد على نفسه بالخلع ثالث عشر ذي القعدة. وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر غير أيام. وبويع للطائع لله بالخلافة واستقرّ أمره.

ذكر الحرب بين المعز لدين الله العلوي والقَرامطة

في هذه السَّنةِ سار القَرامطة ومقدمهم الحسن بن أحمد من الإحساء إلى ديار مصر، فحصرها، ولما سمع المعز لدين الله صاحب مصر بأنه يريد قصد مصر، كتب إليه كتاباً، يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته، وأن الدعوة واحدة وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه وإلى آبائه من قبله، ووعظه وبالغ وتهدده، وسيَّر الكتاب إليه، فكتب جوابه وصل كتابك الذي قل تحصيله، وكَثُر تفضيله، ونحن سائرون إليك على أثره والسلام. وسار حتى وصل إلى مصر فنزل على عين شمس بعسكره، وأنشب القتال وبثَّ السرايا في البلاد ينهبونها فكَثُرت جموعه، وأتاه من العرب خلق كثير. وكان ممن أتاه حسان بن الجراح الطائي أمير العرب بالشام، ومعه جمع عظيم، فلما رأى المعز كثرة جموعه استعظم ذلك وأهمه وتحيَّر في أمره، ولم يقدم على إخراج عسكره لقتاله، فاستشار أهل الرأي من نصحائه فقالوا: «ليس حيلة غير السعي في تفريق كلمتهم، وإلقاء الخلف بينهم ولا يتمُّ ذلك إلّا بابن الجراح». فراسله المعز واستماله وبذل له مائة ألف دينار إن هو خالف علي القرمطي. فأجابه ابن الجراح إلى ما طلب منه. فاستحلفوه، فحلف أنه إذا وصل إليه المال المقرر انهزم بالناس. فأحضروا فلما رأوه استكثروه، فضربوا أكثرها

---

(١) جاء في البداية والنهاية: «واسم الطائع ابو بكر عبد الكريم بن المطيع ابي القاسم». ١١/٣٩٤ ط. دار الكتب العلمية ببيروت

دنانير من صفر، وألبسوها الذهب وجعلوها في أسافل الأكياس، وجعلوا الذهب الخالص على رؤوسها وحُمِل إليه.

فأرسل إلى المعز أن يخرج في عسكره يوم كذا، ويقاتلونه وهو في الجهة الفلانية فإنه ينهزم، ففعل المعز ذلك، فانهزم وتبعه العرب كافة. فلما رآه الحسن القرمطي منهزماً تحيَّر في أمره وثبت، وقاتل بعسكره إلاّ أن عسكر المعز طمعوا فيه وتابعوه الحملات عليه من كل جانب، فأرهقوه، فولّى منهزماً واتبعوا أثره، وظفروا بمعسكره فأخذوا من فيه أسرى، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير. فضُربَتْ أعناقهم، ونُهِبَ ما في المعسكر، وجرَّدَ المعز القائد أبا محمد بن إبراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل، وأمره باتباع القرامطة والإيقاع بهم. فاتبعهم وتثاقل في سيره خوفاً أن ترجع القرامطة إليه؛ وأما هم فإنهم ساروا حتى نزلوا أذرعات وساروا منها إلى بلدهم الإحساء، ويُظهِرُونَ أنهم يعودون.

ذكر ملك المعز دمشق وما كان فيها من الفتن.

لما بلغ المعز إنهزام القرمطي من الشام، وعوده إلى بلاده، أرسل القائد ظالم بن[1] موهوب العقيلي والياً على دمشق، فدخلها وعظم حاله، وكَثُرَتْ جموعهُ، وأمواله وعدته، لأن أبا المنجا وابنه صاحبي القرمطي، كانا بدمشق ومعهما جماعة من القرامطة. فأخذهم ظالم وحبسهم، وأخذ أموالهم وجميع ما يملكونه ثم إن القائد أبا محمودالذي سيَّره المعز يتبع القرامطة، وصل إلى دمشق بعد وصول ظالم إليها بأيام قليلة. فخرج ظالم متلقياً له مسروراً بقدومه لأنه كانمستشعراًمن عود القرمطي إليه، فطلب منه أن ينزل بعسكره بظاهر دمشق، ففعل، وسلّم إليه أبا المنجا وابنه ورجلاً آخر ـ يُعرَفُ بالنابلسي ـ وكان هرب من الرملة وتقرَّبَ إلى القرمطي فأُسِرَ بدمشق أيضاً. فحملهم أبو محمد إلى مصر، فسجن أبو المنجا وابنه، وقيل للنابلسي: أنت الذي قلت لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحداً في الروم، فاعترف فسُلِخ جلده وحُشِيَ تبناً وصلب. ولما نزل أبو محمود بظاهر دمشق، امتدَّت أيدي أصحابه بالعيث والفساد. وقُطِعَ الطريق، فاضطرب الناس وخافوا. ثم إن صاحب الشرطة أخذ

---

(١) البداية والنهاية ١١/٢٩٥.

إنساناً من أهل البلد فقتله. فثار به الغوغاء والأحداث، وقتلوا أصحابه وأقام ظالم بين الرعية يداريهم. وانتزحَ أهلُ القرى منها لشدَّةِ نَهْبِ المغاربة أموالهم، وظلمهم لهم ودخلوا البلد.

فلما كان نصف شوّال من السَّنة وقعت فتنة بين عسكر أبي محمود، وبين العامة وجرى بين الطائفتين قتال شديد، وظالم مع العامة يظهر أنه يريد الإصلاح ولم يكاشف أبا محمود وانفصلوا. ثم إن أصحاب أبي محمود أخذوا من الغوطة قفلاً من حوران وقتلوا منه ثلاثة نفر. فأخذهم أهلوهم وألقوهم في الجامع. فأُغلقَتِ الأسواق، وخاف الناس وأرادوا القتال، فسكنهم عقلاؤهم، ثم إن المغاربة أرادوا نهب قَيْنِيَةَ[1]، واللؤلؤة فوقع الصائح في أهل البلد، فنفروا وقاتلوا المغاربة في السابع عشر ذي القعدة. وركب أبو محمد في جموعه وزحف الناس بعضهم إلى بعض فقوي المغاربة وانهزم العامة إلى سور البلد، فصبروا عنده، وخرج إليهم من تخلف عنهم، وكَثُرَ النشاب على المغاربة فأثخن فيهم فعادوا، فتبعهم العامة، فاضطروهم إلى العود فعادوا وحملوا على العامة فانهزموا. وتبعوهم إلى البلد وخرج ظالم من دار الإمارة، وألقى المغاربة النار في البلد من ناحية باب الفراديس، وأحرقوا تلك الناحية فأخذَت النار إلى القبلة، فاحترقت من البلد كثيراً، وهلك فيه جماعة من الناس، وما لا يُحدُّ من الأثاث والرحال، والأموال وبات الناس على أقبح صورة، ثم إنهم اصطلحوا هم وأبو محمود ثم انتقضوا، ولم يزالوا كذلك إلى ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلاثمائة.

ذكر ولاية جيش بن الصمصامة دمشق

ثم عادت الفتنة في ربيع الآخر سنة أربع وستين وثلاثمائة، وترددوا في الصُّلح، فاستقرَّ الأمر بين القائد أبي محمود، والدمشقيين على إخراج ظالم من البلد، وأن يليه جيش بن الصمصامة ـ وهو ابن أخت أبي محمود ـ واتفقوا على ذلك. وخرج ظالم من البلد، ووليه جيش ابن الصمصامة، وسكنت الفتنة واطمأنَّ الناس. ثم إن المغاربة بعد أيام عاثوا وأفسدوا باب الفراديس، فثار الناس عليهم وقاتلوهم، وقتلوا من لحقوه

---

(١) قينية: بالفتح ثم السكون، وكسر النون وياء خفيفة قرية كانت مقابل الباب الصغير من مدينة دمشق صارت الآن بساتين.

وصاروا إلى القصر الذي فيه جيش، فهرب منه هو ومن معه من الجند المغاربة، ولحق بالعسكر.

فلما كان من الغد ـ وهو أول جُمادى الأولى من السنة ـ زحف جيش في العسكر إلى البلد، وقاتله أهله فظفر بهم، وهزمهم وأحرق من البلد ما كان سلم. ودام القتال بينهم أياماً كثيرة، فاضطرب الناسُ وخافوا، وخُرِّبَت المنازلُ، وانقطعت المواد، وانسدَّت المسالك، وبطل البيع والشراء. وقطع الماء عن البلد فبَطُلَت القنوات والحمامات، ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد. فأتاهم الفرج بعزل أبي محمود.

ذكر ولاية ريّان الخادم دمشق

لما كان بدمشق ما ذكرناه، من القتال والتحريق والتخريب، وصل الخبر بذلك إلى المعز صاحب مصر، فأنكر ذلك واستبشعه واستعظمه. فأرسل إلى القائد ريّان الخادم والي طرابلس، يأمره بالمسير إلى دمشق لمشاهدة حالها، وكشف أمور أهلها، وتعريفه حقيقة الأمر وأن يصرف القائد أبا محمود عنها. فامتثل ريان ذلك، وسار إلى دمشق وكشف الأمر فيها وكتب به إلى المعز، وتقدَّم إلى القائد أبي محمود بالانصراف عنها فسار في جماعة قليلة من العسكر إلى الرملة، وبقي الأكثر منهم مع ريّان وبقي الأمر كذلك إلى أن ولي الفتكين على ما نذكره.

ذكر حال بختيار بعد قبض الأتراك

لما فعل بختيار ما ذكرناه، من قبض الأتراك ظفر بذخيرة لآزاذرويه بجند يسابور، فأخذها. ثم رأى ما فعله الأتراك مع سبكتكين، وإن بعضهم بسواد الأهواز قد عصوا عليه، واضطرب عليه غلمانه الذين في داره وأتاه مشايخ الأتراك من البصرة فعاتبوه على ما فعل بهم، وقال له عقلاء الدَّيلم: «لا بدَّ لنا في الحرب من الأتراك[1] يدفعون عنا بالنشاب». فاضطرب رأي بختيار. ثم أطلق آزاذرويه وجعله صاحب الجيش موضع سبكتكين، وظنّ أن الأتراك يأنسون به ويعدلون عن سبكتكين إليه، وأطلق المعتقلين

---

(١) في تجارب الامم «من فرسان واتراك».

وسار إلى والدته وإخوانه بواسط؛ وكتب إلى عمه ركن الدولة، وإلى ابن عمه عضد الدولة يسألهما أن ينجداه ويكشفا ما نزل به.

وكتب إلى أبي تغلب بن حمدان[١] يطلب منه أن يساعده بنفسه وأنه إذا فعل ذلك أسقط عنه المال الذي عليه. وأرسل إلى عمران بن شاهين بالبطيحة خلعاً، وأسقط عنه باقي المال الذي اصطلحا عليه، وخطب إليه إحدى بناته، وطلب منه أن يسَيِّر إليه عسكراً. فأما ركن الدولة عمه، فإنه جهَّز عسكراً مع وزيره أبي الفتح بن العميد، وكتب إلى ابنه عضد الدولة يأمره بالمسير إلى ابن عـمه، والاجتماع مع ابن العميد. فـأما عضد الدولة، فإنه وعد بالمسير، وانتظر ببختيار الدوائر طمعاً في ملك العراق. وأما عمران بن شاهين فإنه قال: أما إسقاط المال، فنحن نعلم أنه لا أصل له، وقد قبلته. وأما الوصلة فإنني لا أتزوج أحداً إلا أن يكون الذكر من عندي. وقد خطب إليَّ العلويون وهم مـوالينا فمـا أجبتهم إلى ذلـك. وأمـا الخلع والفـرس فـإنني لست ممن يلبس ملبوسكم، وقد قبلها ابني. وأما انفاذ عسكر، فإن رجالي لا يسكنون إليكم لكثرة ما قتلوا منكم. ثم ذكر ما عامله به هو وأبوه مرة بعد أخرى وقال: ومع هذا فلا بد أن يحتاج إلى أن يدخل بيتي مستجيراً بي، والله لا عاملته بضد ما عاملني به، هـو وأبوه، فكان كذلك. وأما أبو تغلب بن حمدان، فإنه أجاب إلى المسارعة، وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان إلى تكريت في عسكر، وانتظر انحدار الأتراك عن بغداد فإن ظفروا ببختيار دخل بغداد مالكاً لها.

فلما انحدر الأتراك عن بغداد سار أبو تغلب إليها ليوجب على بختيار الحجة في إسقاط المال الذي عليه. ووصل إلى بغداد والناس في بلاء عظيم مع العيارين، فحمى البلد وكفَّ أهل الفساد. وأما الأتراك فانهم انحدروا مع سبكتكين إلى واسط، وأخذوا معهم الخليفة الطائع لله، والمطيع أيضاً وهو مخلوع. فلما وصلوا إلى دار العاقول توفي بها المطيع لله، ومرض سبكتكين فمات بها أيضاً فحُمِلا إلى بغداد.

وقدم الأتراك عليهم الفتكين[٢] ـ وهو من أكابر قوادهم وموالي معز الدولة ـ وفرح بختيار بموت سبكتكين، وظنَّ أن أمر الأتراك ينحلُّ وينتشر بمـوته. فلمـا رأى انتظام

(١) في تاريخ ابن خلدون ٣١٨/٤ ـ ٣١٩. «ابو تغلب بن حمدان».
(٢) في النجوم الزاهرة: «الأفتكين».

أمورهم ساءه ذلك. ثم إن الأتراك ساروا إليه ـ وهو بواسط ـ فنزلوا قريباً منه وصاروا يقاتلونه نوائب نحو خمسين يوماً. ولم تزل الحرب بين الأتراك وبختيار متصلة، والظفر للأتراك في كل ذلك، وحصروا بختيار واشتدَّ عليه الحصار واحدقوا به، وصار خائفاً يترقب. وتابع انفاذ الرسل إلى عضد الدولة بالحثِّ والإسراع، وكتب إليه:

فإن كنْتُ مأكولاً فكنْ أنتَ آكلي وإلاّ فادركني ولما امزقِ[1]

فلما رأى عضد الدولة ذلك، وأن الأمر قد بلغ ببختيار ما كان يرجوه، سار نحو العراق نجدة له في الظاهر وباطنه بضد ذلك.

ذكر ملك عضد الدولة عُمان

في هذه السنة إستولى الوزير أبو القاسم المطهِّر بن محمد وزير عضد الدولة على جبال عمان، ومن بها من الشراة في ربيع الأول؛ وسبب ذلك أن معز الدولة لما توفي ـ وبعمان أبو الفرج بن العباس نائب معز الدولة ـ فارقها فتولّى أمرها عمر بن نهبان الطائي، وأقام الدعوة لعضد الدولة. ثم إن الزُّنج غلبت على البلد، ومعهم طوائف من الجند، وقتلوا ابن نهبان الطائي، وأمّروا عليهم إنساناً يُعرفُ بابن حلاج. فسيَّر عضد الدولة جيشاً من كرمان واستعمل عليهم أبا حرب طغان، فساروا في البحر إلى عمان. فخرج أبو حرب من المراكب إلى البر، وسارت المراكب في البحر من ذلك المكان فتوافوا على صحار قصبة عمان. فخرج إليهم الجند والزنج، واقتتلوا قتالاً شديداً في البر والبحر. فظفر أبو حرب، واستولى على صحار، وانهزم أهلها وكان ذلك سنة اثنتين وستين.

ثم إن الزنج اجتمعوا إلى بريم ـ وهو رستاق بينه وبين صحار مرحلتان ـ فسار إليهم أبو حرب فأوقع بهم وقعة أتت عليهم قتلاً واسراً، فاطمأنت البلاد، ثم إن جبال عمان اجتمع بها خلق كثير من الشراة، وجعلوا لهم أميراً اسمه ورد بن زياد، وجعلوا لهم خليفة اسمه حفص بن راشد. فاشتدَّتْ شوكتُهُمْ. فسيَّر عضد الدولة المطهر بن

---

(١) هذا البيت كتب به عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب حين كان محصوراً قبل مقتله.

عبد الله في البحر أيضاً، فبلغ إلى نواحي حرفان من أعمال عمان. فأوقع بأهلها، وأثخن فيهم وأسر.

ثم سار إلى دَما[١] وهي على أربعة أيام من صُحَار[٢]، فقاتل من بها، وأوقع بهم وقعةً عظيمة، قَتَلَ فيها وأَسَرَ كثيراً من رؤسائهم وانهزم أميرهم ورد - وأمامهم حفص - واتبعهم المطهر إلى نزوى - وهي قصبة تلك الجبال - فانهزموا منه فسيَّر إليهم العساكر، فأوقعوا بهم وقعة أتت على باقيهم، وقتل ورد وانهزم حفص إلى اليمن. فصار معلماً وسار المطهر إلى مكان يُعرفُ بالشرف به جمع كثير من العرب نحو عشرة آلاف، فأوقع بهم واستقامت البلاد ودانت بالطاعة، ولم يبقَ فيها مخالف.

ذكر عدة حوادث

وفيها خطب للمعز لدين الله العلوي صاحب مصر بمكة والمدينة في الموسم.

وفيها خرج بنو هلال، وجمع من العرب على الحاج، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وضاق الوقت فبَطُلَ الحج ولم يسلم إلّا من مضى مع الشريف أبي أحمد الموسوي، والد الرضي على طريق المدينة فتمَّ حجهم.

وفيها كانت بواسط زلزلة عظيمة في ذي الحجة.

وفيها توفي عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد الفقيه الحنبلي المعروف بغلام الخلال[٣] وعمره ثمان وسبعون سنة. وإلى آخر هذه السنة انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، وأوله من خلافة المقتدر بالله سنة خمس وتسعين ومائتين.

---

(١) دَمَا: بلدة من نواحي عُمان، كانت من أسواق العرب المشهورة.

(٢) صُحَار: قصبة عُمان مما يلي الجبل وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات.

(٣) قال في طبقات الحنابلة: كان أحد أهل الفهم موثوقاً به في العلم، متسع الرواية مشهوراً بالديانة، موصوفاً بالأمانة مذكوراً بالعبادة، وله المصنفات في العلوم المختلفات، قال ابن تغري بردي. وصنف المصنفات الكبيرة منها كتاب المقنع مائة جزء. وكتاب الكافي مائتي جزء. زاد في الطبقات: الشافي. تفسير القرآن. الخلاف مع الشافعي. كتاب القولين: زاد المسافر. التنبيه. وغير ذلك.

ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة

ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق وقبض بختيار

في هذه السَّنة وصل عضد الدولة واستولى على العراق وقبض بختيار، ثم عاد فأخرجه. وسبب ذلك أن بختيار لما تابع كتبه إلى عضد الدولة يستنجده ويستعين به على الأتراك سار إليه في عساكر فارس واجتمع به ابو الفتح بن العميد وزير أبيه ركن الدولة في عساكر الرّي بالأهواز، وساروا إلى واسط. فلما سَمِعَ الفتكين بخبر وصولهم، رجع إلى بغداد وعزم على أن يجعلها وراء ظهره، ويقاتل على ديالى، ووصل عضد الدولة فاجتمع به بختيار، وسار عضد الدولة إلى بغداد في الجانب الشرقي، وأمر بختيار أن يسير في الجانب الغربي. ولما بلغ الخبر إلى أبي تغلب بقرب الفتكين منه عاد عن بغداد إلى الموصل، لأن أصحابه شغبوا عليه فلم يمكنه المقام، ووصل الفتكين إلى بغداد فحصل محصوراً من جميع جهاته. وذلك أن بختيار كتب إلى ضبة بن محمد الأسدي - وهو من أهل عين التمر وهو الذي هجاه المتنبي - فأمره بالإغارة على أطراف بغداد، وبقطع الميرة عنها. وكتب بمثل ذلك إلى بني شيبان.

وكان أبو تغلب بن حمدان من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ سراياه فغلا السعر ببغداد، وسار العيارون والمفسدون، فنهبوا الناس ببغداد، وامتنع الناس من المعاش لخوفِ الفتنة وعَدَمِ الطعام والقوت بها. وكبس الفتكين المنازل في طلب الطعام. وسار عضد الدولة نحو بغداد فلقيه الفتكين، والأتراك بين ديالى والمدائن، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزم الأتراك، فقُتِلَ منهم خلق كثير. ووصلوا إلى ديالى فعبروا على جسور كانوا عملوها عليه، فغرق منهم أكثرهم من الزحمة، وكذلك قُتِلَ وغرق من العيارين الذين أعانوهم من بغداد، واستباحوا عسكرهم. وكانت الوقعة رابع عشر جُمادى الأولى.

وسار الأتراك إلى تكريت، وسار عضد الدولة فنزل بظاهر بغداد. فلما علم وصول الأتراك إلى تكريت دخل بغداد، ونزل بدار المملكة وكان الأتراك قد أخذوا الخليفة معهم كارهاً فسعى عضد الدولة حتى ردَّه إلى بغداد، فوصلها ثامن رجب في الماء.

وخرج عضد الدولة فلقيه في الماء أيضاً وامتلأت دجلة بالسميريات والزبازب، ولم يبقَ ببغداد أحد، ولو أراد انسان أن يعبر دجلة على السميريات من واحدة إلى أخرى لأمكنه ذلك لكثرتها. وسار عضد الدولة مع الخليفة وأنزله بدار الخلافة. وكان عضد الدولة قد طمع في العراق واستضعف بختيار وإنما خاف أباه ركن الدولة، فوضع جند بختيار على أن يثوروا به، ويشغبوا عليه ويطالبوه بأموالهم والإحسان لأجل صبرهم فقابل الأتراك ففعلوا ذلك، وبالغوا. وكان بختيار لا يملك قليلاً ولا كثيراً، وقد نهب البعض وأخرج هو الباقي والبلاد خراب، فلا تصل يده إلى أخذ شيء منها، وأشار عضد الدولة على بختيار بترك الالتفات إليهم والغلظة لهم وعليهم، وأن لا يَعِدَهُم بما لا يقدر عليه وأن يعرِّفهم أنه لا يريد الإمارة والرياسة عليهم، ووعده أنه إذا فعل ذلك توسط الحال بينهم على ما يريده. فظنَّ بختيار أنه ناصح له مشفق عليه، ففعل ذلك، واستعفى من الإمارة وأغلق باب داره، وصرف كتَّابه وحجَّابه، فراسله عضد الدولة ظاهراً بمحضر من مقدمي الجند يشير عليه بمقاربتهم، وتطييب قلوبهم، وكان أوصاه سراً أن لا يقبل منه ذلك، فعمل بختيار بما أوصاه وقال: لستُ أميراً لهم ولا بيني وبينهم معاملة، وقد برئت منهم، فترددت الرسل بينهم ثلاثة أيام وعضد الدولة يغريهم به والشغب يزيد.

وأرسل بختيار إليه يطلب نجاز ما وعده به، ففرق الجند على عدة جميلة، واستدعى بختيار وإخوته إليه فقبض عليهم ووكَّل بهم وجمع الناس وأعلمهم استعفاء بختيار عن الإمارة عجزاً عنها، ووعدهم الإحسان والنظر في أمورهم، فسكنوا إلى قوله. وكان قبضه على بختيار في السادس والعشرين من جُمادى الآخرة. وكان الخليفة الطائع لله نافراً عن بختيار لأنه كان مع الأتراك في حروبهم، فلما بلغه قبضه سرَّه ذلك، وعاد إلى عضد الدولة فأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان قد نسي وترك. وأمر بعمارة الدار، والإكثار من الآلات، وعمارة ما يتعلق بالخليفة وحماية أقطاعه. ولما دخل الخليفة إلى بغداد، ودخل دار الخلافة أنفذ إليه عضد الدولة مالاً كثيراً وغيره من الأمتعة، والفرش، وغير ذلك.

ذكر عود بختيار إلى ملكه

لما قبض على بختيار كان ولده المرزبان بالبصرة متولياً لها. فلما بلغه قبض والده امتنع فيها على عضد الدولة. وكتب إلى ركن الدولة يشكو ما جرى على والده وعميه من عضد الدولة، ومن أبي الفتح بن العميد، ويذكر له الحيلة التي تمت عليه. فلما سمع ركن الدولة ذلك ألقى نفسه عن سريره إلى الأرض، وتمرّغ عليها وامتنع من الأكل والشرب عدَّةَ أيام ومرض مرضاً لم يستقل منه باقي حياته، وكان محمد بن بقية بعد بختيار قد خدم عضد الدولة، وضمن منه مدينة واسط، وأعمالها. فلما صار إليها خلع طاعة عضد الدولة، وخالف عليه وأظهر الإمتعاض لقبض بختيار، وكاتب عمران بن شاهين وطلب مساعدته، وحذَّره مكر عضد الدولة، فأجابه عمران إلى ما التمس. وكان عضد الدولة قد ضَمِنَ سهل بن بشر وزير الفتكين بلد الأهواز، وأخرجه من حبس بختيار. فكاتبه محمد بن بقية واستماله فأجابه. فلما عصى ابن بقية أنفذ إليه عضد الدولة جيشاً قوياً فخرج إليهم ابن بقية في الماء، ومعه عسكر قد سيَّره إليه عمران، فانهزم أصحاب عضد الدولة أقبح هزيمة.

وكاتب ركن الدولة بحاله وحال بختيار. فكتب ركن الدولة إليه وإلى المرزبان وغيرهما ممن احتمى لبختيار يأمرهم بالثبات والصبر، ويعرِّفهم أنه على المسير إلى العراق لإخراج عضد الدولة، وإعادة بختيار فاضطربت النواحي على عضد الدولة، وتجاسر عليه الأعداء حيث علموا إنكار أبيه عليه. وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق بيده إلاّ قصبة بغداد، وطمع فيه العامة وأشرف على ما يكره. فرأى إنفاذ الفتح بن العميد برسالة إلى أبيه يعرِّفه ما جرى له، وما فرَّق من الأموال. وضَعُفَ بختيار عن حفظِ البلاد، وإنه إن أُعيد إلى حاله خرجت المملكة والخلافة عنهم، وكان بوارهم ويسأله ترك نصرة بختيار، وقال لأبي الفتح: «فإن أجاب إلى ما تريد منه وإلاّ فقل له أنني أضمن منك أعمال العراق وأحملُ إليك منها كل سنة ثلاثين ألف ألف درهم، وأبعث بختيار وأخويه إليك لتجعلهم بالخيار، فإن اختاروا أقاموا عندك، وإن اختاروا بعض بلاد فارس سلّمته إليهم ووسعت عليهم، وإن أحببت أنت أن تحضر في العراق لتلي تدبير الخلافة، وتنفذ بختيار إلى الرّي، وأعود أنا إلى فارس فالأمر إليك». وقال لابن العميد: فإن أجاب إلى ما ذكرت له وإلاّ فقل له: «أيها السِّيد الوالد أنت مقبول الحكم

والقـول، ولكن لا سبيل إلى إطـلاق هؤلاء القوم بعـد مكاشفتهم، وإظهـار العداوة وسيقاتلونني بغاية ما يقدرون عليه فتنتشرُ الكلمة ويختلف أهل هذا البيت أبداً. فإن قبلت ما ذكرته فأنا العبد الطائع، وإن أبيتَ وحكمت بانصرافي، فإني سأقتل بختيار وأخويه وأقبض على كل من أتهمه بالميل إليهم، وأخرجُ عن العراق وأتركُ البلاد سائبة ليدبرها من اتفقت له». فخاف ابن العميد أن يسير بهذه الرسالة، وأشار أن يسير بها غيره، ويسير هو بعد ذلك ويكون كالمشير على ركن الدولة، بإجابته إلى ما طلب. فأرسل عضد الدولة رسولاً بهذه الرسالة وسيّر بعده ابن العميد على الجمازات، فلما حضر الرسول عند ركن الدولة، وذَكَرَ بعض الرسالة، وثب إليه ليقتلَهُ فهرب من بين يديه، ثم ردَّه بعد أن سكن غضبه وقال: قل لفلان ـ يعني عضد الدولة وسماه بغير اسمه وشتمه ـ خرجت إلى نصـرة ابن أخي وللطمع في مملكتـه أما عـرفت أني نصـرت الحسن بن الفيرزان ـ وهو غريب مني ـ مراراً كثيرة أخاطر فيها بملكي، ونفسي فإذا ظفرت أعدْتُ له بلاده، ولم أقبل منه ما قيمته درهم واحـد. ثم نصرت إبـراهيم بن المرزبان وأعدته إلى اذربيجان، ونفذت وزيري وعساكري في نصرتـه، ولم آخذ منه درهماً واحداً، كل ذلك طلباً لحسن الذكر ومحافظة على الفتوة. تريد أن تمن أنت عليّ بدرهمين أنفقتهما أنت علي وعلى أولاد أخي ثم تطمع في ممـالكهم، وتهددني بقتلهم. فعاد الرسول، ووصل ابن العميد فحجبه عنه ولم يسمع حديثه وتهدده بالهلاك وأنفذ إليه يقول له: لأتركنَّكَ وذلك الفاعل ـ يعني عضد الدولة ـ تجتهدان جهدكما ثم لا أخرج إليكما إلا في ثلاثمائة جمازة، وعليها الرجال ثم اثبتوا إليَّ إن شئتم فوالله لاقاتلنكما إلاّ بأقرب الناس إليكما. وكان ركن الدولة يقول: «إنني أرى أخي معز الدولة كل ليلة في المنام يعض على أنامله، ويقول: يا أخي هكذا ضمنت لي أن تخلفني في أهلي وولدي؟».

وكان ركن الدولة يحب أخاه محبة شديدة لأنه رباه فكان عنده بمنزلة الولد. ثم إن الناس سعوا لابن العميد، وتوسَّطوا الحال بينه وبين ركن الدولة وقالوا: إنما تحمل ابن العميد هذه الرسالة ليجعلها طريقاً للخلاص من عضد الدولة، والوصول إليك لتأمرَ بما تراه. فأذِنَ له بالحضور عنده فاجتمع به وضمن له إعادة عضد الدولة إلى فارس وتقرير بختيار بالعراق. فرده إلى عضد الدولة وعرَّفه جلية الحـال، فلما رأى عضـد الدولـة انحراف الأمور عليه من كل ناحية أجاب إلى المسير إلى فارس وإعادة بختيار، فأخرجه

من محبسه وخلع عليه وشرط عليه أن يكون نائباً عنه بالعراق، ويخطب له ويجعل أخاه أبا إسحاق أمير الجيش لضعف بختيار. ورد عليهم عضد الدولة جميع ما كان لهم وسار إلى فارس في شوّال من هذه السنة، وأمر أبا الفتح بن العميد وزير أبيه أن يلحقه بعد ثلاثة أيام. فلما سار عضد الدولة أقام ابن العميد عند بختيار متشاغلاً باللذات وبما بختيار مغرى به من اللعب، واتفقا باطناً على أنه إذا مات ركن الدولة، سار إليه ووزِرَ له. واتصل ذلك بعضد الدولة فكان سبب هلاك ابن العميد على ما نذكره.

واستقرّ بختيار ببغداد ولم يقف لعضد الدولة على العهود. فلما ثبت أمر بختيار أنفذ ابن بقية من خلفه له ، وحضر عنده وأكّد الوحشة بين بختيار وعضد الدولة . وثارت الفتنة بعد مسير عضد الدولة، واستمال ابن بقية الأجناد وجبى كثيراً من الأموال إلى خزانته . وكان إذا طالبه بختيار بالمال وضع الجند على مطالبته، فثقل على بختيار، فاستشار في مكروه يوقعه به، فبلغ ذلك ابن بقية. فعاتب بختيار عليه فأنكره وحلف له فاحترز ابن بقية منه.

ذكر اضطراب كرمان على عضد الدولة وعودها له

في هذه السنة خالف أهل كرمان على عضد الدولة. وسبب ذلك أن رجلاً من الجرومية ـ وهي البلاد الحارة ـ يقال له: طاهر بن الصمّة ضمن من عضد الدولة ضمانات فاجتمع عليه أموال كثيرة فطمع فيها. وكان عضد الدولة قد سار إلى العراق وسيَّر وزيره المطهر بن عبد الله إلى عمان ليستولي عليها، فخلت كرمان من العساكر. فجمع طاهر الرجال الجرومية وغيرهم، فاجتمع له خلق كثير. واتفق أن بعض الأتراك السّامانية ـ واسمه يوزتمر ـ كان قد استوحش من أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور[1] صاحب جيش خراسان للسّامانية، فكاتبه طاهر وأطمعه في أعمال كرمان، فسار إليه واتفقا. وكان يوزتمر هو الأمير، فاتفق أن الرجال الجرومية شغبوا على يوزتمر، فظنّ أن طاهراً وضعهم. فاختلفا واقتتلا، فظفر يوزتمر بطاهر وأسره وظفر بأصحابه.

وبلغ الخبر إلى الحسين بن أبي علي بن إلياس ـ وهو بخراسان ـ فطمع في البلاد

---

(١) في تجارب الامم « محمد بن ابراهيم بن سمجور ».

فجمع جمعاً وسار إليها فاجتمع عليه بها جموع كثيرة. ثم إن المطهر بن عبد الله، إستولى على عمان وجبالها، وأوقع بالشراة فيها وعاد فوصله كتاب عضد الدولة من بغداد يأمره بالمسير إلى كرمان، فسار إليها مجدّاً وأوقع في طريقه بأهل العيث والفساد، وقتلهم وصلبهم ومثّل بهم. ووصل إلى يوزتمر على حين غفلة منه فاقتتلوا بنواحي مدينة بم، فانهزم يوزتمر ودخل المدينة وحصره المطهر في حصنٍ في وسط المدينة. فطلب الأمان فأمنه فخرج إليه ومعه طاهر، فأمر المطهر بطاهر فَشُهِّرَ ثم ضُرِب عنقه، وأما يوزتمر فإنه رفعه إلى بعض القلاع، فكان آخر العهد به وسار المطهر إلى الحسين بن إلياس فرأى كثرة من معه فخاف جانبهم، ولم يجدْ من اللقاء بداً، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الحسينِ على باب جيرفت وانهزم عسكره فمنعهم سور المدينة من الهرب، فَكَثُرَ فيهم القتل، وأُخِذ الحسين أسيراً وأُحضِرَ عند المطهر فلم يعرف له بعد خبر. وصلحت كرمان لعضد الدولة.

ذكر ولاية الفتكين دمشق وما كان منه إلى أن مات

قد ذكرنا ما كان من انهزام الفتكين التركي مولى معز الدولة بن بويه من مولاه بختيار بن معز الدولة ومن عضد الدولة في فتنة الأتراك بالعراق، فلما انهزم منهم سار في طائفة صالحة من الجند الترك، فوصل إلى حمص، فنزل بالقرب منها. فقصده ظالم بن موهوب العقيلي الذي كان أمير دمشق للمعز لدين الله ،ليأخذه فلم يتمكّن من أخذه فعاد عنه.

وسار الفتكين إلى دمشق فنزل بظاهرها، وكان أميرها حينئذ ريان الخادم للمعز. وكان الأحداث قد غلبوا عليها، وليس للأعيان معهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة. فلما نزل خرج أشرافها وشيوخها إليه وأظهروا له السرور بقدومه؛ وسألوه أن يقيم عندهم، ويملك بلدهم ويزيل عنهم سمة المصريين فإنهم يكرهونها لمخالفة الاعتقاد، ولظلم عمالهم، ويكفَّ عنهم شرَّ الأحداث، فأجابهم إلى ذلك، واستحلفهم على الطاعة والمساعدة وحلف لهم على الحماية وكفِّ الأذى عنهم منه ومن غيره. ودخل البلد وأخرج عنه ريان الخادم، وقطع خطبة المعز وخطب للطائع لله في شعبان، وقمع أهل العيث والفساد، وهابه كافة الناس، وأصلح كثيراً من أمورهم. فكانت العرب قد استولت على سواد البلد، وما يتصل به فقصدهم وأوقع بهم، وقتل كثيراً منهم، وأبان

عن شجاعة وقوة نفس وحسن تدبير، فأذعنوا له. وأقطع البلاد وكثر جمعه وتوفرَتْ أمواله وثبت قدمه. وكاتب المعز بمصر يداريه، ويظهر له الانقياد فشكره، وطلب منه أن يحضر عنده ليخلعَ عليه ويعيدَهُ والياً من جانبه، فلم يثق إليه وامتنع من المسير. فتجهَّز المعز وجمع العساكر لقصده، فمرض ومات على ما نذكره سنة خمس وستين وثلاثمائة. وولي بعده ابنه العزيز بالله فأمن الفتكين بموته جهة مصر. فقصد بلاد العزيز التي بساحل الشام فعمد إلى صيدا فحصرها، وبها ابن الشيخ ومعه رؤوس المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي، فقاتلهم وكانوا في كثرة فطمعوا فيه وخرجوا إليه فاستجرَّهم حتى أبعِدوا، ثم عاد عليهم فقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل، وطمع في أخذ عكا، فتوجه إليها وقصد طبرية ففعل فيها من القتل والنهب مثل صيدا وعاد إلى دمشق، فلما سمع العزيز بذلك استشار وزيره يعقوب بن كأس فيما يفعل، فأشار بإرسال جوهر في العساكر إلى الشام فجهَّزه وسيَّره.

فلما سمع الفتكين بمسيره جمع أهل دمشق وقال: « قد علمتم أنني ما وليت أمركم إلّا عن رضا منكم، وطلب من كبيركم وصغيركم لي، وإنما كنت مجتازاً وقد أظلكم هذا الأمر وأنا سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي». فقالوا: « لا نمكنك من فراقنا ونحن نبذل الأنفس والأموال في هواك، وننصرك ونقوم معك ». فاستحلفهم على ذلك. فحلفوا له فأقام عندهم. فوصل جوهر إلى البلد في ذي القعدة من سنة خمس وستين وثلاثمائة فحصره فرأى من قتال الفتكين، ومن معه ما استعظمه. ودامت الحرب شهرين قُتِل فيها عدد كثير من الطائفتين. فلما رأى أهل دمشق طول مقام المغاربة عليهم أشاروا على الفتكين بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي واستنجاده. ففعل ذلك، فسار القرمطي إليه من الإحساء فلما قرب منه رحل جوهر عن دمشق خوفاً أن يبقى بين عدوين، وكان مقامه عليها سبعة أشهر.

ووصل القرمطي واجتمع هو والفتكين، وساروا في أثر جوهر -أدركاه، وقد نزل بظاهر الرملة وسيَّر أثقاله إلى عسقلان، فاقتتلوا فكان جمع الفتكين والقرمطي كثيراً من رجال الشام، والعرب، وغيرهم فكانوا نحو خمسين ألف فارس وراجل. فنزلوا على نهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من البلد ومنه ماء أهل البلد، فقطعوه عنهم، فاحتاج جوهر ومن معه إلى ماء المطر في الصهاريج ـ وهو قليل لا يقوم بهم ـ فرحل إلى عسقلان وتبعه

الفتكين والقرمطي فحصراه بها. وطال الحصار وقلّتْ الميرة، وعُدِمَت الأقوات، وكان الزمان شتاء. فلم يمكن حمل الذخائر في البحر من مصر وغيرها. فاضطروا إلى أكل الميتة، وبلغ الخبز كل خمسة أرطال بالشامي بدينار مصري. وكان جوهر يراسل الفتكين ويدعوه إلى الموافقة والطاعة، ويبذل له البذول الكثيرة فَيَهُمُّ أن يفعل فيمنعه القرمطي ويخوِّفه منه فزادت الشدَّةُ على جوهر، ومن معه فعاينوا الهلاك. فأرسل إلى الفتكين يطلب منه أن يجتمع به فتقدَّم إليه واجتمعا راكبين. فقال له جوهر: « قد عرفت ما يجمعنا من عصمة الإسلام وحرمة الدين، وقد طالت هذه الفتنة وأُرِيقَتْ فيها الدماء ونُهِبَت الأموال، ونحن المؤاخذون بها عند الله تعالى، وقد دعوتك إلى الصلح والطاعة والموافقة وبذلت لك الرغائب، فأبيتَ إلا القبول ممن يشبُّ نار الفتنة، فراقب الله تعالى وراجعْ نفسك، وغلِّب رأيك على هوى غيرك ». فقال الفتكين: « أنا والله واثقٌ بك في صحة الرأي والمشورة منك لكنني غير متمكن مما تدعونني إليه بسبب القرمطي الذي أحوجتني أنت إلى مداراته، والقبول منه ». فقال جوهر: « إذا كان الأمر على ما ذكرت فإنني أصدقك الحال تعويلاً على أمانتك، وما أجده من الفتوة عندك، وقد ضاق الأمر بنا وأريد أن تمنّ علي بنفسي، وبمن معي من المسلمين وتذم لنا وأعود إلى صاحبي شاكراً لك وتكون قد جمعت بين حقن الدماء، واصطناع المعروف؟ فأجابه إلى ذلك وحلف له على الوفاء به، وعاد واجتمع بالقرمطي وعرَّفه الحال فقال: « لقد أخطأت فإنّ جوهراً له رأي وحزم ومكيدة، وسيرجع إلى صاحبه فيحمله على قصدنا بما لا طاقة لنا به. والصواب أن ترجع عن ذلك ليموتوا جوعاً، ونأخذهم بالسيف ». فامتنع الفتكين من ذلك وقال: « لا أغدر به ». وأذِنَ لجوهر ولمن معه بالمسير إلى مصر، فسار إليه واجتمع بالعزيز وشرح له الحال، وقال: إن كنت تريدهم فاخرج إليهم بنفسك، وإلاّ فهم واصلون على أثري. فبرز العزيز وفرَّق الأموال، وجمع الرجال وسار وجوهر على مقدمته. وورد الخبر إلى الفتكين، والقرمطي فعادا إلى الرملة وجمعا العرب وغيرها وحشدا.

ووصل العزيز فنزل بظاهر الرملة ونزلا بالقرب منه. ثم اصطفوا للحرب في المحرم سنة سبع وستين وثلاثمائة فرأى العزيز من شجاعة الفتكين ما أعجبه فأرسل إليه في تلك الحال يدعوه إلى طاعته، ويبذل له الرغائب والولايات وأن يجعله مقدم عسكره والمرجوع إليه في دولته، ويطلب أن يحضر عنده ويسمع قوله. فترجَّل وقبَّل الأرض بين

الصفين وقال للرسول: «قلْ لأمير المؤمنين لو قدم هذا القول لسارعت وأطعت، وأما الآن فلا يمكن إلا ما ترى». وحمل على الميسرة، فهزمها وقتل كثيراً منها. فلما رأى العزيز ذلك حمل من القلب وأمر الميمنة فحملت، فانهزم القرمطي والفتكين ومن معهما. ووضع المغاربة السيف فأكثروا القتل وقتلوا نحو عشرين ألفاً. ونزل العزيز في خيامه وجاءه الناس بالأسرى فكل من أتاه بأسير خلع عليه، وبذل لمن أتاه بالفتكين أسيراً مائة ألف دينار. وكان الفتكين قد مضى منهزَماً، فكظَّه العطش، فلقيه المفرج بن دغفل الطائي وكان بينهما أنس قديم فطلب منه الفتكين ماء فسقاه، وأخذه معه إلى بيته فأنزله وأكرمه وسار إلى العزيز بالله فأعلمه بأسر الفتكين، وطلب منه المال فأعطاه ما ضمنه، وسيَّر معه من تسلم الفتكين منه، فلما وصل الفتكين إلى العزيز لم يشك أنه يقتله لوقته، فرأى من إكرام العزيز له والإحسان إليه ما أعجزه، وأمر له بالخيام، فنصبت وأعاد إليه جميع من كان يخدمه فلم يفقد من حاله شيئاً، وحمل إليه من التحفِ والأموال ما لم يرَ مثله. وأخذه معه إلى مصر وجعله من أخصِّ خدمه وحجّابه. وأما الحسن القرمطي فإنه وصل منهزماً إلى طبرية فأدركه رسول العزيز يدعوه إلى العود إليه ليحسن إليه ويفعل معه أكثر مما فعل مع الفتكين، فلم يرجع. فأرسل إليه العزيز عشرين ألف دينار، وجعلها له كل سنة فكان يرسلها إليه وعاد إلى الإحساء، ولما عاد العزيز إلى مصر أنزل الفتكين عند قصره، وزاد أمره وتحكَّم فتكبَّر على وزيره يعقوب بن كلس وترك الركوب إليه، فصار بينهما عداوة متأكدة فوضع عليه من سقاه سمّاً فمات. فحزن عليه العزيز واتهم الوزير، فحبسه نيفاً وأربعين يوماً، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار. ثم وقفت أمور دولة العزيز باعتزال الوزير، فخلع عليه وأعاده إلى وزارته.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة سار الحجاج إلى سميراء فرأوا هلال ذي الحجة بها، والعادة جارية بأن يرى الهلال بعده بأربعة أيام. وبلغهم أنهم لا يرون الماء إلى غمرة - وهو بها أيضاً قليل - وبينهما نحو عشرة أيام فغدوا إلى المدينة، فوقفوا بها وعادوا فكانوا أول المحرم في الكوفة.

وفيها ظهر بأفريقية كوكب عظيم من جهة المشرق، وله ذؤابة وضوء عظيم فبقي يطلع كذلك نحواً من شهر ثم غاب فلم يُر.

وفيها توفي أبو القاسم عبد السلام بن أبي موسى المخرمي الصوفي نزيل مكة، وكان قد صَحِبَ أبا علي الروذباري، وطبقته، وغيره.

ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة

ذكر وفاة المعز لدين الله العلوي وولاية ابنه العزيز بالله

في هذه السّنة توفي المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله العلوي الحسيني بمصر، وأمه أم ولد؛ وكان موته سابع عشر شهر ربيع الآخر من هذه السنة. وولد بالمهدية من أفريقية حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً. وكان سبب موته أن ملك الروم بالقسطنطينية أرسل إليه رسولاً كان يتردد إليه بأفريقية فخلا به بعض الأيام فقال له المعز: أتذكر إذ أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية. فقلت لك: لتدخلنَّ عليّ وأنا بمصر مالكاً لها؟ قال: نعم قال: وأنا أقول لك لتدخلَّنَ عَليَّ بغداد، وأنا خليفة فقال له الرسول: إن أمنتني على نفسي ولم تغضب قُلْتُ لك ما عندي، فقال له المعز: قُلْ وأنت آمن قال: «بعثني إليك الملك ذلك العام، فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة أصحابك ما كدت أموت منه، ووصلت إلى قصرك فرأيت عليه نوراً عظيماً غطّى بصري، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك، فظننتُك خالقاً. فلو قلت لي: إنك تعرِّج إلى السماء لتحققت ذلك. ثم جئت إليك الآن فما رأيت من ذلك شيئاً، أشرفت على مدينتك فكانت في عيني سوداء مظلمة، ثم دخلت عليك، فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام فقلت: إن ذلك كان أمراً مقبلاً وإنه الآن بضد ما كان عليه». فأطرق المعز، وخرج الرسول من عنده وأخذت المعز الحمى لشدةِ ما وجد، واتصل مرضه حتى مات. وكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، منها مقامه بمصر سنتان وتسعة أشهر والباقي بأفريقية، وهو أول الخلفاء العلويين، ملك مصر وخرج إليها. وكان مغرى بالنجوم ويعمل بأقوال المنجمين، قال له منجمه: إن عليه

قطعاً في وقت كذا، وأشار عليه بعمل سرداب يختفي فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت، ففعل ما أمره، وأحضر قواده فقال لهم: «إن بيني وبين الله عهداً أنا ماضٍ إليه، وقد استخلفْتُ عليكم ابني نزاراً ـ يعني العزيز ـ فاسمعوا له واطيعوا.» ونزل السرداب، فكان أحد المغاربة إذا رأى سحاباً نزل وأومأ بالسلام إليه ظناً منه أن المعز فيه، فغاب سنة ثم ظهر. وبقي مديدة، ومرض، وتوفي، فسَتَرَ ابنه العزيز موته إلى عيد النحر من السنة، فصلّى بالناس وخطبهم، ودعا لنفسه وعزّى بأبيه. وكان المعز عالماً فاضلاً جواداً شجاعاً جارياً على منهاج أبيه من حسن السِّيرة، وإنصاف الرعية وسَتَرَ ما يدعون إليه، إلاّ عن الخاصة. ثم أظهره وأمر الدعاة باظهاره إلاّ أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به؛ ولما استقرَّ العزيز في الملك أطاعه العسكر فاجتمعوا عليه، وكان هو يدبّر الأمور منذ مات أبوه إلى أن أظهره، ثم سَيَّر إلى الغرب دنانير عليها اسمه، فُرِّقَتْ في الناس، وأقرَّ يوسف بلكين على ولاية أفريقية، وأضاف إليه ما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف، وهي طرابلس ـ وسرت واجد ابية،فاستعمل عليها يوسف عمّاله وعظم أمره حينئذ وأمّن ناحية العزيز واستبدّ بالملك وكان يُظهِرُ الطاعة مجاملة ومراقبة لا طائل وراءها.

ذكر حرب يوسف بلكين مع زناتة وغيرها بأفريقية

في هذه السّنة جمع خزرون بن فلفول بن خزر الزناتي جمعاً كبيراً، وسار إلى سُجلماسة فلقيه صاحبها في رمضان، فقتله خزرون وملك سُجلماسة، وأخذ منها من الأموال والعدد شيئاً كثيراً، وبعث برأس صاحبها إلى الأندلس وعَظُمَ شأن زناتة واشتدَّ ملكهم. وكان بلكين عند سبتة، وكان قد رحل إلى فاس وسُجلماسة وأرض الهبط، وملكه كله، وطرد عنه عمال بني أمية، وهربت زناتة منه فلجأ كثير منهم إلى سبتة ـ وهي للأموي صاحب الأندلس ـ وكان في طريقه شعارى مشتبكة ولا تسلك. فأمر بقطعها وإحراقها فقُطِعَتْ وأُحرِقَتْ حتى صارت للعسكر طريقاً. ثم مضى بنفسه حتى أشرف على سبتة من جبل مطلٍ عليها، فوقف نصف نهار لينظرَ، من أي جهة يحاصرها، ويقاتلها، فرأى أنها لا تؤخذ إلاّ بأسطول، فخافه أهلها خوفاً عظيماً. ثم رجع عنها نحو البصرة ـ وهي مدينة حسنة تُسمّى بصرة في المغرب ـ فلما سَمِعَتْ به زناتة رحلوا لى أقاصي الغرب في الرمال والصحاري هاربين منه. فدخل يوسف البصرة، وكانت قد عمرها صاحب الأندلس عمارة عظيمة فأمر بهدمها ونهبها. ورحل إلى بلد برغواطة،

وكان ملكهم عبس ابن أم الأنصار، وكان مشعبذاً ساحراً وادّعى النبوة فأطاعوه في كل ما أمرهم به، وجعل لهم شريعة فغزاه بلكين، وكانت بينهم حروب عظيمة لا توصف كان الظفر في آخرها لبلكين.

وقتل الله عبس ابن أم الأنصار وهزم عساكره، وقتلوا قتالاً ذريعاً وسبى من نساءهم وأبنائهم ما لا يُحصى وسيّره إلى أفريقية، فقال أهل أفريقية: إنه لم يدخل إليهم من السبي مثله قط. وأقام يوسف بلكين بتلك الناحية قاهراً لأهلها وأهل سبتة منه خائفون وزناتة هاربون في الرمال إلى سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

ذكر حصر كستة وغيرها.

في هذه السَّنة سار أمير صقلية وهو أبو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين في عساكر المسلمين ومعه جماعة من الصالحين، والعلماء فنازل مدينة مسيني في رمضان. فهرب العدوّ عنها وعدى المسلمون إلى كسنتة، فحصروها أياماً فسأل أهلها الأمان، فأجابهم إليه. وأخذ منهم مالاً ورحل عنها إلى قلعة جلوا. ففعل كذلك بها وبغيرها ، وأمر أخاه القاسم أن يذهب بالأسطول إلى ناحية بربولة. ويبث السرايا في جميع قلورية ، ففعل ذلك. فغنم غنائم كثيرة، وقتل وسبى وعاد هو وأخوه إلى المدينة.

فلما كان سنة ست وستين وثلاثمائة أمر أبو القاسم بعمارة رمطة، وكانت قد خرِّبَتْ قبل ذلك، وعاود الغزو وجمع الجيوش. وسار، فنازل قلعة إغاثة فطلب أهلها الأمان فأمّنهم وسلَّموا إليه القلعة بجميع ما فيها. ورحل إلى مدينة طارنت، فرأى أهلها قد هربوا منها. وأغلقوا أبوابها، فصعد الناس السور، وفتحوا الأبواب ودخلها الناس، فأمر الأمير بهدمها. فهُدِمَتْ وأُحْرِقَتْ وأرسل السرايَا فبلغوا أذرنت وغيرها. ونزل هو على مدينة عردلية، فقاتلها. فبذل أهلها له مالاً صالحهم عليه وعاد إلى المدينة.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة خطب للعزيز العلوي بمكة حرسها الله تعالى. بعد أن أرسل جيشاً إليها فحصروها، وضيَّقوا على أهلها ومنعوهم الميرة، فغلت الأسعار بها، ولقي أهلها شدة شديدة.

وفيها أقام بسيلس بن أرمانوس ملك الروم وردا المعروف بسقلاروس دمستقا. فلما استقرَّ في الولاية استوحش من الملك فعصى عليه واستظهر بأبي تغلب بن حمدان، وصاهره، ولبِسَ التاج، وطلب الملك.

وفيها توفي أبو أحمد بن عدي الجرجاني في جُمادى الآخرة وهو إمام مشهور[١]، ومحمد بن بدر الكبير الحمامي غلام ابن طولون، وكان قد وُلي فارس بعد أبيه[٢].

وفيها في ذي القعدة توفي ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي، صاحب التاريخ[٣].

---

(١) ويعرف ايضاً بابن القطان صاحب كتاب ـ الكامل في الجرح والتعديل ـ وهو كامل في بابه كما سمي، كان احد ائمة الأعلام واركان الاسلام ولد سنة سبع وسبعين ومائتين وطاف البلاد في طلب العلم وسمع الكبار والف أيضاً كتاب الانتصار على مختصر المزني.

(٢) كنيته أبو بكر كان والده بدر الحمامي. مولى احمد بن طولون وكان أميراً على فارس فمات فقام ولده هذا بعده قال ابو نعيم: ثقة، وقال ابن الفرات: كان له مذهب في الرفض.

(٣) كان طبيباً فاضلاً خدم الخليفة الراضي بالله العباسي ثم المتقي لله، والمستكفي، والمطيع. وكان ثقة فريداً في وقته ألف تاريخاً ذكر فيه ما كان في أيامه ابتداه بسنة ٢٩٥ هجرية وختم بوفاته كما قال المصنف قبل. وله كتاب في أخبار الشام ومصر وهو خال هلال بن محسن الصابي ترجمه ياقوت فى معجمه.

ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة

ذكر وفاة ركن الدولة وملك عضد الدولة

في هذه السّنة في المحرم توفي ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه، واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة. وكان ابتداء مرضه حين سمع بقبض بختيار ابن أخيه معز الدولة، وكان ابنه عضد الدولة قد عاد من بغداد بعد أن أطلق بختيار على الوجه الذي ذكرناه. وظهر عند الخاص والعام غضب والده عليه. فخاف أن يموت أبوه وهو على حال غضبه ـ فيختل ملكه وتزول طاعته ـ فأرسل إلى أبي الفتح بن العميد وزير والده يطلب منه أن يتوصل مع أبيه، وإحضاره عنده وأن يعهد إليه بالملك بعده، فسعى أبو الفتح في ذلك، فأجابه إليه ركن الدولة. وكان قد وجد في نفسه خفة، فسار من الرّي إلى أصبهان، فوصلها في جُمادى الأولى سنة خمس وستين وثلاثمائة وأحضر ولده عضد الدولة من فارس، وجمع عنده أيضاً سائر أولاده بأصبهان، فعمل أبو الفتح بن العميد دعوة عظيمة حضرها ركن الدولة، وأولاده، والقواد، والأجناد. فلما فرغوا من الطعام عهد ركن الدولة إلى ولده عضد الدولة بالملك بعده. وجعل لولده فخر الدولة أبي الحسن على همذان وأعمال الجبل، ولولده مؤيد الدولة أصبهان وأعمالها، وجعلهما في هذه البلاد بحكم أخيهما عضد الدولة. وخلع عضد الدولة على سائر الناس ذلك اليوم الأقبية والأكسية على زيّ الديلم وحياه القواد وإخوته بالريحان على عادتهم مع ملوكهم، وأوصى ركن الدولة أولاده بالاتفاق، وترك الاختلاف وخلع عليهم. ثم سار عن أصبهان في رجب نحو الري، فدام مرضه إلى أن توفي. فأصيب به الدين والدنيا جميعاً لاستكمال جميع خلال الخير فيه. وكان عمره قد زاد على سبعين سنة. وكانت إمارته أربعاً وأربعين سنة.

ذكر بعض سيرته

كان حليماً، كريماً، واسع الكرم، كثير البذل، حسن السياسة لرعاياه وجنده، رؤوفاً بهم عادلاً في الحكم بينهم. وكان بعيد الهمة، عظيم الجد والسعادة، متحرجاً من الظلم، مانعاً لأصحابه منه، عفيفاً عن الدماء يرى حقنها واجباً إلا فيما لا بد منه. وكان يحامي على أهل البيوتات، وكان يجري عليهم الأرزاق ويصونهم عن التبذل. وكان يقصد المساجد الجامعة في أشهر الصيام للصلاة وينتصب لردِّ المظالم، ويتعهد العلويين بالأموال الكثيرة، ويتصدق بالأموال الجليلة على ذوي الحاجات. ويلين جانبه للخاص والعام. قال له بعض أصحابه في ذلك، وذكر له شدة مرداويج على أصحابه فقال: انظر كيف اخترم، ووثب عليه أخص أصحابه به وأقربهم منه لعنفه وشدته. وكيف عمرت وأحبني الناس للين جانبي. وحُكِيَ عنه، أنه سار في سفر، فنزل في خركاة قد ضربت له قبل أصحابه، وقُدِّمَ إليه طعام فقال لبعض أصحابه: لأي شيء، قيل في المثل: خير الأشياء في القرية الإمارة؟ فقال صاحبه: لقعودك في الخركاة، وهذا الطعام بين يديك وأنا لا خركاة، ولا طعام. فضحك وأعطاه الخركاة والطعام. فانظر إلى هذا الخلق ما أحسنه وما أجمله. وفي فعله في حادثة بختيار ما يدل على كمال مروءته وحسن عهده، وصلته لرحمه رضي‌الله عنه وأرضاه، وكان له حسن عهد، ومودة، وإقبال.

ذكر مسير عضد الدولة إلى العراق

في هذه السنة تجهَّز عضد الدولة، وسار يطلب العراق لما كان يبلغه عن بختيار وابن بقية من استمالة أصحاب الأطراف كحسنويه الكردي، وفخر الدولة بن ركن الدولة، وأبي تغلب بن حمدان وعمران بن شاهين، وغيرهم والاتفاق على معاداته، ولما كان يقولانه من الشتم القبيح له. ولما رأى من حسن العراق، وعظم مملكته إلى غير ذلك. وانحدر بختيار إلى واسط على عزم محاربة عضد الدولة وكان حسنويه وعده أنه يحضر بنفسه لنصرته، وكذلك ابو تغلب بن حمدان فلم يفِ له واحد منهما. ثم سار بختيار إلى الأهواز ـ أشار بذلك ابن بقية . وسار عضد الدولة من فارس نحوهم فالتقوا في ذي القعدة، واقتتلوا. فخامر على بختيار بعض عسكره، وانتقلوا إلى عضد الدولة فانهزم بختيار وأخذ ماله ومال ابن بقية، ونُهِبَت الأثقال وغيرها. ولما وصل بختيار إلى

واسط، حمل إليه ابن شاهين صاحب البطيحة مالاً، وسلاحاً، وغير ذلك من الهدايا النفيسة ، ودخل بختيار إليه فأكرمه، وحمل إليه مالاً جليلاً واعلاقـاً نفيسة. وعجِبَ الناس من قول عمران: أن بختياراً سيدخل منزلي وسيستجير بي فكان كما ذكر. ثم اصعد بختيار إلى واسط.

وأما عضد الدولة فإنه سير إلى البصرة جيشاً فملكوها. وسبب ذلك أن أهلهـا اختلفوا، وكانت مضر تهوى عضد الدولة، وتميل إليه لأسباب قررها معهم، وخالفتهم ربيعة ومالت إلى بختيار، فلما انهزم ضعفوا وقويت مضر. وكاتبوا عضد الدولة وطلبوا منه إنفاذ جيش إليهم، فسيَّر جيشاً تسلَّم البلد، وأقام عندهم. وأقـام بختيار بـواسط وأحضر ما كان له ببغداد، والبصرة من مال وغيره، ففرَّقه في أصحابه. ثم أنه قبض على ابن بقية لأنه أطرحه واستبدَّ بالأمور دونه وجبى الأموال إلى نفسه، ولم يوصل إلى بختيار منها شيئاً. وأراد أيضاً التقرُّبَ إلى عضد الدولة بقبضه لأنه هو الذي كان يفسد الأحوال بينهم. ولما قبض عليه أخذ أمواله ففرقها. وراسل عضد الدولة في الصلح، وتردَّدَت الرُّسل بذلك. وكان أصحاب بختيار يختلفون عليه فبعضهم يشير به وبعضهم ينهى عنه. ثم إنه أتاه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه في نحو ألف فارس معونة له، فلما وصلا إليه أظهر المقام بواسط. ومحاربة عضد الدولة. فاتصل بعضد الدولة أنه نقض الشرط. ثم بدا لبختيار في المسير، فسار إلى بغداد فعاد عنه ابنا حسنويه إلى أبيهمـا. وأقام بختيار ببغداد، وانقضت السنة وهو بها. وسار عضد الدولة إلى واسط ثم سار منها إلى البصرة فأصلح بين ربيعة ومضر، وكانوا في الحروب والاختلاف نحو مائـة وعشرين سنة. ومن عجيب ما جرى لبختيار في هذه الحادثة أنه كان له غلام تركي يميل إليه فأخذ في جملة الأسرى، وانقطع خبره عن بختيار، فحزن لذلك وامتنع من لذاته والاهتمام بما رفع إليه من زوال ملكه وذهاب نفسه حتى قال على رؤوس الاشهاد: «إن فجيعتي بهذا الغلام أعظم من فجيعتي بذهاب ملكي». ثم سمع أنه في جملة الأسرى، فأرسل إلى عضد الدولة يبذل له ما أحبَّ في ردِّه إليه[1] فأعاده عليه. وسارت هذه الحادثة عنه، فازداد فضيحة وهواناً عند الملوك وغيرهم.

---

(١) في النجوم الزاهرة « وبذل لعضد الدولة في الغلام المذكور جاريتين عوادتين كان قد بذل له في الواحدة مائة الف درهم ».

ذكر وفاة منصور بن نوح وملك ابنه نوح

في هذه السّنة مات الأمير منصور بن نوح صاحب خراسان وما وراء النهر منتصف شوّال. وكان موته ببُخارى، وكانت ولايته خمس عشرة سنة. وولي الأمر بعده ابنه ابو القاسم نوح. وكان عمره حين ولي الأمر ثلاث عشرة سنة، ولقِّبَ بالمنصور.

ذكر وفاة القاضي منذر البلوطي

في هذه السّنة في ذي القعدة مات القاضي منذر بن سعيدالبلوطي أبو الحاكم قاضي قضاة الأندلس. وكان إماماً، فقيهاً، خطيباً، شاعراً، فصيحاً، ذا دين متين. دخل يوماً على عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس بعد أن فرغ من بناء الزهراء، وقصورها وقد قعد في قبة مزخرفة بالذّهب والبناء البديع الذي لم يسبق إليه ومعه جماعة من الأعيان. فقال عبد الرحمن الناصر: هل بلغكم أن أحداً بنى مثل هذا البناء؟ فقالت له الجماعة: لم نرَ ولم نسمعْ بمثله. وأثنوا وبالغوا، والقاضي مطرق. فاستنطقه عبد الرحمن فبكى القاضي، وانحدرت دموعه على لحيته، وقال: «والله ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله تعالى يبلغ منك هذا المبلغ ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما أتاك الله، وفضلك به حتى أنزلك منازل الكافرين». فقال له عبد الرحمن: انظرْ ما تقول، وكيف أنزلني منزل الكافرين؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً ـ إلى قوله ـ والآخرة عند ربك للمتقين﴾[1] فوجم عبد الرحمن وبكى وقال: جزاك الله خيراً وأكثر في المسلمين مثلك. وأخبار هذا القاضي كثيرة حسنة جداً، منها أنه قحط الناس، وأرادوا الخروج للاستسقاء. فأرسل إليه عبد الرحمن يأمره بالخروج فقال القاضي للرسول: يا ليت شعري ما الذي يصنعه الأمير يومنا هذا؟ فقال: ما رأيته قط أخشع منه الآن قد لبس خشن الثياب وافترش التراب، وجعله على رأسه، ولحيته، وبكى واعترف بذنوبه ويقول: هذه ناصيتي بيدك أتراك تعذب هذا الخلق لأجلي؟ فقال القاضي: يا غلام احملْ الممطر معك، فقد أذن الله بسقيانا إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء. فخرج واستسقى بالناس فلما صعد المنبر، ورأى الناس قد شخصوا إليه بأبصارهم قال: ﴿سلام عليكم كتب ربكم على

---

(١) سورة الزخرف ٣٣ ـ ٣٥.

نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح ﴾[1] الآية وكررها فضج الناس بالبكاء والتوبة وتمم خطبته فسقي الناس .

ذكر القبض على أبي الفتح بن العميد

في هذه السّنة قبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العميد وزير أبيه، وسمل عينه الواحدة وقطع أنفه. وكان سبب ذلك أن أبا الفتح لما كان ببغداد مع عضد الدولة على ما شرحناه، وسار عضد الدولة نحو فارس تقدم إلى أبي الفتح بتعجيل المسير عن بغداد إلى الري، فخالفه وأقام وأعجبه المقام ببغداد، وشرب مع بختيار، ومال في هواه واقتنى ببغداد أملاكاً ودوراً على عزم العود إليها إذا مات ركن الدولة، ثم صار يكاتب بختِيار بأشياء يكرهها عضد الدولة. وكان له نائب يعرضها على بختيار، فكان ذلك النائب يكاتب بها عضد الدولة ساعة فساعة. فلما ملك عضد الدولة بعد موت أبيه كتب إلى أخيه فخر الدولة بالرّي يأمره بالقبض عليه وعلى أهله، وأصحابه ففعل ذلك. وانقلع بيت العميد على يده كما ظنه أبوه أبو الفضل. وكان أبو الفتح ليلة قبض، وقد أمسى مسروراً فأحضر الندماء والمغنين وأظهر من الآلات الذهبية، والزجاج المليح، وأنواع الطيب ما ليس لأحد مثله وشربوا. وعمل شعراً وغُنّي له فيه وهو:

دعوتُ المنى ودعوتُ العلا ... فلما أجابا دعوتُ القدح
وقلت لأيام شرخِ الشبابِ ... إلي فهذا أوان الفرح
إذا بلغ المرء وآماله ... فليس له بعدها مقترح

فلما غنّى في الشعر استطابه وشرب عليه إلى أن سكر، وقام وقال لغلمانه: اتركوا المجلس على ما هو عليه لنصطبح غداً وقال لندمائه: بكروا إلي غداً لنصطبح ولا تتأخروا. فانصرف الندماء ودخل هو إلى بيت منامه. فلما كان السحر دعاه مؤيد الدولة، فقبض عليه وأرسل إلى داره فأخذ جميع ما فيها ومن جملته ذلك المجلس بما فيه.

ذكر وفاة الحاكم وولاية ابنه هاشم

وفي هذه السّنة توفي الحاكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن المستنصر بالله الأموي صاحب الأندلس. وكانت إمارته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وعمره ثلاثاً وستين سنة وسبعة أشهر. وكان أصهب، أعين، أقنى،

---

(١) سورة الأنعام ٥٤.

عـظيم الصوت، ضخم الجسم، أفقم. وكـان محباً لأهـل العلم، عالمـاً فقيهـاً في المذاهب، عالماً بالأنساب والتواريخ، جمّاعاً للكتب[١] والعلماء مكرماً لهم محسناً إليهم. أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم. ولما توفي ولي بعده ابنه هشام بعهد أبيه وله عشر سنين ولقّب المؤيد بالله. واختلفت البلاد في أيامه وأخذ وحُبِسَ ثم عاد إلى الإمارة: وسببه أنه لما ولي المؤيد تحجب له المنصور أبو عامـر محمد بن أبي عامر المعافري وابناه المظفر والناصر. فلما حجب له أبو عامر حجبه عن الناس فلم يكن أحداً يراه، ولا يصل إليه. وقام بأمر دولته القيام المرضي، وعدل في الرعية وأقبلت الدنيا إليه واشتغل بالغزو، وفتح في بلاد الأعداء كثيراً وامتـلأت بلاد الأنـدلس بالغنـائم ، والرقيق، وجعـل أكثر جنـده منهم كواضـح الفتي، وغيـره من المشهوريـن، وكانوا يعرفون بالعامريين. وأدام الله له الحال ستاً وعشرين سنة غزا فيها اثنتين وخمسين غزاة ما بين صائفة وشاتية. وتوفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة. وكان حازماً. قوي العزم، كثير العدل والإحسان، حسن السياسة. فمن محاسن أعماله أنه دخل بلاد الفرنج غازياً فجاز الدرب إليها ـ وهو مضيق بين جبلين ـ وأوغـل في بلاد الفرنج يسبي ويخرِّب ويغنم. فلما أراد الخـروج رآهم قد سـدُّوا الدرب وهم عليـه يحفظونه من المسلمين. فأظهر أنه يريد المقام في بلادهم وشرع هو وعسكره في عمارة المساكن، وزرع الغلّات، وأحضروا الحطب، والتين والميرة، وما يحتاجون إليه. فلما رأوا عزمه على المقام مالوا إلى السلم، فراسلوه في ترك الغنائم والجـواز إلى بلاده فقال: أنا عازم على المقام فتركوا له الغنائم فلم يجبهم إلى الصُّلح، فبذلوا له مالاً ودواب تحمل له ما غنمه من بلادهم، فأجابهم إلى الصُّلح وفتحوا له الدرب فجاز إلى بلاده. وكان أصله من الجزيرة الخضراء وورد شاباً إلى قرطبة طالباً للعلم، والأدب، وسماع الحديث فبرع فيها وتميز. ثم تعلّق بخدمة صبح والـدة المؤيد وعـظم محله عندها. فلما مات الحاكم المستنصر كان المؤيد صغيراً فخِيفَ على الملك أن يختلّ فضمن لصبح سكون البلاد وزوال الخوف. وكان قوي النفس وساعدته المقادير وأمدته الأمراء بالأموال، فاستمال العساكر وجرت الأمور على أحسن نظام، وكانت أمه تميمية وأبوه معافري ـ بطن من حمير.

---

(١) في شذرات الذهب « محباً للعلم مشغوفاً بجمع الكتب والنظر فيها بحيث أنه جمع منها ما لم يجمعه أحد قبله ولا جمعه أحد بعده حتى ضاقت خزائنه عنها » ٣/٥٥ ـ ٥٦.

فلما توفي ولي بعده ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر، فسار كسيرة أبيه وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. فكانت ولايته سبع سنين. وكان سبب موته أن أخاه عبد الرحمن سمه في تفاحة قطعها بسكين كان قد سم أحد جانبيها فناول أخاه ما يلي الجانب المسموم، وأخذ هو ما يلي الجانب الصحيح، فأكله بحضرته فاطمأن المظفر وأكل ما بيده منها فمات. فلما توفي ولي بعده أخوه عبد الرحمن الملقب بالناصر، فسلك غير طريق أبيه وأخيه، وأخذ في المجون، وشرب الخمور، وغير ذلك. ثم دسَّ إلى المؤيد من خوفه منه إن لم يجعله ولي عهده ففعل ذلك، فحقد الناس وبنو أمية عليه ذلك وأبغضوه وتحركوا في أمره إلى أن قتل. وغزا شاتية، وأوغل في بلاد الجلالقة، فلم يقدم ملكها على لقائه وتحصَّن منه في رؤوس الجبال، ولم يقدر عبد الرحمن على اتباعه لزيادة الأنهار وكثرةِ الثلوج، فأثخن في البلاد التي وطئها، وخرج موفوراً. فبلغه في طريقه ظهور محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله بقرطبة واستيلاؤه عليها، وأخذه المؤيد أسيراً فتفرّق عنه عسكره، ولم يبقَ معه إلاّ خاصته. فسار إلى قرطبة ليتلافى ذلك الخطب، فخرج إليه عسكر محمد بن هشام، فقتلوه وحملوا رأسه إلى قرطبة فطافوا به. وكان قتله سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ثم صلبوه.

ذكر ظهور محمد بن هشام بقرطبة

وفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ظهر بقرطبة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي ومعه اثنا عشر رجلاً فبايعه الناس. وكان ظهوره سلخ جمادى الآخرة، وتلقَّب بالمهدي بالله وملك قرطبة، وأخذ المؤيد فحبسه معه في القصر، ثم أخرجه وأخفاه، وأظهر أنه مات. وكان قد مات إنسان نصراني يشبه المؤيد، فأبرزه للناس في شعبان من هذه السنة وذكر لهم أنه المؤيد فلم يشكوا في موته وصلّوا عليه ودفنوه في مقابر المسلمين. ثم إنه أظهره على ما نذكره، وأكذب نفسه. فكانت مدة ولاية المؤيد هذه إلى أن حُبِسَ ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر. ونقم الناس على ابن عبد الجبار أشياء، منها أنه كان يعمل النبيذ في قصره فسموه نباذا؛ ومنها فعله بالمؤيد، وإنه كان كذاباً متلوناً مبغضاً للبربر، فانقلب الناس عليه.

ذكر خروج هشام بن سُليمان عليه

لما استوحش أهل الأندلس من ابن عبد الجبار وأبغضوه قصدوا هشام بن

سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله فأخرجوه من داره وبايعوه فتلقب بالرشيد وذلك لأربع بقين من شوّال سنة تسع وتسعين. واجتمعوا بظاهر قرطبة وحصروا ابن عبد الجبار. وترددت الرسل بينهم ليخلع ابن عبد الجبار من الملك على أن يؤمنه وأهله وجميع أصحابه. ثم إن ابن عبد الجبار جمع أصحابه وخرج إليهم فقاتلهم فانهزم هشام وأصحابه، وأخذ هشام أسيراً فقتله ابن عبد الجبار، وقتل معه عدة من قواده، واستقر امر ابن عبد الجبار، وكان عمّ هشام.

ذكر خروج سُليمان عليه أيضاً

ولما قتل ابن عبد الجبار هشام بن سُليمان بن الناصر، وانهزم أصحابه انهزم معهم سُليمان بن الحاكم بن سليمان بن الناصر ـ وهو ابن أخي هشام المقتول ـ فبايعه أصحاب عمه، وأكثرهم البربر بعد الوقعة بيومين، ولقبوه المستعين بالله. ثم لقب بالظاهر بالله، وساروا إلى النصارى فصالحوهم واستنجدوهم. فانجدوهم وساروا معهم إلى قرطبة فاقتتلوا هم وابن عبد الجبار بقنتيج ـ وهي الوقعة المشهورة ـ غزوا فيها وقتل ما لا يُحصى فانهزم ابن عبد الجبار وتحصَّنَ بقصر قرطبة، ودخل سليمان البلد وحصره في القصر. فلما رأى ابن عبد الجبار ما نزل به أظهر المؤيد ظناً منه أن ينخلع هو وسليمان ويرجع الأمر إلى المؤيد فلم يوافقه أحد ظناً منهم أن المؤيد قد مات. فلما أعياه الأمر احتال في الهرب، فهرب سراً واختفى. دخل سليمان القصر وبايعه الناس بالخلافة في شوّال سنة أربعمائة، وبقي بقرطبة أياماً. وكان عدة القتلى بقنتيج[1] نحو خمسة وثلاثين ألفاً. وأغار البربر والروم على قرطبة، فنهبوا وسبوا وأسروا عدداً عظيماً.

ذكر عود ابن عبد الجبار
وقتله وعَوْدُ المؤيد

لما اختفى ابن عبد الجبار سار سراً إلى طليطلة وأتاه واضح الفتى العامري في أصحابه، وجمع له النصارى، وسار بهم إلى قرطبة فخرج إليهم سليمان، فالتقوا

---

(١) لم يذكر هذا الاسم في معجم البلدان لياقوت والذي فيه « قنتبش » بالشين المعجمة قال: هو اسم جبل عند وادي الحجارة من اعمال طليطلة.

بقرب عقبة البقر، واقتتلوا أشدّ قتال. فانهزم سُليمان ومن معه منتصف شوّال سنة أربعمائة. ومضى سُليمان إلى شاطبة ودخل ابن عبد الجبار قرطبة، وجدد البيعة لنفسه وجعل الحجابة لواضح وتصرف بالاختيار. ثم إن جماعة من الفتيان العامريين منهم عنبر، وخيرون، وغيرهما، كانوا مع سُليمان فأرسلوا إلى ابن عبد الجبار يطلبون قبول طاعتهم، وأن يجعلهم في جملة رجاله فأجابهم إلى ذلك. وإنما فعلوا ذلك مكيدة به ليقتلوه. فلما دخلوا قرطبة استمالوا واضحاً فأجابهم إلى قتله.

فلما كان تاسع ذي الحجة سنة أربعمائة اجتمعوا في القصر فملكوه وأخذوا ابن عبد الجبار أسيراً وأخرجوا المؤيد بالله، فأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه، وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه، فعدد ذنوبه عليه ثم قُتِلَ وطِيفَ برأسه في قرطبة، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وأمه أم ولد. وكان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث متأخرة، وإنما قدمناها لتعلق بعضها ببعض ولأن كل واحد منهم ليس له من طول المدة ما تؤخر أخباره وتفرق.

ذكر عود أبي المعالي بن سيف الدولة إلى ملك حلب

في هذه السّنة عاد أبو المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان إلى ملك حلب. وكان سببه أن قرعويه لما تغَلّب عليها، أخرج منها مولاه أبا المعالي، كما ذكرناه سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، فسار أبو المعالي إلى والدته بميافارقين ثم أتى حماة ـ وهي له ـ فنزل بها وكانت الروم قد خربت حمص وأعمالها ـ وقد ذكر أيضاً ـ فنزل إليه يارقتاش مولى أبيه ـ وهو بحصن برزوية ـ وخدمه وعمر له مدينة حمص، فكَثُرَ أهلها. وكان قرعويه قد استناب بحلب مولى له اسمه بكجور فقوي بكجور واستفحل أمره، وقبض على مولاه قرعويه، وحبسه في قلعة حلب، وأقام بها نحو ست سنين. فكتب من بحلب من أصحاب قرعويه إلى أبي المعالي بن سيف الدولة ليقصدَ حلب ويملكها، فسار إليها وحصرها أربعة أشهر، وملكها. وبقيت القلعة بيد بكجور، فترددت الرُّسل بينهما، فأجاب إلى التسليم على أن يؤمنه في نفسه، وأهله، وماله ويولّيه حمص. وطلب بكجور أن يحضر هذا الأمان والعهد وجوه بني كلاب. ففعل أبو المعالي ذلك، وأحضرهم الأمان والعهد، وسلّم قلعة حلب إلى أبي المعالي. وسار بكجور إلى حمص، فولاها لأبي المعالي، وصرف همته إلى عمارتها وحفظ الطرق. فازدادت

عمارتها وكثر الخير بها. ثم انتقل منها إلى ولاية دمشق على ما نذكره سنة ست وستين وسبعين وثلاثمائة.

ذكر ابتداء دولة آل سبكتكين

في هذه السنة ملك سبكتكين مدينة غزنة وأعمالها. وكان ابتداء أمره، أنه كان من غلمان أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية، وكان مقدماً عنده وعليه مدار أمره. وقدم إلى بُخارى أيام الأمير منصور بن نوح مع أبي إسحاق فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل، والعفة، وجودة الرأي، والصرامة. وعاد معه إلى غزنة. فلم يلبث أبو إسحاق أن توفي، ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم. فاجتمع عسكره ونظروا فيمن يلي أمرهم، ويجمع كلمتهم فاختلفوا.

ثم اتفقوا على سبكتكين لما عرفوه من عقله، ودينه، ومروءته وكمال خلال الخير فيه، فقدموه عليهم وولّوه أمرهم، وحلفوا له وأطاعوه. فوليهم وأحسن السِّيرة فيهم، وساس أمورهم سياسة حسنة، وجعل نفسه كأحدِهم في الحال والمال، وكان يدّخر من أقطاعه ما يعمل منه طعاماً لهم في كل أسبوع مرتين. ثم إنه جمع العساكر، وسار نحو الهند مجاهداً وجرى بينه وبين الهنود حرب يشيب لها الوليد. وكشف بلادهم وشنّ الغارات عليها وطمع فيها وخافه الهند. ففتح من بلادهم حصوناً ومعاقل وقتل منهم ما لا يدخل تحت الإحصاء. واتفق له في بعض غزواته أن الهنود اجتمعوا في خلق كثير وطاولوه الأيام، وماطلوه القتال، فعُدِمَ الزاد عند المسلمين، وعجزوا عن الامتيار. فشكوا إليه ما هم فيه فقال لهم: «إني استصحبت لنفسي شيئاً من السويق استظهاراً، وأنا أقسمه بينهم قسمة عادلة على السواء إلى أن يمنَّ الله بالفرج». فكان يعطي كل انسان منهم ملء قدح معه، ويأخذ لنفسه مثل أحدهم فيجتزي به يوماً وليلة، وهم مع ذلك يقاتلون الكفار، فرزقهم الله النصر عليهم والظفر بهم. فقتلوا منهم وأسروا خلقاً كثيراً.

ذكر ولاية سبكتكين على قُصْدَار، وبُسْت[1]

ثم ان سبكتكين عظم شأنه وارتفع قدره وحَسُنَ بين الناس ذكره وتعلقت الأطماع

---

(١) قصدار: بالضم ثم السكون: ناحية مشهورة قرب غزنة. وبُسْت: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة.

بالاستعانة به. فأتاه بعض الأمراء الكبار ـ وهو صاحب بست ـ واسمه طغان مستعيناً به مستنصراً. وسبب ذلك أنه خرج عليه أمير يعرف ببابي تور، فملك مدينة بست عليه وأجلاه عنها بعد حرب شديدة. فقصد سبكتكين مستنصراً به وضمن له مالاً مقرراً وطاعة يبذلها له، فتجهَّز، وسار معه حتى نزل على بست. وخرج إليه بابي تور فقاتله قتالاً شديداً. ثم انهزم بابي تور، وتفرّق هو وأصحابه، وتسلم طغان البلد، فلما استقرَّ فيه طالبه سبكتكين بما استقرّ عليه من المال. فأخذ في المطل، فأغلظ له في القول لكثرة مطله، فحمل طغان جهله، على أن سلّ السيف فضرب يد سبكتكين فجرحها، فأخذ سبكتكين السيف وضربه أيضاً فجرحه. وحجز العسكر بينهما وقامت الحرب على ساق، فانهزم طغان واستولى سبكتكين على بست، ثم إنه سار إلى قصدار، وكان متوليها قد عصي عليه لصعوبة مسالكها وحصانتها، وظنّ أن ذلك يمنعه، فسار إليه جريدة مجدًّا فلم يشعر إلاّ والخيل معه، فأخذ من داره، ثم إنه منَّ عليه وردّه إلى ولايته وقرّر عليه مالاً يحمله إليه كل سنة.

ذكر مسير الهند إلى بلاد الإسلام وما كان منهم مع سبكتكين

لما فرغ سبكتكين من بست وقصدار غزا الهند فافتتح قلاعاً حصينة على شواهق الجبال وعاد سالماً ظافراً. ولما رأى جيبال ملك الهند ما دهاه، وأن بلاده تملك من أطرافها أخذه ما قدم وحدث، فحشد وجمع، واستكثر من الفيول. وسار حتى اتصل بولاية سبكتكين، وقد باض الشيطان في رأسه وفرّخ، فسار سبكتكين عن غزنة إليه ومعه عساكره، وخلق كثير من المتطوعة، فالتقوا واقتتلوا أياماً كثيرة، وصبر الفريقان وبالقرب منهم عقبة غورك وفيها عين ماء لا تقبل نجساً ولا قذراً، وإذا ألقي فيها شيء من ذلك اكفهرَّتْ السماء وهبَّت الرياح، وكَثُرَ الرعد والبرق والأمطار، ولا تزال كذلك إلى أن تطهَّر من الذي ألقي فيها. فأمر سبكتكين بالقاء نجاسة في تلك العين، فجاء الغيم، والرعد، والبرق، وقامت القيامة على الهنود لأنهم رأوا ما لم يروا مثله، وتوالت عليهم الصواعق، والأمطار واشتدَّ البرد حتى هلكوا، وعميت عليهم المذاهب واستسلموا لشدة ما عاينوه. وأرسل ملك الهند إلى سبكتكين يطلب الصُّلح، وترددت الرّسل فأجَابهم إليه، بعد امتناع من ولده محمود على مال يؤديه، وبلاد يسلمها وخمسين فيلاً يحملها إليه، فاستقرَّ ذلك ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد، وسيَّر معه

سبكتكين من يتسلمها فإن المال والفيلة كانت معجلة. فلما أبعدَ جيبال ملك الهند قبض على من معه من المسلمين وجعلهم عنده عوضاً عن رهائنه. فلما سمع سبكتكين بذلك جمع العساكر، وسار نحو الهند فأخرب كل ما مرَّ عليه من بلادهم. وقصد لَمْغَان[١] ـ وهي من أحسن قلاعهم ـ فافتتحها عنوة، وهدم بيوت الأصنام، وأقام فيها شعار الإسلام، وسار عنها يفتح البلاد ويقتل أهلها. فلما بلغ ما أراده عاد إلى غزنة. فلما بلغ الخبرِ إلى جيبال سقط في يده وجمع العساكر، وسار في مائة ألف مقاتل. فلقيه سبكتكين وأمر أصحابه أن يتناوبوا القتال مع الهنود ففعلوا ذلك. فضجر الهنود من دوام القتال معهم، وحملوا حملة واحدة، فعند ذلك اشتدَّ الأمر وعظم الخطب. وحمل أيضاً المسلمون جميعهم واختلط بعضهم ببعض، فانهزم الهنود وأخذهم السَّيف من كل جانب وأسر منهم ما لا يعد، وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة. وذل الهنود بعد هذه الوقعة، ولم يكن لهم بعدها راية ورضوا بأن لا يطلبوا في أقاصي بلادهم. ولما قوي سبكتكين بعد هذه الوقعة أطاعه الأفغانية والخلج وصاروا في طاعته.

ذكر ملك قابوس بن وشمكير جرجان

في هذه السنة توفي ظهير الدولة بيستون بن وشمكير بجرجان. وكان قابوس أخوه زائراً خاله رستم بجبل شهريار، وخلف بيستون ابناً صغيراً بطبرستان مع جَدّه لأمه، فطمع جده ان يأخذ الملك. فبادر إلى جرجان، فرأى بها جماعة من القواد قد مالوا إلى قابوس فقبض عليهم. وبلغ الخبر إلى قابوس فسار إلى جرجان فلما قاربها خرج الجيش إليه وأجمعوا عليه وملكوه. وهرب من كان مع ابن بيستون فأخذه عمه قابوس، وكفله وجعله أسوة أولاده، واستولى على جرجان، وطبرستان.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في جُمادى الأولى نُقِلَت ابنة عز الدولة بختيار إلى الطائع لله، وكان تزوجها.

وفيها توفّي أبو الحسن محمد بن عبدالله بن زكريا بن حيويه في رجب[٢].

---

(١) بفتح اوله وسكون ثانيه وعين معجمة بعدها ألف ونون، وتسمى ايضاً لامغان من قرى غزنة.

(٢) النيسابوري ثم المصري القاضي توفي وهو في عشر التسعين أو جازها.

وفي صفر منها توفي أبو الحسن علي بن وصيف الناشىء المعروف بالخلال صاحب المراثي الكثيرة في أهل البيت.

وفيها توفي أبو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي صاحب هجر[1]، وكان مولده سنة ثمانين ومائتين. وتولى أمر القرمطي بعده ستة نفر شركة، وسموا السادة وكانوا متفقين.

(١) هذا هو آخر القرامطة الذين تولوا الامر استقلالا وعند موته اغلقت الاسواق له بالكوفة ثلاثة أيام. البداية والنهاية ١١/٣٠٥ وشذرات الذهب ٣/٥٥.

ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة

ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق

في هذه السّنة سار عضد الدولة إلى بـغداد وأرسل إلى بختيار يدعوه إلى طاعته، وأن يسير عن العراق إلى أي جهة أراد، وضمن مساعدته بمـا يحتاج إليـه من مال، وسلاح وغير ذلك. فاختلف أصحاب بختيار عليه في الإجابة إلى ذلك، إلّا أنه أجاب إليه لضعف نفسه، فأنفذ له عضد الدولة خلعة فلبسها. وأرسل إليه يطلب منه ابن بقية فقلع عينيه وأنفذه إليه. وتجهَّز بختيار بما أنفذه إليه عضد الدولة، وخرج عن بغداد عازماً على قصد الشام. وسار عضد الدولة فدخل بغداد وخطب له بها، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد، وضرب على بابه ثلاثـة نوب، ولم تجـر بذلـك عادة من تقدمه. وأمر بأن يلقى ابن بقية بين قوائم الفيلة لتقتله ففعل به ذلك، وخبطته الفيلة حتى قتلته. وصُلِبَ على رأس الجسر في شوّال من هذه السنة. فرثاه أبو الحسين الأنباري بأبيات حسنة في معناها وهي:

علوٌ في الحيـاة وفـي المـمـاتِ ... لحقٌّ أنتَ إحـدى المعجـزاتِ[1]

كـأن النـاسَ حـولـك حين قـامـوا ... وفـودُ نـداك أيـام الـصـلاتِ

كـأنـك قـائم[2] فيهم خـطيبـاً ... وكـلّهـم قـيـام لـلصـلاةِ

مـددْتَ يديـك نحـوهم اقتفـاء[3] ... كمـدِّهمـا إليهم في الهبـاتِ[4]

ولمـا ضاق بـطن الأرض عن أن ... يضمَّ عُـلاك من بعـد الممـاتِ

(١) في البداية والنهاية ١١/٣٠٩: «لحقّ».

(٢) في البداية والنهاية ١١/٣٠٩: «واقف».

(٣) في البداية والنهاية ١١/٣٠٩: «احتفاء».

(٤) في البداية والنهاية ١١/٣٠٩: «بالهبات».

أصاروا الجو قبرَكَ واستنابوا عن الأكفان ثوب السافياتِ(١)
لعظمك في النفوس تبيتُ ترعى بحراسٍ وحفاظ ثِقَاتِ
وتشعل عندك النيران ليلاً كذلك كُنْتَ أيامَ الحياةِ
ولم أرَ قبل جذعك قط جذعاً تمكن من عناق المكرُماتِ
ركبْتَ مطية من قبل زيد علاها في السنين الذاهباتِ

وهي كثيرة، قوله: زيدٌ عُلاها، يعني زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم. لما قُتِلَ وَصُلِبَ أيام هشام بن عبد الملك، وقد ذكر. وبقي ابن بقية مصلوباً إلى أيام صمصام الدولة، فأنزل من جذعه ودُفِنَ.

ذكر قتل بختيار

لما سار بختيار عن بغداد عزم على قصد الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان. فلما صار بختيار بعُكبرا حسَّنَ له حمدان قصد الموصل، وكثرة أموالها وأطمعه فيها وقال: إنها خير من الشام وأسهل. فسار بختيار نحو الموصل، وكان عضد الدولة قد حلفه أنه لا يقصد ولاية أبي تغلب بن حمدان لمودة، ومكاتبة كانت بينهما فنكث وقصدها. فلما صار إلى تكريت أتته رسل أبي تغلب تسأله أن يقبض على أخيه حمدان، ويسَلّمه إليه، وإذا فعل سار بنفسه وعساكره إليه، وقاتل معه عضد الدولة وأعاده إلى ملكه بغداد. فقبض بختيار على حمدان وسلَّمه إلى نواب أبي تغلب، فحبسه في قلعة له. وسار بختيار إلى الحديثة واجتمع مع أبي تغلب،وسارا جميعاً نحو العراق. وكان مع أبي تغلب نحو من عشرين ألف مقاتل. وبلغ ذلك عضد الدولة، فسار عن بغداد نحوهما فالتقوا بقصر الجص بنواحي تكريت ثامن عشر شوَّال فهزمهما، وأسر بختيار، وأحضر عند عضد الدولة فلم يأذن بإدخاله إليه وأمر بقتله فقتل، وذلك بمشورة أبي الوفاء طاهر بن إبراهيم، وقتل من أصحابه خلق كثير، واستقر ملك عضد الدولة بعد ذلك. وكان عمر بختيار ستاً وثلاثين سنة، وملك إحدى عشرة سنة وشهوراً.

ذكر استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان

لما انهزم أبو تغلب وبختيار سار عضد الدولة نحو الموصل فملكها ثاني عشر ذي

---

(١) هذان البيتان ذكرهما ابن تغرى بردى في آخر القصيدة.

القعدة، وما يتصل بها وظن أبو تغلب أنه يفعل كما كان غيره يفعل، يقيم يسيرا ثم يضطر إلى المصالحة ويعود. وكان عضد الدولة أحزم من ذلك، فإنه لما قصد الموصل، حمل معه الميرة، والعلوفات، ومن يعرف ولاية الموصل وأعمالها، وأقام بالموصل مطمئناً وبثَّ السرايا في طلب أبي تغلب، فأرسل ابو تغلب، يطلب أن يضمن البلاد فلم يجبْهُ عضد الدولة إلى ذلك وقال: «هذه البلاد أحب إلي من العراق». وكان مع أبي تغلب المرزبان بن بختيار، وأبو إسحاق وابو طاهر ابنا معز الدولة ووالدتهما وهي ام بختيار وأسبابهم. فسار أبو تغلب إلى نصيبين، فسيَّر عضد الدولة سرية عليها حاجبه أبو حرب طغان إلى جزيرة ابن عمر. وسيَّر في طلب أبي تغلب سرية، واستعمل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار. فسار أبو تغلب، فبلغ ميافارقين، وأقام بها ومعه أهله. فلما بلغه مسير أبي الوفاء إليه سار نحو بَدْلِيس[1] ومعه النساء وغيرهن من أهله. ووصل أبو الوفاء إلى ميافارقين، فأغلقت دونه ـ وهي حصينة منيعة من حصون الروم القديمة ـ وتركها وطلب أبا تغلب، وكان أبو تغلب قد عـدل من أرزن الروم إلى الحسنيـة من أعمال الجزيرة وصعد إلى قلعة كواشي وغيرها، من قلاعه وأخذ ماله من الأموال. وعاد أبو الوفاء إلى ميافارقين وحصرها.

ولما اتصل بعضد الدولـة مجيء أبي تغلب إلى قلاعـه، سار إليه بنفسه فلم يدركه، ولكنه استأمن إليه أكثر أصحابه. وعاد إلى الموصل وسيَّر في أثر أبي تغلب عسكراً مع قائد من أصحابه يقال له: طغان. فتعسَّفَ أبو تغلب إلى بدليس وظنَّ أنه لا يتبعه أحد فتبعه طغان فهرب من بدليس، وقصد بلاد الروم ليتصل بملكهم المعروف بورد الرومي. وليس من بيت الملك وإنما تملك عليهم قهراً. واختلف الـروم عليه ونصبوا غيره من أولاد ملوكهم فطالت الحرب بينهم، فصاهر ورد هذا أبا تغلب ليتقوّى به فقدر أن أبا تغلب احتاج إلى الاعتضاد به. ولما سار أبو تغلب من بدليس، أدركه عسكر عضد الدولة وهم حريصون على أخذ ما معه من المال، فإنهم كانوا قد سمعوا بكثرته. فلما وقعوا عليه نادى أميرهم، لا تتعرضوا لهذا المال فهو لعضد الدولة ففتروا عن القتال. فلما رآهم أبو تغلب فاترين حمل عليهم، فانهزموا فقتل منهم مقتلة عظيمة،

---

(١) بدليس: بالفتح ثم السكون، وكسر اللام وياء ساكنة وسين مهملة: بلدة من نواحي أرمينية قرب خِلاط ذات بساتين كثيرة.

ونجا منهم، فنزل بحصن زياد ويُعرَف الآن بخرتبرت. وأرسل ورد المذكور، فعرفه ما هو بصدده من اجتماع الروم عليه واستمدَّه وقال: إذا فرغت عدت إليك. فسيَّر إليه أبو تغلب طائفة من عسكره فاتفق أن ورداً انهزم. فلما علم أبو تغلب بذلك يئس من نصره، وعاد إلى بلاد الإسلام فنزل بآمد. وأقام بها شهرين إلى أن فُتِحَتْ ميافارقين.

ذكر عدة حوادث

فيها ظهر بافريقية في السماء حمرةٌ بين المشرق والشمال، مثل لهب النار، فخرج الناس يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه. وكان بالمهدية زلازل وأهوال أقامت أربعين يوماً حتى فارق أهلها منازلهم، وأسلموا أمتعتهم.

وفيها سيَّر العزيز بالله العلوي صاحب مصر، وأفريقية أميراً على الموسم ليحجَّ بالناس، وكانت الخطبة له بمكة. وكان الأمير على الموسم باديس بن زيري أخا يوسف بلكين خليفته بأفريقية. فلما وصل إلى مكة أتاه اللصوص بها فقالوا له: نتقبَّلُ منك الموسم بخمسين ألف درهم ولا تتعرض لنا. فقال لهم: أفعل ذلك اجمعوا لي أصحابكم، حتى يكون العقد مع جميعكم. فاجتمعوا، فكانوا نيفاً وثلاثين رجلاً فقال: هل بقي منكم أحد؟ فحلفوا أنه لم يبقَ منهم أحد فقطع أيديهم كلهم.

وفيها زادت دجلة زيادة عظيمة وغرقت كثيراً من الجانب الشرقي ببغداد وغرقت أيضاً مقابر بباب التبن بالجانب الغربي منها، وبلغت السفينة أجرة وافرة، وأشرف الناس على الهلاك، ثم نقص الماء فأمنوا. وفيها توفي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة، وله نوادر مجموعة وعمره خمس وستون سنة.

وفيها خُلِعَ على القاضي عبد الجبار بن أحمد بالرّي، وولي القضاء بها ربما تحت حكم مؤيد الدولة من البلاد ـ وهو من ائمة المعتزلة ـ ويرِدُ في تراجم تصانيفه[1] قاضي القضاة ـ ويعني به قاضي قضاة أعمال الرّي ـ وبعض من لا يعلم ذلك يظنه قاضي القضاة مطلقاً، وليس كذلك.

---

(١) من تصانيفه دلائل النبوة وعمدة الأدلة.

ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة

ذكر فتح ميافارقين وآمد وغيرهما من ديار بكر على يد عضد الدولة

لما عاد أبو الوفاء من طلب أبي تغلب نازل ميافارقين، وكان الوالي عليها هزارمرد، فضبط البلد وبالغ في قتال أبي الوفاء ثلاثة أشهر. ثم مات هزارمرد، فكوتب أبو تغلب بذلك، فأمر أن يقام مقامه غلام من الحمدانية اسمه مؤنس، فولي البلد. ولم يكن لأبي الوفاء فيه حيلة، فعدل عنه وراسل رجلاً من أعيان البلد اسمه أحمد بن عبيد الله واستماله، فأجابه. وشرع في استمالة الرعية إلى أبي الوفاء فأجابوه إلى ذلك وعظم أمره. وأرسل إلى مؤنس يطلب منه المفاتيح. فلم يمكنه لكثرة أتباعه،فأنفذها إليه وسأله أن يطلب له الأمان. فأرسل أحمد بن عبيد الله إلى أبي الوفاء في ذلك، فأمّنه وأمَّنَ سائر أهلِ البلد، ففتح له البلد وسلمه إليه، وكان أبو الوفاء مدة مقامه على ميافارقين قد بثَّ سراياه في تلك الحصون المجاورة لها، فافتتحها جميعها. فلما سمع أبو تغلب بذلك سار عن آمد نحو الرّحبة هو وأخته جميلة، وأمر بعض أهله بالاستئمان إلى أبي الوفاء ففعلوا. ثم إن أبا الوفاء سار إلى آمد فحصرها. فلما رأى أهلها ذلك سلكوا مسلك أهل ميافارقين، فسلموا البلد بالأمان فاستولى أبو الوفاء على سائر ديار بكر، وقصده أصحاب أبي تغلب وأهله مستأمنين إليه، فأمّنهم وأحسنَ إليهم وعاد إلى الموصل.

وأما أبو تغلب فإنه لما قصد الرّحبة، أنفذ رسولاً إلى عضد الدولة يستعطفه، ويسأله الصفح، فأحسن جواب الرسول وبذل له أقطاعاً يرضيه، على أن يطأ بساطه، فلم يجبه أبو تغلب إلى ذلك. وسار إلى الشام إلى العزيز بالله صاحب مصر.

ذكر فتح ديار مضر على يد عضد الدولة

كان متولي ديار مضر لأبي تغلب بن حمدان سلامة البرقعيدي، فأنفذ إليه سعد الدولة بن سيف الدولة من حلب جيشاً فجرت بينهم حروب. وكان سعد الدولة قد كاتب عضد الدولة، وعرض نفسه عليه. فأنفذ عضد الدولة النقيب أبا أحمد والد الرضي إلى البلاد التي بيد سلامة، فتسلّمها بعد حرب شديدة، ودخل أهلها في الطاعة. فأخذ عضد الدولة لنفسه الرّقة حسب ورد باقيها، إلى سعد الدولة، فصارت له، ثم استولى عضد الدولة على الرّحبة وتفرَّغ بعد ذلك لفتح قلاعه وحصونه - وهي قلعة كوشي - وكانت فيها خزائنه وأمواله، وقلعة هرور[١] والملاسي[٢]، وبرقى والشعباني، وغيرها من الحصون - فلما استولى على جميع أعمال أبي تغلب استخلف أبا الوفاء على الموصل[٣]، وعاد إلى بغداد في سلخ ذي القعدة، ولقيه الطائع لله، وجمع من الجند وغيرهم.

ذكر ولاية قسام دمشق[٤]

لما فارق الفتكين دمشق كما ذكرناه، تقدم على أهلها قسام، وكان سبب تقدم قسام أن الفتكين قربه ووثق إليه وعول في كثير من أموره عليه فعلا ذكره وصيته وكَثُر أتباعه من الأحداث، فاستولى على البلد وحكم فيه. وكان القائد أبو محمود قد عاد إلى البلد والياً عليه للعزيز، فلم يتمَّ له مع قسام أمر، وكان لا حكم له. ولم يزل أمر قسام على دمشق، نافذاً، وهو يدعو للعزيز بالله العلوي. ووصل إليه أبو تغلب بن حمدان صاحب الموصل منهزماً كما ذكرناه، فمنعه قسام من دخول دمشق، وخافه على البلد أن يتولاه إما غلبة وإما بأمر العزيز. فاستوحش أبو تغلب، وجرى بين أصحابه وأصحاب أبي

---

(١) في تجارب الامم «قلعة اهرور» بزيادة ألف وهو غلط.

(٢) في تجارب الأمم «وقلعة مليصي» والذي في معجم البلدان لياقوت «مليص» موضع في ديار بكر بلفظ التصغير.

(٣) في تجارب الأمم «خلف أبا الوفاء بالموصل لتهذيب المعاملات وترتيب العمال في الأعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين» الخ.

(٤) نقل ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن عساكر أن أصله من قرية بلفيتا وكان تراباً. قلت: والعامة يسمونه قسيم الزبال وانما هو قسام ولم يكن زبالاً بل تراباً من قرية تلفيتا بالقرب من قرية منين.

تغلب شيء من قتال فرحل أبو تغلب إلى طبرية، وورد من عند العزيز قائد اسمه الفضل[١] في جيش، فحصر قساماً بدمشق فلم يظفر به فعاد عنه.

وبقي قسام كذلك إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة، فسيَّر من مصر أميراًإلى دمشق اسمه سلمان بن جعفر بن فلاح[٢] فوصل إليها فنزل بظاهرها[٣] ولم يتمكن من دخولها، وأقام في غير شيء، فنهى الناسَ عن حمل السلاحِ فلم يسمعوا منه، ووضع قسام أصحابه على سلمان[٤]، فقاتلوه وأخرجوه من الموضع الذي كان فيه. وكان قسام بالجامع والناس عنده، فكتب محضراً وسيَّره إلى العزيز، يذكر أنه كان بالجامع عند هذه الفتنة ولم يشهدها، وبذل من نفسه أنه إن قصده عضد الدولة بن بويه أو عسكر له قاتله ومنعه من البلد. فأغضى العزيز لقسام على هذه الحال لأنه كان يخاف أن يقصد عضد الدولة الشام. فلما فارق سلمان دمشق عاد إليها القائد أبو محمود، ولا حكم له، والحكم جميعه لقسام، فدام ذلك.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كانت زلازل شديدة كثيرة، وكان أشدها بالعراق.

وفيها توفي القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي النحوي مصنِّف شرح كتاب سيبويه، وكان فقيهاً فاضلاً مهندساً منطقياً فيه كل فضيلة، وعمره أربع وثمانون سنة؛ وولي بعده أبو محمد بن معروف الحاكم بالجانب الشرقي ببغداد[٥].

---

(١) قال ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق «وكان الفضل يهودياً أولاً وكان أبوه طبيباً».

(٢) في ذيل تاريخ دمشق «في أربعة آلاف من المغاربة».

(٣) في ذيل تاريخ دمشق «فنزل في بستان الوزير بزقاق الرمان وعسكر حوله في دور هناك»

(٤) وقع في ذيل تاريخ دمشق للقلانسي «سليمان» بزيادة ياء مثناة من تحت وهو غلط صححناه من تاريخ ابن عساكر.

(٥) قال ياقوت: كان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه أبا سعيد عبد الله وكان أبو سعيد يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض. كان شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بالنحو، والفقه، واللغة، والشعر، والعروض، والقوافي، والقراءات، والفرائض، والحديث، والكلام، والحساب. والهندسة أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وُجد له خطأ ولا عُثر له على زلة.

ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

ذكر قتل أبي تغلب بن حمدان

في هذه السنة في صفر قُتِلَ أبو تغلب فضل الله بن ناصر الدولة بن حمدان. وكان سبب قتله أنه سار إلى الشام على ما تقدم ذكره، ووصل إلى دمشق وبها قسام قد تغلب عليها كما ذكرناه. فلم يمكن أبا تغلب من دخولها فنزل بظاهر البلد، وأرسل رسولاً إلى العزيز بمصرَ يستنجده ليفتحَ له دمشق، فوقع بين أصحابه وأصحاب قسام فتنة فرحل إلى نوى ـ وهي من أعمال دمشق ـ فأتاه كتاب رسوله من مصر يذكر أن العزيز يريد أن يحضر هو عنده بمصر ليسير معه العساكر، فامتنع وترددت الرّسل ورحل إلى بحيرة طبرية.

وسيَّر العزيز عسكراً إلى دمشق مع قائد اسمه الفضل فاجتمع بأبي تغلب عند طبرية، ووعده عن العزيز بكل ما أحب، وأراد أبو تغلب المسير معه إلى دمشق، فمنعه بسبب الفتنة التي جرت بين أصحابه وأصحاب قسام، لئلا يستوحش قسام وأراد أخذ البلد منه سلماً. ورحل الفضل إلى دمشق فلم يفتحها. وكان بالرملة دغفل بن المفرج بن الجراح الطائي قد استولى على هذه الناحية، وأظهر طاعة العزيز من غير أن يتصرَّف بأحكامه، وكثر جمعه وسار إلى احياء عقيل المقيمة بالشام، ليخرجَها من الشام فاجتمعت عقيل إلى أبي تغلب وسألته نصرتها، وكتب إليه دغفل يسأله أن لا يفعل. فتوسط أبو تغلب الحال، فرضوا بما يحكم به العزيز، ورحل أبو تغلب، فنزل في جوار عقيل فخافه دغفل، والفضل صاحب العزيز، وظنا أنه يريد أخذ تلك الأعمال.

ثم إن أبا تغلب سار إلى الرملة في المحرم سنة تسع وستين، فلم يشك ابن الجراح والفضل، أنه يريد حربهما ـ وكانا بالرملة ـ فجمع الفضل العساكر من السواحل، وكذلك جمع دغفل من أمكنه جمعه وتصاف الناس للحرب، فلما رأت عقيل كثرة

الجمع انهزمت، ولم يبق مع أبي تغلب إلّا نحو سبعمائة رجل من غلمانه وغلمان أبيه، فانهزم. ولحقه الطلب فوقف يحمي نفسه وأصحابه، فضرب على رأسه، فسقط وأُخِذَ أسيراً وحُمِلَ إلى دغفل، فأسره وكتفه. وأراد الفضل أخذه وحمله إلى العزيز بمصرَ، فخاف دغفل أن يصطنعه العزيز كما فعل بالفتكين ويجعله عنده فقتله. فلامه الفضل على قتله وأخذ رأسه وحمله إلى مصر، وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة، وزوجته، وهي بنت عمه سيف الدولة. فلما قتل حملهما بنو عقيل إلى حلب إلى سعد الدولة بن سيفِ الدولة. فأخذ أخته، وسير جميلة إلى الموصل،فَسُلِّمَتْ إلى أبي الوفاء نائب عضد الدولة فأرسلها إلى بغداد، فاعتُقِلَتْ في حجرة في دار عضد الدولة.

ذكر محاربة الحسن بن عمران بن شاهين مع جيوش عضد الدولة

في هذه السَّنة توفي عمران بن شاهين فجأة في المحرم، وكانت ولايته بعد أن طلبه الملوك والخلفاء وبذلوا الجهد في أخذه، وأعملوا الحيل أربعين سنة، فلم يقدرهم الله عليه، ومات حتف أنفه. فلما مات وُلّي مكانه ابنه الحسن، فتجدد لعضد الدولة طمع في أعمال البطيحة، فجهَّز العساكر مع وزيره المطهِّر بن عبد الله، فأمدهم بالأموال والسلاح، والآلات، وسار المطهر في صفر. فلما وصل شرع في سد أفواه الأنهار الداخلة في البطائح، فضاع فيها الزمان والأموال. وجاءت المدود، وبثق الحسن بن عمران بعض تلك السدود، فأعانه الماء فقلعها، وكان المطهر إذا سدَّ جانباً انفتحت عدة جوانب ثم جرت بينه وبين الحسن وقعة في الماء، استظهر عليه الحسن. وكان المطهر سريعاً قد أَلِفَ المناجزة، ولم يألف المصابرة، فشق ذلك عليه.

وكان معه في عسكره أبو الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي فاتهمه بمراسلة الحسن، وإطلاعه على أسراره. وخاف المطهر أن تنقص منزلته عند عضد الدولة ويشمت به أعداؤه، كأبي الوفاء وغيره، فعزم على قتل نفسه. فأخذ سكيناً وقطع شرايين ذراعه فخرج الدم منه فدخل فراش له، فرأى الدم، فصاح، فدخل الناس، فرأوه وظنوا أن أحداً فعل به ذلك فتكلم ـ وكان بآخر رمق ـ وقال: «إن محمد بن عمر أحوجني إلى هذا». ثم مات وحُمِلَ إلى بلده كازرون فدُفِنَ فيها. وأرسل عضد الدولة من حفظ العسكر وصالح الحسن بن عمران على مال يؤديه، وأخذ رهائنه. وانفرد نصر بن هارون

بوزارة عضد الدولة ـ وكان مقيماً بفارس ـ فاستخلَفَ له عضد الدولة بحضرته أبا الريَّان أحمد بن محمد.

ذكر حرب بين بني شيبان وعسكر عضد الدولة

في هذه السّنة في رجب سيَّر عضد الدولة جيشاً إلى بني شيبان، وكانوا قد أكثروا الغارات على البلاد والفساد، وعجز الملوك عن طلبهم. وكانوا قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور مصاهرات. وكانت شهرزور ممتنعة على الملوك، فأمر عضد الدولة عسكره بمنازلة شهرزور لينقطعَ طمع بني شيبان عن التحصن بها. فاستولى أصحابه عليها وملكوها فهرب بنو شيبان. وسار العسكر في طلبهم وأوقعوا بهم وقعة عظيمة، قُتِل من بني شيبان فيها خلق كثير، ونُهِبَتْ أموالهم، ونساؤهم وأُسِرَ منهم ثمانمائة أسير، وحُمِلُوا إلى بغداد.

ذكر وصول ورد الرومي إلى ديار بكر وما كان منه

في هذه السنة وصل ورد الرومي إلى ديار بكر، مستجيراً بعضد الدولة وأرسل إليه يستنصره على ملوك الروم، ويبذل له الطاعة إذا ملك وحمل الخراج. وكان سبب قدومه أن أرمانوس ملك الروم، لما توفي خلف ولدين له صغيرين، فملكا بعده. وكان تقفور ـ وهو حينئذ الدُّمسْتُق ـ قد خرج إلى بلاد الإسلام فنكا فيها وعاد. فلما قارب القسطنطينية بلغه موت أرمانوس، فاجتمع إليه الجند وقالوا له: إنه لا يصلح للنيابة عن الملكين غيرك، فإنهما صغيران فامتنع، فألحوا عليه فأجابهم. وخدم الملكين وتزوج بوالدتهما ولبس التاج، ثم إنه جفا والدتهما فراسلت ابن الشمشقيق في قتل تقفور، وإقامته مقامه فأجابها إلى ذلك. وسار إليها سرّاً هو وعشرة رجال، فاغتالوا الدمستق فقتلوه. واستولى ابن الشمشقيق على الأمر وقبض على لاون أخي الدمستق وعلى ورديس بن لاون، واعتقله في بعض القلاع. وسار إلى أعمال الشام فأوغل فيها ونال من المسلمين ما أراد. وبلغ إلى طرابلس فامتنع عليه أهلها فحصرهم. وكان لوالدة الملكين أخ خصي ـ وهو حينئذ الوزير ـ فوضع على ابن الشمشقيق من سقاه سمّاً، فلما أحسَّ به أسرع العود إلى القسطنطينية، فمات في طريقه.

وكان ورد بن منير من أكابر أصحاب الجيوش وعظماء البطارقة، فطمع في الأمر

وكاتب أبا تغلب بن حمدان وصاهره واستجاش بالمسلمين من الثغور، فاجتمعوا عليه فقصد الروم. فأخرج إليه الملكان جيشاً بعد جيش، وهو يهزمهم فقوي جنانه، وعظم شأنه. وقصد القسطنطينية فخافه الملكان فأطلقا ورديس بن لاون، وقدَّماه على الجيوش وسيَّراه لقتال ورد. فاقتتلوا قتالاً شديداً وطال الأمر بينهما. ثم انهزم ورد إلى بلاد الإسلام، فقصد ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين. وراسل عضد الدولة وأنفذ إليه أخاه يبذل الطاعة والإستنصار به، فأجابه إلى ذلك ووعده به.

ثم إن ملكي الروم راسلا عضد الدولة واستمالاه فقوي في نفسه ترجيح جانب الملكين، وعاد عن نصرة ورد. وكاتب أبا علي التميمي ـ وهو حينئذ ينوب عنه بديار بكر ـ بالقبض على ورد وأصحابه، فشرع يدبِّر الحيلة عليه. واجتمع إلى ورد أصحابه وقالوا له: إن ملوك الروم قد كاتبوا عضد الدولة، وراسلوه في أمرنا ولا شكَّ أنهم يرغِّبونه في المال وغيره فيسلِّمنا إليهم. والرأي أن نرجعَ إلى بلاد الروم على صلح إن امكننا أو على حرب نبذل فيها أنفسنا، فإما ظفرنا أو متنا كراماً. فقال: ما هذا رأي ولا رأينا من عضد الدولة إلاّ الجميل، ولا يجوز أن ننصرف عنه قبل أن نعلم ما عنده ففارقه كثير من أصحابه، فطمع فيه أبو علي التميمي، وراسله في الاجتماع، فأجابه إلى ذلك. فلما اجتمع به قبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من اصحابه، واعتقلهم بميافارقين، ثم حملهم إلى بغداد. فبقوا في الحبس إلى أن فَرَّجَ الله عنهم، على ما نذكره، وكان قبضه سنة سبعين وثلاثمائة.

ذكر عمارة عضد الدولة بغداد

في هذه السنة شعر عضد الدولة في عمارة بغداد ـ وكانت قد خُرِّبت بتوالي الفتن فيها ـ وعمَّر مساجدها وأسواقها وأدرَّ الأموال على الائمة، والمؤذنين، والعلماء، والقراء، والغرباء، والضعفاء، الذين يأوون إلى المساجد. والزم أصحاب الأملاك الخراب بعمارتها، وجدَّد ما دثر من الأنهار وأعاد حفرها وتسويتها. وأطلق مكوس الحجاج وأصلح الطريق من العراق إلى مكة، شرفها الله تعالى، وأطلق الصلات لأهل البيوتات والشرف، والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة، وفعل مثل ذلك بمشهد علي والحسين عليهما السلام. وسكن الناس من الفتن، وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والشعراء والنسابين والأطباء والحساب

والمهندسين، وأذن لوزيره نصر بن هارون ـ وكان نصرانياً ـ في عمارة البيع والديرة وإطلاق الأموال لفقرائهم.

ذكر وفاة حَسْنَوَيْه الكردي

في هذه السّنة توفي حسنويه بن الحسين الكردي البرزيكاني بسرماج، وكان أميراً على جيش من البرزيكان يسمون البرزينية. وكان خالاه ونداد، وغانم ابنا أحمد أميرين على صنف آخر منهم يسمون العيشانية، وغلبا على أطراف نواحي الدينور، وهمذان، ونهاوند والصامغان وبعض أطراف اذربيجان إلى حد شهرزور نحو خمسين سنة، وكان يقود كل واحد منهما عدة ألوف. فتوفي غانم سنة خمسين وثلاثمائة فكان ابنه أبو سالم ديسم بن غانم مكانه بقلعته قسنان إلى أن أزاله أبو الفتح بن العميد. واستصفى قلاعه المسماة قسنان وغانم أباذ وغيرهما، وتوفي ونداد بن أحمد سنة تسع وأربعين، فقام مقامه ابنه ابو الغنائم عبد الوهاب إلى أن أسره الشاذنجان، وسلَّموه إلى حسنويه. فأخذ قلاعه وأملاكه، وكان حسنويه مجدوداً، حسن السياسة والسيرة، ضابطاً لأمره، ومنع أصحابه من التلصص، وبنى قلعة سرماج بالصخور المهندمة وبنى بالدينور جامعاً على هذا البناء، وكان كثير الصدقة بالحرمين إلى أن مات في هذه السنة، وافترق أولاده من بعده، فبعضهم انحاز إلى فخر الدولة، وبعضهم إلى عضد الدولة وهم أبو العلاء وعبد الرزاق، وأبو النجم بدر، وعاصم، وأبو عدنان وبختيار وعبد الملك.

وكان بختيار بقلعة سرماج ومعه الأموال والذخائر. فكاتب عضد الدولة ورغب في طاعته، ثم تلون عنه وتغير. فسيَّر عضد الدولة إليه جيشاً فحصره، وأخذ قلعته وكذلك قلاع غيره من إخوته. واصطنع من بينهم أبا النجم بدر بن حسنويه وقواه بالرجال، فضبط تلك النواحي وكفَّ عادية من بها من الأكراد، واستقام أمره، وكان عاقلاً.

ذكر قصد عضد الدولة أخاه فخر الدولة وأخذ بلاده

في هذه السّنة سار عضد الدولة إلى بلاد الجبل، فاحتوى عليها. وكان سبب ذلك أن بختيار بن معز الدولة، كان يكاتب ابن عمه فخر الدولة بعد موت ركن الدولة، ويدعوه إلى الاتفاق معه على عضد الدولة، فأجابه إلى ذلك واتفقا. وعلم عضد الدولة به فكتم ذلك إلى الآن. فلما فرغ من أعدائه كأبي تغلب وبختيار وغيرهما، ومات

حسنويه بن الحسين، ظنَّ عضد الدولة أن الأمر ينصلح بينه وبين أخويه، فراسل أخويه فخر الدولة ومؤيد الدولة، وقابوس بن وشمكير. فأما رسالته إلى أخيه مؤيد الدولة، فيشكره على طاعته وموافقته، فإنه كان مطيعاً له غير مخالف. وأما إلى فخر الدولة فيعاتبه ويستميله ويذكر له ما يلزمه به الحجة، وأما إلى قابوس فيشير عليه بحفظ العهود التي بينهما. فأجاب فخر الدولة جواب المناظر المناوي ونسي كبر السِّن وسعة الملك، وعهد أبيه، وأما قابوس فأجاب جواب المراقب. وكان الرسول خواشاده ـ وهو من أكابر أصحابه ـ فاستمال أصحاب فخر الدولة، فضمن لهم الإقطاعات، وأخذ عليهم العهود. فلما عاد الرسول برز عضد الدولة من بغداد على عزم المسير إلى الجبل وإصلاح تلك الأعمال. وابتدأ، فقدم العساكر بين يديه يتلو بعضها بعضاً، منهم أبو الوفاء على عسكر، وخواشاده على عسكر، وأبو الفتح المظفر بن محمد في عسكر. فسارت هذه العساكر وأقام هو بظاهر ببغداد. ثم سار عضد الدولة فلقيه البشائر بدخول جيوشه همذان، واستئمان العدد الكثير من قواد فخر الدولة، ورجال حسنويه.

ووصل إليه أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير فخر الدولة ومعه جماهير أصحابه، فانحل أمر فخر الدولة، وكان بهمذان، فخاف من أخيه وتذكَّر قتل ابن عمه بختيار، فخرج هارباً وقصد بلد الديلم. ثم خرج منها إلى جرجان فنزل على شمس المعالي قابوس بن وشمكير، والتجأ إليه فأمنه وآواه، وحمل إليه فوق ما حدّثَتْ به نفسه، وشركه فيما تحت يده من ملك وغيره. وملك عضد الدولة ما كان بيد فخر الدولة همذان والري وما بينهما من البلاد وسلَّمها إلى أخيه مؤيد الدولة بويه، وجعله خليفته ونائبه في تلك البلاد. ونزل الري واستولى على تلك النواحي. ثم عرَّج عضد الدولة إلى ولاية حسنويه الكردي، فقصد نهاوند وكذلك الدينور وقلعة سرماج، وأخذ ما فيها من ذخائر حسنويه، وكانت جليلة المقدار وملك معها عدة من قلاع حسنويه. ولحقه في هذه السفرة صرع، وكان هذا قد أخذه بالموصل وحدث به فيها فكتمه. وصار كثير النسيان لا يذكر الشيء إلا بعد جهد، وكتم ذلك أيضاً وهذا دأب الدنيا لا تصفو لأحد. وأتاه أولاد حسنويه فقبض على عبد الرزاق وأبي العلاء، وأبي عدنان، وأحسن إلى بدر بن حسنويه وخلع عليه وولّاه رعاية الأكراد. هذا آخر ما في تجارب الأمم، تأليف أبي علي بن مسكويه.

ذكر ملك عضد الدولة بلد الهكارية وما معها

في هذه السَّنة سيَّر عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكارية من أعمال الموصل، فأوقع بهم وحصر قلاعهم وطال مقام الجند في حصرها. وكان من بالحصون من الأكراد ينتظرون نزول الثلج لترحل العساكر عنهم، فقدَّرَ الله تعالى، أن الثلج تأخر نزوله في تلك السنة. فأرسلوا يطلبون الأمان فأجيبوا إلى ذلك وسلَّموا قلاعهم، ونزلوا مع العسكر إلى الموصل، فلم يفارقوا أعمالهم غير يوم واحد حتى نزل الثلج. ثم إن مقدم الجيش غدر بهم وصلبهم على جانبي الطريق من معلثايا إلى الموصل، نحو خمسة فراسخ وكفَّ الله شرهم عن الناس.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة ورد رسول العزيز بالله صاحب مصر إلى عضد الدولة برسائل أدَّاها.

وفيها قبض عضد الدولة على محمد بن عمر العلوي وأنفذ إلى فارس. وكان سبب قبضه ما تكلم به المطهر في حقه عند موته، وأرسل إلى الكوفة فقبض أمواله، فوجد له من المال والسلاح والذخائر ما لا يحصى، واصطنع عضد الدولة أخاه أبا الفتح أحمد وولاه الحج بالناس.

وفيها تجددت وصلة بين الطائع لله وبين عضد الدولة، فتزوج الطائع ابنته. وكان غرض عضد الدولة أن تلد ابنته ولداً ذكراً فيجعله ولي عهده، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب، وكان الصداق مائة ألف دينار[1].

وفيها كانت فتنة عظيمة بين عامة شيراز من المسلمين وبين المجوس، نُهِبَت فيها دور المجوس، وضربوا وقُتِلَ منهم جماعة. فسمع عضد الدولة الخبر فسيَّر إليهم من جمع كل من له أثر في ذلك وضربهم وبالغ في تأديبهم وزجرهم.

---

(١) وزاد ابن كثير: «وكان وكيل عضد الدولة أبا علي الحسين بن أحمد الفارسي صاحب الايضاح والتكملة. وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي ابو علي الحسن بن علي التنوخي». البداية والنهاية ١١/٣١٥ ط. دار الكتب العلمية ببيروت.

وفيها أرسل سرية إلى عين التمر، وبها ضبة بن محمد الأسدي، وكان يسلك سبيل اللصوص، وقطّاع الطريق، فلم يشعر إلاّ والعساكر معه. فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً. وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر. وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين صلوات الله عليه، فعوقب بهذا.

وفيها قبض عضد الدولة على النقيب أبي أحمد الحسين الموسوي والد الشريف الرضي[1]، وعلى أخيه أبي عبد الله، وعلى قاضي القضاة أبي محمد وسيِّر إلى فارس، واستعمل على قضاء القضاة أبا سعد بشر بن الحسين - وهو شيخ كبير - وكان مقيماً بفارس واستناب على القضاء ببغداد.

وفيها توفي أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء الروذباري الصوفي بنواحي عكا، وكان قد انتقل من بغداد إلى الشام[2].

وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن عيسى بن عمرويه أبو أحمد الجلودي الزاهد، راوي صحيح مسلم عن ابن سفيان، ودُفِنَ بالحيرة في نيسابور، وله ثمانون سنة. - (الجلودي) بفتح الجيم وقيل بضمها وهو قليل، والحيرة بكسر الحاء المهملة وبالراء المهملة وهي محلة بنيسابور -

وفيها توفي أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس اللغوي[3] صاحب كتاب المجمل وغيره، له شعر. فمن ذلك قوله قبل وفاته بيومين :

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٣١٤/١١ « اتهم بأنه يفشي الاسرار وان عز الدولة اودع عنده عقداً ثميناً ووجدوا كتاباً بخطه في افشاء الاسرار فأنكر أنه خطه وكان مزوراً عليه واعترف بالعقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولوا غيره. وكان مظلوماً ».

(٢) قال الخطيب: نشأ ببغداد واقام بها دهراً طويلاً ثم انتقل فنزل صور من ساحل بلاد الشام. مات بقرية بين عكا وصور يقال لها منوات من عمل عكا وحمل إلى صفد فدفن بها. تاريخ بغداد ٣٣٦/٤ - ٣٣٧.

(٣) هكذا في الاصول « ابو الحسين احمد بن زكريا بن فارس اللغوي » والذي في بغية الوعاة (٣٥٢/١) أن الذي ألف كتاب المجمل في اللغة هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني. وكذلك في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان. وأن وفاته بعد التسعين، وعبارة ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة. « وفيها توفي فارس بن زكريا والد ابن فارس ابي الحسين اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة. ولعل ما ذكره ابن تغرى بردى أقرب إلى الصحة فيكون المتوفي والد صاحب المجمل لا هو، إلا أني لم أجد لابنه هذا ترجمة في بغية الوعاة ولا في ابن خلكان. والله اعلم.

يـا ربّ إن ذنوبي قـد أحطْتَ بهـا علمـاً وبي وبـإعـلاني وإسـراري
أنـا المـوحـدُ لكني المقـرُّ بهـا فَهَبْ ذنـوبي لتوحيـدي وإقـراري

وفي شوال توفي أبو الحسن ثابت بن إبراهيم الحراني المتطبب الصابي، ومولده بالرقة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وكان عارفاً حاذقاً في الطب.

ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة

ذكر اقطاع مؤيد الدولة همذان

في هذه السنة أرسل الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد إلى عضد الدولة بهمذان رسولاً من عند أخيه مؤيد الدولة، يبذل له الطاعة والموافقة. فالتقاه عضد الدولة بنفسه وأكرمه، وأقطع أخاه مؤيد الدولة همذان وغيرها. وأقام عند عضد الدولة إلى أن عاد إلى بغداد، فردَّه إلى مؤيد الدولة، فأقطعه اقطاعاً كثيرة وسيَّر معه عسكراً يكون عند مؤيد الدولة في خدمته.

ذكر قتل أولاد حسنويه سوى بدر

لما خلع عضد الدولة على بدر، وأخويه عاصم، وعبد الملك، وفضَّل بدراً عليهما، وولّاه الأكراد، حسده أخواه، فشقا العصا وخرجا عن الطاعة. واستمال عاصم جماعة الأكراد المخالفين، فاجتمعوا عليه. فسيَّر إليه عضد الدولة عسكراً، فأوقعوا بعاصم ومن معه فانهزموا. وأُسِرَ عاصم وأُدخِلَ همذان على جمل، ولم يعرفْ له خبر بعد ذلك اليوم؛ وقَتَلَ أولاد حسنويه إلّا بدراً، فإنه ترك على حاله وأقرّ على عمله، وكان عاقلاً لبيباً حازماً كريماً، حليماً، وسيرد من أخباره ما يعلم به ذلك إن شاء الله تعالى.

ذكر ملك عضد الدولة قلعة سندة وغيرها

وفيها استولى عضد الدولة على قلاع أبي عبدالله المري بنواحي الجبل وكان منزله بسندة، وله فيها مساكن نفيسة. وكان قديم البيت، فقبض عليه وعلى أولاده واعتقلهم. فبقوا كذلك إلى أن أطلقهم الصاحب بن عباد فيما بعد، واستخدم ابنه أبا طاهر، واستكتبه، وكان حَسَنَ الخط واللفظ.

ذكر الحرب بين عسكر العزيز وابن جراح وعزل قسام عن دمشق

في هذه السَّنة سُيِّرت العساكر من مصرَ لقتالِ المفرج بن جراح، وسبب ذلك أن ابن جراح عظم شأنه بأرض فلسطين، وكثر جمعه وقويت شوكته، وبالغ هو في العيث والفساد وتخريب البلاد، فجهز العزيز بالله العساكر وسيَّرها وجعل عليها القائد بلتكين[١] التركي. فسار إلى الرملة واجتمع إليه من العرب من قيس وغيرها جمع كثير. وكان مع ابن جراح جمع يرمون بالنشاب ويقاتلون قتال الترك، فالتقوا، ونشبت الحرب بينهما، وجعل بلتكين كميناً، فخرج على عسكر ابن جراح من وراء ظهورهم عند اشتداد الحرب، فانهزموا، وأخذتهم سيوف المصريين، ومضى ابن جراح منهزماً إلى أنطاكية، فاستجار بصاحبها فأجاره، وصادف خروج ملك الروم[٢] من القسطنطينية في عساكر عظيمة يريد بلاد الإسلام فخاف ابن جراح، وكاتب بكجور بحمص والتجأ إليه. وأما عسكر مصر فإنهم نازلوا دمشق مخادعين لقسام لم يظهروا له، إلا إنهم جاؤوا لإصلاح البلد، وكفِّ الأيدي المتطرقة إلى الأذى.

وكان القائد أبو محمود قد مات سنة سبعين ـ وهو والي البلد ولا حكم له، وإنما الحكم لقسام ـ فلما مات، قام بعده في الولاية جيش بن الصمصامة ـ وهو ابن أخت أبي محمود ـ فخرج إلى بلتكين ـ وهو يظنُّ أنه يريد إصلاح البلد ـ فأمره أن يخرج هو ومن معه، وينزلوا بظاهر البلد ففعلوا. وحذر قسام وأمر من معه بمباشرة الحرب، فقاتلوا دفعات عدة، فقوي عسكر بلتكين، ودخلوا أطراف البلد، وملكوا الشاغور، وأحرقوا ونهبوا. فاجتمع مشايخ البلد عند قسام، وكلموه في أن يخرجوا إلى بلتكين، ويأخذوا أماناً لهم وله، فانخذل وذلّ وخضع بعد تجبره وتكبره. وقال: افعلوا ما شئتم. وعاد اصحاب قسام إليه فوجدوه خائفاً ملقياً بيده، فأخذ كل لنفسه. وخرج شيوخ البلد إلى بلتكين فطلبوا منه الأمان لهم ولقسام فأجابهم إليه وقال: أريد اتسلم البلد اليوم، فقالوا: افعل ما تؤمر. فأرسل والياً يقال له ابن خطلخ ومعه خيل ورجل. وكان مبدأ هذه الحرب والحصر في المحرم سنة سبعين لعشر بقين منه والدخول إلى البلد لثلاث بقين منه. ولم

---

(١) في بعض النسخ « يلتكين » بالياء المثناة من تحت في أوله. وكذا فيما يأتي وما هنا موافق لما في القلانسي. وفي النجوم الزاهرة « يكتكين » بكافين.

(٢) اسمه كما في القلانسي ـ تادرس ـ

يعرض لقسام ولا لأحد من أصحابه. وأقام قسام في البلد يومين، ثم استتر فأُخِذَ كل ما في داره وما حولها من دُور أصحابه وغيرهم . ثم خرج إلى الخيام ، فقصد حاجب بلتكين وعرَّفه نفسه فأخذه وحمله إلى بلتكين ، فحمله بلتكين إلى مصر ، فأطلقه العزيز. واستراح الناس من تحكُّمه عليهم، وتغلُّبه بمن تبعه من الأحداث من أهل العيث والفساد.

ذكر عدة حوادث

وفيها توفي علي بن محمد الأحدب المزور، وكان يكتب على خط كل واحد فلا يشك المكتوب عنه أنه خطُّه. وكان عضد الدولة إذا أراد الإيقاع بين الملوك، أمره أن يكتب على خط بعضهم إليه في الموافقة على من يريد إفساد الحال بينهما، ثم يتوصل ليصل المكتوب إليه فيفسد الحال، وكان هذا الأحدب ربما ختمت يده لهذا السبب.

وفيها زادت الفرات زيادة عظيمة جاوزت المألوف، وغرق كثير من الغلات، وتمرَّدت الصراة وخُرِّبت قناطرها العتيقة والجديدة، وأشفِى أهل الجانب الغربي من بغداد على الغرق. وبقيت الزيادة بها وبدجلة ثلاثة أشهر ثم نقصت.

وفيها زُفَّتْ ابنة عضد الدولة إلى الخليفة الطائع، ومعها من الجواهر شيء لا يُحصى.

وفيها ورد على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن، فيها قطعة واحدة من عنبر، وزنها ستة وخمسون رطلاً. وحج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العلوي، وخطب بمكة والمدينة للعزيز بالله صاحب مصر العلوي.

وفيها توفي أبو بكر أحمد بن علي الرازي إمام الفقهاء الحنفية في زمانه، وطلب ليلي قضاء القضاة، فامتنع وهو من أصحاب الكرخي.

وفيها توفي الزبير بن عبد الواحد بن موسى أبو يعلى البغدادي. سمع البغوي، وابن صاعد وسافر إلى أصبهان، وخراسان وأذربيجان وغيرها، وسمع فيها الكثير، وتوفي بالموصل هذه السنة. ومحمد بن جعفر بن الحسين بن محمد أبو بكر المفيد ـ المعروف بغندر ـ توفي بمفازة بُخارى، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس، وأبو محمد علي بن الحسن الأصبهاني، والحسن بن بشر الآمدي.

وفيها توفي القائد أبو محمود إبراهيم بن جعفر والي دمشق للعـزيز وقـام بعده جيش بن الصمصامة.

ثم دخلت سنة احدى وسبعين وثلاثمائة

ذكر عزل ابن سيمجور عن خراسان

في هذه السَّنة عُزِل أبو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان، واستعمل عوضه حسام الدولة أبو العباس تاش. وكان سبب ذلك أن الأمير نوح بن منصور لما ملك خراسان وما وراء النهر - وهو صبي - استوزر أبا الحسين العتبي فقام في حفظ الدولة القيام المرضي. وكان محمد بن سيمجور قد استوطن خراسان وطالت أيامه فيها فلا يطيع إلاّ فيما يريد. فعزله أبو الحسين العتبي عنها واستعمل مكانه حسام الدولة أبا العباس تاش، وسيَّره من بُخارى إلى نيسابور، في هذه السنة. فاستقر بها ودبر خراسان، ونظر في أمورها وأطاعه جندها.

ذكر استيلاء عضد الدولة على جرجان

في هذه السَّنة في جُمادى الآخرة استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان وأجل عنها صاحبها قابوس بن وشمكير. وسبب ذلك أن عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة، إنهزم فخر الدولة فلحق بقابوس كما ذكرناه - وبلغ ذلك عضد الدولة، فأرسل إلى قابوس يبذل له الرغائب من البلاد والأموال والعهود وغير ذلك، ليسلِّم إليه أخاه فخر الدولة، فامتنع قابوس من ذلك ولم يجب إليه. فجهَّزَ عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة، وسيَّره ومعه العساكر، والأموال، والعدد إلى جرجان. وبلغ الخبر قابوساً فسار إليه فلقيه بنواحي أستراباذ، فاقتتلوا من بكرة إلى الظهر. فانهزم قابوس وأصحابه في جُمادى الأولى. وقصد قابوس بعض قلاعه التي فيها ذخائره وأمواله، فأخذ ما أراد، وسار نحو نيسابور. فلما وردها لحق به فخر الدولة، وانضم إليهما من تفرق من أصحابهما. وكان وصولهم إليها عند ولاية حسام الدولة أبي العباس

تاش خراسان. فكتب حسام الدولة إلى الأمير أبي القاسم نوح بن منصور يعرِّفه خبر وصولهما. وكتبا أيضاً إلى نوح يعرفانه حالهما ويستنصرانه على مؤيد الدولة. فوردت كتب نوح على حسام الدولة، يأمره بإجلال محلهما وإكرامهما وجمع العساكر والمسير معهما، وإعادتهما إلى ملكهما. وكتب وزيره أبو الحسين بذلك أيضاً.

ذكر مسير حسام الدولة وقابوس إلى جرجان

فلما وردت الكتب من الأمير نوح على حسام الدولة بالمسير بعساكر خراسان جميعها مع فخر الدولة، وقابوس، جمع العساكر وحشد. فاجتمع بنيسابور عساكر سدَّت الفضاء، وساروا نحو جرجان، فنازلوها وحصروها، وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير، إلّا أنهم لا يقاربون عساكر خراسان. فحصرهم حسام الدولة شهرين يغاديهم القتال ويراوحهم. وضاقت الميرة على أهل جرجان حتى كانوا يأكلون نخالة الشعير معجونة بالطين. فلما اشتد عليهم الأمر خرجوا من جرجان، في شهر رمضان على عزم صدق القتال إما لهم وإما عليهم. فلما رآهم خراسان، ظنوها كما تقدم من الدفعات يكون قتال ثم تحاجز، فالتقوا، واقتتلوا قتالاً شديداً، فرأوا الأمر خلاف ما ظنوه.

وكان مؤيد الدولة قد كاتب بعض قواد خراسان يسمى فائق الخاصة وأطمعه ورغبه، فأجابه إلى الانهزام عند اللقاء. وسيرد من أخبار فائق هذا ما يعرف به محله من الدولة. فلما خرج مؤيد الدولة هذا اليوم، حمل عسكره على فائق وأصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعه الناس وثبت فخر الدولة، وحسام الدولة في القلب، واشتد القتال إلى آخر النهار. فلما رأوا تلاحق الناس في الهزيمة، لحقوا بهم وغنم أصحاب مؤيد الدولة منهم ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وأخذوا من الأقوات شيئاً كثيراً.

وعاد حسام الدولة، وفخر الدولة، وقابوس إلى نيسابور، وكتبوا إلى بُخارى بالخبر، فأتاهم الجواب يمَنّيهم ويعدهم، بإنفاذ العساكر والعود إلى جرجان والرّي. وأمر الأمير نوح سائر العساكر بالمسير إلى نيسابور فأتوها من كل حدب ينسلون. فاجتمع بظاهر نيسابور من العساكر أكثر من المرة الأولى، وحسام الدولة ينتظر تلاحق الإمداد ليسير بهم. فأتاهم الخبر بقتل الوزير أبي الحسين العتبي، فتفرق ذلك الجمع، وبَطُلَ ذلك التدبير، وكان سبب قتله أن أبا الحسن بن سيمجور وضع جماعة من المماليك

على قتله فوثبوا فقتلوه. فلما قتل، كتب الرضي نوح بن منصور إلى حسام الدولة يستدعيه إلى بُخارى ليدبر دولته، ويجمع ما انتشر منها بقتل أبي الحسن، فسار عن نيسابور إليها، وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسين. وكان قتله سنة اثنتين وسبعين.

ذكر قتل الأمير أبي القاسم أمير صقلية وهزيمة الفرنج

في هذه السَّنة في ذي القعدة سار الأمير أبو القاسم أمير صقلية من المدينة يريد الجهاد. وسبب ذلك أن ملكاً من ملوك الفرنج يقال له، بردويل، خرج في جموع كثيرة من الفرنج إلى صقلية فحصر قلعة مالطة، وملكها وأصاب سريتين للمسلمين. فسار الأمير أبو القاسم بعساكره ليرحله عن القلعة. فلما قاربها خاف وجبن فجمع وجوه أصحابه وقال لهم: « إني راجع من مكاني هذا فلا تكسروا علي رأيي ». فرجع هو وعساكره.

وكان أسطول الكفار يساير المسلمين في البحر، فلما رأوا المسلمين راجعين أرسلوا إلى بردويل ملك الروم، يعلمونه ويقولون له: « إن المسلمين خائفون منك فالحق بهم، فإنك تظفر ». فجرد الفرنجي عسكره من أثقالهم، وسار جريدة وجدَّ في السير، فأدركهم في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين، فتعبى المسلمون للقتال، واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم فحمل طائفة من الفرنج على القلب والأعلام، فشقوا العسكر ووصلوا إليها، وقد تفرق كثير من المسلمين عن أميرهم، واختل نظامهم. فوصل الفرنج إليه فأصابته ضربة على أم رأسه، فقُتِلَ وقُتِلَ معه جماعة من أعيان الناس وشجعانهم.

ثم إن المنهزمين من المسلمين رجعوا مصممين على القتال ليظفروا أو يموتوا، واشتد حينئذ الأمر وعظم الخطب على الطائفتين فانهزم الفرنج أقبح هزيمة، وقُتِلَ منهم نحو أربعة آلاف قتيل وأسِرَ من بطارقتهم كثير. وتبعوهم إلى أن أدركهم الليل وغنموا من أموالهم كثيراً، وأفلِتَ ملك الفرنج هارباً ومعه رجل يهودي كان خصيصاً به، فوقف فرس الملك فقال له اليهودي: « اركبْ فرسي، فإن قتلت فأنت لولدي ». فركبه الملك وقُتِل اليهودي. فنجا الملك إلى خيامه وبها زوجته وأصحابه فأخذهم وعاد إلى رومية، ولما قتل الأمير أبو القاسم كان معه ابنه جابر، فقام مقام أبيه ورحل بالمسلمين لوقتهم، ولم يمكنهم من اتمام الغنيمة فتركوا كثيراً منها. وسأله أصحابه أن يقيم إلى أن يجمع

السلاح وغيره، ويعمر به الخزائن فلم يفعل. وكانت ولاية أبي القاسم على صقلية اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان عادلاً حسن السيرة، كثير الشفقة على رعيته والإحسان إليهم، عظيم الصدقة، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا عقاراً، فإنه كان قد وقف جميع أملاكه على الفقراء وأبواب البر.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة وقع حريق بالكرخ ببغداد، فاحترق فيها مواضع كثيرة هلك فيها خلق كثير من الناس. وبقي الحريق اسبوعاً.

وفيها قبض عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي، والزمه منزله وعزله عن أعماله التي كان يتولاها. وكان حنفي المذهب شديد التعصب على الشافعي يطلق لسانه فيه قاتله الله[1].

---

(١) وسبب ذلك على ما حكاه في ذيل تجارب الامم « كان التنوخي مع عضد الدولة بهمذان فاتفق يوماً أنه مضى إلى أبي بكر بن شاهويه ـ وكان صديقه ـ ومعه أبو علي الهائم فجلسا يتحدثان في خركاه ـ وابو علي على بابها ـ وقال ابن شاهويه للتنوخي : ايها القاضي اجعل في نفسك المقام في هذا البلد مدة هذه الشتوة فقال: لم؟ قال: لان عضد الدولة يدبر في القبض على ابن عباد ـ وكان قد ورد إلى حضرته ـ فانصرف التنوخي من عنده فقال له أبو علي الهائم: قد سمعت ما كنتما فيه وهذا امر ينبغي أن تطويه ولا تخرج إلى احد به ولا سيما إلى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي فقال التنوخي : افعل، ونزل إلى خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته ومؤاكلته ومشاربته ـ وفيهم ابو الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي ـ فقال له : مالي أراك ايها القاضي مشغول القلب؟فاسترسل وقال له : أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل على كذا في امر الصاحب. وهذا دليل على تطاول السفر ولم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابيا من ركابية القاضي التنوخي وقال له: اين كنتم اليوم؟ فقال: عند أبي بكر ابن شاهويه فكتب إلى عضد الدولة ـ رقعة يقول فيها: كنت عند التنوخي فقال لي: كذا وكذا ـ وذكر أنه عرفه من حيث لا يشك فيه ـ وعرفت أنه كان عند أبي بكر بن شاهويه. وربما كان لهذا الحديث اصل فاذا ذاع السر فيه فسد ما دبرته في معناه، فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم جماً شديداً وقام من سماط كان عمله للديلم على منابت الزعفران مغيظاً واستدعى التنوخي وقال له: بلغني عنك كذا وكذا. فخجل التنوخي ثم جمع بينه وبين أبي الفضل الساعي له فوافقه فانكره واحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فانكرها وسئل أبو علي الهائم عما سمعه فقال: كنت خارج الخركاه وما وقفت على شيء فمد وضرب مائتي مقرعة واقيم. فنفض ثيابه وقال: اكثر الله خيركم، واتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة اخرى واندفعت القصة فرجع التنوخي إلى خيمته بعد أن ظن أنه مقبوض عليه وبقي يتردد إلى خدمة عضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد إلى بعض الاقبال عليه، ثم رحلوا إلى بغداد فرآه عضد الدولة ـ وعليه ثياب جميلة وتحته بغلة بمركب ثقيل ـ فال له: من اين هذه البغلة؟ فقال حملني عليها الصاحب بمركبها واعطاني عشرين قطعة ثياباً وسبعة آلاف درهم فقال: هذا =

وفيها أفرج عضد الدولة عن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب، وكان القبض عليه سنة سبع وستين، وكان سبب قبضه أنه كان يكتب عن بختيار كتباً في معنى الخلف الواقع بينه وبين عضد الدولة، فكان ينصح صاحبه، فمما كتبه عن الخليفة الطائع إلى عضد الدولة في المعنى، وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه فتزحزح له عن سنن المساواة، فنقم عليه عضد الدولة ذلك. وهذا من أعجب الأشياء، فإنه كان ينبغي أن يعظم في عينه لنصحه لصاحبه، فلما اطلقه امره بعمل كتاب يتضمن أخبارهم ومحاسنها. فعمل التاجي في دولة الديلم[1]

وفيها أرسل عضد الدولة القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري المعروف بابن الباقلاني إلى ملك الروم في جواب رسالة وردت منه. فلما وصل إلى الملك قيل له: ليقبِّل الأرض بين يديه. فلم يفعل فقيل: لا سبيل إلى الدخول إلا مع تقبيل الأرض. فأصرَّ على الامتناع. فعمل الملك باباً صغيراً يدخل منه القاضي منحنياً ليوهم الحاضرين أنه قبَّل الأرض، فلما رأى القاضي الباب علم ذلك، فاستدبره ودخل منه. فلما جازه استقبل الملك وهو قائم فعظم عندهم محله.

وفيها فتح المارستان العضدي غربي بغداد، ونُقِلَ إليه جميع ما يحتاج إليه من الأدوية.

= قليل لك مع ما تستحقه عليه فعلم التنوخي أنه اتهمه بذلك الحديث. وقوله «قاتله الله» في نسخة «قابله» بالباء الموحدة.

(١) وسبب الافراج عنه أنه لما اعتقل ما زال يثابر على المكاتبة إلى عضد الدولة ويستعطفه باشعاره إلى أن تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدار الى البطيحة فسأل حينئذ في اطلاقه والاذن له في استخلافه بحضرته لعناية أبي القاسم به فقال: اما العفو عنه فقد شفعناك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعف عما دونه لاهلنا ـ يعني الديلم ـ ولا لاولاد نبينا ﷺ ـ يعني أبا الحسن محمد بن عمر. وأبا أحمد الموسوي ـ ولكنا وهبنا اساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على الحفيظة منه. واما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز أن ننقله من السخط عليه والنكبة له إلى النظر في الوزارة، ولنا في امره تدبير وبالعاجل فاحمل إليه من عندك ثياباً ونفقة واطلق ولديه ـ وهما المحسن. وعمر ـ وتقدم إليه بعمل كتاب في مفاخرنا ففعل المطهر ذلك، وعمل أبو اسحاق الكتاب الذي سماه ـ التاجي في الدولة الديلمية ـ فكان إذا عمل منه جزءاً حمله إلى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه ويزيد فيه وينقص منه فلما كان تكامل ما أراده حرر وحمل كاملاً إلى خزانته. وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف فان أبا إسحاق كان من فرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكبهم ولا تنبو مضاربهم.

وفي هذه السنة توفي الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني الفقيه الشافعي. وكان عالماً بالحديث وغيره من العلوم[١]، والإمام محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابو زيد المروزي الفقيه الشافعي الزاهد يروي صحيح البخاري عن الفربري وتوفي في رجب[٢]، وابو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي شيخ الصوفية في وقته صحب الجريري، وابن عطاء، وغيرهما[٣].

وفيها توفي ابو الحسن علي بن إبراهيم الصوفي المعروف بالحصري[٤].

---

(١) قال الحافظ الذهبي في تذكرته: الامام الحافظ الثبت شيخ الاسلام أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس الاسماعيلي الجرجاني كبير الشافعية بناحيته. ولد سنة سبع وسبعين ومائتين. له معجم مروي وصنف الصحيح وأشياء كثيرة من جملتها مسند عمر رضي الله عنه هذبه في مجلدين.

(٢) هو شيخ الشافعية في زمانه وامام أهل عصره في الفقه والزهد والعبادة والورع سمع الحديث ودخل بغداد وحدث بها فسمع منه الدارقطني. وغيره. قال ابن الأهدل: كان أول أمره فقيراً.

(٣) كان شيخ اقليم فارس وصاحب احوال ومقامات. قال السلمي: هو اليوم شيخ المشايخ وتاريخ الزمان لم يبق للقوم اقدم منه سناً ولا اتم حالاً متمسك بالكتاب والسنة فقيه على مذهب الشافعي كان من أولاد الأمراء فتزهد، وقال ابن كثير قال ابن الجوزي: وقد ذكرت في كتابي المسمى ـ بتلبيس ابليس ـ عنه حكايات تدل على أنه كان يذهب مذهب الاباحية توفي في ثالث رمضان عن خمس وتسعين سنة، وكتاب تلبيس ابليس طبعناه والحمد لله.

(٤) أصل الحصري من البصرة صحب الشبلي وغيره وكان يعظ الناس بالجامع ثم لما كبرت سنه بُني له الرباط المقابل لجامع المنصور وكان لا يخرج الا من الجمعة إلى الجمعة وله كلام جيد في التصوف على طريقتهم.

والحصري ـ بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وفي آخر راء ـ نسبة إلى الحصر.

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة

ذكر ولاية بكجور دمشق

قد ذكرنا سنة ست وستين ولاية بكجور حمص لأبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان. فلما وليها عمَّرها، وكان بلد دمشق قد خربه العرب، وأهل العيث والفساد، مدة تحكم قسام عليها. وانتقل أهله إلى أعمال حمص فعمرت، وكثر أهلها والغلات فيها. ووقع الغلاء والقحط بدمشق، فحمل بكجور الأقوات من حمص إليه وتردد الناس في حمل الغلات، وحفظ الطرق وحماها. وكتب إلى العزيز بالله بمصرَ وتقرَّب إليه؛ فوعده ولاية دمشق فبقي كذلك إلى هذه السنة، ووقعت وحشة بين سعد الدولة أبي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وبين بكجور. فأرسل سعد الدولة يأمره بأن يفارق بلده، فارسل بكجور إلى العزيز بالله يطلب نجاز ما وعده من إمارة دمشق، وكان الوزير ابن كلس يمنع العزيز من ولايته إلى هذه الغاية. وكان القائد بلتكين قد ولِيَ دمشق بعد قسام كما ذكرناه ـ وهو مقيم بها ـ فاجتمع المغاربة بمصرَ على الوثوب بالوزير ابن كلس وقتله. فدعته الضرورة إلى أن يستحضر بلتكين من دمشق، فأمره العزيز بإحضاره، وتسليم دمشق إلى بكجور فقال: «إن بكجور إنْ وليها عصا فيها». فلم يصغ إلى قوله، وارسل إلى بلتكين يأمره بقصد مصر وتسليم دمشق إلى بكجور، ففعل ذلك. ودخلها في رجب من هذه السنة والياً عليها، فأساء السيرة إلى أصحاب الوزير ابن كلس والمتعلقين به، حتى أنه صَلَّبَ بعضهم، وفعل مثل ذلك في أهل البلد، وظلم الناس. وكان لا يخلو من أخذ مال وقتل وصلب، وعقوبة، فبقي كذلك إلى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وسنذكر هناك عزله إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة عضد الدولة

في هذه السّنة في شوّال اشتدَّتْ علة عضد الدولة ـ وهو ما كان يعتاده من الصرع ـ فَضَعُفَتْ قوته عن دفعه، فخنقه فمات منه ثامن شوال ببغداد، وحُمِل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدُفِنَ به. وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفاً. ولما توفي جلس ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار للعزاء، فأتاه الطائع لله معزياً، وكان عمر عضد الدولة سبعاً وأربعين سنة، وكان قد سيَّر ولده شرف الدولة أبا الفوارس إلى كرمان مالكاً لها قبل أن يشتد مرضه، وقيل: إنه لما احتضر لم ينطلق لسانه إلا بتلاوة: (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) وكان عاقلاً، فاضلاً، حسن السياسة، كثير الإصابة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، محباً للفضائل وأهلها، باذلاً في مواضع العطاء، مانعاً في أماكن الحزم، ناظراً في عواقب الأمور. قيل: لما مات عضد الدولة، بلغ خبره بعض العلماء وعنده جماعة من أعيان الفضلاء[١] فتذاكروا الكلمات التي قالها الحكماء عند موت الإسكندر، وقد ذكرتها في أخباره. فقال بعضهم: لو قلتم انتم مثلها لكان ذلك يؤثر عنكم، فقال أحدهم: لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها وأعطاها فوق قيمتها، وطلب الربح[٢] فيها فخسر روحَهُ فيها. وقال الثاني: من استيقظ للدنيا فهذا نومه، ومن حلم فيها فهذا انتباهه[٣]، وقال الثالث: ما رأيْتُ عاقلاً في عقله ولا غافلاً في غفلته مثله، لقد كان ينقض جانباً وهو يظن أنه مبرم، ويغرم وهو يظن أنه غانم[٤]، وقال الرابع: من جدَّ للدنيا هزلت به ومن هزل راغباً عنها جدت له[٥]؛ وقال الخامس: ترك هذا الدنيا شاغرة ورحل عنها بِلا زاد ولا راحلة. وقال

---

(١) ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب ـ الزلفة ـ أنه لما صحت وفاة عضد الدولة كنا عند أبي سليمان السجستاني وكان القومسي حاضراً والنوشجاني، والقاسم غلام زحل، وابن المقداد، والعروضي، والاندلسي، والصيمري فتذاكروا الكلمات العشرة المشهورة التي قالها الحكماء العشرة عند وفاة الاسكندر فقال الأندلسي الخ.

(٢) في ذيل تجارب الامم « وحسبك أنه طلب الربح » اهـ وقائل هذا ابو سليمان.

(٣) قائل هذا الصيمري.

(٤) قائل هذا النوشجاني.

(٥) قائل هذا القومسي وزاد « انظر إلى هذا كيف انتهى أمره وإلى أي حضيض وقع شأنه وإني لأظن أن الرجل الزاهد الذي مات في هذه الأيام ودفن بالشونيزية اخف ظهراً واعز ظهيراً من هذا.

السادس: إن ماء اطفأ هذه النار لعظيم، وإن ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف[٦]. وقال السابع: إنما سلبك من قدر عليك. وقال الثامن: أما إنه لو كان معتبراً في حياته، لما صار عبرة في مماته. وقال التاسع: الصاعد في درجات الدنيا إلى استفال والنازل في دركاتها إلى تعالٍ. وقال العاشر: كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك، وهلّا اتخذت دونه جنة تقيك، إن في ذلك لعبرة للمعتبرين، وإنّك لآية للمستبصرين. وبنى على مدينة النبي ﷺ سوراً. وله شعر حسن، فمن شعره لما ارسل إليه أبو تغلب بن حمدان يعتذر من مساعدته بختيار ويطلب الأمان، فقال عضد الدولة:

أأفاق حين وطِئْتُ ضيقَ خناقِهِ ... يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبن عزيمة عضدية ... تاجية تدع الأنوفَ رواغما

وقال ابياتاً منها بيت لم يفلحْ بعده، وهي هذه:

ليسَ شُربُ الكأس[١] إلا في المطر ... وغناء من جوار في السَّحر
غانياتٌ سالبات للنهى ... ناغماتٌ في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ... ساقيات الرّاح من فاق البشر
عضد الدولة وابن[٢] ركنها ... ملك الأملاك غلاب القدر

وهذا البيت هو المشار إليه.

وحُكِيَ عنه أنه كان في قصره جماعة من الغلمان، يحمل إليهم مشاهراتهم من الخزانة. فأمر أبا نصر خواشاذه أن يتقدم إلى الخازن بأن يسلم جامكية الغلمان إلى نقيبهم في شهر قد بقي منه ثلاثة أيام. قال أبو نصر: فأنسيت ذلك أربعة أيام، فسألني عضد الدولة عن ذلك فقلت: أنسيته فأغلظ لي. فقلت أمس استهل الشهر والساعة نحمل المال وما ههنا ما يوجب شغل القلب فقال: المصيبة بما لا تعلمه من الغلط أكثر منها في التفريط. ألا تعلم أنا إذا أطلقنا لهم ما لهم قبل محله كان الفضل لنا عليهم، فإذا أخرنا ذلك عنهم حتى استهل الشهر الآخر، حضروا عند عارضهم، وطالبوه، فيعدهم فيحضرونه في اليوم الثاني، فيعدهم ثم يحضرونه في اليوم الثالث، ويبسطون

---

(١) في البداية والنهاية ١١/٣٢٠: «الراح».
(٢) في البداية والنهاية ١١/٣٢١: «باني». وذكر أبياتاً أربعة بعد هذه.

ألسنتهم فتضيع المنة وتحصل الجرأة، ونكون إلى الخسارة أقرب منا إلى الربح. وكان لا يعول في الأمور إلا على الكفاءة، ولا يجعل للشفاعات طريقاً إلى معارضة من ليس من جنس الشافع ولا فيما يتعلق به. حُكِيَ عنه أن مقدم جيشه أسفار بن كردويه شفع في بعض أبناء العدول ليتقدم إلى القاضي ليسمع تزكيته ويعدله فقال: ليس هذا من أشغالك، إنما الذي يتعلق بك الخطاب في زيادة قائد ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم. وأما الشهادة وقبولها فهي إلى القاضي وليس لنا، ولا لك الكلام فيه، ومتى عرف القضاة من انسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة. وكان يخرج في ابتداء كل سنة شيئاً كثيراً من الأموال للصدقة والبر في سائر بلاده، ويأمر بتسليم ذلك إلى القضاة، ووجوه الناس ليصرفوه إلى مستحقيه. وكان يوصل إلى العمال المتعطلين ما يقوم بهم، ويحاسبهم به إذا عملوا، وكان محباً للعلوم وأهلها مقرباً لهم محسناً إليهم، وكان يجلس معهم ويعارضهم في المسائل. فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب، ومنها الإيضاح في النحو، والحجة في القراءات، والملكي في الطب، والتاجي في التاريخ إلى غير ذلك. وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستانات والقناطر، وغير ذلك من المصالح العامة، إلّا أنه أحدث في آخر أيامه رسوماً جائرة في المساحة والضرائب، على بيع الدواب وغيرها من الأمتعة، وزاد على ما تقدم ومنع من عمل الثلج والقز وجعلهما متجراً للخاص. وكان يتوصل إلى أخذ المال بكل طريق. ولما توفي عضد الدولة قبض على نائبه أبي الريان من الغد فأخذ من كمه رقعة فيها:

أيا واثقاً بالدهر عند انصرافِهِ ... رويدك إني بالزمان أخو خبرِ
وياشامتاً مهلاً فكم ذي شماتة ... تكون له العقبي بقاصمة الظهرِ

ذكر ولاية صمصام الدولة العراق وملك أخيه شرف الدولة بلاد فارس

لما توفي عضد الدولة اجتمع القوّاد والأمراء على ولده أبي كاليجار المرزبان، فبايعوه وولوه الإمارة ولقَّبوه صمصام الدولة. فلما وُلّي، خلع على أخويه أبي الحسين أحمد، وأبي طاهر فيروزشاه، وأقطعهما فارس وأمرهما بالجدّ في السير، ليسبقا أخاهما شرف الدولة أبا الفوارس شيرزيل إلى شيراز. فلما وصلا إلى أرجان أتاهما خبر وصول شرف الدولة إلى شيراز، فعادا إلى الأهواز. وكان شرف الدولة بكرمان، فلما بلغه خبر وفاة أبيه سار مجدّاً إلى فارس، فملكها وقبض على نصر بن

هارون النصراني وزير أبيه وقتله، لأنه كان يسيء صحبته أيام أبيه. وأصلح أمر البلاد، وأطلق الشريف أبا الحسين محمد بن عمر العلوي، والنقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي، والقاضي أبا محمد بن معروف، وأبا نصر خواشاذه. وكان عضد الدولة حبسهم، وأظهر مشاققة أخيه صمصام الدولة، وقطع خطبته، وخطب لنفسه وتلقب بتاج الدولة. وفرّق الأموال وجمع الرجال وملك البصرة، وأقطعها أخاه أبا الحسين، فبقي كذلك ثلاث سنين إلى أن قبض عليه شرف الدولة، على ما نذكره، إن شاء الله تعالى. فلما سمع صمصام الدولة بما فعله شرف الدولة سيَّر إليه جيشاً، واستعمل عليهم الأمير أبا الحسن ابن دبعش حاجب عضد الدولة. فجهَّز تاج الدولة عسكراً واستعمل عليهم الأمير أبا الأعز دبيس بن عفيف الأسدي، فالتقيا بظاهر قُرْقوب[1] واقتتلوا. فانهزم عسكر صمصام الدولة وأُسِرَ دبعش. فاستولى حينئذ أبو الحسين بن عضد الدولة على الأهواز وأخذ ما فيه، وفي رامهرمز وطمع في الملك. وكانت الوقعة في ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

ذكر قتل الحسين بن عمران بن شاهين

في هذه السنة قُتِلَ الحسين بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة، قتله أخوه أبو الفرج، واستولى على البطيحة. وكان سبب قتله أنه حسده على ولايته، ومحبة الناس له. فاتفق أن أختاً لهما مرضت فقال أبو الفرج لأخيه الحسين: إن أختنا مشفية فلو عدتها، ففعل، وسار إليها. ورتب أبو الفرج في الدار نفراً يساعدونه على قتله. فلما دخل الحسين الدار تخلَّف عنه أصحابه، ودخل أبو الفرج معه وبيده سيفه. فلما خلا به قتله. ووقعت الصيحة، فصعد إلى السطح وأعلم العسكر بقتله، ووعدهم الإحسان فسكتوا، وبذل لهم المال فأقروه في الأمر، وكتب إلى بغداد يُظهِرُ الطاعة ويطلب تقليده الولاية. وكان متهوراً جاهلا.

ذكر عود ابن سيمجور إلى خراسان

لما عُزِلَ أبو الحسن بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان، ووليها أبو العباس، سار بن سيمجور إلى سجستان فأقام بها، فلما انهزم أبو العباس عن جرجان، على ما

---

(١) قرقوب: بلدة متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز وكانت تعد من أعمال عسكر.

ذكرناه، ورأى الفتنة قد رفعت رأسها، سار عن سجستان نحو خراسان، وأقام بقهستان. فلما سار أبو العباس إلى بُخارى، وخلت منه خراسان، كاتب ابن سيمجور فائقاً يطلب موافقته على الإستيلاء على خراسان، فأجابه إلى ذلك واجتمعا بنيسابور واستوليا على تلك النواحي.

وبلغ الخبر إلى أبي العباس، فسار عن بُخارى في جمع كثير إلى مروَ، وترددت الرُّسل بينهم، فاصطلحوا على أن تكون نيسابور وقيادة الجيوش لأبي العباس، وتكون بلخ لفائق، وتكون هراة لأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور. وتفرقوا على ذلك، وقصد كل واحد منهم ولايته.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة توفي نقيب النقباء أبو تمام الزينبي، وولي النقابة بعده ابنه أبو الحسن. وتوفي محمد بن جعفر المعروف بزوج الحرة في صفر ببغداد[1]. وتوفي في جُمادى الأولى منصور بن أحمد بن هارون الزاهد وهو ابن خمس وستين سنة.

---

(١) كان احد العدول الثقات جليل القدر، وسبب تسميته بزوج الحرة ـ على ما قاله الخطيب، وابن الجوزي وابن كثير انه كان يدخل الى مطبخ ابيه بدار مولاته التي كانت زوجة المقتدر بالله فلما توفي المقتدر وبقيت هذه المرأة سالمة من الكتاب والمصادرات وكانت كثيرة الأموال ـ وكان هذا غلاماً شاباً حدث السن يحمل شيئاً من حوائج المطبخ على رأسه فيدخل به إلى مطبخها مع جملة الخدم وكان شاباً رشيقاً حركاً فنفق على القهرمانة حتى جعلته كاتباً على المطبخ ثم ترقى إلى أن صار وكيلاً للست على ضياعها ينظر فيها وفي اموالها ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدثه من وراء الحجاب ثم علقت به واحبته وسألته ان يتزوج بها فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فشجعته هي واعطته اموالاً كثيرة ليظهر عليه الحشمة والسعادة مما يناسبها ليتأهل لذلك ثم شرعت تهادي القضاة والأكابر ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة واعترض أولياؤها عليها فغلبتهم بالمكارم والهدايا. ودخل عليها فمكثت معه دهراً طويلاً ثم ماتت قبله فورث منها نحو ثلاثمائة ألف دينار. وطال عمره بعدها حتى كانت وفاته في هذه السنة ودفن عند قبر معروف الكرخي ببغداد.

البداية والنهاية ١١/٣٢٢.

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة

ذكر موت مؤيد الدولة

وعود فخر الدولة الى مملكته

في هذه السنة في شعبان توفي مؤيد الدولة ابو منصور بويه بن ركن الدولة بجرجان ، وكانت علَّته الخوانيق ، وقال له الصاحب بن عباد : لو عهدت إلى أحد . فقال : أنا في شغل عن هذا ، ولم يعهد بالملك إلى احد ، وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة . وجلس صمصام الدولة للعزاء ببغداد ، فأتاه الطائع لله معزياً فلقيه في طيارة ، ولما مات مؤيد الدولة تشاور أكابر دولته فيمن يقوم مقامه ، فأشار الصاحب اسماعيل بن عباد بإعادة فخر الدولة إلى مملكته ، إذ هو كبير البيت ، ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة ، ولما فيه من آيات الإمارة والملك ، فكتب إليه واستدعاه ـ وهو بنيسابور ـ وأرسل الصاحب إليه واستخلفه لنفسه ، وأقام في الوقت خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس إلى قدوم فخر الدولة . فلما وصلت الأخبار ، إلى فخر الدولة ، سار إلى جرجان فلقيه العسكر بالطاعة ، وجلس في دست ملكي في رمضان بغير منة لأحد ، فسبحان من إذا أراد أمراً كان. ولما عاد إلى مملكته قال له الصاحب : يا مولانا قد بلَّغَكَ الله ، وبلغني فيك ما املته ومن حقوق خدمتي لك إجابتي إلى ترك الجندية ، وملازمة داري والتوفر على أمر الله فقال : لا تقلْ هذا ، فما اريد المُلك إلّا لك ، ولا يستقيم لي أمر إلّا بك ، وإذا كرهت ملابسة الأمور كرهتها أنا أيضاً ، وانصرفت ، فقبَّل الأرض وقال : الأمر لك ، فاستوزره واكرمه وعظمه وصدر عن رأيه في جليل الأمور وصغيرها ، وسيِّرت الخلع من الخليفة إلى فخر الدولة والعهد ، واتفق فخر الدولة وصمصام الدولة فصارا يداً واحدة .

ذكر عزل ابي العباس عن خراسان وولاية ابن سيمجور

لما عاد أبو العباس عن بُخارى إلى نيسابور كما ذكرناه ، استوزر الأميرُ نوح عبدالله بن عزيز وكان ضداً لأبي الحسين العتبي ، وأبي العباس . فلما ولي الوزارة بدأ بعزل أبي العباس عن خراسان وإعادة أبي الحسن بن سيمجور إليها . فكتب من بخراسان من القواد إليه يسألونه أن يقرّ أبا العباس على عمله فلم يجبهم إلى ذلك ، فكتب أبو العباس إلى فخر الدولة بن بويه يستمده فأمدَّه بمال كثير ، وعسكر ، فأقاموا بنيسابور وأتاهم أبو محمد عبدالله بن عبد الرزاق معاضداً لهم على ابن سيمجور ، وكان أبو العباس حينئذ بمرو ، فلما سمع أبو الحسن بن سيمجور ، وفائق بوصول عسكر فخر الدولة إلى نيسابور ، قصدوهم ، فانحاز عسكر فخر الدولة ، وابن عبد الرزاق ، وأقاموا ينتظرون أبا العباس . ونزل ابن سيمجور ومن معه بظاهر نيسابور ، ووصل أبو العباس فيمن معه واجتمع بعسكر الديلم ، ونزل بالجانب الآخر وجرى بينهم حروب عدّة أيام ، وتحصَّن ابن سيمجور بالبلد . وأنفذ فخر الدولة إلى أبي العباس عسكراً آخر أكثر من ألفي فارس ، فلما رأى ابن سيمجور قوة أبي العباس ، انحاز عن نيسابور فسار عنها ليلاً وتبعه عسكر أبي العباس فغنموا كثيراً من أموالهم ودوابهم ، واستولى أبو العباس على نيسابور وراسل الأمير نوح بن منصور يستميله ويستعطفه ، ولجَّ ابن عزيز في عزله ، ووافقه على ذلك والدة الأمير نوح وكانت تحكم في دولة ولدها ، وكانوا يصدرون عن رأيها ، فقال بعض أهل العصر في ذلك :

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وأمرة الصبيانِ
أما النساء فميلهن إلى الهوى ... وأخو الصبا يجري بغير عنانِ

ذكر انهزام أبي العباس إلى جرجان ووفاته

لما انهزم ابن سيمجور ، أقام أبو العباس بنيسابور يستعطف الأمير نوحاً ووزير ابن عزيز، وترك اتباع ابن سيمجور وإخراجه من خراسان. فتراجع إلى ابن سيمجور أصحابه المنهزمون ، وعادت قوته وأتته الأمداد من بُخاري ، وكاتب شرف الدولة أبا الفوارس بن عضد الدولة ـ وهو بفارس ـ يستمدُّه فأمده بألفي فارس مراغمة لعمِّه فخر الدولة ، فلما كثف جمعه قصد أبا العباس ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً إلى آخر

النهار . فانهزم أبو العباس وأصحابه وأسر منهم جماعة كثيرة ، وقصد أبو العباس جرجان ، وبها فخر الدولة فأكرمه ، وعظمه وترك له جرجان ، ودهستان ، وأستراباذ صافية له ، ولمن معه . وسار عنها إلى الري ، وأرسل إليه من الأموال والآلات ما يجل عن الوصف ، وأقام ابو العباس بجرجان هو وأصحابه ، وجمع العساكر ، وسار نحو خراسان فلم يصل إليها وعاد إلى جرجان ، وأقام بها ثلاث سنين ، ثم وقع بها وباء شديد ومات فيه كثير من أصحابه ، ثم مات هو أيضاً وكان موته سنة سبع وسبعين ، وقيل : إنه مات مسموماً. وكان أصحابه قد أساؤوا السيرة مع أهل جرجان. فلما مات ثار بهم أهلها ونهبوهم ، وجرت بينهم وقعة عظيمة أجلت عن هزيمة الجرجانية ، وقُتِلَ منهم خلق كثير وأحرِقَتْ دورهم ونُهِبَتْ أموالهم ، وطلب مشايخهم الأمان فكفوا عنهم . وتفرق أصحابه فسار أكثرهم إلى خراسان ، واتصلوا بأبي علي بن أبي الحسن بن سيمجور ، وكان حينئذ صاحب الجيش مكان أبيه . وكان والده قد توفي فجأة ، وهو يجامع بعض حظاياه ، فمات على صدرها ، فلما مات قام بالأمر بعده ابنه أبو علي ، واجتمع إخوته على طاعته ، منهم أخوه أبو القاسم ، وغيره . فنازعه فائق الولاية ، وسنذكر ذلك سنة ثلاث وثمانين عند ملك الترك بُخارى إن شاء الله تعالى .

ذكر قتل أبي الفرج محمد بن عمران
وملك أبي المعالي ابن أخيه الحسن

في هذه السنة قُتِلَ أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة ، وولي أبو المعالي ابن أخيه الحسن ، وسبب قتله ، أن ابا الفرج قدم الجماعة الذين ساعدوه على قتل أخيه ، ووضع من حال مقدمي القواد ، فجمعهم المظفر بن علي الحاجب ـ وهو أكبر قواد أبيه عمران ، وأخيه الحسن ـ وحذَّرهم عاقبة أمرهم ، فاجتمعوا على قتل أبي الفرج ، فقتله المظفر(١) وأجلس أبا المعالي مكانه ، وتولى

---

(١) كيفية قتله ـ على ما حكاه الوزير ابو شجاع ـ هو أن أبا الفرج ركب من دار الامارة إلى بناء استحدثه وعرف المظفر خبره فقصده الى الموضع ودخل عليه فلما رآه أبو الفرج قال له : فيم حضرت؟ قال : علمت ركوب الامير فاحببت خدمته . وحضر من اعطاه كتاباً فلما اخذه وتشاغل بقراءته جرد المظفر سيفه وثار إليه فضربه وبادر من كان بين يديه من خواصه الى المظفر بسيوفهم وهو كالجمل الهائج يدافعهم عن نفسه واكب على ابي الفرج ضرباً حتى فرغ منه . وقد اصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه ونـزل الى المنصورة

تدبيره بنفسه ، وقتل كل من كان يخافه من القواد ، ولم يترك معه إلا من يثق به ، وكان أبو المعالي صغيراً .

ذكر استيلاء المظفر على البطيحة

لما طالت أيام على المظفر بن علي الحاجب وقوي أمره طمع في الاستقلال بأمر البطيحة ، فوضع كتاباً عن لسان صمصام الدولة إليه ، يتضمن التعويل عليه في ولاية البطيحة ، وسلّمه إلى ركابي غريب ، وأمره أن يأتيه إذا كان القواد والأجناد عنده ، ففعل ذلك ، وأتاه وعليه أثر الغبار وسلّم إليه الكتاب ، فقبله وفتحه ، وقرأه بمحضر من الأجناد ، وأجاب بالسمع والطاعة ، وعزل أبا المعالي ، وجعله مع والدته ، وأجرى عليهما جراية ثم اخرجهما إلى واسط ، وكان يصلهما بما ينفقانه ، واستبد بالأمر وأحسن السير ، وعدل في الناس مدة ، ثم إنه عهد إلى ابن أخته أبي الحسن علي بن نصر ، الملقَّب بمهذب الدولة ـ وكان يلقَّب حينئذ بالأمير المختار ـ وبعده إلى أبي الحسن علي بن جعفر ـ وهو ابن أخته الأخرى ـ وانقرض بيت عمران بن شاهين ، وكذلك الدنيا دول ، وما أشبه حاله بحال باذ فإنه ملك ، وانتقل الملك إلى ابن أخته ممهد الدولة بن مروان .

ذكر عصيان محمد بن غانم

وفيها عصا محمد بن غانم البرزيكاني بناحية كوردر من أعمال قم على فخر الدولة ، وأخذ بعض غلات السلطان ، وامتنع بحصن الهفتجان ، وجمع البرزيكاني إلى نفسه ، فسارت إليه العساكر في شوّال لقتاله فهزمها ، وأعيدت إليه من الرّي مرة أخرى ، فهزمها ، فأرسل فخر الدولة إلى أبي النجم بدر بن حسنويه ، ينكر ذلك عليه ويأمره بإصلاح الحال معه ، ففعل ، وراسله فاصطلحوا أول سنة أربع وسبعين ، وبقي إلى خمس وسبعين ، فسار إليه جيش لفخر الدولة ، فقاتله فأصابه طعنة ، وأُخِذَ أسيراً فمات من طعنته .

التي بها دار الامارة وأخرج ابا المعالي بن أبي محمد بن عمران ـ وهو صغير السن ـ فأقامه اميراً واطلق المال وارضى الجند. ومضى أبو الفرج بعد أخيه سريعاً صرع أخاه فاصبح بعده صريعاً وباع دينه بدنياه فخسرهما جميعاً، وكذلك كل قاتل مقتـول وكل خاذل مخذول، وكن كيف شئت فكما تدين تدان .

ذكر انتقال بعض صنهاجة
من أفريقية إلى الأندلس وما فعلوه

في هذه السنة انتقل أولاد زيري بن مناد ـ وهم زاوي ، وجلالة ، وما كسن إخوة بلكين إلى الأندلس . وسبب ذلك أنهم وقع بينهم وبين أخيهم حمَّاد حروب وقتال على بلاد بينهم ، فغلبهم حمّاد ، فتوجهوا إلى طنجة ومنها إلى قرطبة ، فأنزلهم محمد بن ابي عامر وسر بهم ، وأجرى عليهم الوظائف وأكرمهم وسألهم عن سبب انتقالهم ، فأخبروه . وقالوا له : إنما اخترناك على غيرك ، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله ، فاستحسن ذلك منهم ، ووعدهم ووصلهم ، فأقاموا أياماً ثم دخلوا عليه وسألوه إتمام ما وعدهم به من الغزو ، فقال : انظروا ما أردتم من الجند نعطيكم . فقالوا : ما يدخل معنا بلاد العدو غيرنا إلاّ الذين معنا من بني عمنا وصنهاجة وموالينا ، فأعطاهم الخيل ، والسلاح ، والأموال ، وبعث معهم دليلاً ، وكان الطريق ضيقاً ، فأتوا أرض جليقية ، فدخلوها ليلاً وكمنوا في بستان بالقرب من المدينة ، وقتلوا كل من به وقطعوا أشجاره ، فلما أصبحوا خرج جماعة عن البلد فضربوا عليهم وأخذوهم ، وقتلوهم جميعهم . فرجعوا وتسامع العدو ، فركبوا في أثرهم ؛ فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة ، فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم ، وضربوا في ساقتهم ، وكبروا ، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير ، فانهزموا ، وتبعهم صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا إلى قرطبة ، فعظم ذلك عند ابن أبي عامر ورأى من شجاعتهم مالم يرَه من جند الأندلس ، فأحسن إليهم وجعلهم بطانته .

ذكر غزوة ابن أبي عامر إلى الفرنج بالأندلس

لما رأى أهل الأندلس فعل صنهاجة حسدوهم ، ورغبوا في الجهاد . وقالوا للمنصور بن أبي عامر : لقد نشطنا هؤلاء للغزو ، فجمع الجيوش الكثيرة من سائر الأقطار وخرج إلى الجهاد ، وكان رأى في منامه تلك الليالي كأنَّ رجلاً أعطاه الأسبراج فأخذه من يده وأكل منه ، فعبره على ابن أبي جمعة فقال له : اخرج إلى بلد أليون فإنك ستفتحها ، فقال : من أين أخذت هذا ؟ فقال : لأن الاسبراج يقال له في المشرق :

الهليون ، فملك الرؤيا قال لك : هاليـون ، فخرج إليهـا ونازلهـا ـ وهي من أعظم مدائنهم ـ واستمدَّ أهلها الفرنج ، فأمدوهم بجيوش كثيرة واقتتلوا ليلاً ونهاراً ، فكَثُرَ القتل فيهم ، وصبرت صنهاجة صبراً عظيماً ، ثم خرج قومص كبير من الفرنج لم يكن لهم مثله فجال بين الصفوف ، وطلب البراز فبرز إليه جلالة بن زيري الصنهاجي ، فحمل كل واحد منهما على صاحبه فطعنه الفرنجي ، فمال عن الطعنة وضربه بالسيف على عـاتقه ، فـأبان عـاتقه فسقط الفـرنجي إلى الأرض ، وحمل المسلمـون على النصارى ، فانهزموا إلى بلادهم وقُتِلَ منهم مالا يُحصى ، وملك المدينة وغنم ابن ابي عامر غنيمة لم يرَ مثلهـا ، واجتمع من السبي ثـلاثون ألفـاً ، وأمر بـالقتلى ، فنضد بعضهـا على بعض ، وأمر مؤذناً فأذنَ فوق القتلى المغرب . وخرَّب مدينة قامـونة ورجع سالماً هو وعساكره .

ذكر وفاة يوسف بلكين وولاية ابنه المنصور

في هذه السنة لسبع بقين من ذي الحجة ، تـوفي يوسف بلكين بن زيـري[١] صاحب أفريقية بوارقلين ، وسبب مضيه إليها أن خزرون الزناتي دخل سُجلمـاسة ، وطرد عنها نائب يوسف بلكين ، ونهب ما فيها من الأموال والعدد ، وتغلّب على فاس زيري بن عطية الزناتي ، فرحل يوسف إليها فاعتل في الطريق بقولنج وقيل : خرج في يده بثرة فمات منها ، فأوصى بولاية ابنه المنصور .

---

(١) بلكين بضم الباء الموحدة واللام وتشديد الكاف المكسورة وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها نون، وزيري ـ بكسر الزاي وبسكون الياء المثناة من تحت وكسر الراء وبعدها ياء ـ وهو الذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على افريقية عند توجهه الى الديار المصرية . وكان استخلافه اياه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة إحدى وستين وثلاثمائة . وأمر الناس بالسمع والطاعة له وسلم اليه البلاد وخرجت العمال وجباة الأموال باسمه وأوصاه المعز بأمور كثيرة وأكد عليه في فعلها . ثم قال : إن نسيت ما أوصيتك به فلا تَنْسَ ثلاثة أشياء : إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية . والسيف عن البربر . ولا تولِّ أحداً من أخوتك وبني عمك فإنهم يرون أنهم أحق بهذا الأمر منك . وافعل مع أهل الحاضرة خيراً وفارقه على ذلك وعاد من وادعه وتصرف في الولاية ولم يزل حسن السيرة تام النظر في مصالح دولته ورعيته إلى أن توفي يوم الأحد لسبع بقين من ذي الحجة بموضع يقال له : واركلان مجاور افريقية؛ وكان له اربعمائة حظية حتى قيل : ان البشائر وفدت عليه في يوم واحد بولادة سبعة عشر ولداً، وواركلان ـ بفتح الواو وبعد الالف راء مفتوحة أيضاً ثم كاف ساكنة وبعد اللام ألف ونون .

وكان المنصور بمدينة أشير ، فجلس للعزاء بأبيه وأتاه أهل القيروان وسائر البلاد يعزونه بأبيه ويهنونه بالولاية ، فأحسن إلى الناس وقال لهم : « إن أبي يوسف وجدي زيري كانا يأخذان الناس بالسيف ، وأنا لا آخذهم إلّا بالإحسان ، ولسْتُ ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب » ـ يعني أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب ـ . ثم سار إلى القيروان وسكن برقادة وولي الأعمال . واستعمل الأمراء وأرسل هدية عظيمة إلى العزيز بالله بمصر قيل : كانت قيمتها ألف ألف دينار . ثم عاد إلى أشير واستخلف على جباية الأموال بالقيروان والمهدية وجميع أفريقية إنساناً يقال له : عبدالله بن الكاتب .

ذكر أمر باذ[١] الكردي

خال بني مروان وملكه الموصل

في هذه السنة قوي أمر باذ الكردي واسمه أبو عبدالله الحسين بن دوستك ـ وهو من الأكراد الحميدية ـ وكان ابتداء أمره ، أنه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيراً ، وكان عظيم الخلقة له بأس وشدة. فلما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده ، فلما رأى عضد الدولة خافه وقال : ما أظنه يُبقي عليَّ ، فهرب حين خرج من عنده ، وطلبه عضد الدولة بعد خروجه ليقبضَ عليه وقال : له بأس وشدة ، وفيه شر ، ولا يجوز الإبقاء على مثله ، فأخبِرَ بهربه ، فكفَّ عن طلبه . وحصل بثغور ديار بكر وأقام بها إلى أن استفحل أمره وقوي ، وملك ميافارقين وكثيراً من ديار بكر بعد موت عضد الدولة . ووصل بعض أصحابه إلى نصيبين فاستولى عليها ، فجهزَّ صَمصام الدولة إليه العساكر مع أبي سعد بهرام بن أردشير ، فواقعه، فانهزم بهرام وأسر جماعة من أصحابه وقوي أمر باذ، فأرسل صمصام الدولة إليه أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب في عسكر كثير ، فالتقوا بباجلايا على خابور الحسنية من بلد كواشي ، واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم سعد وأصحابه ، واستولى باذ على كثير من الديلم ، فقتل وأسر ثم قتل الأسرى صبراً ، وفي هذه الوقعة يقول ابو الحسين البشنوي .

ببـاجـلايـا جلونـا عنـه غمغمـة ... ونحن في الـروع جـلاؤن للكـربِ

---

(١) وقع هنا « باذ» بباء موحدة مفخمة وذال معجمة، وفي النجوم الزاهرة. وذيل تجارب الامم « باد » بموحدة مفخمة ودُال مهملة. وهو لقب له.

ـ يعني باذا ـ وسنذكر سببه سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة إن شاء الله تعالى ، ولما هزم باذ الديلم وسعداً وفعل بهم ما تقدم ذكره ، سبقه سعد ، فدخل الموصل . وسار باذ في أثره ، فثار العامة بسعد لسوء سيرة الديلم فيهم فنجا منهم بنفسه . ودخل باذ إلى الموصل واستولى عليها ، وقويت شوكته وحدَّثَ نفسه بالتغلب على بغداد وإزالة الديلم عنها . وخرج من حد المتطرفين ، وصار في عداد أصحاب الأطراف، فخافه صمصام الدولة وأهمه أمره وشغله عن غيره، وجمع العساكر ليسَيِّرها إليه، فانقضت السنة .

وقد حدثني بعض أصدقائنا من الأكراد الحميدية ممن يعتني بأخبار باذ،أنباذا كنيته أبو شجاع ، واسمه باذ وأن أبا عبدالله الحسين بن دوستك هو أخو باذ ، وكان إبتداء أمره أنه كان يرعى الغنم ، وكان كريماً جواداً ، وكان يذبح الغنم التي له ويطعم الناس ، فظهر عنه اسم الجود فاجتمع عليه الناس ، وصار يقطع الطريق ، وكلما حصل له شيء أخرجه فكَثُرَ جمعه ، وصار يغزو . ثم إنه دخل أرمينية فملك مدينة أرجيش ـ وهي أول مدينة ملكها ـ فقوي بها . وسار منها إلى ديار بكر فملك مدينة آمد ، ثم ملك مدينة ميافارقين وغيرها من ديار بكر ، وسار إلى الموصل ، فملكها كما ذكرناه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة استعمل العزيز بالله الخليفة العلوي على دمشق وأعمالها بكجور التركي مولى قرعويه[١] أحد غلمان سيف الدولة بن حمدان ، وكان له حمص ، فسار منها إلى دمشق وظلم أهلها وعسفهم وأساء السيرة فيهم ، وقد ذكرناه سنة اثنتين وسبعين مستقصى .

وفيها وَزِرَ أبو محمد علي بن العباس بن فسانجس لشرف الدولة .

وفيها في ربيع الأول انقض كوكب عظيم اضاءت له الدنيا ، وسُمِعَ له مثل دوي الرعد الشديد .

وفيها غَلَت الأسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد ، وعُدِمَت الأقوات ، فمات كثير من الناس جوعاً ، وفيها وَزِرَ أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان لصمصام

(١) في تجارب الامم « قرغويه » وفي القلانسي ذيل تاريخ دمشق « فرغويه » وورد في تاريخ الطبري « قرعويه ».

الدولة . وفيها ورد القرامطة إلى قريب بغداد وطمعوا في موت عضد الدولة ، فصولحوا على مال أخذوه وعادوا ، وفيها في جُمادى الآخرة توفي سعيد بن سلّام أبو عثمان المغربي بنيسابور[١] ومولده بالقيروان ، ودخل الشام فصحب الشيوخ منهم أبو الخير الأقطع ، وغيره وكان من أرباب الأحوال .

(١) ولد بقرية يقال لها كركنت ـ وهي بلد على ساحل البحر في جزيرة صقلية ـ كان أوحد عصره في الزهد والورع والعزلة، قال السلمي: لم نر مثله في علو الدرجة والحال وصون الوقت. واثنى عليه أبو سليمان الخطابي وغيره. جاور بمكة مدة سنين.

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

ذكر عود الديلم إلى الموصل وانهزام باذ

لما استولى باذ الكردي على الموصل اهتمَّ صمصام الدولة ، ووزيره ابن سعدان بأمره فوقع الاختيار على انفاذ زيار بن شهراكويه ـ وهو أكبر قوادهم ـ فأمره بالمسير إلى قتاله وجهزه ، وبالغ في أمره وأكثر معه الرجال والعدد والأموال ، وسار إلى باذ فخرج إليهم ولقيهم في صفر من هذه السنة . فأجلت الوقعة عن هزيمة باذ وأصحابه وأسر كثير من عسكره وأهله ، وحملوا إلى بغداد فشهروا بها ، وملك الديلم الموصل ، وأرسل زيار عسكراً مع سعد الحاجب في طلب باذ فسلكوا على جزيرة ابن عمر ، وأرسل عسكراً آخر إلى نصيبين فاختلفوا على مقدميهم فلم يطاوعوهم على المسير إليه ، وكان باذ بديار بكر قد جمع خلقاً كثيراً ، فكتب وزير صمصام الدولة إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، وبذل له تسليم ديار بكر إليه ، فسيَّر إليها جيشاً ، فلم يكن لهم قوة بأصحاب باذ فعادوا إلى حلب ، وكانوا قد حصروا ميافارقين ، فلما شاهد سعد ذلك من عسكره أعمل الحيلة في قتل باذ غيلة، فوضع رجلاً على ذلك، فدخل الرجل خيمة باذ ليلاً وضربه بالسيف ـ وهو يظن أنه يضرب رأسه ـ فوقعت الضربة على ساقه فصاح وهرب ذلك الرجل ، فمرض باذ من تلك الضربة واشفى على الموت ، وكان قد جمع معه من الرجال خلقاً كثيراً فراسل زياراً ، وسعداً يطلب الصفح فاستقرَّ الحال بينهم واصطلحوا على أن تكون ديار بكر لباذ ، والنصف من طور عبدين أيضاً ، وانحدر زيار إلى بغداد ، وأقام سعد بالموصل .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنَّة قُلِّدَ أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي ، حماية الكوفة وهي أول أمارة بني ثمال .

وفيها خطب أبو الحسين بن عضد الدولة بالأهواز لفخر الدولة ، وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة ، ونقشا اسمه على السكة . وفيها خطب لصمصام الدولة بعمان وكانت لشرف الدولة ونائبه بها أستاذ هرمز ، فصار مع صمصام الدولة ، فلما بلغ الخبر إلى شرف الدولة أرسل إليه جيشاً فانهزم أستاذ هرمز ، وأُخذَ أسيراً وعادت عمان إلى شرف الدولة ، وحُبِسَ أستاذ هرمز ـ في بعض القلاع ، وطولبَ بمال كثير[١] .

وفيها توفي علي بن كامة مقدم عسكر ركن الدولة[٢] . وفيها أفرَجَ شرف الدولة عن أبي منصور بن صالحان واستوزره ، وقبض على وزيره أبي محمد بن فسانجس . وفيها أرسل شرف الدولة رسولاً إلى القرامطة ، فلما عاد قال : إن القرامطة سألوني عن

---

(١) ذكر الوزير أبو شجاع هذه الحادثة بأوسع من هذا وأوضح في ذيله على كتاب الامم . وهاك نصها « كان المتولي بعمان في الوقت أبو جعفر استاذ هرمز بن الحسن من قبل شرف الدولة فما زال ابن شاهويه يفتل له في الذروة والغارب حتى أماله إلى الحملة وأزاله عما كان عليه من الانحياز إلى شرف الدولة وكان صفوه مع من ببغداد لكون أبي علي الحسن ولده بها فجمع الأولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابر تلك الأعمال، ووصل الخبر الى بغداد فأظهرت المسرة وجلس صمصام الدولة للتهنئة. وكتب كتب البشائر إلى أصحاب الاطراف على العادة وانفذ إلى استاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والحملات. وأحضر ابنه أبو علي الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة الى رتبة الحجبة؛ ولما عرف شرف الدولة عصيان استاذ هرمز أخرج إليه أبا نصر خراشاذه في عسكر استظهر فيه ووقعت بينهما وقعة أجلت عن ظفر أبي نصر وحصول استاذ هرمز أسيراً تحت اعتقاله واستيلائه على رجاله وأمواله. وعند بلوغ أبي نصر ما أراده من ذلك رتب بعمان من يراعيها ويشحنها بمن يحميها وعاد إلى فارس ومعه استاذ هرمز فشهد بها ثم قرر عليه مالا ثقيلاً وحمل إلى بعض القلاع مطالباً بتصحيحه.

(٢) مات مسموماً وسبب ذلك ان فخر الدولة والصاحب بن عباد عملاً جميعاً على أخذ علي بن كامة والاستيلاء على ماله وأعماله، وعلما أنهما لا يقدران عليه لجلالة قدره. فعدلا إلى إعمال الحيلة في أمره، وهو أنه اجتمع رأيهما على موافقة شرابي ـ كان له ـ على سمه فتوصلا إليه وقررا أمور ذلك واتفق ان علي بن كامة عمل دعوة واحتفل بها واحتشد وسأل فخر الدولة والصاحب الحضور عنده فواعداه بذلك وراسلا الشرابي بفعل ما تقرر معه في هذا اليوم وأعطياه سماً موجباً، ودخل علي بن كامة خزانة الشراب يتخير الأشربة ويذوقها فطرح الشرابي السم في بعض ما ذاقه فأحس في الحال باضطراب جسمه فدخل بيتاً وطرح نفسه فيه، وألقى عليه كساء وعلم فخر الدولة خبره فتأخر عن الحضور وأطعم الناس وسُقوا. وتركه أصحابه في موضعه وعندهم أنه نائم ولم يقدموا على انباهه. فلما كان من غد رأوه على خملته فدخلوا عليه فوجدوه ميتاً فأنفذ فخر الدولة إلى داره من توكل بها، وإلى خزانته من استظهر عليها، وإلى قلاعه من أخذها وإلى أعماله من تولاها ـ وكان لعلي بن كامة أولاد فلم يتم لهم الأمر مع فخر الدولة ـ

الملك ، فأخبرتهم بحسن سيرته . فقالوا : من ذلك أنه استوزر ثلاثة في سنة لغير سبب فلم يغير شرف الدولة بعد هذا على وزيره أبي منصور بن صالحان .

وفي هذه السنة توفي أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلي الحافظ المشهور ، وقيل : في سنة تسع وستين ، وكان ضعيفاً في الحديث .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة

ذكر الفتنة ببغداد

في هذه السنة جرت فتنة ببغداد بين الديلم ، وكان سببها أن أسفار بن كردويه ـ وهو من أكابر القواد ـ استنفر من صمصام الدولة ، واستمال كثيراً من العسكر إلى طاعة شرف الدولة . واتفق رأيهم على أن يولوا الأمير بهاء الدولة أبا نصر بن عضد الدولة العراق نيابة عن أخيه شرف الدولة . وكان صمصام الدولة مريضاً فتمكن أسفار من الذي عزم عليه ، وأظهر ذلك وتأخر عن الدار ،وراسله صمصام الدولة يستميله ويسكنه فما زاده إلا تمادياً . فلما رأى ذلك من حاله راسل الطائع يطلب منه الركوب معه . وكان صمصام الدولة قد أبل من مرضه ، فامتنع الطائع من ذلك ، فشرع صمصام الدولة واستمال فولاذ زماندار[1] وكان موافقاً لأسفار إلّا أنه كان يأنف من متابعته لكبر شأنه . فلما راسله صمصام الدولة أجابه واستحلفه على ما أراد وخرج من عنده ، وقاتل أسفار، فهزمه فولاذ وأخذ الأمير أبو نصر أسيراً، وأحضر عند أخيه صمصام الدولة فرق له وعلم أنه لا ذنب له ، فاعتقله مكرماً ، وكان عمره حينئذ خمس عشرة سنة ، وثبت أمر صمصام الدولة . وسعى إليه بابن سعدان الذي كان وزيره فعزله ، وقيل : إنه كان هواه معهم فقتل[1] . ومضى أسفار إلى الأهواز ، واتصل بالأمير أبي الحسن بن عضد الدولة ، وخدمه وسار باقي العسكر إلى شرف الدولة .

---

(١) بيّن الوزير أبو شجاع في ذيله الذي سعى بابن سعدان عند صمصام الدولة حتى قتل قال: لما قبض أسفار على أبي القاسم، وأبي الحسن بن برمويه، وأبي الحسن بن عمارة انتهز أبو القاسم الفرصة وأرسل في الحال إلى صمصام الدولة يغريه بابن سعدان ويوهمه أن الذي جرى كان من فعله وتدبيره، وأنه لا يؤمن ما تجدد منه في محبسه فسبق في هذا القول إلى ظنه، وكان أحمد بن حفص المحري عدواً له فزاد بالاغراء به فأمر حينئذ بقتله وقتل معه أبو سعد بهرام على سبيل الجرف، وقد كان خليفته وقت نظره وقتل أبو منصور غيظاً لأبي القاسم. وكان أبو بكر بن شاهويه معتقلاً فسلم لحسن اتفاق.

ذكر أخبار القرامطة

في هذه السنة ورد إسحاق وجعفر الهجريان في جمع كثير وهما من الستة القرامطة الذين يلقَّبون بالسادة ، فملكا الكوفة وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان لهم من الهيبة ما ان عضد الدولة ، وبختيار أقطعاهم الكثير . وكان نائبهم ببغداد الذي يُعرف بأبي بكر بن شاهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة . فلما ورد القرامطة الكوفة كتب إليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما فذكرا أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم بلاده وبثا أصحابهما وجبيا المال . ووصل أبو قيس الحسن بن المنذر إلى الجامعين ـ وهو من أكابرهم ـ فأرسل صمصام الدولة العساكر ، ومعهم العرب[1] فعبروا الفرات إليه وقاتلوه ، فانهزم عنهم ، وأسر أبو قيس وجماعة من قوادهم فقتلوا . فعاد القرامطة وسيَّروا جيشاً آخر في عدد كثير وعدة فالتقوا هم وعساكر صمصام الدولة بالجامعين أيضاً ، فأجلت الوقعة عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمهم وغيره وأسر جماعة ونهب سوادهم . فلما بلغ المنهزمون إلى الكوفة ، رحل القرامطة وتبعهم العسكر إلى القادسية فلم يدركوهم ، وزال من حينئذ ناموسهم .

ذكر الإفراج عن ورد الرومي وما صار أمره إليه ودخول الروس في النصرانية

في هذه السنة أفرج صمصام الدولة عن ورد الرومي ، وقد تقدم ذكر حبسه ، فلما كان الآن أفرج عنه وأطلقه وشرط عليه إطلاق عدد كثير من أسارى المسلمين ، وأن يسلِّم إليه سبعة حصون من بلد الروم برساتيقها ، وأن لا يقصد بلاد الإسلام لا هو ولا

---

(١) في ذيل تجارب الأمم « فجرد اليهم من بغداد أبو الفضل المظفربن محمود الحاجب في عدة من الديلم والاتراك، والعرب. وأخرج أبو القاسم بن زعفران إلى ابراهيم بن فرح العقيلي لتسييره في طائفة من قومه وحصل أبو الفضل الحاجب بجسر بابل والقوم بازائه فعقدوا جسراً على الفرات فالى أن فرغ منه وصل ابراهيم وابن زعفران وحصلا مع القرامطة على أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخير من الاتراك وفرسان الديلم وحملوا مع ابراهيم بن مرح وأصحابه على القوم حملة واحدة انكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم » الخ وهو تفصيل لما أجمله المصنف رحمه الله .

أحد من أصحابه ما عاش . وجهَّزه بما يحتاج إليه من مال وغيره[١] . فسار إلى بلاد الروم ، واستمال في طريقه خلقاً كثيراً من البوادي وغيرهم ، وأطمعهم في العطاء والغنيمة . وسار حتى نزل بملطية فتسلمها وقوي بها وبما فيها من مال وغيره . وقصد ورديس بن لاون ، فتراسلا ، واستقرَّ الأمر بينهما على أن تكون قسطنطينية وما جاورها من شمالي الخليج لورديس ، وهذا الجانب من الخليج لورد . وتحالفا واجتمعا فقبض ورديس على ورد وحبسه . ثم إنه ندم ، فأطلقه عن قريب . وعبر ورديس الخليج وحصر القسطنطينية وبها الملكان ابنا أرمانوس وهما بسيل[٢] ، وقسطنطين وضيَّق عليهما فراسلا ملك الروسية واستنجداه وزوجاه بأخت لهما فامتنعت من تسليم نفسها إلى من يخالفها في الدين فتنصر ، وكان هذا أول النصرانية بالروس . وتزوجها وسار إلى لقاء ورديس ، فاقتتلوا وتحاربوا , فقُتِلَ ورديس ، واستقرَّ الملكان في ملكهما ، وراسلا ورداً وأقراه على ما بيده ، فبقي مدة مديدة ومات ، قيل : إنه مات مسموماً . وتقدم بسيل في الملك ، وكان شجاعاً عادلاً ، حسن الرأي ، ودام ملكه . وحارب البلغار خمساً وثلاثين سنة ، وظفر بهم وأجلى كثيراً منهم من بلادهم واسكنها الروم . وكان كثير الإحسان إلى المسلمين والميل إليهم .

ذكر ملك شرف الدولة الأهواز

في هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من فارس يطلب الأهواز وأرسل إلى أخيه أبي الحسن ـ وهو بها ـ يطيب نفسه ويعده الإحسان وأن يقرَّه

(١) ذكر الوزير أبو شجاع صفة لقاء ورد لصمصام الدولة بعد ما أفرج عنه وقبل سفره قال: كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الجليلة وستور الديباج النسيجة معلقة على أبوابها وغلمان الخيل بالبزة الحسنة والأقبية الملونة وقوف سماطين بين يدي سدته وكانت قد نصبت في السدلي الذهب الذي تفتح أبوابه الى البستان وإلى بعض الصحن والديلم من بعدهم على مثل ترتيبهم وزيهم الى دجلة. وعبر ورد وأخوه وابنه في زبزب أنفذ إليهم يمشون بين السماطين إلى حضرة صمصام الدولة وبحضرته كوانين من ذهب موضوعة فيها قطع العود توقد، فلما قرب منه ورد طأطأ رأسه قليلاً وقبل يده ووضع له كرسي ومخدة فجلس عليها، وسأله صمصام الدولة عن خبره فدعا له وشكره بالروسية والترجمان يفسر عنه وله قال قولاً معناه: قد تفضلت أيها الملك ما لا أستحقه واودعت جميلاً عند من لا يجهله وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأدية حقوق فعلك. وقام ومشى الحجاب والأصحاب بين يديه كفعلهم عند مدخله وعبر من الزبزب إلى داره.

(٢) في ذيل تجارب الامم « باسيل ».

على ما بيده من الأعمال ، وأعلمه أن مقصده العراق وتخليص أخيه الأمير أبي نصر من محبسه . فلم يصغِ أبو الحسين إلى قوله وعزم على منعه ، وتجهَّز لذلك ، فأتاه الخبر بوصول شرف الدولة إلى أرجان ، ثم إلى رامهرمز . فتسلل أجناده إلى شرف الدولة ونادوا بشعاره ، فهرب أبو الحسين نحو الري إلى عمه فخر الدولة ، فبلغ أصبهان وأقام بها ، واستنصر عمه فأطلق له مالاً ووعده بنصره . فلما طال عليه الأمر قصد التغلب على أصبهان ونادى بشعار أخيه شرف الدولة ، فثار به جندها وأخذوه أسيراً وسيَّروه إلى الرّي ، فحبسه عمه وبقي محبوساً إلى أن مرض عمه فخر الدولة مرض الموت . فلما اشتدَّ مرضه أرسل إليه من قتله . وكان يقول شعراً . فمن قوله :

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفَهُ ... وأعقبَ بالحسنى وفكّ من الأسرِ
فمن لي بأيام الشباب التي مضت ... ومن لي بما قد فات في الحبس من عمري

وأما شرف الدولة فإنه سار إلى الأهواز وملكها ، وأرسل إلى البصرة فملكها ، وقبض على أخيه أبي طاهر وبلغ الخبر إلى صمصام الدولة فراسله في الصلح . فاستقرَّ الأمر على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ، ويكون صمصام الدولة نائباً عنه ، ويطلق أخاه الأمير بهاء الدولة أبا نصر ويسيّره إليه وصلح الحال واستقام . وكان قواد شرف الدولة يحبون الصلح لأجل العود إلى أوطانهم . وخطب لشرف الدولة بالعراق ، وسيِّرت إليه الخلع والألقاب من الطائع لله إلى أن عادت الرسل إلى شرف الدولة ليحلفوه . ألقت إليه البلاد مقاليدها كواسط وغيرها ، وكاتبه القواد بالطاعة ، فعاد عن الصلح وعزم على قصد بغداد والإستيلاء على الملك ، ولم يحلف لأخيه . وكان معه الشريف أبو الحسن محمد بن عمر يشير عليه بقصد العراق ويحثُّه عليه ويطمعه فيه ، فوافقه على ذلك ، وسنذكر باقي خبره سنة ست وسبعين إن شاء الله تعالى .

ذكر انهزام عساكر المنصور من صاحب سجلماسة

قد ذكرنا استيلاء خزرون وزيري الزناتيين على سُجلماسة وفاس ، وموت يوسف بلكين لما قصدهما . فلما مات تمكنا من تلك البلاد . فلما استقرّ المنصور سيَّر جيشاً كثيفاً إليهما ليردَّهما إلى طاعته . فلما صار الجيش قريب فاس ، خرج إليهم صاحبها

زيري بن عطية الزناتي المعروف بالقرطاس في عساكر ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . فانهزم عسكر المنصور وقُتِلَ منهم خلق كثير وأسِرَ جماعة كثيرة وثبَّتَ قدمه في ولايته .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خرج بعمان طائر من البحر كبير أكبر من الفيل ، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال ،ولسان فصيح .قد قرب قد قرب قد قرب ثلاثاً ثم غاص في البحر فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ، ولم يرَ بعد ذلك .

وفيها جدد صمصام الدولة ببغداد على الثياب الإبريسم والقطن المبيعة ضريبة مقدارها عشر الثمن ، فاجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على قطع الصلاة ، وكاد البلد يفتن فأعفوا من ذلك . وفيها توفي ابن مؤيد الدولة بن بويه ، فجلس صمصام الدولة للعزاء فأتاه الطائع لله معزياً. وفيها توفي أبو علي الحسين بن الحسين بن أبي هريرة الفقيه الشافعي المشهور(١) ، وأبو القاسم عبد العزيز بن عبدالله الداركي ، وكان رئيس أصحاب الشافعي بالعراق(٢) .

---

(١) هو أحد مشايخ الشافعية اخذ الفقه عن ابي العباس بن سريج ، وأبي اسحق المروزي . وشرح مختصر المزني وعلق عنه الشرح ابو علي الطبري . وله مسائل في الفروع وله اختيارات كثيرة غريبة في المذهب . ودرس ببغداد وتخرج عليه خلق كثير وانتهت إليه امامة العراقيين وكان معظماً عند السلاطين والرعايا مات في رجب .

(٢) نزل نيسابور سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ودرس الفقه بها سنين ثم انتقل الى بغداد وسكنها إلى حين وفاته ـ وكان ابوه محدث اصبهان في وقته ـ اخذ الفقه عن أبي اسحاق المروزي وعليه تفقه الشيخ أبو حامد الاسفرايني بعد موت أبي الحسن بن المرزبان وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من أهـل الآفاق. وانتهى إليه التدريس ببغداد وانتفع به خلق كثير وكان ثقة امينا وله في المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه ـ وأخذ الحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركي . وكان إذا جاءته مسألة تفكر طويلاً ثم يفتي فيها وربما أفتى على خلاف مذهب الإمامين : الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما فيقال له في ذلك فيقول : ويحَكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الامامين . وكان يتهم بالاعتزال ـ اقول : وغالب من كان يتهم بالاعتزال كان يفتي بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وإن خالف مذهبه ظاهراً . وهكذا في زماننا من كان يفتي بكتاب الله والسنة الصحيحة يتهم بانه وهابي فانا لله وانا إليه راجعون فالزمان يعيد نفسه ـ توفي رحمه الله تعالى ببغداد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال عن نيف وسبعين سنة ، وقيل : انه توفي في ذي القعدة والأول اصح . والداركي ـ بفتح الدال المهملة وبعد الالف راء مفتوحة وبعدها كاف ـ قال السمعاني : هذه النسبة إلى دارك وظني انها قرية من قرى اصبهان .

وتوفي في شوّال وله نيف وسبعون سنة ، وأبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح الفقيه المالكي ، ومولده سنة سبع وثمانين ومائتين . وسُئِل أن يلي قضاء القضاة فامتنع[1] . والوليد بن أحمد بن محمد بن الوليد أبو العباس الزوزني الصوفي المحدث ، كان من العلماء في الحقائق وله تصانيف حسنة .

---

(١) كان شيخ المالكية العراقيين وصاحب تصانيف وسمع الكثير بالشام والعراق والجزيرة وروى عن الباغندي، وعبد الله بن بدران البجلي وطبقتهما توفي في شوال.

ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة

ذكر ملك شرف الدولة العراق وقبض صمصام الدولة

في هذه السّنة سار شرف الدولة أبو الفوارس بن عضد الدولة من الأهواز إلى واسط فملكها. فأرسل إليه صمصام الدولة أخاه أبا نصر يستعطفه بإطلاقه - وكان محبوساً عنده - فلم يتعطف له. واتسع الخرق على صمصام الدولة، وشغب عليه جنده فاستشار أصحابه في قصد أخيه والدخول في طاعته فنهوه عن ذلك. وقال بعضهم: «الرأي أننا نصعد إلى عكبرا لنعلم بذلك من هو لنا ممن هو علينا، فإن رأينا عدتنا كثيرة قاتلناهم، وأخرجنا الأموال، وإن عجزنا سرنا إلى الموصل فهي وسائر بلاد الجبل لنا فيقوى أمرنا. ولا بد أن الديلم، والأتراك تجري بينهم منافسة ومحاسدة ويحدث إختلال فنبلغ الغرض». وقال بعضهم: «الرأي أننا نسير إلى قرميسين تكاتب عمك فخر الدولة وتستنجده وتسير على طريق خراسان، وأصبهان إلى فارس فتتغلب عليها على خزائن شرف الدولة وذخائره فما هناك ممانع، ولا مدافع فإذا فعلنا ذلك لا يقدر شرف الدولة على المقام بالعراق، فيعود حينئذ فيقع الصلح». فأعرض صمصام الدولة عن الجميع. وسار في طيار إلى أخيه شرف الدولة في خواصه، فوصل إلى أخيه شرف الدولة فلقيه وطيَّب قلبه. فلما خرج من عنده قبض عليه وأرسل إلى بغداد من يحتاط على دار المملكة .وسار فوصل إلى بغداد في شهر رمضان، فنزل بالشفيعي وأخوه صمصام الدولة معه تحت الإعتقال. وكانت إمارته بالعراق ثلاث سنين وأحد عشر شهراً.

ذكر الفتنة بين الأتراك والديلم

في هذه السّنة جرت فتنة بين الديلم، والأتراك الذين مع شرف الدولة ببغداد. وسببها أن الديلم اجتمعوا مع شرف الدولة في خلق كثير، بلغت عدَّتهم خمسة عشر

ألف رجل. وكان الأتراك في ثلاثة آلاف فاستطال عليهم الديلم، فجرت منازعة بين بعضهم في دار واصطبل، ثم صارت إلى المحاربة. فاستظهر الديلم لكثرتهم، وأرادوا إخراج صمصام الدولة وإعادته إلى ملكه. وبلغ شرف الدولة الخبر فوكّل بصمصام الدولة من يقتله إن همَّ الديلم بإخراجه. ثم إن الديلم، لما استظهروا على الأتراك تبعوهم، فتشوشت صفوفهم، فعادت الأتراك عليهم من أمامهم وخلفهم، فانهزموا، وقُتِلَ منهم زيادة على ثلاثة آلاف. ودخل الأتراك البلد فقتلوا من وجدوه منهم، ونهبوا أموالهم. وتفرّق الديلم فبعضهم اعتصم بشرف الدولة وبعضهم سار عنه.

فلما كان الغد دخل شرف الدولة بغداد والديلم المعتصمون به معه، فخرج الطائع لله ولقيه وهنأه بالسلامة، وقبّل شرف الدولة الأرض. وأخذ الديلم يذكرون صمصام الدولة، فقيل لشرف الدولة: اقتله وإلا ملكوه الأمر. ثم ان شرف الدولة أصلح بين الطائفتين وحلف بعضهم لبعض. وحُمِلَ صمصام الدولة إلى فارس، فاعتقل في قلعة هناك. فرد شرف الدولة على الشريف محمد بن عمر جميع أملاكه وزاده عليها. وكان خراج أملاكه كل سنة ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم. ورد على النقيب أبي أحمد الموسوي أملاكه. وأقرّ الناس على مراتبهم ومنع الناس من السعايات، ولم يقبلها فأمنوا وسكنوا، ووزر له أبو منصور بن صالحان.

ذكر ولاية مهذب الدولة البطيحة

في هذه السّنة توفي المظفر بن علي وولي بعده ابن أخته أبو الحسن علي بن نصر بالعهد المذكور. وكتب إلى شرف الدولة يبذل له الطاعة، ويطلب التقليد فأجيب إلى ذلك ولقّب بمهذب الدولة. فأحسن السيرة وبذل الخير والإحسان، فقصده الناس وأمن عنده الخائف، وصارت البطيحة معقلاً لكل من قصدها. واتخذها الأكابر وطناً وبنوا فيها الدور الحسنة، ووسعهم برُّه وإحسانه. وكاتب ملوك الأطراف وكاتبوه. وزوّجه بهاء الدولة ابنته وعظم شأنه إلى أن قصده القادر بالله فحماه، وبقي عنده إلى أن أتته الخلافة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة توفي أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المنجم لعضد

الدولة، وكان مولده بالرّي سنة إحدى وتسعين ومائتين.

وفيها كان بالموصل زلزلة شديدة تهدَّم بها كثير من المنازل وهلك كثير من الناس. وفيها قتل المنصور بن يوسف صاحب أفريقية عبدالله الكاتب، وقام على ولاية الأعمال بأفريقية عوضه يوسف بن أبي محمد، وكان والي قفصة قبل ذلك. وفيها كان بالعراق غلاء شديدٌ جلا لشدته أكثر أهله.

وفيها توفي أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي الأزرق الأنباري الكاتب، وأحمد بن الحسين بن علي أبو حامد المروزي ـ ويعرف بابن الطبري ـ الفقيه الحنفي. تفقه ببغداد على أبي الحسن الكرخي، وولي قضاء القضاة بخراسان، ومات في صفر، وكان عابداً محدِّثاً ثقة. وإسحاق بن المقتدر بالله أبو محمد والد القادر ومولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة وصلى عليه ابنه القادر، وهو حينئذ أمير، وأبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي صاحب الإيضاح، قيل: كان معتزلياً وقد جاوز تسعين سنة، وأبو أحمد محمد بن أحمد بن الحسين بن الغطريف الجرجاني توفي في رجب، وهو عالي الإسناد في الحديث.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

ذكر الحرب بين بدر بن حسنويه وعسكر شرف الدولة

في هذه السَّنة جهَّزَ شرف الدولة عسكراً كثيفاً مع قراتكين الجهشياري ـ وهو مقدم عسكره وكبيرهم ـ وأمرهم بالمسير إلى بدر بن حسنويه وقتاله. وسبب ذلك أن شرف الدولة كان حنقاً على بدر لانحرافه عنه، وميله إلى عمه فخر الدولة. فلما استقر ملكه ببغداد وأطاعه الناس شرع في أمر بدر. وكان قراتكين قد جاوز الحد في التحكم والإذلال، وحماية الناس على نواب شرف الدولة، فرأى أن يخرجه في هذا الوجه، فإن ظفر ببدر شفى غيظه منه وإن ظفر به بدر استراح منه. فساروا نحو بدر وتجهز بدر، وجمع العساكر وتلاقيا على الوادي بقرميسين، فلما اقتتلوا، انهزم بدر حتى توارى عنه، وظنَّ قراتكين وأصحابه أنه مضى على وجهه، فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا في خيامهم، فلم يلبثوا إلّا ساعة حتى كرّ بدر راجعاً إليهم، وأكب عليهم وأعجلهم عن الركوب، وقتل منهم مقتلة عظيمة، واحتوى على جميع ما في عسكرهم. ونجا قراتكين في نفر من غلمانه، فبلغ جسر النهروان وأقام به حتى اجتمع إليه المنهزمون، ودخل بغداد. واستولى بدر بعد ذلك على أعمال الجبل وما والاها، وقويت شوكته.

وأما قراتكين فإنه لما عاد من الهزيمة زاد إذلاله وتجنيه، وأغرى العسكر بالشغب والتوثب على الوزير أبي منصور بن صالحان، فلقوه بما يَكره، فلاطفهم ودفعهم. وأصلح شرف الدولة بين الوزير وبين قراتكين، وشرع في إعمال الحيلة على قراتكين. فلم تمض غير أيام حتى قبض عليه وعلى جماعة من أصحابه وكتَّابِهِ، وأخذ أموالهم. وشغب الجند لأجله، فقتله شرف الدولة فسكنوا. وقدم عليهم طغان الحاجب، فصلحت طاعته.

ذكر مسير المنصور بن يوسف لحرب كُتامة

في هذه السّنة جمع المنصور صاحب أفريقية عساكره، وسار إلى كتامة قاصداً حربها. وسبب ذلك أن العزيز بالله العلوي بمصر، كان قد أرسل داعياً له إلى كُتامة يقال له: أبو الفهم ـ واسمه حسن بن نصر ـ يدعوهم إلى طاعته، وغرضه أن تميل كُتامة إليه، ويرسل إليه جنداً يقاتلون المنصور، ويأخذون أفريقية منه، لما رأى من قوته. فدعاهم أبو الفهم فكَثُرَ تبعه، وقاد الجيوش وعظم شأنه، وعزم المنصور على قصده. فأرسل إلى العزيز بمصرَ يعرِّفه الحال، فأرسل العزيز رسولين إلى المنصور ينهاه عن التعرض لأبي الفهم، وكتامة، وأمرهما أن يسيرا إلى كُتامة بعد الفراغ من رسالة المنصور. فلما وصلا إلى المنصور وأبلغاه رسالة العزيز أغلظ القول لهما وللعزيز أيضاً، وأغلظا له فأمرهما بالمقام عنده بقية شعبان ورمضان، ولم يتركهما يمضيان إلى كتامة. وتجهز لحرب كتامة، وأبي الفهم. وسار بعد عيد الأضحى، فقصد مدينة ميلة، وأراد قتل أهلها وسبي نسائهم وذراريهم. فخرجوا إليه يتضرعون ويبكون، فعفا عنهم وخرَّب سورها. وسار منها إلى كتامة والرسولان معه فكان لا يمر بقصر ولا منزل إلّا هدمه، حتى بلغ مدينة سطيف ـ وهي كرسي عزهم ـ فاقتتلوا عندها قتالاً عظيماً. فانهزمت كتامة وهرب أبو الفهم إلى جبل وعر فيه ناس من كُتامة يُقال لهم: بنو إبراهيم. فأرسل إليهم المنصور يتهددهم إن لم يسلِّموه فقالوا: «هو ضيفنا، ولا نسلمه، ولكن أرسل أنت إليه فخذه ونحن لا نمنعه». فأرسل، فأخذه وضربه ضرباً شديداً ثم قتله وسلخه. وأكلت صنهاجة، وعبيد المنصور لحمه، وقتل معه جماعة من الدعاة ووجوه كتامة، وعاد إلى أشير.

وردّ الرسولين إلى العزيز فأخبراه بما فعل بأبي الفهم وقالا: «جئنا من عند شياطين يأكلون الناس». فأرسل العزيز إلى المنصور يطيِّب قلبه، وأرسل إليه هدية ولم يذكر له أبا الفهم.

ذكر معاودة باذ القتال

في هذه السّنة تجدد لباذ الكردي طمع في بلاد الموصل وغيرها. وسبب ذلك أن سعداً الحاجب الذي تقدم ذكره، توفي بالموصل، فسيَّر إليها شرف الدولة أبا نصر خواشاذه، وجهز إليه العساكر. وكتب يستمد من شرف الدولة العساكر والأموال،

فتأخرت الأموال عنه. فأحضر العرب من بني عقيل وأقطعهم البلاد ليمنعوا عنها. وانحدر باذ فاستولى على طور عبدين[١]، ولم يقدر على النزول إلى الصحراء، وأرسل أخاه في عسكر فقاتلوا العرب، فقتل أخوه وانهزم عسكره وأقام بعضهم مقابل بعض. فبينما هم كذلك أتاهم الخبر بموت شرف الدولة، فعاد خواشاذه إلى الموصل وأظهر موته. وأقامت العرب بالصحراء تمنع باذا من النزول إليها وباذ بالجبل. وكان خواشاذه يصلح أمره ليعاود حرب باذ، فأتاه إبراهيم، وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة جلس الطائع لله لشرف الدولة جلوساً عاماً وحضره أعيان الدولة وخلع عليه، وحلف كل واحد منهما لصاحبه[١].

وفيها وُلِدَ الأمير ابو علي الحسن بن فخر الدولة في رجب. وفيها سار الصاحب بن عباد إلى طبرستان، فأصلحها ونفى المتغلبين عنها، وفتح عدة حصون، منها حصن قريم وعاد في سنته. وفيها عصى الأمير أبو منصور بن كوريكنج صاحب قزوين على فخر الدولة، فلاطفه فخر الدولة وبذل له الأمان والإحسان، فعاد إلى طاعته. وفيها في رمضان حدثت فتنة شديدة بين الديلم والعامة بمدينة الموصل قُتِلَ فيها مقتلة عظيمة. ثم أصلح الحال بين الطائفتين. وفيها تأخّر المطر حتى انتصف كانون الثاني، وغَلَت الأسعار بالعراق وما يجاوره من البلاد، واستسقى الناس مرتين، فلم يسقوا حتى جاء المطر سابع عشر كانون الثاني، وزال القنوط وتتابعت الأمطار.

---

(١) ذكر الوزير ابو شجاع الحادثة مفصلة ولاتمام الفائدة اذكرها كذلك قال: «ركب شرف الدولة في الطيار بعد ان ضربت له القباب على شاطىء دجلة وزينت الدور التى عليها فى الجانبين باحسن زينة وجلس الطائع لله جلوساً عاماً وخلع عليه الخلع السلطانية وتوجه وسوره وطوقه وعقد له بيده لواءين أسود وابيض. وقرىء عهده بين يديه وخرج من حضرته فدخل على اخته المتصلة بالطائع لله وأقام عندها إلى وقت العصر ثم انكفأ إلى داره والناس مقيمون على انتظاره. ولما حمل اللواء تخرق وانفصلت منه قطعة فتطير من ذلك فقال له الطائع لله: إنما حملت الريح منه قطعة وتأويل ذلك أن تملك مهب الريح، وكان أبو عبدالله محمد بن أحمد معروفاً في جملة من حضر مع شرف الدولة فلما رآه الطائع لله قال له:

مرحباً بالأحبة القادمينا ... أوحشونا وطال ما آنسونا

فقبل الأرض بين يدي الخليفة وشكر ودعا.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة

ذكر القبض على شكر الخادم

في هذه السّنة قبض شرف الدولة على شكر الخادم، وكان أخص الناس عند والده عضد الدولة وأقربهم إليه، يرجع إلى قوله ويعول عليه. وكان سبب قبضه أنه كان أيام والده يقصدُ شرفَ الدولة ويؤذيه ـ وهو الذي تولّى إبعاده إلى كرمان من بغداد، وقام بأمر صمصام الدولة ـ فحقد عليه شرف الدولة ذلك. فلما ملك شرف الدولة العراق، اختفى شكر، فطلبه أشد الطلب، فلم يوجد. وكان له جارية حبشية قد تزوجها، فطلبها إليه فأقامت عنده مدة تخدمه، وكان قد علق بقلبها غيره، فصارت تأخذ المأكول وغيره وتحمله إلى حيث شاءت فأحسَّ بها شكر فلم يحتملها، فضربها، فخرجت غضبى إلى باب دار شرف الدولة، فأخبرت بحال شكر، فأخذه وأُحضِرَ عند شرف الدولة، فأراد قتله، فشفع فيه تحرير الخادم، فوهبه له واستأذنه في الحج، فأذِنَ له. فسار إلى مكة ثم منها إلى مصر فنال هناك منزلة كبيرة. وسيرد خبره إن شاء الله تعالى.

ذكر عزل بكجور عن دمشق

في هذه السّنة عُزِلَ بكجور عن دمشق. وسبب ذلك أنه أساء السّيرة في دمشق وفعل الأعمال الذميمة. وكان الوزير يعقوب بن كلس منحرفاً عنه يسيء الرأي فيه، وانضاف إلى ذلك ما فعله بأصحابه بدمشق على ما ذكرناه. فلما بلغه فعله بـدمشق تحرك في عزله، وقبّح ذكره عند العزيز بالله، فأجابه إلى ذلك، فجُهِّزَت العساكر من مصر مع القائد منير الخادم، فساروا إلى الشام. فجمع بكجور العرب وغيرها، وخرج فلقي العسكر المصري عند داريا، وقاتلهم. فاشتد القتال بينهم فانهزم بكجور وعسكره وخاف من وصول نزال والي طرابلس. وكان قد كوتب من مصر بمعاضدة منير. فلما انهزم بكجور خاف أن يجيء نزال فيؤخذ، فأرسل يطلب الأمان ليسلم البلد إليهم،

فأجابوه إلى ذلك. فجمع ماله جميعه، وسار واخفى أثره لئلا يغدر المصريون به وتوجَّه إلى الرقة فاستولى عليها. وتسلَّم منير البلد، ففَرِحَ أهله وسرهم ولايته. وسنذكر سنة إحدى وثمانين باقي أخباره وقتله إن شاء الله تعالى.

ذكر ظفر الأصفر بالقرامطة

في هذه السّنة جمع إنسان يُعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعاً كثيراً، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة، قتل فيها مقدم القرامطة، وانهزم أصحابه وقتل منهم وأسر كثير، وسار الأصفر إلى الإحساء، فتحصن منه القرامطة. فعدل إلى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم، وأموالهم، ومواشيهم، وسار بها إلى البصرة.

ذكر نكتة حسنة

في هذه السّنة أهدى الصاحب بن عباد أول المحرم إلى فخر الدولة ديناراً وزنهُ ألف مثقال. وكان على أحد جانبيه مكتوب:

وأحمرَ يحكي الشمس شكلاً وصورةً ... فأوصافُهُ مشتقةٌ من صفاتِهِ
فإن قيل دينارٌ فقد صدقَ اسمه ... وإنْ قيل ألفٌ كان بعضُ سماتِهِ
بديعٌ ولم يطبعْ على الدَّهرِ مثلُهُ ... ولا ضربتْ أضرابه لسراتِهِ
فقد أبرزَتْهُ دولةٌ فلكيةٌ ... أقامَ بها الإقبالُ صدرَ قناتِهِ
وصار إلى شاهانشاه انتسابُهُ ... على أنه مستصغرٌ لعفاتِهِ
يخبر أنْ يبقى سنين كوزنهِ ... لتستبشرَ الدنيا بطولِ حياتِهِ
تأنقَ فيه عبدُهُ وابن عبدِهِ ... وغرس أياديهِ وكافى كفاتِهِ

وكان على الجانب الآخر سورة الإخلاص، ولقب الخليفة الطائع لله، ولقب فخر الدولة، واسم جرجان. لأنه ضرب بها «قوله: دولة فلكية، يعني أن لقب فخر الدولة كان فلك الأمة. وقوله: وكافي كفاته، فإنّ الصاحب كان لقبه كافي الكفاة».

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة تتابعت الأمطار وكَثُرَتْ البروق، والرعود، والبرد الكبار، وسالت منه الأودية، وامتلأت الأنهار والآبار ببلاد الجبل، وخُرِّبَت المساكنُ وامتلأت الأقناء

طيناً وحجارة، وانقطعت الطرق.

وفيها عصى نصر بن الحسن بن الفيرزان بالدامغان على فخر الدولة، واجتاز به أحمد بن سعيد الشبيبي الخراساني مقبلاً من الرّي، ومعه عسكر من الديلم لمحاربته. فلما رأى الجدَّ في أمره، راسل فخر الدولة وعاود طاعته، فأجابه إلى قبول ذلك منه، وأقرَّه على حاله. وفيها توفي الأمير أبو علي بن فخر الدولة في رجب. وفيها وقع الوباء بالبصرة والبطائح من شدة الحر، فمات خلق كثير حتى امتلأت منهم الشوارع.

وفي شعبان كَثُرَت الرياح العواصف، وجاءت وقت العصر خامس شعبان ريح عظيمة بفم الصلح، فهدمت قطعة من الجامع، وأهلكت جماعة من الناس، وغرقت كثيراً من السفن الكبار المملوءة، واحتملت زورقاً منحدراً فيه دواب وعدة من السفر، وألقت الجميع على مسافة من موضعها.

وفيها توفي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد، كان محدِّثاً مكثراً، ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين[(١)]، وأبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم النيسابوري في ربيع الأول، وهو صاحب التصانيف المشهورة.

---

(١) في شذرات الذهب: وهو بين الضعف واتهمه بعضهم. وعاش أربعاً وتسعين سنة ٩٢/٣.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

ذكر سمل صمصام الدولة

كان نحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتل أخيه صمصام الدولة، وشرف الدولة يُعرض عن كلامه. فلما اعتل شرف الدولة واشتدَّتْ علَّتُهُ ألحَّ عليه نحرير. وقال له: « الدولة معه على خطر فإن لم تقتله فاسمله ». فأرسل في ذلك محمداً الشيرازي الفراش، فمات شرف الدولة قبل أن يصل الفراش إلى صمصام الدولة. فلما وصل الفراش إلى القلعة التي بها صمصام الدولة لم يقدم على سمله. فاستشار أبا القاسم العلاء بن الحسن الناظر هناك، فأشار بذلك فسمله. وكان صمصام الدولة يقول: « ما أعماني إلّا العلاء، لأنه أمضى في حكم سلطان قد مات ».

ذكر وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة

في هذه السّنة مستهل جُمادى الآخرة، توفي الملك شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة، مستسقياً، وحُمِل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، فدُفِن به، وكانت إمارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر وأياماً. وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة وخمسة أشهر. ولما اشتدت علّتُهُ سيَّر ولده أبا علي إلى بلاد فارس، وأصحبه الخزائن والعدد وجماعة كثيرة من الأتراك؛ فلما آيس أصحابه منه، اجتمع إليه أعيانهم، وسألوه أن يملك أحداً فقال: أنا في شغل عما تدعونني إليه، فقالوا له: ليأمر أخاه بهاء الدولة أبا نصر أن ينوب عنه إلى أن يُعافى، ليحفظَ الناس لئلا تثور فتنة، ففعل ذلك. وتوقف بهاء الدولة، ثم أجاب إليه[1]. فلما مات جلس بهاء الدولة في المملكة وقعد

---

(١) في ذيل تجارب الأمم « واستقرت الحال على اظهار استخلافه في غير ذلك اليوم، وغدا الناس إلى دار المملكة لذلك، فجرى من بعض القواد والخواص مطالبة باستحقاقهم خرجوا فيها إلى التشديد فتقوض =

للعزاء[١]، وركب الطائع لله أمير المؤمنين إلى العزاء في الزبزب، فتلقّاه بهاء الدولة، وقبّل الأرض بين يديه. وانحدر الطائع لله إلى داره، وخلع على بهاء الدولة خلع السلطنة، وأقرّ بهاء الدولة أبا منصور بن صالحان على وزارته.

ذكر مسير الأمير أبي علي بن شرف الدولة إلى فارس وما كان منه مع صمصام الدولة

لما اشتدَّ مرضُ شرف الدولة، جهَّزَ ولده الأمير أبا علي وسيَّره إلى فارس، ومعه والدته وجواريه، وسيَّر معه من الأموال، والجواهر، والسلاح أكثرها. فلما بلغ البصرة أتاهم الخبر بموت شرف الدولة، فسيَّر ما معه في البحر إلى أرجان، وسار هو مجداً إلى أن وصل إليها. واجتمع معه من بها من الأتراك، وساروا نحو شيراز، وكاتبهم متوليها ـ وهو أبو القاسم العلاء بن الحسن ـ بالوصول إليها ليسلِّمها إليهم. وكان المرتبون في القلعة التي بها صمصام الدولة، وأخوه أبو طاهر قد أطلقوهما ومعهما فولاذ، وساروا إلى سيراف. واجتمع على صمصام الدولة كثير من الديلم. وسار الأمير أبو علي إلى شيراز، ووقعت الفتنة بها بين الأتراك والديلم. وخرج الأمير أبو علي من داره إلى معسكر الأتراك فنزل معهم. واجتمع الديلم وقصدوا ليأخذوه ويسلموه إلى صمصام الدولة، فرأوه قد انتقل إلى الأتراك فكشفوا القناه ونابذوا الأتراك، وجرى بينهم قتال عدة أيام.

= الجمع من غير تقرير أمر وعاجلت شرف الدولة منيته فقضى نحبه وكتم أمره ليلة واحدة، وأصبح الناس، وعند أكثرهم خبره واجتمع العسكر فطلبوا الامير أبا نصر برسم البيعة وتردد الخوض معهم في امر العطاء ومبلغ ما أطلق لكل واحد منهم، فتولى خطابهم بنفسه واعلمهم خلو الخزائن من المال الذي يعمهم، ووعدهم بكسر ما فيها من الأواني والصياغات وضربها عيناً وورقاً وصرفها إليهم واطل المساء وراحوا الى منازلهم من غير استقرار وباكروا الغدو إلى الدار فوجدوا الأمير أبا نصر قد أظهر المصيبة وجلس للتعزية فأمسكوا عن الخطاب.

(١) قال الوزير أبو شجاع بعد ما ساق موته: ثم بلغ الكتاب أجله، ودعاه الداعي فاستعجله، وبزته المنية ثوبي ملكه وشبابه، واختطفته من بين حشمه وأصحابه، فمضى غضاً طرياً إما سعيداً وإما شقياً في سبيل لا بد للخلائق من سلوكها. ولا فرق فيها بين سوقتها وملوكها، وربما كانت السوقة أخف ظهوراً وأسرع في تلك الغمرات عبوراً. فأف لدار هذه صورة سكانهاولشجرة هذه ثمرة أغصانها، لقد ضل من اتخذ هذه الدار قراراً، واستطاب من هذه الشجرة ثماراً. فطوبى لمن قصر في الدنيا أمله وأصلح للآخرة عمله قال الله تعالى: ﴿ إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار ﴾.

ثم سار أبو علي والأتراك إلى فسا فاستولوا عليها ، وأخذوا ما بها من مال وقتلوا من بها من الديلم، وأخذوا أموالهم، وسلاحهم فقووا بذلك.

وسار أبو علي إلى أرجان وعاد الأتراك إلى شيراز، فقاتلوا صمصام الدولة ومن معه من الديلم، ونهبوا البلد وعادوا إلى أبي علي بأرجان، وأقاموا معه مدة مديدة. ثم وصل رسول من بهاء الدولة إلى أبي علي، وأدّى الرسالة، وطيّب قلبه ووعده. ثم إنه راسل الأتواك سرّاً، واستمالهم إلى نفسه، وأطمعهم، فحسنوا لأبي علي المسير إلى بهاء الدولة. فسار إليه، فلقيه بواسط منتصف جُمادى الآخرة سنة ثمانين وثلاثمائة، فأنزله وأكرمه وتركه عدة أيام، وقبض عليه ثم قتله بعد ذلك بيسير[1]. وتجهَّزَ بهاء الدولة للمسير إلى الأهواز لقصد بلاد فارس.

ذكر الفتنة ببغداد بين الأتراك والديلم

وفي هذه السّنة أيضاً وقعت الفتنة ببغداد بين الأتراك والديلم، واشتدَّ الأمر ودام القتال بينهم خمسة أيام، وبهاء الدولة في داره يراسلهم في الصلح، فلم يسمعوا قوله، وقتل بعض رسله. ثم إنه خرج إلى الأتراك، وحضر القتال معهم. فاشتدَّ حينئذ الأمر وعظم الشر. ثم إنه شرع في الصلح ورفق بالأتراك، وراسل الديلم. فاستقرَّ الحال بينهم وحلف بعضهم لبعض. وكانت مدة الحرب اثني عشر يوماً. ثم إن الديلم تفرقوا، فمضى فريق بعد فريق وأُخرِجَ بعضهم، وقُبِضَ على البعض. فضعف أمرهم وقويت شوكة الأتراك، واشتدَّتْ حالهم.

ذكر مسير فخر الدولة إلى العراق وما كان منه

وفي هذه السّنة، سار فخر الدولة بن ركن الدولة من الرّي إلى همذان عازماً على قصد العراق، والاستيلاء عليها. وكان سبب حركته ان صاحب بن عباد كان يحبُّ العراق لا سيما بغداد، ويؤثر التقدم بها ويرصد أوقات الفرصة. فلما توفي شرف الدولة علم أن الفرصة قد أمكنت، فوضع على فخر الدولة من يعظم عنده ملك العراق،

---

(١) في ذيل تجارب الامم « وسار بهاء الدولة إلى فارس فلما عاد إلى العراق استدعاه وتولى أبو الحسن الكوكبي المعلم قتله خنقاً بيده ».

ويسهل أمرها عليه. ولم يباشر هو ذلك خوفاً من خطر العاقبة إلى أن قال له فخر الدولة، ما عندك في هذا الأمر. فأحال على أن سعادته تسهل كل صعب، وعظم البلاد. فتجهَّزَ وسار إلى همذان، وأتاه بدر بن حسنويه وقصده دبيس بن عفيف الأسدي. فاستقرَّ الأمر على أن يسير الصاحب بن عباد وبدر إلى العراق على الجادة ويسير فخر الدولة على خوزستان. فلما صار الصاحب حذر فخر الدولة من ناحيته. وقيل له: ربما استماله أولاد عضد الدولة، فاستعاده إليه وأخذه معه إلى الأهواز، فملكها وأساء السيرة مع جندها، وضيَّق عليهم ولم يبذل المال. فخابت ظنون الناس فيه. واستشعر منه أيضاً عسكره وقالوا: هكذا يفعل بنا إذا تمكن من إرادته فتخاذلوا. وكان الصاحب قد أمسك نفسه تأثراً بما قيل عنه من إتهامه فالأمور بسكوته غير مستقيمة.

فلما سمع بهاء الدولة بوصولهم إلى الأهواز، سيَّر إليهم العساكر والتقوا هم وعساكر فخر الدولة. فاتفق أن دجلة الأهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة، وانفتحت البثوق منها، فظنها عسكر فخر الدولة مكيدة، فانهزموا، فقلق فخر الدولة من ذلك. وكان قد استبدَّ برأيه، فعاد حينئذ إلى رأي الصاحب، فأشار ببذل المال واستصلاح الجند. وقال له: «إن الرأي في مثل هذه الأوقات إخراج المال، وترك مضايقة الجند فإن أطلقت المال ضمنت لك حصول أضعافه بعد سنة». فلم يفعل ذلك، وتفرق عنه كثير من عسكر الأهواز، واتسع الخرق عليه، وضاقت الأمور به فعاد إلى الرّي؛ وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازيين وملك أصحاب بهاء الدولة الأهواز.

ذكر هرب القادر بالله إلى البطيحة

في هذه السّنة هرب القادر بالله من الطائع لله إلى البطيحة فاحتمى فيها. وكان سبب ذلك أن إسحاق بن المقتدر والد القادر لما توفي جرى بين القادر وبين أخت[1] له منازعة في ضيعة، وطال الأمر بينهما. ثم إن الطائع لله مرض مرضاً أشفى منه، ثم أبل، فسعت إليه بأخيه القادر وقالت له: إنه شرع في طلب الخلافة عند مرضك. فتغير رأيه فيه. فأنفذ أبا الحسن بن النعمان وغيره للقبض عليه، وكان بالحريم الطاهري، فأُصعِدُوا في الماء إليه.

---

(١) سماها في ذيل تجارب الامم «آمنه بنت معجبة».

وكان القادر قد رأى في منامه كأن رجلاً يقرأ عليه ﴿ الذين قال لهم الناس، إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[1]. فهو يحكي هذا المنام لأهله ويقول: أنا خائف من طالب يطلبني.

ووصل أصحاب الطائع لله إليه واستدعوه، فأراد لبس ثيابه فلم يمكنوه من مفارقتهم، فأخذه النساء منهم قهراً، وخرج عن داره واستتر. ثم سار إلى البطيحة فنزل على مهذب الدولة فأكرم نزله ووسَّع عليه، وحفظه وبالغ في خدمته، ولم يزل عنده إلى أن أتته الخلافة. فلما وليها جعل علامته، حسبنا الله ونعم الوكيل.

ذكر عود بني حمدان إلى الموصل

في هذه السّنة ملك أبو طاهر إبراهيم، وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان الموصل. وسبب ذلك أنهما كانا في خدمة شرف الدولة ببغداد. فلما توفي وملك بهاء الدولة، استأذنا في الإصعاد إلى الموصل، فأذِنَ لهما فأصعِدَا. ثم علم القواد الغلط في ذلك، فكتب بهاء الدولة إلى خواشاذه ـ وهو يتولى الموصل ـ يأمره بدفعهما عنها. فأرسل إليهما خواشاذه يأمرهما بالعود عنه، فأعادا جواباً جميلاً وجدًّا في السير، حتى نزلا بالدير الأعلى بظاهر الموصل. وثار أهل الموصل بالديلم، والأتراك فنهبوهم وخرجوا إلى بني حمدان. وخرج الديلم إلى قتالهم، فهزمهم المواصلة، وبنو حمدان، وقتل منهم خلق كثير، واعتصم الباقون بدار الإمارة، وعزم أهل الموصل على قتلهم والاستراحة منهم، فمنعهم بنو حمدان عن ذلك. وسيَّروا خواشاذه ومن معه إلى بغداد، وأقاموا بالموصل وكثر العرب عندهم.

ذكر خلاف كُتامة على المنصور

وفي هذه السنة خرج إنسان آخر من كُتامة يقال له: أبو الفرج، لا يُعرفُ من أي موضع هو. وزعم أن أباه ولد القائم العلوي جدَّ المعز لدين الله، فعمل أكثر مما عمله أبو الفهم؛ واجتمعت إليه كتامة واتخذ البنود والطبول، وضرب السكة، وجرت بينه وبين نائب المنصور وعساكره بمدينة ميلة، وسطيف حروب كثيرة ووقعات متعددة. فسار المنصور إليه في عساكره، وزحف هو إلى المنصور في عساكر كُتامة. فكان بينهما حرب شديدة. فانهزم أبو الفرج، وكتامة وقتل منهم مقتلة عظيمة. واختفى أبو الفرج

---

(١) آل عمران ١٧٣ .

في غار في جبل فوثب عليه غلامان كانا له فأخذاه، وأتيا به المنصور، فسره ذلك وقتله شر قتلة.

وشحن المنصور بلاد كتامة بالعساكر وبثَّ عماله فيها، ولم يدخلها عامل قبل ذلك. فجبوا أموالها وضيقوا على أهلها. ورجع المنصور إلى مدينة أشير فأتاه سعيد بن خزرون الزناتي، وكان أبوه قد تغلَّب على سُجلماسة سنة خمس وستين وثلاثمائة، وصار في طاعة المنصور واختص به، وعلَتْ منزلته عنده. فقال له المنصور يوماً: يا سعيد هل تعرف أحداً أكرم مني؟ - وكان قد وصله بمال كثير - فقال: نعم أنا أكرم منك. فقال المنصور: وكيف ذلك؟ قال. لأنك جدت علي بالمال، وأنا جدت عليك بنفسي. فاستعمله المنصور على طبنة وزوَّج ابنه ببعض بنات سعيد. فلامه على ذلك بعض أهله فقال: كان أبي، وجدي يستتبعانهم بالسيف، وأما أنا فمن رماني برمح رميته بكيس، حتى تكون مودَّتهم طبعاً واختياراً. ورجع سعيد إلى أهله وبقي إلى سنة إحدى وثمانين. ثم عاد إلى المنصور زائراً فاعتل سعيد أياماً وتوفي أول رجب. ثم قدم فلفل بن سعيد على المنصور فأحسن إليه، وحمل إليه مالاً كثيراً، فرده إلى طبنة ولاية أبيه.

ذكر خلاف عم المنصور عليه

في هذه السَّنة أيضاً خالف أبو البهار عم المنصور بن يوسف بلكين صاحب أفريقية عليه، لشيء جرى عليه من المنصور لم يحمله له لعزة نفسه. فسار المنصور إليه بتاهرت، ففارقها عمه إلى الغرب بمن معه من أهلها وأصحابه، ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها. ثم طلب أهلها الأمان فأمّنهم. ثم سار في طلب عمه، حتى جاوز تاهرت بسبع عشرة مرحلة. ولقي العسكر شدة، وقصد عمه زيري بن عطية صاحب فاس، فأكرمه وأعلى محلّه وبقي جنده يغيرون على نواحي المنصور، وفي سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قصدوا النواحي المجاورة لفاس، فأوقعوا بأصحاب المنصور بها واستولوا عليها؛ ثم ندم أبو البهار فسار إلى المنصور معتذراً مما جرى منه، فقبله المنصور وأحسن إليه وأكرمه وحمل إليه كل ما يحتاج إليه من مال وغيره.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي، وكان قد عظم شأنه مع شرف الدولة واتسع جاهه، وكَثُرَتْ أمواله، فلما ولي

بهاء الدولة سعى به أبو الحسن المعلم إليه، وأطمعه في أمواله وملكه. وعظم ذلك عنده وقبض عليه. وفيها أسقط بهاء الدولة ما كان يُؤخَذُ من المراعي من سائر السواد. وفيها وُلِدَ الأمير أبو طالب رستم بن فخر الدولة. وفيها خرج ابن الجراح الطائي على الحجاج بين سميراء وفيد، ونازلهم فصالحوه على ثلاثمائة ألف درهم وشيء من الثياب، فأخذها وانصرف. وفيها بُنِيَ جامع القطيعة ببغداد[١]. وفيها توفي محمد بن أحمد بن العباس بن أحمد بن جلاد أبو العباس السلمي النقاش[٢]. كان من متكلمي الأشعرية وعنه أخذ أبو علي بن شاذان الكلام، وكان ثقة في الحديث.

---

(١) أي قطيعة أم جعفر. وهو بالجانب الغربي من بغداد، وكان اصل بناء هذا المسجد ان امرأة رأت في منامها رسول الله ﷺ يصلي في مكانه ووضع يده في جدار هناك فلما اصبحت فذكرت ذلك فوجدوا اثر الكف في ذلك الموضع فبني مسجداً ثم توفيت تلك المرأة في ذلك اليوم ثم ان الشريف أبا أحمد الموسوي جدده وجعله جامعاً وصلى الناس فيه في هذه السنة. البداية والنهاية ١١/٣٢٨.

(٢) في شذرات الذهب ٣/٩٤ « أبو جعفر الجوهري البغدادي نقاش الفضة .توفي في المحرم وله سبع وثمانون سنة.

ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة

ذكر قتل باذ

في هذه السّنة قتل باذ الكردي صاحب ديار بكر. وكان سبب قتله أن أبا طاهر، والحسين ابني حمدان لما ملكا بلاد الموصل طمع فيها باذ، وجمع الأكراد فأكثر، وممن أطاعه الأكراد البشنوية أصحاب قلعة فنك، وكانوا كثيراً. ففي ذلك يقول الحسين البشنوي الشاعر لبني مروان يعتدّ عليهم بنجدتهم خالهم باذا من قصيدة:

البشنوية أنصارٌ لدولتِكُم ... وليس في ذا خفا في العجم والعربِ
أنصار باذ بارجيش وشيعته ... بظاهرِ الموصلِ الحدباءِ في العطبِ
بباجلايا جلونا عنه غمغمة ... ونحن في الروع جلاؤون للكربِ

وكاتب أهل الموصل، فاستمالهم، فأجابه بعضهم. فسار إليهم ونزل بالجانب الشرقي، فضعفا عنه، وراسلا أبا الذواد محمد بن المسيب، أمير بني عقيل، واستنصراه. فطلب منهما جزيرة ابن عمر، ونصيبين، وبلدا، وغير ذلك. فأجاباه إلى ما طلب واتفقوا. وسار إليه أبو عبد الله بن حمدان وأقام أبو طاهر بالموصل يحارب باذا؛ فلما اجتمع أبو عبد الله، وأبو الذواد، سارا إلى بلد وعبرا دجلة، وصارا مع باذ على أرض واحدة ـ وهو لا يعلم ـ فأتاه الخبر بعبورهما، وقد قارباه. فأراد الانتقال إلى الجبل لئلا يأتيه هؤلاء من خلفه، وأبو طاهر من أمامِهِ، فاختلط أصحابه وأدركه الحمدانية فناوشوهم القتال. وأراد باذ الانتقال من فرس إلى آخر فسقط، واندقت ترقوته؛ فأتاه ابن أخته أبو علي بن مروان، وأراده على الركوب فلم يقدر، فتركوه وانصرفوا واحتموا بالجبل. ووقع باذ بين القتلى، فعرفه بعض العرب، فقتله وحَمَلَ رأسه إلى بني حمدان، وأخذ جائزة سنية، وصلبت جثته على دار الإمارة. فثار العامة وقالوا: رجل غازٍ ولا يحلُّ فعل هذا به. وظهر منهم محبة كثيرة له وأنزلوه، وكفنوه وصلّوا عليه، ودفنوه.

ذكر ابتداء دولة بني مروان

لما قُتِلَ باذ سار ابن أخته أبو علي بن مروان في طائفة من الجيش إلى حصن كيفا ـ وهو على دجلة وهو من أحصن المعاقل ـ وكان بـه امرأة بـاذ وأهله. فلما بلغ الحصن قال لزوجة خاله: قد أنفذني خالي إليك في مهم. فظنته حقاً، فلما صعد إليها أعلمها بهلاكه، وأطمعها في التزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره، ونزل وقصد حصناً حتى ملك ما كان لخاله. وسار إلى ميافارقين وسار إليه أبو طاهر، وأبو عبد الله ابنا حمدان طمعاً فيه ومعهما رأس باذ، فوجدا أبا علي قد أحكم أمره. فتصافوا واقتتلوا وظفر أبو علي وأسر أبا عبد الله بن حمدان، فأكرمه وأحسن إليه ثم أطلقه. فسار إلى أخيه أبي طاهر ـ وهو بآمد يحصرها ـ فأشار عليه بمصالحة ابن مروان فلم يفعل. واضطرَّ أبو عبد الله إلى موافقته. وسارا إلى ابن مروان فواقعاه فهزمهما، وأسر أبا عبد الله أيضاً، فأساء إليه وضيَّق عليه، إلى أن كاتبه صاحب مصر وشفع إليه فأطلقه. ومضى إلى مصر وتقلَّد منها ولاية حلب[1]، وأقام بتلك الديار إلى أن توفي. وأما أبو طاهر فإنه لما وصل إلى نصيبين قصده أبو الذواد فأسره، وعلياً ابنه، والمزعفر أمير بني نمير، وقتلهم صبراً.

وأقام ابن مروان بديار بكر وضبطها وأحسن إلى أهلها وألان جانبه لهم. فطمع فيه أهل ميافارقين فاستطالوا على أصحابه فأمسك عنهم إلى يوم العيد، وقد خرجوا إلى المصلى، فلما تكاملوا في الصحراء وافى إلى البلد وأخذ أبا الصقر شيخ البلد فألقاه من على السور، وقبض على من كان معه. وأخذ الأكراد ثياب الناس خارج البلد وأغلق أبواب البلد، وأمر أهله أن ينصرفوا حيث شاؤوا. ولم يمكنهم من الدخول فذهبوا كل مذهب. وكان قد تزوج ستَّ الناس، بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان، فأتته من حلب، فعزم على زفافها بآمد. فخاف شيخ البلد ـ واسمه عبد البر ـ أن يفعل بهم مثل فعله بأهل ميافارقين، فأحضر ثقاته وحلفهم على كِتمانِ سرِّهِ وقال لهم: «قد صحَّ عزم الأمير على أن يفعل بكم مثل فعله بأهل ميافارقين وهو يدخل من باب الماء، ويخرج من باب الجهاد، فقفوا له في الدركاه، وانثروا عليه هذه الدراهم، ثم اعتمدوا بها وجهه، فانه سيغطِّيه بكمه، فاضربوه بالسكاكين في مقتله». ففعلوا. وجرت الحال

---

(١) في تاريخ ابن القلانسي أنه في سنة ٣٨٧ ولي صور من قبل الحاكم صاحب مصر.

كما وصف وتولّى قتله إنسان يقال له: ابن دمنة، كان فيه إقدام وجراءة. فاختبط الناس وماجوا فرمى برأسه إليهم، فأسرعوا السير إلى ميافارقين. وحدَّث جماعة من الأكراد نفوسهم بملك البلد فاستراب بهم مستحفظ ميّافارقين، لإسراعهم وقال: «ان كان الأمير حياً فادخلوا معه، وإن كان قُتِلَ فأخوه مستحق لموضعه». فما كان بأسرع من أن وصل ممهد الدولة أبو منصور بن مروان أخو أبي علي إلى ميافارقين، ففتح له باب البلد، فدخله وملكه، ولم يكن له فيه إلاّ السكة والخطبة لما نذكره.

وأما عبد البر فاستولى على آمد، وزوَّج ابن دمنة الذي قتل أبا علي ابنته، فعمل له ابن دمنة دعوة وقتله. وملك آمد وعمر البلد وبنى لنفسه قصراً عند السور، وأصلح أمره مع ممهد الدولة، وهادى ملك الروم، وصاحب مصر، وغيرهما من الملوك وانتشر ذكره. وأما ممهد الدولة فإنه كان معه إنسان من أصحابه يسمَّى شروة حاكماً في مملكته. وكان لشروة غلام قد ولاّه الشرطة. وكان ممهد الدولة يبغضه ويريدُ قتله ويتركه احتراماً لصاحبه. ففطن الغلام لذلك فأفسد ما بينهما. فعمل شروة طعاماً بقلعة الهَتّاخ[1] ـ وهي إقطاعه ـ ودعا إليها ممهد الدولة. فلما حضر عنده، قتله وذلك سنة اثنتين وأربعمائة. وخرج من الدار إلى بني عم ممهد الدولة. فقبض عليهم وقيدهم وأظهر أن ممهد الدولة أمره بذلك. ومضى إلى ميّافارقين وبين يديه المشاعل ففتحوا له ظناً منهم أنه ممهد الدولة، فملكها.

وكتب إلى أصحاب القلاع يستدعيهم. وأنفذ إنساناً إلى أَرزَن ليحضر متوليها، ويعرِّف بخواجه أبي القاسم. فسار خواجه نحو ميّافارقين ولم يسلم القلعة إلى القاصد إليه. فلما توسَّط الطريق سمع بقتل ممهد الدولة، فعاد إلى أَرْزَن[2]. وأرسل إلى أسعرد فأحضر أبا نصر بن مروان أخا ممهد الدولة، وكان أخوه قد أبعده عنه، وكان يبغضه لمنام رآه. وهو أنه رأى كأن الشمس سقطت في حجره، فنازعه أبو نصر عليها وأخذها. فأبعده لهذا وتركه بأسعرد مضيِّقاً عليه. فلما استدعاه خواجة قال له: دبير تفلح قال: نعم.

وكان شروة قد أنفذ إلى أبي نصر فوجدوه قد سار إلى ارزن فعلم حينئذ انتقاض

---

(١) الهَتّاخ: بالفتح والتشديد: قلعة حصينة في ديار بكر قرب ميّافارقين.

(٢) أرْزَن: بالفتح ثم السكون وفتح الزاي ونون: وهي مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة، وكانت من أعمر نواحي أرمينية.

أمره. وكان مروان والد ممهد الدولة قد أضر وهو بأرزن عند قبر ابنه أبي علي هو وزوجته. فأحضر خواجه أبا نصر عندهما وحلفه على القبول منه والعدل، وأحضر القاضي الشهود على اليمين وملكه أرزن، ثم ملك سائر بلاد ديار بكر. فدامت أيامه وأحسن السيرة، وكان مقصداً للعلماء من سائر الآفاق، وكثروا ببلاده. وممن قصده أبو عبد الله الكازروني، وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر. وقصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم وبقي كذلك من سنة اثنتين وأربعمائة إلى سنة ثلاث وخمسين. فتوفي فيها وكان عمره نيفاً وثمانين سنة. وكانت الثغور معه آمنة، وسِيْرَتُهُ في رعيته أحسن سيرة، فلما مات ملك بلاده ولده.

ذكر ملك آل المسيب الموصل

لما انهزم أبو طاهر بن حمدان من أبي علي بن مروان كما ذكرناه، سار إلى نصيبين في قلة من أصحابه، وكانوا قد تفرقوا. فطمع فيه ابو الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل ـ وكان صاحب نصيبين حينئذ كما ذكرناه ـ فثار بأبي طاهر فأسره وأسر ولده، وعدة من قوادهم، وقتلهم وسار إلى الموصل فملكها وأعمالها. وكاتب بهاء الدولة يسأله أن ينفذ إليه من يقيم عنده من أصحابه، يتولى الأمور. فسيَّر إليه قائداً من قواده. وكان بهاء الدولة قد سار من العراق إلى الأهواز على ما نذكره إن شاء الله تعالى. وأقام نائب بهاء الدولة وليس له من الأمر شيء ولا يحكم إلّا فيما يريده أبو الذواد. وسيرد من ذكره وذكر عقبه ما تقف عليه إن شاء الله تعالى.

ذكر مسير بهاء الدولة إلى الأهواز وما كان منه ومن صمصام الدولة

في هذه السَّنة سار بهاء الدولة عن بغداد إلى خوزستان عازماً على قصد فارس واستخلف ببغداد أبا نصر خواشاذه، ووصل إلى البصرة ودخلها، وسار عنها إلى خوزستان. فأتاه نعي أخيه أبي طاهر، فجلس للعزاء به. ودخل أرجان فاستولى عليها، وأخذ ما فيها من الأموال. فكان ألف ألف دينار وثمانية ألف ألف درهم، ومن الثياب والجوهر ما لا يُحصى، فلما علم الجند بذلك شغبوا شغباً متتابعاً، فأطلقت تلك

الأموال كلها لهم ، ولم يبقَ منها إلاّ القليل[١] .

ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل إلى النوبندجان، وبها عساكر صمصام الدولة فهزمهم وبثَّ أصحابه في نواحي فارس. فسيَّر إليهم صمصام الدولة عسكراً وعليهم فولاذزماندار[٢]، فواقعهم فانهزم أبو العلاء وعاد مهزوماً. وكان سبب الهزيمة أنه كان بين العسكرين واد، وعليه قنطرة، وكان أصحاب أبي العلاء يعبرون القنطرة ويغيرون على أثقال الديلم عسكر صمصام الدولة، فوضع فولاذ كميناً عند القنطرة. فلما عبر أصحاب بهاء الدولة خرجوا عليهم، فقتلوهم جميعهم. وراسل فولاذ أبا العلاء وخدعه، ثم سار إليه وكبسه، فانهزم من بين يديه وعاد إلى أرجان مهزوماً، وغلت الأسعار بها.

ولما بلغ الخبر إلى صمصام الدولة سار عن شيراز إلى فولاذ وترددت الرسل في الصلح فتم على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس، وأرجان، ولبهاء الدولة خوزستان، والعراق، وأن يكون لكل واحد منهما أقطاع في بلد صاحبه، وحلف كل واحد منهما لصاحبه. وعاد بهاء الدولة الى الأهواز. ولما سار بهاء الدولة عن بغداد ثار العيارون بجانبي بغداد، ووقعت الفتن بين أهل السنة والشيعة، وكثر القتل بينهم وزالت الطاعة وأُحرِقَ عدة محال، ونُهِبَت الأموال وأُخرِبَت المساكن. ودام ذلك عدة شهور، إلى أن عاد بهاء الدولة إلى بغداد.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة قبض بهاء الدولة على وزيره أبي منصور بن صالحان، واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير قبل مسيره إلى خوزستان، وكان المدبِّر لدولة بهاء الدولة أبا الحسين المعلم وإليه الحكم.

وفيها توفي أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وزير العزيز صاحب مصر، وكان

---

(١) في ذيل تجارب الامم « حتى لم يبق منها بعد مديدة غير أربعمائة ألف دينار وأربعمائة ألف درهم حملت الى الأهواز ».

(٢) في ذيل تجارب الأمم « فولاذ بن مانادر ».

كامل الأوصاف متمكناً من صاحبه[١]، فلما مرض عاده العزيز صاحب مصر وقال: «وددت أنك تباع. فابتاعك بملكي فهل من حاجة توصي بها». فبكى وقبَّل يده ووضعها على عينه وقال: «أما فيما يخصني فانك أرعى لحقي من أن أوصيك بمخلفي ولكن فيما يتعلق بدولتك، سالم الحمدانية ما سالموك واقنع منهم بالدعة وإن ظفرت بالمفرج فلا تُبقِ عليه». فلما مات حزن العزيز عليه وحضر جنازته وصلّى عليه، وألحده بيده في قصره، وأغلق الدواوين عدة أيام، واستوزر بعده أبا عبد الله الموصلي، ثم صرفه وقلّد عيسى بن نسطورس النصراني، فمال إلى النصارى وولّاهم، واستناب بالشام يهودياً يُعرف بمنشا بن إبراهيم ففعل مع اليهود مثل ما فعل عيسى بالنصارى، وجرى على المسلمين تحامل عظيم.

وفيها في ربيع الأول قُلِّد الشريف أبو أحمد والد الرضي نقابة العلويين والمظالم وإمارة الحج[١]. وحج بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي نيابة عن النقيب أبي أحمد الموسوي. وفيها توفي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الفقيه الحنفي ومولده سنة عشرين وثلاثمائة وفيها توفي عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري بالأندلس، والد الإمام أبي عمر بن عبد البر

---

(١) قال أبو يعلى القلانسي في ذيل تاريخ دمشق: «وكان الوزير ابن كلس يهودياً من أهل بغداد خبيثاً ذا مكر وحيلة ودهاء وفطنة، وكان في قديم أمره خرج إلى الشام فنزل بالرمّلة فجلس وكيلاً للتجار، فلما اجتمعت الأموال التي للتجار كسرها وهرب إلى مصر في أيام كافور الإخشيدي صاحب مصر، فتاجره وحمل إليه متاعاً كثيراً، ويحال بماله على ضياع مصر وكان إذا دخل ضيعة عرف غلتها وارتفاعها وظاهر أمرها وباطنها وكان مـاهراً في اشغاله لا يُسأل عن شيء من امورها إلا أخبر به عن صحة. فكبرت حاله وخبر كافور وما فيه من الفطنة والسياسة فقال: لو كان هذا مسلماً لصلح أن يكون وزيراً فبلغه ما قال كافور فطمع في الوزارة فدخل جامع مصر في يوم الجمعة وقال: أنا أسلم ـ على يد كافور ـ فبلغ الوزير ابن حنزابة وزير كافور ما هو عليه وما طمع فيه فقصده وخاف منه ـ فهرب إلى المغرب وقصد يهوداً كانوا هناك مع أبي تميم المعز لدين الله أصحاب أمره فصارت له عندهم حرمة فلم يزل معهم إلى أن أخذ المعز مصر فسار معه إليها فلما توفي المعز وأصحابه اليهود وولي العزيز بالله استوزره في سنة ٣٦٥، وكان هذا الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس كبير الهمة قوي النفس والمنة عظيم الهيبة الخ اهـ، وكانت وفاته في ذي الحجة، ولما مات خلف شيئاً كثيراً، وقيل: إنه كفن بما قيمته عشرة آلاف دينار. ورثاه مائة شاعر.

(١) زاد ابن كثير، وابن تغري بردي: «واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم، والرضيّ ابو الحسين على النقابة وخلع عليهما من دار الخلافة ببغداد.

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على الطائع لله

في هذه السَّنة قبض على الطائع لله قبض عليه بهاء الدولة، وهو الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع لله ابن جعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن أبي أحمد الموفَّق بن المتوكل. وكان سبب ذلك أن الأمير بهاء الدولة قلَّتْ عنده الأموال، فكثر شغب الجند فقبض على وزيره سابور، فلم يغن عنه ذلك شيئاً. وكان أبو الحسن بن المعلم قد غلب على بهاء الدولة، وحكم في مملكته فحسن له القبض على الطائع، وأطمعه في ماله، وهوَّن عليه ذلك وسهَّله، فأقدم عليه بهاء الدولة وأرسل إلى الطائع وسأله الاذن في الحضور في خدمته، ليجددَ العهد به. فأذن له في ذلك، وجلس له كما جرت العادة. فدخل بهاء الدولة ومعه جمع كثير. فلما دخل قبَّل الأرض، وأُجلِسَ على كرسي. فدخل بعض الديلم كأنه يريد يقبل يد الخليفة، فجذبه فأنزله عن سريره والخليفة يقول: « إنا لله وإنا إليه راجعون ». وهو يستغيث ولا يلتفت إليه. وأُخِذَ ما في دار الخليفة من الذخائر. فمشوا به في الحال، ونهب الناس بعضهم بعضاً. وكان من جملتهم الشريف الرضي. فبادر بالخروج فسلم وقال أبياتاً من جملتها:

من بعد ما كان ربُّ الملكِ مبتسماً ... إليَّ أدنوه في النجوى ويدنيني
أمسيْتُ أرحمُ من قد كنْتُ أغبطُهُ ... لقد تقاربَ بين العزِّ والهونِ
ومنظرٌ كان بالسَّراءِ يُضحكني ... يا قرب ما عاد بالضَّراء يبكيني
هيهات أغترُّ بالسلطان ثانية ... قد ضلَّ ولاج أبواب السلاطينِ

ولما حمل الطائع إلى دار بهاء الدولة أشهد عليه بالخلع. وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام وحمل إلى القادر بالله لما ولي الخلافة، فبقي عنده إلى أن توفي سنة ثلاث وتسعين ، ليلة الفطر وصلى عليه القادر بالله، وكبَّر عليه خمساً.

وكان مولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وكان أبيض مربوعاً حسن الجسم وكان أنفه كبيراً جداً. وكان شديد القوة كثير الإقدام، اسم أمه عتب، وعاشت إلى أن أدركت أيامه، ولم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته.

ذكر خلافة القادر بالله

لما قُبِضَ على الطائع لله، ذكر بهاء الدولة من يصلح للخلافة، فاتفقوا على القادر بالله. وهو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد، وأمه أم ولد اسمها دمنة، وقيل: تمنى وكان بالبطيحة كما ذكرناه، فأرسل إليه بهاء الدولة خواص أصحابه ليحضروه إلى بغداد، ليتولى الخلافة، فانحدروا إليه وشغب الديلم ببغداد ومنعوا من الخطبة فقيل على المنبر: اللهمَّ أصلحْ عبدَكَ وخليفتَكَ القادر بالله. ولم يذكروا اسمه، وأرضاهم بهاء الدولة. ولما وصل الرسل إلى القادر بالله كان تلك الساعة، يحكي مناماً رآه تلك الليلة، وهو ما حكاه هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة قال: «كنت أحضر عند القادر بالله كل أسبوع مرتين فكان يكرمني، فدخلت عليه يوماً فوجدته قد تأهَّب تأهباً لم تجرِ به عادته، ولم أرَ منه ما ألفتُه من إكرامه، واختلفت بي الظنون. فسألته عن سبب ذلك فإن كان لزلة مني اعتذرت عن نفسي فقال: بل رأيت البارحة في منامي كأن نهركم هذا نهر الصليق، قد اتسع فصار مثل دجلة دفعات، فسرْتُ على حافته متعجباً منه ورأيت قنطرة عظيمة فقلت: من قد حدث نفسه بعمل هذه القنطرة على هذا البحر العظيم ثم صعدتها ـ وهي محكمة ـ فبينا أنا عليها أتعجب منها إذ رأيت شخصاً قد تأملني من ذلك الجانب فقال: أتريد أن تعبر؟ قلت: نعم. فمدَّ يده حتى وصلت إليّ فأخذني وعبرني فهالني وتعاظمني فعله قلت: من أنت؟ قال: علي بن أبي طالب. وهذا الأمر صائر إليك ويطول عمرك فيه، فأحسن إلى ولدي وشيعتي».

فما انتهى القادر إلى هذا القول حتى سمعنا صياح الملاحين وغيرهم. وسألنا عن ذلك وإذا هم الواردون إليه لإصعاده ليتولى الخلافة، فخاطبته بأمرة المؤمنين وبايعته، وقام مهذب الدولة بخدمته أحسن قيام، وحمل إليه من المال وغيره ما يحمله كبار الملوك للخلفاء وشيعه. فسار القادر بالله إلى بغداد، فلما دخل جبل انحدر بهاء الدولة وأعيان الناس لاستقباله، وساروا في خدمته. فدخل دار الخلافة ثاني عشر رمضان، وبايعه بهاء الدولة والناس وخطب له ثالث عشر رمضان، وجدد أمر الخلافة وعظم

ناموسها. وسيرد من أخباره إن شاء الله تعالى ما يعلم به ذلك. وحُمِلَ إليه بعض ما نُهِبَ من دار الخلافة. وكانت مدة مقامه في البطيحة سنتين وأحد عشر شهراً. ولم يخطبْ له في جميع خراسان، كانت الخطبة فيها للطائع لله.

ذكر مُلك خلف بن أحمد كرمان

في هذه السّنة أنفذ خلف بن أحمد صاحب سجستان ـ وهو ابن بانو بنت عمرو بن الليث الصَّفار ـ ابنه عمراً إلى كرمان فملكها ـ وكان سبب ذلك أنه كان لما قوي أمره، وجمع الأموال الكثيرة، حدَّثَ نفسهُ بملك كرمان، ولم يتهيأ له ذلك لهدنة كانت بينه وبين عضد الدولة. فلما مات عضد الدولة، وملك شرف الدولة واستقرَّ أمره وانتظم وأمَّنَ مُلكَهُ لم يتحرك بشيء من ذلك. فلما توفي شرف الدولة، واضطرب ملوك بني بويه، ووقع الخلف بين صمصام الدولة وبهاء الدولة، قوي طمعه وانتهز الفرصة. وجهَّزَ ولده عمراً، وسيَّره في عسكر كثير إلى كرمان، وبها قائد يقال له: تمرتاش، كان قد استعمله شرف الدولة. فلم يشعر تمرتاش إلّا وعمرو قد قاربه، فلم يكن له ولمن معه حيلة إلّا الدخول إلى بردسير[1] وحملوا ما أمكنهم حمله، وغنم عمرو الباقي، وملك كرمان ما عدا برد سير، وصادر الناس وجبى الأموال. فلما وصل الخبر إلى صمصام الدولة ـ وهو صاحب فارس ـ جهَّزَ العساكر وسيَّرها إلى تمرتاش. وقدم عليهم قائداً يقال له: أبو جعفر، وأمره بالقبض على تمرتاش عند الإجتماع به، لأنه اتهمه بالميل إلى أخيه بهاء الدولة. فسار أبو جعفر، فلما اجتمع بتمرتاش أنزله عنده بعلة الاجتماع على ما يفعلانه، وقبضَ عليه وحمله إلى شيراز. فسار أبو جعفر بالعسكر جميعه يقصد عمرو بن خلف ليحاربه، فالتقوا بدارزين[2] واقتتلوا. فانهزم أبو جعفر والديلم وعادوا على طريق جيرفت. وبلغ الخبر إلى صمصام الدولة، وأصحابه فانزعجوا لذلك. ثم أجمعوا أمرهم على إنفاذ العباس بن أحمد في عسكر أكثر من الأول. فسيَّروه في عدد كثير وعدَّة ظاهرة، فسار حتى بلغ عمراً، فالتقوا بقرب السيرجان

---

(١) قال ياقوت في معجمه: بردسير تعريب أردشير وأهل كَرمان يسمونها كواشير. وفي ذيل تجارب الامم « اردشير » بشين معجمة.

(٢) هي في سهل من الأرض يتسع فيها لطراد الفرسان.

واقتتلوا. فكانت الهزيمة على عمرو بن خلف وأسر جماعة من قواده وأصحابه[١]؛ وكان هذا في المحرم سنة اثنتين وثمانين.

وعاد عمرو إلى أبيه بسجستان مهزوماً. فلما دخل عليه لامه ووبخه ثم حبسه أياماً ثم قتله بين يديه، وتولّى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة، فسبحان الله ما كان أقسى قلب هذا الرجل مع علمه ومعرفته[٢].

ثم إن صمصام الدولة عزل العباس عن كرمان واستعمل عليها أستاذ هرمز. فلما وصل إلى كرمان خافه خلف بن أحمد فكاتبه في تجديد الصلح، واعتذر عن فعله فاستقرّ الصُّلح، فأنفذ خلف قاضياً كان بسُجستان يعرف بأبي يوسف، كان له قبول عند العامة والخاصة، ووضع عليه إنساناً يكون معه وأمره أن يسقيه سمّا، إذا صار عند أستاذ هرمز، ويعود مسرعاً، ويشيع بأن أستاذ هرمز قتله، فسار أبو يوسف إلى كرمان فصنع له أستاذ هرمز طعاماً فحضره وأكل منه، فلما عاد إلى منزله سقاه ذلك الرجل سمّاً فمات منه وركب جمازة، وسار مجداً إلى خلف، فجمع له خلف وجوه الناس ليسمعوا له، فذكر أن أستاذ هرمز قتل القاضي أبا يوسف. وبكى خلف وأظهر الجزع عليه، ونادى في الناس بغزو كرمان، وأخذ بثأر أبي يوسف. فاجتمع الناس واحتشدوا. فسيَّرهم مع ولده طاهر، فوصلوا إلى نرماسير، وبها عسكر الديلم فهزموهم وأخذوا البلد منهم. ولحق الديلم بجيرفت فاجتمعوا بها وجعلوا ببردسير من يحميها ـ وهي أصل بلاد كرمان مصرها ـ فقصدها طاهر وحصرها ثلاثة أشهر فضاق بأهلها. وكتبوا إلى أستاذ هرمز يعلمونه حالهم، وأنه إن لم يدركهم سلَّموا البلد. فركب الخطر، وسار مجدّاً في مضايق وجبال وعرة حتى أتى بردسير. فلما وصل إليها رحل طاهر ومن معه عنها، وعادوا إلى سجستان، واستقرَّتْ كرمان للديلم، وكان ذلك سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

---

(١) في ذيل تجارب الامم « واسر الفتكين وكان وجيهاً في عسكره. والمعروف بابن امير الخيل صهر خلف وعدد كثير من السجزية ».

(٢) قال الوزير ابو شجاع: « فليت شعري ما كان مراده من قتل ولده اما كان عذره في قطع يده بيده اتراه ظن انه يشفي علته او يجبر وهنه بفت عضده؟ كلا بل خاب ظنه وزاد وهنه وطال حزنه لقد فعل في الدنيا نكراً وحمل للآخرة وزراً فويل للقاسية قلوبهم ما ابعدهم من الصواب واقربهم من العذاب.

ذكر عصيان بكجور على سعد الدولة بن حمدان وقتله

لما وصل بكجور إلى الرقة منهزماً من عساكر مصر بدمشق، وأقام على ما ذكرناه، واستولى على الرحبة وما يجاور الرقة، راسل الملك بهاء الدولة بن بويه بالانضمام إليه وكاتب أيضاً باذا الكردي المتغلب على ديار بكر والموصل بالمسير إليه. وراسل سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب بأن يعود إلى طاعته على قاعدته الأولى ويقطعه منه مدينة حمص كما كانت له، فليس فيهم من أجابه إلى شيء مما طلب. فبقي في الرقة يراسل جماعة رفقاء من مماليك سعد الدولة، ويستميلهم، فأجابوه إلى الموافقة على قصد بلد سعد الدولة، وأخبروه أنه مشغول بلذاته وشهواته عن تدبير الملك. فأرسل حينئذ بكجور إلى العزيز بالله صاحب مصر يطمعه في حلب ويقول له: إنها دهليز العراق ومتى أُخِذَتْ كان ما بعدها أسهل منها ويطلب الإنجاد بالعساكر، فأجابه العزيز إلى ذلك، وأرسل إلى نزال والي طرابلس، وإلى ولاة غيرها من البلاد الشامية يأمرهم بتجهيز العساكر مع نزال إلى بكجور، والتصرف على ما يأمرهم به من قتال سعد الدولة وقصد بلاده.

وكتب عيسى بن نسطورس النصراني وزير العزيز إلى نزال يأمره بمدافعة بكجور، وإطماعه في المسير إليه، فإذا تورط في قصد سعد الدولة تخلى عنه. وكان السبب في فعل عيسى هذا ببكجور أنه كان بينه وبين بكجور عداوة مستحكمة وولي الوزارة بعد وفاة ابن كلس، فكتب إلى نزال ما ذكرناه.

فلما وصل أمر العزيز إلى نزال بإنجاد بكجور كتب إليه يعرِّفه ما أمر به من نجدته بنفسه، وبالعساكر معه وقال له بكجور: مسيرك عن الرقة يوم كذا ومسيري أنا عن طرابلس يوم كذا، ويكون إجتماعنا على حلب يوم كذا. وتابع رسله إليه بذلك، فسار مغتراً بقوله إلى بالس، فامتنعت عليه فحصرها خمسة أيام فلم يظفر بها فسار عنها.

وبلغ الخبر بمسير بكجور إلى سعد الدولة، فسار عن حلب ومعه لؤلؤ الكبير مولى أبيه سيف الدولة. وكتب إلى بكجور يستميله ويدعوه إلى الموافقة ورعاية حق الرق والعبودية، ويبذل له أن يقطعه من الرقة إلى حمص، فلم يقبل منه ذلك. وكان سعد الدولة قد كاتب الوالي بأنطاكية لملك الروم، يستنجده. فسيَّر إليه جيشاً كثيراً من الروم. وكاتب أيضاً من مع بكجور من العرب يرغِّبهم في الإقطاع والعطاء الكثير،

والعفو عن مساعدتهم بكجور. فمالوا إليه ووعدوه الهزيمة بين يديه، فلما التقى العسكران اقتتلوا واشتد القتال، فلما اختلط الناس في الحرب، وشغل بعضهم ببعض عطف العرب على سواد بكجور، فنهبوه واستأمنوا إلى سعد الدولة. فلما رأى بكجور ذلكْ اختار من شجعان أصحابه أربعمائة رجل، وعزم على أن يقصد موقف سعد الدولة ويلقي نفسه عليه، فإما له وإما عليه. فهرب واحد ممن حضر الحال إلى لؤلؤ الكبير، وعرَّفه ذلك. فطلب لؤلؤ من سعد الدولة أن يتحرك من موقفه ويقف مكانه، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع. فحمل بكجور ومن معه فوصلوا إلى موقف لؤلؤ بعد قتال شديد عجب الناس منه واستعظموه كلهم. فلما رأى لؤلؤاً ألقى نفسه عليه ـ وهو يظنه سعد الدولة ـ وضربه على رأسه فسقط إلى الأرض، فظهر حينئذ سعد الدولة وعاد إلى موقفه ففرح به أصحابه، وقويت نفوسهم، وأحاطوا ببكجور وصدقوه القتال. فمضى منهزماً هو وعامة أصحابه وتفرقوا، وبقي منهم معه سبعة أنفس. وكثر القتل والأسر في الباقين. ولما طال الشوط ببكجور ألقى سلاحه، وسار فوقف فرسه فنزل عنه، وسار راجلاً فلحقه نفرٌ من العرب فأخذوا ما عليه، وقصد بعض العرب فنزل عليه وعرَّفه نفسه، وضمن له حمل بعير ذهباً ليوصله إلى الرقة، فلم يصدِّقهُ لبُخلِهِ المشهور عنه، فتركه في بيته وتوجه إلى سعد الدولة، فعرفه أن بكجور عنده. فحكمه سعد الدولة في مطالبه فطلب مائتي فدان ملكاً، ومائة ألف درهم، ومائة جمل تحمل له حنطة، وخمسين قطعة ثياباً. فأعطاه ذلك أجمع وزيادة، وسيَّر معه سرية فتسلَّموا بكجور، وأحضروه عند سعد الدولة. فلما رآه أمر بقتله فقتل، ولقي عاقبة بغيه وكفره وإحسان مولاه[1].

فلما قتله سعد الدولة سار إلى الرقة فنازلها وبها سلامة الرشيقي ومعه أولاد بكجور، وأبو الحسن علي بن الحسين المغربي وزير بكجور، فسلِّموا البلد إليه بأمان وعهود، أكدوها وأخذوها عليه لأولاد بكجور، وأموالهم وللوزير المغربي ولسلامة الرشيقي ولأموالهم. فلما خرج أولاد بكجور بأموالهم رأى سعد الدولة ما معهم فاستعظمه واستكثره. وكان عنده القاضي ابن أبي الحصين فقال سعد الدولة: ما كُنْتُ أظنُّ أن بكجور يملك هذا جميعه. فقال له القاضي: لم لا تأخذه فهو لك لأنه مملوكْ لا يملك شيئاً ولا حرج عليك ولا حنث ومهما كان فيها من وزر وإثم فعليّ دونك.

---

(١) هرب بكجور وخذلانه والقبض عليه وقتله ذكره القلانسي في ذيل تاريخ دمشق بأوسع من هذا.

فلما سمع هذا أخذ المال جميعه وقبض عليهم وهرب الوزير المغربي إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام. وكتب أولاد بكجور إلى العزيز يسألونه الشفاعة فيهم، فأرسل إليه يشفع فيهم، ويأمره أن يسيِّرهم إلى مصر ويتهدده إن لم يفعل. فأهان الرسول وقال له: قل لصاحبك: أنا سائر إليه وسير مقدمته إلى حمص ليلحقهم.

ذكر وفاة سعد الدولة بن حمدان

فلما برز سعد الدولة ليسير إلى دمشق لحقه قولنج فعاد إلى حلب ليتداوى، فزال ما به وعوفي. وعزم على العود إلى معسكره وحضر عنده إحدى سراريه، فواقعها فسقط عنها ـ وقد فُلِجَ وبطل نصفُهُ ـ فاستدعى الطبيب فقال له: اعطني يدك لآخذ مجسك. فأعطاه اليسرى فقال: أعطني اليمين فقال: لاتركَتْ لي اليمين يميناً ـ يعني نكثه بأولاد بكجور هو الذي أهلكه ـ وقد ذكر ذلك وندم عليه حيث لم تنفعه الندامة. وعاش بعد ذلك ثلاثة أيام ومات بعد أن عهد إلى ولده أبي الفضائل، ووصى إلى لؤلؤ به وبسائر أهله. فلما توفي قام أبو الفضائل وأخذ له لؤلؤ العهد على الأجناد، وتراجعت العساكر إلى حلب، وكان الوزير أبو الحسن المغربي قد سار من مشهد علي عليه السلام إلى العزيز بمصر، وأطمعه في حلب. فسيَّر جيشاً وعليهم منجوتكين أحد أمرائه إلى حلب، فسار إليها في جيش كثيف فحصرها، وبها أبو الفضائل، ولؤلؤ، فكتبا إلى بسيل ملك الروم يستنجدانه ـ وهو يقاتل البلغار ـ فأرسل بسيل إلى نائبه بأنطاكية يأمره بإنجاد أبي الفضائل، فسار في خمسين ألفاً حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي. فلما سمع منجوتكين سار إلى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بأبي الفضائل، وعبَّر إليهم العاصي وأوقعوا بالروم فهزموهم، وولَّوا الإدبار إلى أنطاكية وكثر القتل فيهم[1].

---

(١) في القلانسي «وحصل الناس والروم على ارض واحدة ومنجوتكين يردهم ولا يرتدون» قال سبط ابن الجوزي: «ان بينهم النهر ولم يكن لاحد الفريقين سبيل الى العبور لكثرة الماء. وكان منجوتكين قد حفظ المواضع التي يقل الماء فيها واقام جماعة يمنعون اصحابه من العبور الى وقت يختاره المنجم، فخرج من الديلم الذين كانوا صحبة منجوتكين شيخ كبير بيده ترس وثلاث زوبينات، فوقف على جانب النهر وبازائه قوم من الروم فرموه بالنشاب ـ وهو يسبح ـ حتى قطع النهر وصار على الأرض من ذلك الجانب، والماء في النهر إلى صدره فرمى المسلمون بأنفسهم في الماء فرساناً ورجالة ومنجوتكين يمنعهم ولا يمتنعون فصاروا مع الروم في أرض واحدة فانزل الله النصر وولت الروم واعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون، ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلاً واسراً وفلاً وقهراً، وافلت البرجي في نفر قليل وملك عسكرهم

وسار منجوتكين إلى انطاكية فنهب بلدها وقُرَاها وأحرقها. وأنفذ ابو الفضائل إلى بلد حلب، فنقل ما فيه من الغلال وأحرق الباقي إضراراً بعساكر مصر. وعاد منجوتكين إلى حلب فحصرها. فأرسل لؤلؤ إلى أبي الحسن المغربي وغيره وبذل لهم مالاً ليردوا منجوتكين عنهم هذه السنة بعلة تعذر الأقوات ففعلوا ذلك، وكان منجوتكين قد ضجر من الحرب فأجابهم إليه، وسار إلى دمشق، ولما بلغ الخبر إلى العزيز غضب، وكتب بعود العسكر إلى حلب وإبعاد المغربي. وأنفذ الأقوات من مصر في البحر إلى طرابلس ومنها إلى العسكر. فنازل العسكر حلب، وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهراً فقلّت الأقوات بحلب، وعاد إلى مراسلة ملك الروم والإعتضاد به. وقال له: متى أخذت حلب أخذت انطاكية وعظم عليك الخطب. وكان قد توسط بلاد البلغار فعاد وجدَّ في السير ـ وكان الزمان ربيعاً ـ وعسكر مصر قد أرسل إلى منجوتكين يعرِّفه الحال، وأتته جواسيسه بمثل ذلك، فأخرب ما كان بناه من سوق وحمام وغير ذلك، وسار كالمنهزم عن حلب. ووصل ملك الروم، فنزل على باب حلب، وخرج إليه أبو الفضائل، ولؤلؤ وعادا إلى حلب، ورحل بسيل إلى الشام ففتح حمص، وشيزر ونهبها. وسار إلى طرابلس فنازلها فامتنعت عليه، وأقام عليها نيفاً وأربعين يوماً، فلما أيس منها عاد إلى بلاد الروم. ولما بلغ الخبر إلى العزيز عظم عليه ونادى في الناس بالنفير لغزو الروم وبرز من القاهرة، وحدث به أمراض منعته، وأدركه الموت على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة عزل المنصور صاحب أفريقية نائبه في البلاد يوسف واستعمل بعده على البلاد أبا عبد الله محمد بن أبي العرب. وفيها توفي القائد جوهر بعد عزله، وهذا جوهر هو الذي فتح مصر للمعز العلوي(١)، وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي نصر سابور بالأهواز، واستوزر أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف(٢)، وفيها أيضاً قبض بهاء

= وسوادهم وغنمت منهم الغنائم الوافرة من أموالهم وكراعهم وسوادهم وقد كان معهم الفراجل من رجالة حلب جردهم لؤلؤ مع عدة وافرة من الغلمان فقتل منهم تقدير ثلاثمائة غلام وعاد فلهم إلى حلب وجمع من رؤوس قتلى الروم نحو عشرة آلاف رأس أنفذت الى مصر وشهرت بها وتبع منجوتكين الروم إلى انطاكية.

(١) هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي أصله أرمني وكان من موالي المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي صاحب افريقية.

(٢) وسبب ذلك أن بهاء الدولة لما عاد بعد الصلح إلى الأهواز شغب الديلم والترك وطالبوا بإطلاق المال. =

الدولة على أبي نصر خواشاذه، وأبي عبد الله بن طاهر بعد عوده من خوزستان. وكان سبب قبضهما أن أبا نصر كان شحيحاً فلم يواصل ابن المعلم بخدمه وهداياه فشرع في القبض عليه. وفيها هرب فولاذ زماندر من عند صمصام الدولة إلى الرّي. وكان سبب هربه أنه تحكَّم على صمصام الدولة تحكُّماً عظيماً أنف منه فأراد القبض عليه فعلم به فهرب منه. وفيها كتب أهل الرَّحبة إلى بهاء الدولة يطلبون إنفاذ من يسلمون إليه الرحبة، فأنفذ خمارتكين الحفصي إلى الرحبة فتسلمها. وسار منها إلى الرقة وبها بدر غلام سعد الدولة بن حمدان، فجرت بينهما وقعات فلم يظفر بها. وبلغه اختلافٌ ببغداد، فعاد فخرج عليه بعض العرب، فأخذوه أسيراً ثم افتدى منهم بمال كثير. وفيها حلف بهاء الدولة للقادر بالله على الطاعة والقيام بشروط البيعة، وحلف له القادر بالوفاء والخلوص، وأشهد عليه أنه قلَّده ما وراء بابه. وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيبة السلطنة وتكرر الحريق في المحال واستمرَّ الفساد. وفيها توفي قاضي القضاة عبيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد، ومولده سنة ست وثلاثمائة، وكان فاضلاً عفيفاً نزهاً وكان معتزلياً[١]، ومحمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان أبو بكر المعروف بابن المقري الأصبهاني[٢] وله ست وتسعون سنة، وهو راوي مسند أبي يعلى الموصلي عنه.

= وذكروا أبا الحسن المعلم، وأبا نصر سابور وأبا الفضل محمد بن احمد عارض الديلم وعلي بن أحمد عارض الأتراك وجاهروا بالشكوى منهم وظاهروا بالكراهية لهم. وترددت بينهم وبين بهاء الدولة مراسلات انتهت الى أن استوهب منهم أبا الحسن المعلم، وأبا القاسم علي بن أحمد، وأرضاهم بالقبض على أبي نصر سابور، وأبي الفضل محمد بن أحمد وقلد أبا القاسم عبد العزيز الوزارة وخلع عليه.

(١) قال الخطيب البغدادي في وصفه: كان من أجلاد الرجال وألبائهم مع تجربة وحنكة وفطنة وعزيمة ماضية. وكان يجمع وسامة في منظره وظرفاً في قلبه وطلاقة في مجلسه وبلاغة في خطابه ونهضة باعباء الاحكام وهيبة في القلوب. ولد سنة ست وثلاثمائة ولي القضاء من الجانبين ببغداد وكانت له منزلة عالية من الخلفاء والملوك خصوصاً من الطائع توفي في سفر ودفن في داره.

(٢) مسند أصبهان طاف البلاد وسمع الكثير وهو ثقة مأمون، صاحب أصول له: المعجم الكبير. وكتاب الأربعين. توفي في شوال.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود الديلم إلى الموصل

كان بهاء الدولة قد أنفذ أبا جعفر الحجاج بن هرمز في عسكر كثير إلى الموصل فملكها آخر سنة إحدى وثمانين. فاجتمعت عقيل وأميرهم أبو الذواد محمد بن المسيب على حربه، فجرى بينهم عدة وقائع ظهر من أبي جعفر فيها بأس شديد حتى أنه كان يضع له كرسياً بين الصفين، ويجلس عليه فهابه العرب. واستمدَّ من بهاء الدولة عسكراً فأمدَّه بالوزير أبي القاسم علي بن أحمد، وكان مسيره أول هذه السنة. فلما وصل إلى العسكر كتب بهاء الدولة إلى أبي جعفر بالقبض عليه، فعلم أبو جعفر أنه إن قبض عليه اختلف العسكر، وظفر به العرب فتراجع في أمره.

وكان سبب ذلك أن ابن المعلم كان عدواً له، فسعى به عند بهاء الدولة فأمر بقبضه. وكان بهاء الدولة أذناً يسمع ما يقال له ويفعل به. وعلم الوزير الخبر، فشرع في صلح أبي الذواد وأخذ رهائنه والعود إلى بغداد. فأشار عليه أصحابه باللحاق بأبي الذواد، فلم يفعل أنفة وحسن عهد. فلما وصل إلى بغداد رأى ابن المعلم قد قبض وقتل وكُفي شره. ولما أتاه خبر قبض ابن المعلم وقتله، ظهر عليه الانكسار فقال له خواصه: ما هذا الهم وقد كفيت شرَّ عدوك؟ فقال: إن ملكاً قرب رجلاً كما قرب بهاء الدولة ابن المعلم، ثم فعل به هذا لحقيق بان تخاف ملابسته، وكان بهاء الدولة قد أرسل الشريف أبا أحمد الموسوي رسولاً إلى أبي الذواد فأسره العرب ثم أطلقوه. فورد إلى الموصل وانحدر إلى بغداد.

ذكر تسليم الطائع إلى القادر وما فعله معه

في هذه السَّنة في رجب سلَّم بهاء الدولة الطائع لله إلى القادر بالله، فأنزله حجرة

من خاص حجره ووكَّل به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته، وأحسن ضيافته. وكان يطلب الزيادة في الخدمة كما كان أيام الخلافة، فيؤمر له بذلك، حُكِي عنه أن القادر بالله أرسل إليه طيباً فقال: من هذا يتطيب أبو العباس؟ ـ يعني القادر ـ فقالوا: نعم فقال: قولوا له عني في الموضع الفلاني كندوج فيه مما كنت استعمله، فليرسل إلي بعضه، ويأخذ الباقي لنفسه. ففعل ذلك. وأرسل إليه يوماً القادر بالله عدسية فقال: ما هذا فقالوا: عدس وسلق فقال: أوقد أكل أبو العباس من هذا؟ قالوا: نعم قال: قولوا له عني لما أردت أن تأكل عدسية، لم اختفيت فما كانت العدسية تعوزك، ولم تقلدت هذا الأمر؟ فأمر حينئذ القادر أن يفرد له جارية من طباخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم. فأقام على هذا إلى أن توفي.

ذكر عدة حوادث

في هذه السَّنة قبض بهاء الدولة على أبي الحسن بن المعلم، وكان قد استولى على الأمور كلها وخدمه الناس كلهم حتى الوزراء فأساء السيرة مع الناس فشغب الجند في هذا الوقت، وشكوا منه وطلبوا منه تسليمه إليهم، فراجعهم بهاء الدولة ووعدهم كفَّ يده عنهم، فلم يقبلوا منه، فقبض عليه وعلى جميع أصحابه، فظن أن الجند يرجعون فلم يرجعوا فسلَّمه إليهم فسقوه السمَّ مرتين، فلم يعمل فيه شيئاً فخنقوه ودفنوه[1].

وفيها في شوّال تجددت الفتنة بين أهل الكرخ وغيرهم، واشتدَّ الحال، فركب أبو الفتح محمد بن الحسن الحاجب فقتل وصلب فسكن البلد. وفيها غلَت الأسعار ببغداد، فبيعَ الرطلُ الخبز بأربعين درهماً. وفيها قبض بهاء الدولة على وزيره أبي القاسم علي بن أحمد المذكور. وكان سبب قبضه أن بهاء الدولة اتهمه بمكاتبة الجند

---

(١) في ذيل تجارب الأمم « فسلم حينئذ إلى أبي حرب شيرزيل وسُقي السم دفعتين فلم يعمل فيه فخنق بحبال الستارة ودهمه أحد الغلمان بسكين فقضى نحبه وخرج ودفن ثم عاد الجند إلى منازلهم وسكنت الفتنة، ولو أن بهاء الدولة اقتصد في أمر هذا المعلم لكان ذلك أحسن بداية وأجمل توسطاً وأحمد عاقبة وآمن مغبة وأطيب احدوثة ولكنه أخطأ باختيار من لا خير فيه ثم أفرط في تقريبه ثم أسرف في تمكينه لا جرم ان السمعة ساءت والرقبة رفعت والحشمة ذهبت والوصمة بقيت ولم يسلم المعلم مع ذلك كله. فيا قرب ما بين ذلك العز وهذا الهوان وذلك الاكرام وهذا الاسلام (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين).

في أمر ابن المعلم، واستوزر أبا نصر بن سابور، وأبا منصور بن صالحان جمع بينهما في الوزارة[١]. وفيها قبض صمصام الدولة على وزيره أبي القاسم العلاء بن الحسن بشيراز؛ وكان غالباً على أمره وبقي محبوساً إلى سنة ثلاث وثمانين، فأخرجه صمصام الدولة واستوزره. وكان يدبر الأمر مدة حبسه أبو القاسم المدلجي[٢]، وفيها نزل ملك الروم بأرمينية وحصر خلاط، وملازكرد وأرجيش. فضعفت نفوس الناس عنه، ثم هادنه أبو علي الحسن بن مروان مدة عشر سنين، وعاد ملك الروم. وفيها في شوّال وُلِد الأمير أبو الفضل بن القادر بالله[٣]. وفيها سار بغراجان ايلك ملك الترك بعساكره إلى بُخارى فسيَّر إليه الأمير نوح بن منصور جيشاً كثيراً ولقيهم إيلك، وهزمهم فعادوا إلى بُخارى مفلولين ـ وهو في أثرهم ـ فخرج نوح بنفسه وسائر عسكره، ولقيه فاقتتلوا شديداً. أجلت المعركة عن هزيمة إيلك، فعاد منهزماً إلى بلاساغون وهي كرسي مملكته. وفيها توفي أبو عمرو محمد بن العباس بن حسنويه الخراز[٤]، ومولده سنة خمس وتسعين ومائتين.

---

(١) وخلع عليهما جميعاً وطرح لهما دستا كاملا وكانا يتناوبان في تقديم اسم احدهما على الآخر في المكاتبات.

(٢) في ذيل تجارب الأمم «فقبض عليه وعلى كتابه وحواشيه وعلى ابنته زوجة العلوي الرازي وطولبوا أشد مطالبة وعوقبوا أشد معاقبة حتى تلفت ابنته وجماعة من اصحابه تحت الضرب وبقي العلاء معتقلاً في بعض المطامير لا يعرف له خبر إلى أن فسد امر أبي القاسم الدلجي فتغير رأي السيدة والدة صمصام الدولة وقبض عليه في سنة ثلاث وثمانين وافرج عن العلاء بن الحسن ورد اليه النظر.

(٣) سماه ابوه الغالب بالله وولاه العهد من بعده فلم يتم له الأمر.

(٤) في النجوم الزاهرة «ابو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز» وفي شذرات الذهب ١٠٤/٣ «ابو عمرو» بواو، وفي البداية والنهاية ٣٣٢/١١ «ابو عمر القزاز المعروف بابن حيوة».

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

ذكر خروج أولاد بختيار

في هذه السَّنة ظهر أولاد بختيار من محبسهم، واستولوا على القلعة التي كانوا معتقلين بها. وكان سبب حبسهم أن شرف الدولة أحسن إليهم بعد والده، وأطلقهم وأنزلهم بشيراز وأقطعهم. فلما مات شرف الدولة حبسوا في قلعة ببلاد فارس،فاستمالوا مستحفظها ومن معه من الديلم، فأفرجوا عنهم. وأنفذوا إلى أهل تلك النواحي ـ وأكثرهم رجالة ـ فجمعوهم تحت القلعة. وعَرفَ صمصام الدولة الحال فسيَّر أبا علي بن أستاذ هرمز في عسكر، فلما قاربهم تفرَّق من معهم من الرجالة وتحصَّن بنو بختيار وكانوا ستة ومن معهم من الديلم بالقلعة. وحصرهم أبو علي وراسل أحد وجوه الديلم، وأطمعه في الإحسان، فأصعدهم إلى القلعة سرّاً فملكوها، وأخذوا أولاد بختيار أسرى. فأمر صمصام الدولة بقتل إثنين منهم، وحبس الباقين، ففعل ذلك بهم.

ذكر ملك صمصام الدولة خوزستان

في هذه السَّنة ملك صمصام الدولة خوزستان. وكان سبب نقض الصلح أن بهاء الدولة سيَّر أبا العلاء عبد الله بن الفضل إلى الأهواز، وتقدَّم إليه بأن يكون مستعداً لقصد بلاد فارس، وأعلمه أنه يسيِّر إليه العساكر متفرقين. فاذا اجتمعوا عنده سار بهم إلى بلاد فارس بغتة، فلا يشعر صمصام الدولة إلاّ وهم معه في بلاده. فسار أبو العلاء ولم يتهيأ لبهاء الدولة إمداده بالعساكر، وظهر الخبر، فجهَّز صمصام الدولة عسكره، وسيَّرهم إلى خوزستان. وكتب أبو العلاء إلى بهاء الدولة بالخبر ويطلب إمداده بالعساكر فسيَّر إليه عسكراً كثيراً، ووصلت عساكر فارس، فلقيهم أبو العلاء فانهزم هو وأصحابه، وأُخِذَ أسيراً وحُمِلَ إلى صمصام الدولة، فأُلبِسَ ثياباً مصبَّغة وطيف به. وسألت فيه والدة

صمصام الدولة، فلم يقتله واعتقله . ولما سمع بهاء الدولة بـذلك أزعجـه وأقلقه. وكانت خزانته قد خلت من الأموال، فأرسل وزيره أبا نصر بن سابور إلى واسط ليحصل ما أمكنه وأعطاه رهوناً من الجواهر والأعلاق النفيسة ليقترضَ عليها من مهذب الدولة صاحب البطيحة فلما وصل إلى واسط تقرَّب منها إلى مهذب الدولة وترك ما معه من الرهون بحاله، وأرسل بهاء الدولة ورهنها، واقترض عليها.

ذكر ملك الترك بخارى

في هـذه السّنة ملك مـدينة بُخـارى شهاب الـدولة هـارون بن سليمـان ايلك المعروف ببغراخان التركي ـ وكان له كاشغر، وبلاساغون إلى حد الصين ـ وكان سبب ذلك أن أبا الحسن بن سيمجور لما مات وولي ابنه أبو علي خراسان بعده، كاتب الأمير الرضي نوح بن منصور يطلب أن يقرَّ على ما كان أبوه يتولّاه. فأجيبَ إلى ذلك. وحُمِلَتْ إليه الخلع، وهو لا يشكُّ أنها له. فلما بلغ الرسول طريق هراة عدل إليها وبها فائق، فأوصل الخلع والعهد بخراسان إليه. فعلم أبو علي أنهم مكروا به وأن هذا دليل سوء يريدونه به. فلبس فائق الخلع، وسار عن هراة نحو أبي علي. فبلغه الخبر، فسار جريدة في نخبة أصحابه وطوى المنازل حتى سبق خبره، فأوقع بفائق فيما بين بوشنج وهراة، فهزم فائقاً وأصحابه وقصدوا مرو الروذ. وكتب أبو علي إلى الأمير نوح يجدد طلب ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك. وجمع له ولاية خراسان جميعها بعد أن كانت هراة لفائق. فعاد أبو علي إلى نيسابور ظافراً وجبى أموال خراسان. فكتب إليه نوح يستنزلـه عن بعضها ليصرفه في أرزاق جنده، فاعتذر إليه ولم يفعل. وخاف عاقبة المنع فكتب إلى بغراخان المذكور يدعوه إلى أن يقصد بُخارى، ويملكها على السامانية، وأطمعه فيهم واستقـرَّ الحال بينهمـا على أن يملك بغراخـان ما وراء النهـر كله، ويملك أبو علي خراسان. فطمع بغراخان في البلاد وتجدد له إليها حركة. وأما فائق فإنه أقـام بمرو الروذ، حتى انجبر كسره واجتمع إليه أصحابه، وسار نحو بُخارى وسار من غير إذن. فارتاب الأمير نوح له، فسيَّر إليه الجيوش، وأمرهم بمنعه. فلما لقوه قاتلوه. فانهزم فائق وأصحابه وعاد على عقبيه وقصد ترمذ.

فكتب الأمير نوح إلى صاحب الجوزجان من قبله ـ وهو أبو الحرث أحمد بن

محمد الفريغوني ـ وأمره بقصد فائق، فجمع جمعاً كثيراً، وسار نحوه. فأوقع بهم فائق فهزمهم، وغنم أموالهم. وكاتب أيضاً بغراخان يطمعه في البلاد، فسار نحو بُخارى وقصد بلاد السامانية، فاستولى عليها شيئاً بعد شيء. فسيَّر إليه نوح جيشاً كثيراً واستغمل عليهم قائداً كبيراً من قواده، اسمه أنج، فلقيهم بغراخان فهزمهم، وأسر انج وجماعة من القواد فلما ظفر بهم قوي طمعه في البلاد، وضَعُفَ نوح وأصحابه، وكاتب الأمير نوح أبا علي بن سيمجور يستنصره، ويأمره بالقدوم إليه بالعساكر فلم يجبه إلى ذلك ولا لبّى دعوته وقوي طمعه في الاستيلاء على خراسان، وسار بغراخان نحو بُخارى، فلقيه فائق واختص به، وصار في جملته، ونازلوا بُخارى فاختفى الأمير نوح وملكها بغراخان ونزلها، وخرج نوح منها مستخفياً، فعبر النهر إلى آمل الشط، وأقام بها، ولحق به أصحابه فاجتمع عنده منهم جمع كثير، وأقاموا هناك. وتابع نوح كتبه إلى أبي علي ورسله يستنجده، ويخضع له فلم يصغ إلى ذلك، وأما فائق فانه استأذن بغراخان في قصد بلخ، والإستيلاء عليها، فأمره بذلك فسار نحوها ونزلها.

ذكر عود نوح إلى بخارى وموت بغراخان

لما نزل بغراخان بُخارى وأقام بها استوخمها، فلحقه مرض ثقيل فانتقل عنها نحو بلاد الترك فلما فارقها ثار أهلها بساقة عسكره، ففتكوا بهم وغنموا أموالهم. ووافقهم الأتراك الغزية على النهب والقتل لعسكر بغراخان. فلما سار بغراخان عن بُخارى أدركه أجله فمات. ولما سمع الأمير نوح بمسيره عن بُخارى، بادر إليها فيمن معه من أصحابه، فدخلها وعاد إلى دار ملكه وملك آبائه، وفرح أهلها به وتباشروا بقدومه. وأما بغراخان فإنه لما مات عاد أصحابه إلى بلادهم وكان ديناً، خيراً، عادلاً، حسن السيرة، محباً للعلماء وأهل الدين، مكرماً لهم. وكان يحبُّ أن يكتب عنه مولى رسول الله ﷺ، وولي أمر الترك بعده أيلك خان.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة كَثُرَ شغب الديلم على بهاء الدولة، ونهبوا دار الوزير أبي نصر بن سابور، واختفى منهم. واستعفى ابن صالحان من الانفراد بالوزارة فأُعفي. واستوزر أبا القاسم علي بن أحمد ثم هرب، وعاد سابور إلى الوزارة بعد أن أصلح الديلم. وفيها جلس القادر بالله لأهل خراسان بعد عودهم من الحجِّ، وقال لهم في معنى الخطبة له،

وحملوا رسالة وكتباً إلى صاحب خراسان في المعنى . وفيها عقد النكاح للقادر على بنت بهاء الدولة[١] بصداق مبلغه مائة ألف دينار. وكان العقد بحضرته والولي النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضي وماتت قبل النقلة .

وفيها كان بالعراق غلاء شديدٌ بيعت الكارة الدقيق بمائتين وستين درهماً، والكر الحنطة بستة آلاف وستمائة درهم غياثية[٢] . وفيها بنى أبو نصر سابور بن اردشير ببغداد داراً للعلم، ووقف فيها كتباً كثيرة على المسلمين المنتفعين بها[٣]. وفيها توفي أبو الحسن محمد بن علي بن سهل الماسرجسي الفقيه الشافعي شيخ أبي الطيب الطبري بنيسابور[٤]، وأبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر[٥]، وأبو طالب عبد

---

(١) في تاريخ الاسلام ان اسمها سكينة. وكذلك في البداية والنهاية ١١/٣٣٣.

(٢) الدراهم الغياثية منسوبة الى غياث الدين وهو لقب بهاء الدولة بن بويه.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٣٣٣: « واظن ان هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل النظامية بمدة طويلة » زاد في شذرات الذهب ٣/١٠٤ « ورد النظر في أمرها إلى أبي الحسين بن السنية. وأبي عبد الله الضبي القاضي ».

(٤) وقع في الاصل « أبو الحسن علي بن سهل بن مصلح الماسرجسي ابن بنت الحسين بن عيسى بن ماسرجس، أحد أئمة الشافعيين بخراسان وكان من أعرف أصحابنا بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل: تفقه بخراسان والعراق والحجاز. صحب أبا اسحاق المروزي إلى مصر ولزمه إلى أن دفنه ثم انصرف الى بغداد وكان خليفة أبي علي بن أبي هريرة القاضي في مجالسه، وكان المجلس له بعد قيام القاضي أبي علي وانصرف الي خراسان سنة. وعقد له مجلس للدرس والنظر وسمع الحديث من المؤمل بن الحسن بن عيسى ، وابي حامد الرقي، ومكي بن عبدان وأقرانهم. وبمصر من أصحاب يونس بن عبد الأعلى، وابي ابراهيم المزني وأقرانهما، وبالشام أصحاب يوسف بن سعيد بن مسلم وسليمان بن سيف، وبالبصرة من ابن داسة، وبواسط من ابن شوذب سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وأبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري وغيرهما توفي عشية الأربعاء. ودفن عشية الخميس السادس من جمادى الآخرة سنة ٣٨٤، وهو ابن بست وسبعين سنة، وماسرجس ـ بفتح السين المهملة وسكون الراء وكسر الجيم ـ جد.

(٥) ويقال له: الطبرخي أيضاً لأن اباه كان من خوارزم وأمه من طبرستان فركب له من الاسمين نسبة. وهو ابن أخت ابي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ. كان إماما في اللغة والانساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان مشاراً إليه في عصره. ويحكى انه قصد حضرة الصاحب بن عباد ـ وهو بأرجان ـ فلما وصل لبابه قال لأحد حجابه : قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن في الدخول فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب: قل له قد ألزمت نفسي أنه لا يدخل علي من الادباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له ابو بكر : ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل عليه الحاجب فأعاد عليه ما قال فقال الصاحب: هذا

السلام بن الحسن المأموني ـ وهو من أولاد المأمون ـ وكان فاضلاً حسن الشعر.

= يؤيد أن يكون ابا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول عليه فعرفه وانبسط معه، ولكنه لم يجزل له العطاء ففارقه غير راضٍ وعمل فيه:

لا تحمــدن ابــن عبــاد وان هــطلت　　　يـداه بـالجـود حتى اخجـل الـديمـا
فــانـهــا خــطرات مــن وســاوســه　　　يعــطي ويمنــع لا بخــلاً ولا كــرمــاً

فبلغ ذلك ابن عباد فلما ابلغه خبر موته انشد:

أقــول لــركب من خــوارزم قــافــل　　　امــات خــوارزميكـم قيــل لـي نعـم
فقلت اكتبـوا بـالجص من فـوق قبـره　　　الا لعن الــرحـمن مـن كفــر النعـم

ولصاحب الترجمة ديوان رسائل، وديوان شعر، ومن شعره:

رأيتــك إن أيســرت خيمت عنــدنــا　　　مقيمــاً وإن أعســرت زرت لـمــامـا
فمــا أنت إلا البــدر إن قــل ضــوءه　　　أغــب وان زاد الـضـيــاء اقــامـا

وملحه ونوادره كثيرة مات بنيسابور في منتصف رمضان.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

ذكر ولاية محمود بن سبكتكين خراسان وإجلاء أبي علي عنها

في هذه السّنة ولي الأمير نوح محمود بن سبكتين خراسان. وكان سبب ذلك أن نوحاً لما عاد إلى بُخارى، على ما تقدم ذكره، سقط في يد أبي علي وندم على ما فرط فيه من ترك معونته عند حاجته إليه. وأما فائق فإنه لما استقرّ نوح بِبُخارى حدَّث نفسه بالمسير إليه، والاستيلاء عليه، والحكم في دولته، فسار عن بلخ إلى بخارى. فلما علم نوح بذلك سيَّر إليه الجيوش لترده عن ذلك، فلقوه واقتتلوا قتالاً شديداً. فانهزم فائق وأصحابه ولحقوا بأبي علي. ففرح بهم وقوي جنانه بقربهم، واتفقوا على مكاشفة الأمير نوح بالعصيان. فلما فعلوا ذلك كتب الأمير نوح إلى سبكتكين - وهو حينئذ بغزنة - يعرِّفه الحال، ويأمره بالمسير إليه لينجده، وولّاه خراسان، وكان سبكتكين في هذه الفتن مشغولاً بالغزو غير ملتفت إلى ما هم فيه؛ فلما أتاه كتاب نوح، ورسوله أجابه إلى ما أراد، وسار نحوه جريدة واجتمع به وقررا بينهما ما يفعلانه، وعاد سبكتكين، فجمع العساكر وحشد. فلما بلغ أبا علي، وفائقاً الخبر جمعا، وراسلا فخر الدولة بن بويه يستنجدانه ويطلبان منه عسكراً. فأجابهما إلى ذلك. وسيَّر إليهما عسكراً كثيراً. وكان وزيره الصاحب بن عباد هو الذي قرر القاعدة في ذلك.

وسار سبكتكين من غزنة ومعه ولده محمود نحو خراسان، وسار نوح فاجتمع هو وسبكتكين، فقصدوا أبا علي، وفائقاً فالتقوا بنواحي هراة، واقتتلوا. فانحاز دارا بن قابوس بن وشمكير من عسكر أبي علي إلى نوح، ومعه أصحابه فانهزم أصحاب أبي علي، وركبهم أصحاب سبكتكين يأسرون ويقتلون ويغنمون، وعاد أبو علي، وفائق نحو نيسابور وأقام سبكتكين، ونوح بظاهر هراة حتى استراحوا، وساروا نحو نيسابور. فلما علم بهم أبو علي سار هو وفائق نحو جرجان، وكتبا إلى فخر الدولة بخبرهما.

فأرسل إليهما الهدايا والتحف والأموال، وأنزلهما بجرجان، واستولى نوح على نيسابور، واستعمل عليها وعلى جيوش خراسان محمود بن سبكتكين، ولقّبه سيف الدولة، ولقب أباه سبكتكين ناصر الدولة، فأحسنا السيرة. وعاد نوح إلى بُخارى وسبكتكين إلى هراة، وأقام محمود بنيسابور.

ذكر عود الأهواز إلى بهاء الدولة

في هذه السّنة ملك بهاء الدولة الأهواز، وكان سببه أنه أنفذ عسكراً إليها عدّتهم سبعمائة رجل، وقدم عليهم طغان التركي. فلما بلغوا السوس، رحل عنها أصحاب صمصام الدولة فدخلها عسكر بهاء الدولة، وانتشروا في أعمال خوزستان ـ وكان أكثرهم من الترك ـ فعلت كلمتهم على الديلم، وتوجه صمصام الدولة إلى الأهواز ومعه عساكر الديلم، وتميم، وأسد. فلما بلغ تستر رحل ليلاً ليكبس الأتراك من عسكر بهاء الدولة فضلَّ الادلاء في الطريق، فأصبح على بعد منهم ورآهم طلائع الأتراك، فعادوا بالخبر فحذروا واجتمعوا واصطفوا. وجعل مقدمهم ـ واسمه طغان ـ كميناً فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم، فكانت الهزيمة، وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم وكانوا ألوفاً كثيرة، استأمن منهم أكثر من ألفي رجل، وغنم الأتراك من أثقالهم شيئاً كثيراً. وضرب طغان للمستأمنة خيماً يسكنونها. فلما نزلوا اجتمع الأتراك وتشاوروا وقالوا: هؤلاء أكثر من عدتنا، ونحن نخاف أن يثوروا بنا واستقرَّ رأيهم على قتلهم، فلم يشعر الديلم إلاّ وقد القيت الخيام عليهم، ووقع الأتراك فيهم بالعمد حتى أتوا عليهم فقتلوا كلهم، وورد الخبر على بهاء الدولة ـ وهو بواسط قد اقترضَ مالاً من مهذب الدولة ـ فلما سمع ذلك سار إلى الأهواز. وكان طغان والأتراك قد ملكوها قبل وصوله إليها؛ وأما صمصام الدولة فإنه لبس السواد وسار إلى شيراز، فدخلها فغيَّرت والدته ما عليه من السواد، وأقام يتجهَّز للعود إلى أخيه بهاء الدولة بخوزستان.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة عقد النكاح لمهذب الدولة على ابنة بهاء الدولة. وللأمير أبي منصور بويه بن بهاء الدولة على ابنة مهذب الدولة. وكان الصداق من كل جانب مائة

ألف دينار[١]. وفيها قبض بهاء الدولة على أبي نصر خواشاذه[٢]. وفيها عاد الحجاج من الثعلبية ولم يحج من العراق والشام أحد، وسبب عودهم أن الأصيفر أمير العرب اعترضهم وقال: إن الدراهم التي أرسلها السلطان عام أول، كانت نقرة مطلية، وأريد العوض. فطالت المخاطبة والمراسلة وضاق الوقت على الحجاج فرجعوا[٣].

وفيها توفي أبو القاسم النقيب الزينبي وولي النقابة بعده ابنه أبو الحسن. وفيها ولي نقابة الطالبيين أبو الحسن النهر سابسي وعزل عنها أبو أحمد الموسوي: وكان ينوب عنه فيها ابناه المرتضى، والرضي. وفيها توفي عبد الله بن محمد بن نافع بن مكرم أبو العباس البستي الزاهد، وكان من الصالحين حج من نيسابور ماشياً وبقي سبعين سنة لا يستند إلى حائط ولا إلى مخدة، وعلي بن الحسين بن جموية بن زيد أبو الحسين الصوفي، سمع الحديث وحدث وصحب أبا الخير الأقطع وغيره، وعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني[٤]، ومولده سنة ست وتسعين

---

(١) قال في ذيل تجارب الأمم «وحمل المهذب بالمبلغ مالاً وغلة وخطب له بواسط وأعمالها واحتسب له من مال ضماناته بأسفل واسط بألف ألف وثلاثمائة ألف درهم غياثية منسوبة إلى الاقطاع. وكان عيار الدرهم الغياثي ثمانية ونصف حرفاً في كل عشرة

(٢) قال في ذيل تجارب الأمم «كان بين أبي نصر خواشاذه وبين ابي نصر سابور صداقة ومخالطة فلما انحدر أبو نصر سابور إلى واسط هرب إلى البطيحة فوجد اعداء أبي نصر خواشاذة طريقاً الى السعي فحسنوا لبهاء الدولة القبض عليه. فتأمل هذه الأراء الطريفة والاهواء العجيبة في تقارب ما بين القبض والاطلاق والعزل والتولية حتى صار الأمر عجباً والجد لعباً على أن الحياة الدنيا لعب ولهو ولكن في اللعب مستقيم ومختل وهذا من المختل الذي تخالفت اعجازه وبواديه وتناقضت أواخره ومباديه فهل ترى في جميع ما سرد من أخبار الدولة البهائية نظاماً مستقيماً تحمد سلوك مذاهبه وتدبيراً جيداً ينتفع بمعرفة تجاربه؟ كلا فجميعه واهي الاسباب وما يجري فيه من صواب فانما هو بالاتفاق».

(٣) قال في البداية والنهاية ١١/٣٣٤ «وانما حج أهل مصر والمغرب خاصة».

(٤) ويعرف أيضاً بالإخشيدي. وبالوراق ـ وهو بالرماني اشهر، واصله من سر من رأى كان اماماً في العربية علامة في الأدب في طبقة السيرافي والفارس معتزلياً. ولد ببغداد كما قال المنصف وأخذ عن الزجاج، وابن السراج، وابن دريد، قال أبو حيان التوحيدي: لم ير مثله قط علماً بالنحو وغزارة بالكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل مع تأله وتنزه ودين وفصاحة وعفاف، ونظافة، وكان يمزج النحو بالمنطق له قريب من مائة مصنف منها الحدود الأكبر، والاصغر، شرح أصول ابن السراج، شرح موجزه، شرح سيبويه، شرح مختصر الجرمي، شرح الألف واللام للمازني، شرح المقتضب، شرح الصفات. وله تفسير كبير وهو كثير الفوائد إلا أنه صرح فيه بالاعتزال، وسلك الزمخشري مسلكه وزاد عليه، مات ليلة الاحد حادي عشر جمادىٰ الاولى ببغداد ودفن بالشونيزية والرماني ـ بضم الراء وتشديد =

ومائتين، روى عن ابن دريد وغيره وله تفسير كبير، ومحمد بن العباس بن أحمد بن القزار أبو الحسن، سمع الكثير وكتب الكثير وخطّه حجة في صحة النقل، وجودة الضبط[١]. وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني الكاتب[٢]، والمحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو علي التنوخي القاضي، ومولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وكان فاضلاً[٣].

وفيها توفي أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب المشهور. وكان عمره إحدى وتسعين سنة. وكان قد زمن وضاقت به الأمور وقلّت عليه الأموال. وفيها اشتدَّ أمر العيارين ببغداد، ووقعت الفتنة بين أهل الكرخ، وأهل باب البصرة، واحترق كثير من المحال ثم اصطلحوا[٤].

= الميم وبعد ألف نون، هذه النسبة يجوز أن تكون إلى الرمان وبيعه. ويمكن أن تكون إلى قصر الرمان ـ وهو قصر بواسط معروف ـ وقد نسب إلى هذا خلق كثير. ولم يذكر السمعاني أن نسبة ابي الحسن المذكور إلى أيهما. البداية والنهاية ١١/٣٣٤ وشذرات الذهب ٣/١٠٩.

(١) ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة. كان عنده عن علي بن محمد المصري وحده ألف جزء. وكتب مائة تفسير. ومائة تاريخ وخلف ثمانية عشر صندوقاً مملوءة كتباً غير ما سرق منه أو حرق وأكثرها بخطه وكانت له جارية تعارض معه بما يكتبه. قال الخطيب. كان حجة ثقة مات ببغداد في شوال. وقع في الاصول « بن القزاز » بقاف وزايين بينهما ألف. وكذلك في البداية والنهاية ١١/٣٣٤ وفي شذرات الذهب ـ ٣/١١٠ والنجوم الزاهرة « بن الفرات » بفاء بعدها راء. ولعل ما هنا مصحف تنبه.

(٢) هو محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله الاخباري العلامة المعتزلي روى عن البغوي، وابن دريد وغيرهما ولد في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين شذرات الذهب ٣/١١١ والبداية والنهاية ١١/٣٣٥.

(٣) ولد بالبصرة وسمع بها من أبي العباس الأثرم وطائفة وببغداد من الصولي وغيره. وكان أديباً شاعراً له كتاب الفرج بعد الشدة ذكر في اوائل هذا الكتاب أنه كان على المعيار بدار الضرب بسوق الاهواز سنة ست واربعين وثلاثمائة. وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابن عمر. وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه، وكتاب نشوان المحاضرة، وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد، كان أول سماعه الحديث في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. وأول ما تقلد القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبيد الله بالقصر. وبابل، وما والاها سنة تسع واربعين.

(٤) وقد أوضح ابن كثير هذا في البداية والنهاية ١١/٣٣٣.

ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود أبي علي إلى خراسان

لما عاد الأمير نوح إلى بُخارى وسبكتكين إلى هراةوبقي محمود بنيسابور، وطمع أبو علي، وفائق في خراسان. فسار محمود عن جرجان إلى نيسابور في ربيع الأول. فلما بلغ محموداً خبرهما كتب إلى أبيه بذلك، وبرز هو فنزل بظاهر نيسابور، وأقام ينتظر المدد فأعجلاه فصبر لهما فقاتلاه ـ وكان في قلة من الرجال ـ فانهزم عنهما نحو أبيه، وغنم أصحابهما منه شيئاً كثيراً. وأشار أصحاب أبي علي عليه باتباعه وإعجاله ووالده عن الجمع والاحتشاد فلم يفعل. وأقام بنيسابور، وكاتب الأمير نوحاً يستميله ويستقيل من عثرته وزلَّته. وكذلك كاتب سبكتكين مثل ذلك، وأحال بما جرى على فائق فلم يجيباه إلى ما أراد. وجمع سبكتكين العساكر فأتوه على كل صعب وذلول، وسار نحو أبي علي فالتقوا بطوس في جُمادى الآخرة فاقتتلوا عامة يومهم، وأتاهم محمود بن سبكتكين في عسكر ضخم من ورائهم، فانهزموا، وقتل من أصحابهم خلق كثير. ونجا أبو علي، وفائق فقصدا أبيورد فتبعهم سبكتكين، واستخلف ابنه محموداً بنيسابور. فقصدا مرو ثم آمل الشط وراسلا الأمير نوحاً يستعطفانه. فأجاب أبا علي إلى ما طلب من قبول عذره، إن فارق فائقاً ونزل بالجرجانية، ففعل ذلك. فحذره فائق وخوفه من مكيدتهم به ومكرهم، فلم يلتفت لأمر يريده الله عز وجل ففارق فائقاً، وسار نحو الجرجانية فنزل بقرية بقرب خوارزم تسمَّى هزار أسف. فأرسل إليه أبو عبد الله خوارزمشاه من أقام له ضيافة ووعده أنه يقصده ليجتمع به فسكن إلى ذلك. فلما كان الليل أرسل إليه خوارزمشاه جمعاً من عسكره، فأحاطوا به وأخذوه أسيراً في رمضان من هذه السَّنة فاعتقله في بعض دوره، وطلب أصحابه فأسر أعيانهم وتفرَّق الباقون. وأما فائق فإنه سار إلى أيلك خان بما وراء النهر، فأكرمه وعظمه ووعده أن يعيده إلى قاعدته، وكتب إلى نوح يشفع في فائق وأن يولى سمرقند. فأجابه إلى ذلك، وأقام بها.

ذكر خلاص أبي علي وقتل خوارزمشاه

لما أُسِرَ أبو علي بلغ خبره إلى مأمون بن محمد والي الجرجانية، فقلق لذلك وعظم عليه، وجمع عساكره وسار نحو خوارزمشاه، وعبر إلى كاث ـ وهي مدينة خوارزمشاه فحصروها وقاتلوها وفتحوها عنوة، وأسروا أبا عبدالله خوارزمشاه، وأحضروا أبا علي، ففكوا عنه قيده وأخذوه وعادوا إلى الجرجانية. واستخلف مأمون بخوارزم بعض أصحابه، وصارت في جملة ما بيده. وأحضر خوارزمشاه، وقتله بين يدي أبي علي بن سيمجور.

ذكر قبض أبي علي بن سيمجور وموته

لما حصل أبو علي عند مأمون بن محمد بالجرجانية، كتب إلى الأمير نوح يشفع فيه، ويسأل الصفح عنه فأجيب إلى ذلك. وأمر أبا علي بالمسير إلى بُخارى، فسار إليها فيمن بقي معه من أهله وأصحابه. فلما بلغوا بُخارى لقيهم الأمراء والعساكر. فلما دخلوا على الأمير نوح أمر بالقبض عليهم، وبلغ سبكتكين أن ابن عزيز وزير الأمير نوح يسعى في خلاص أبي علي فأرسل إليه يطلب أبا علي إليه، فحبسه، فمات في حبسه سنة سبع وثمانين وثلاثمائة. وكان ذلك خاتمة أمره وآخر حال بيت سيمجور جزاء لكفران إحسان مولاهم فتبارك الحي الدائم الباقي الذي لا يزول ملكه. وكان ابنه أبو الحسن قد لحق بفخر الدولة بن بويه فأحسن إليه، وأكرمه فسار عنه سراً إلى خراسان لهوى كان له بها، وظنَّ أن أمره يخفى، فظهر حاله فأُخِذَ أسيراً وسُجِنَ عند والده. وأما أبو القاسم أخو أبي علي فإنه أقام في خدمة سبكتكين مدة يسيرة، ثم ظهر منه خلاف الطاعة، وقصد نيسابور فلم يتم له ما أراد. وعاد محمود بن سبكتكين إليه فهرب منه، وقصد فخر الدولة وبقي عنده. وسيرد باقي أخباره إن شاء الله تعالى.

ذكر وفاة الصاحب بن عباد

في هذه السّنة مات الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة بالرَّي. وكان واحد زمانه علماً، وفضلاً، وتدبيراً، وجودة رأي وكرماً، عالماً بأنواع العلوم، عارفاً بالكتابة وموادها، ورسائله مشهورة مدونة، وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حتى أنه كان يحتاج في نقلها إلى أربعمائة جمل. ولما مات وَزِرَ بعده لفخر الدولة

أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي الملقب بالكافي. ولما حضره الموت قال لفخر الدولة: «قد خدمتك خدمة استفرغت فيها وسعي، وسرت سيرة جلبت لك حسن الذكر، فإن أجريت الأمور على ما كانت عليه نسب ذلك الجميل إليك وتركت أنا وإن عدلت عنه كنت أنا المشكور ونسبت الطريقة الثانية إليك وقدح ذلك في دولتك». فكان هذا نصحه له إلى أن مات. فلما توفي أنفذ فخر الدولة من احتاط على ماله وداره، ونقل جميع ما فيها إليه فقبح الله خدمة الملوك هذا فعلهم مع من نصح لهم، فكيف مع غيره. ونقل الصاحب بعد ذلك إلى أصبهان[1]، وكثير ما بين فعل فخر الدولة مع ابن عباد، وبين العزيز بالله العلوي مع وزيره يعقوب بن كلس وقد تقدم[2].

وكان الصاحب بن عباد قد أحسن إلى القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، وقدَّمه وولّاه قضاء الرّي وأعمالها. فلما توفي، قال عبد الجبار: «لا أرى الترحم عليه، لأنه مات عن غير توبة ظهرت منه». فنسب عبد الجبار إلى قلة الوفاء[3]. ثم إن فخر الدولة قبض على عبد الجبار وصادره، فباع في جملة ما باع الف طيلسان[4] وألف ثوب صوف رفيع، فلم لا نظر لنفسه وتاب عن أخذ مثل هذا وادخاره من غير حله، ثم إن فخر الدولة قبض على أصحاب ابن عباد، وأبطل كل مسامحة كانت منه وقرر هو ووزراؤه المصادرات في البلاد، فاجتمع له منها شيء كثير، ثم تمزق بعد وفاته في أقرب مدة، وحصل بالوزر وسوء الذكر.

---

(١) قال في ذيل تجارب الامم «فأنفذ فخر الدولة ثقاته وخواصه حتى احتاطوا على الدار والخزائن ووجدوا كيساً فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين ألف دينار مودوعة له عندهم، فاستدعاهم وطالبهم بالمال فأحضروه وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة فرجمت الظنون في ذلك فمن مقبح لآثاره ينسبه الى الخيانة فيه، ومحسن لذكره يقول: انما أودعه مؤيد الدولة لأولاده. ونقل جميع ما كان في الدار والخزائن الى دار فخر الدولة وجهز ابن عباد وأخرج تابوته وقد جلس أبو العباس الضبي للصلاة عليه والعزاء به فلما بدأ على أيدي الحمالين قامت الجماعة اعظاماً له وقبلوا الأرض ثم صلوا عليه وعلق بالسلاسل في بيت إلى أن نقل الى تربة له بأصفهان.

(٢) انظر أحداث سنة ٣٨٠.

(٣) في ذيل تجارب الأمم «فنسب عبد الجبار في هذا القول إلى قلة الرعاية».

(٤) في ذيل تجارب الامم «وقرر امرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم فباع في جملة ما باع ألف طيلسان» الخ.

ذكر إيقاع صمصام الدولة بالأتراك

في هذه السّنة أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الأتراك فقتل منهم جماعة وهرب الباقون فعاثوا في البلاد وانصرفوا إلى كرمان، ثم منها إلى بلاد السند واستأذنوا ملكها في دخول بلاده فأذِن لهم. وخرج إلى تلقيهم ورافق أصحابه على الإيقاع بهم. فلما رآهم جعل أصحابه صفين. فلما حصل الأتراك في وسطهم اطبقوا عليهم وقتلوهم فلم يفلت منهم إلاّ نفر جرحى، وقعوا بين القتلى وهربوا تحت الليل.

ذكر وفاة خواشاذه

في هذه السّنة توفي أبو نصر خواشاذه بالبطائح، وكان قد هرب إليها بعد أن قبض. وكاتبه بهاء الدولة وفخر الدولة، وصمصام الدولة، وبدر بن حسنويه كل منهم يستدعيه، ويبذل له ما يريده، وقال له فخر الدولة: لعلك تسيء الظن بما قدمته في خدمة عضد الدولة، وما كنا لنؤاخذك بطاعة من قدمك ومناصحته، وقد علمت ما عملته مع الصاحب بن عباد وتركنا ما فعله معنا. فعزم على قصده فأدركه أجله قبل ذلك، وتوفي وكان من أعيان قواد عضد الدولة.

ذكر عود عسكر صمصام الدولة إلى الأهواز

في هذه السّنة جهَّز صمصام الدولة عسكره من الديلم، وردَّهم إلى الأهواز مع العلاء بن الحسن، واتفق أن طغان نائب بهاء الدولة بالأهواز توفي وعزم من معه من الأتراك على العود إلى بغداذ. وكتب من هناك إلى بهاء الدولة بالخبر فأقلقه ذلك، وأزعجه، فسير أبا كاليجار المرزبان بن شهفيروز إلى الأهواز نائباً عنه وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم إلى الفتكين، وهو برامهرمز، قد عاد من بين يدي عسكر صمصام الدولة إليها يأمره بالمقام بموضعه، فلم يفعل وعاد إلى الأهواز فكتب إلى أبي محمد بن مكرم بالنظر في الأعمال، وسار بعدهم بهاء الدولة نحو خوزستان. فكاتبه العلاء وسلك طريق اللين والخداع. ثم سار على نهر المسرقان إلى أن حصل بخان طوق ووقعت الحرب بينه وبين أبي محمد بن مكرم، والفتكين وزحف الديلم بين البساتين حتى دخلوا البلد وانزاح عنه ابن مكرم، والفتكين وكتبا إلى بهاء الدولة يشيران عليه بالعبور إليها فتوقَّف عن ذلك، ووعدهما به. وسير إليهما ثمانين غلاماً من الأتراك، فعبروا

وحملوا على الديلم من خلفهم، فأفرج لهم الديلم. فلما توسطوا بينهم اطبقوا عليهم فقتلوهم. فلما عرف بهاء الدولة ذلك ضَعُفَتْ نفسه، وعزم على العود، ولم يظهر ذلك. فأمر بإسراج الخيل، وحمل السلام ففعل ذلك، وسار نحو الأهواز يسيراً ثم عاد إلى البصرة، فنزل بظاهرها. فلما عرف ابن مكرم خبر بهاء الدولة عاد إلى عسكر مكرم، وتبعهم العلاء والديلم فأجلوهم عنها فنزلوا براملان بين عسكر مكرم وتستر. وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة وكان بيد الأتراك أصحاب بهاء الدولة من تستر إلى رامهرمز، ومع الديلم منها إلى أرجان، وأقاموا ستة أشهر ثم رجعوا إلى الأهواز ثم عبر بهم النهر إلى الديلم، واقتتلوا نحو شهرين. ثم رحل الأتراك وتبعهم العلاء فوجدهم قد سلكوا طريق واسط فكفَّ عنهم وأقام بعسكر مكرم.

ذكر حادثة غريبة بالأندلس

في هذه السنة سيَّر المنصور محمد بن أبي عامر أمير الأندلس لهشام المؤيد عسكراً إلى بلاد الفرنج للغزاة، فنالوا منهم وغنموا وأوغلوا في ديارهم وأسروا غرسية - وهو ملك للفرنج ابن ملك من ملوكهم يقال له شانجة - وكان من أعظم ملوكهم وأمنعهم، وكان من القدر أن شاعراً للمنصور يقال له: أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي قد قصده من بلاد الموصل، وأقام عنده وامتدحه قبل هذا التاريخ. فلما كان الآن أهدى أبو العلاء إلى المنصور أيلاً، وكتب معه أبياتاً منها:

يا حِرزَ كلِّ مخوَّفٍ وأمان كلّ ... مشردٍ ومُعزِ كلّ مذللِ
جدواك ان تخصص به فلأهله ... وتعمَّ بالإحسان كلَّ مؤملِ

يقول فيها:

مولاي مؤنس غربتي متخطفي ... من ظفر أيامي ممنع معقلي
عبدٌ رفَعْتَ بضبعِهِ وغرستَهُ ... في نعمة أهدي إليك بآيلِ
سميتُهُ غرسية وبعثتُه ... في حبلِهِ لِيُتاحَ فيه تفاؤلي
فلئنْ قبلْتَ فتلكَ أسنىٰ نعمةٍ ... أسدىٰ بها ذو نعمةٍ وتطوّل

فسمي هذا الشاعر الايل غرسية تفاؤلاً بأسر ذلك غرسية. فكان أسره في اليوم الذي أهدي فيه الايل فانظر إلى هذا الاتفاق ما أعجبه.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ورد الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الأبرقوهي من البطيحة إلى بهاء الدين بعد عوده من خوزستان ، وكان قد التجأ إلى مهذب الدولة فأرسل بهاء الدولة يطلبه ليستوزره ، فحضر عنده فلم يتم له ذلك فعاد إلى البطيحة[١] . وكان الفاضل وزير بهاء الدولة معه بواسط ، فلما علم الحال استأذن في الإصعاد إلى بغداد فأذِنَ له فأصعدَ ، فعاد بهاء الدولة وطلبه ليرجعَ إليه فغالطه ولم يعدْ .

وفي هذه السنة في ذي الحجة توفي أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن شاهين الواعظ ، مولده في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين ، وكان مكثراً من الحديث ثقة[٢] .

وفيها في ذي القعدة توفي الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي المعروف بالدارقطني الإمام المشهور[٣] . وفيها في ربيع الأول توفي محمد بن عبدالله بن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بالله ، وكان منحرفاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان خبيث اللسان يتقى سفهه ، ومن جيد شعره :

---

(١) وكان قد اشترط على بهاء الدولة أنه ان مشى الأمر على يديه والا أعاده محروساً إلى البطيحة. وكان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوي. ولما تولى أمر الوزارة عامل أبا العباس الوكيل بما أوحشه به واستشعر أبو عبد الله العارض، وأبو الفرج الخازن منه واجتمعت كلمة الحاشية عليه وتطابقوا على فساد أمره خوفاً من بوادره وعول بهاء الدولة على القبض عليه فذكّره الشريف أبو أحمد الموسوي العهد الذي استقر مع مهذب الدولة بالقبيح وأخرج عن اليد فعند ذلك فسح في عوده مع الشريف أبي أحمد إلى بغداد.

(٢) صاحب التصانيف وأحد أوعية العلم ولد سنة سبع وتسعين ومائتين وسمع من الباغندي ، ومحمد بن المجدر والكبار ـ ورحل إلى الشام، والبصرة، وفارس. قال أبو الحسين بن المهتدي بالله : قال لنا ابن شاهين : صنفت ثلاثمائة وثلاثين مصنفًا منها التفسير الكبير ألف جزء، والمسند ألف وثلاثمائة جزء، والتاريخ مائة وخمسون جزءاً.

(٣) هو الحافظ الكبير والنقادة القدير شيخ الاسلام والذي إليه النهاية في معرفة الحديث وعلومه وكان يدعى فيه أمير المؤمنين ـ وحقاً هذا ـ فانه لم يخلفه الدهر، قال الخطيب في وصفه: كان فريد عصره وقريع دهره ونسيج وحده وَامام وقته انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم سوى علم الحديث، منها القراءات وقد صنف فيها مصنفاً. ومنها المعرفة بالأدب والشعر فقيل انه كان يحفظ دواوين جماعة ومنها المعرفة بمذاهب الفقهاء وبلغني أنه درس فقه الشافعي على أبي سعيد الاصطخري.

فـي وجــهِ إنســانــةٍ كـلفـتُ بـهــا   أربـعــةٌ مــا اجْـتَـمَـعْـنَ فـي أحــدِ
الــوجــهُ بــدرٌ والـصُّــدغُ غــاليــةٌ   والــريـقُ خمــرٌ والـثغــرُ مـن بــردِ

وفيها توفي يوسف بن عمر بن مسروق أبو الفتح القواس الزاهد في ربيع الأول وله خمس وخمسون سنة .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة

ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحاكم وما كان من الحروب إلى أن استقر أمره

في هذه السنة توفي العزيز أبو منصور نزار بن المعز أبي تميم معد العلوي صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف ، بمدينة بلبيس ، وكان برز إليها لغزو الروم ، فلحقه عدة أمراض ، منها النقرس ، والحصار ، والقولنج ، فاتصلت به إلى أن مات . وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً، ومولده بالمهدية من أفريقية ، وكان أسمر طويلاً ، أصهب الشعر ، عريض المنكبين ،عارفاً بالخيل ، والجوهر . قيل : إنه ولّى عيسى بن نسطورس النصراني كتابته ، واستناب بالشام يهودياً اسمه منشا فاعتز بهما النصارى ، واليهود وآذوا المسلمين ، فعمد أهل مصر وكتبوا قصة ، وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها : بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي ، وأقعدوا تلك الصورة على طريق العزيز ، والرقعة بيدها ، فلما رآها أمر بأخذها . فلما قرأ ما فيها ورأى الصورة من قراطيس علم ما أريد بذلك فقبض عليهما وأخذ من عيسى ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليهودي شيئاً كثيراً . وكان يحب العفو ويستعمله . فمن حلمه أنه كان بمصر شاعر اسمه الحسن بن بشر الدمشقي ، وكان كثير الهجاء فهجا يعقوب بن كلس وزير العزيز ، وكاتب الإنشاء من جهته أبا نصر عبدالله الحسين القيرواني فقال :

قُلْ لأبي نصر صاحب القصرِ ... والمتأتي لنقضِ ذا الأمرِ
انقضْ عرا الملك للوزيرِ تَفُزْ ... مِنْهُ بحسنِ الثناءِ والذكرِ
وأعطِ أو امنعْ ولا تخفْ أحداً ... فصاحبُ القصرِ ليس في القصرِ
وليس يدري ماذا يُرادُ به ... وهو اذا مادَرَىٰ فما يَدري

فشكاه ابن كلس إلى العزيز وأنشده الشعر فقال له : هذا شيء إشتركنا فيه في الهجاء فشاركني في العفو عنه ، ثم قال هذا الشاعر أيضاً وعرض بالفضل القائد :

تنصَّر فالتنصّرُ دينُ حقٍّ ... عليه زماننا هذا يَدُلُّ
وقلْ بثلاثةٍ عَزُّوا وجَلوا ... وعطل ماسواهم فهو عُطلُ
فيعقوبُ الوزيرُ أبٌ وهذا الـ ... ـعزيزُ ابنٌ وروح القدسِ فضلُ

فشكاه أيضاً إلى العزيز ، فامتعض منه إلا أنه قال : اعفُ عنه ، فعفا عنه ، ثم دخل الوزير على العزيز فقال : لم يبقَ للعفو عن هذا معنى ، وفيه غض من السياسة ونقضٌ لهيبة الملك فإنه قد ذَكَرَكَ وذكرني ، وذكر ابن زبارج نديمك ، وسبَّك بقوله :

زبارجي نديمٌ وكلسي وزير ... نعم على قدر الكلبِ يصلح الساجورُ

فغضب العزيز وأمر بالقبض عليه فقبض عليه لوقته ، ثم بدا للعزيز إطلاقه فأرسل إليه يستدعيه ، وكان للوزير عين في القصر ، فأخبره بذلك فأمر بقتله فقتل . فلما وصل رسول العزيز في طلبه أراه رأسه مقطوعاً فعاد إليه فأخبره ، فاغتم له[1] ، ولما مات

---

(١) لا بأس من ايراد نبذة في تاريخ حياة العزيز نزار العبيدي الفاطمي ملك مصر وأعماله : ولد بالمهدية من القيروان ببلاد المغرب في يوم عاشوراء سنة أربع وأربعين . وقيل : سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة . وخرج مع أبيه المعز من المغرب إلى القاهرة ودام بها إلى أن مات أبوه المعز معد بعد ان عهد إليه بالخلافة فولي بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة وعمره اثنتان وعشرون سنة وملك مصر وخطب له بها وبالشام وبالمغرب والحجاز وحسنت أيامه ، وكان القائم بتدبير مملكته مولى ابيه جوهر القائد . وكان العزيز كريماً شجاعاً سيوساً وفيه رفق بالرعية . وزادت مملكته على مملكة أبيه وفتحت له حمص ، وحماة ، وشيزر ، وحلب . وخطب له المقلد العقيلي صاحب الموصل واعمالها بالموصل في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وضرب اسمه على السكة والبنود . وخطب له باليمن وهو الذي رتب الفطرة في عيد شوال وكانت تعمل على غير هذه الهيئة وكانت الفطرة تعمل وتفرق بالايوان ثم نقلت في عدة أماكن وكان مصروفها في كل سنة عشر آلاف دينار ، وفي أيامه بني قصر البحر بالقاهرة الذي لم يكن مثله لا في الشرق ولا في الغرب ـ وكان يدخل إليه من باب البحر المنسوب لهذا القصر . وموضعه اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف دار بشتاك التي بشارع بين القصرين بين درب قرمز وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف الدار المذكورة ـ وقصر الذهب ويقال له : قاعة الذهب ـ وهو أحد قاعات القصر الكبير الشرقي وكان يدخل اليه من باب الذهب ويدخل اليه أيضاً من باب البحر . وموضع هذا القصر اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف مدرسة النحاسين الاميرية التي بشارع بين القصرين بين شارع بيت القاضي وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف المدرسة المذكورة ـ وجامع القرافة . ولما اشتد مرضه استدعى القاضي محمد بن النعمان وأبا محمد الحسن بن عمار الكتامي الملقب امين الدولة ـ وهو أول من تلقب من =

العزيز ولي بعده ابنه أبو علي المنصور ، ولقِّبَ الحاكم بأمر الله بعهد من أبيـه فولي وعمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وأوصى العزيز إلى أرجوان الخادم ، وكان يتولى أمر داره وجعله مدبِّر دولة ابنه الحاكم ، فقام بأمره وبايع له وأخذله البيعة على الناس وتقدم الحسن بن عمار شيخ كُتامة وسيدها وحـكم في دولته ، واستولى عليها وتلقَّب بأمين الدولة ـ وهو أول من تلقَّب في دولة العلويين المصريين ـ فأشار عليه ثقاته بقتل الحاكم ، وقالوا : لا حاجة إلى من يتعبدنا ، فلم يفعل إحتقاراً له واستصغاراً لسنه ، وانبسطت كتامة في البلاد وحكموا فيها ، ومدُّوا أيديهم إلى أموال الرَّعية وحريمهم ، وأرجوان مقيم مع الحاكم في القصر يحرسه ، واتفق معه شكر خادم عضد الدولة ، وقد ذكرنا قبض شرف الدولة عليه ومسيره الى مصر ، فلما اتفقا وصارت كلمتهما واحدة ، وكتب أرجوان إلى منجو تكين يشكو ما يتم عليه من ابن عمار ، فتجهز وسار من دمشق نحو مصر، فوصل الخبر إلى ابن عمَّار فأظهر أن منجوتكين قد عصى على الحاكم، وندب العساكـر إلى قتالـه وسيَّر إليـه جيشاً كثيـراً وجعل عليهم أبـا تميم سُليمان بن جعفر بن فلاح الكُتامي ، فساروا إليه فلقوه بعسقلان فانهزم منجوتكين ، وأصحابه وقتل منهم ألفا رجل وأُسِر منجوتكين ، وحُمِلَ إلى مصر فـأبَقى عليه ابن عمـار ، وأطلقه استمالة للمشارقة بذلك .

واستعمل ابن عمار على الشام أبا تميم الكُتامي ـ واسمه سُليمان بن جعفر ـ فسار إلى طبرية . فاستعمل على دمشق أخاه علياً فامتنع أهلهـا عليه . فكـاتبهم أبو تميم يتهدَّدَهُم فخافوا ، وأذعنوا بالطاعة واعتذروا من فعل سفهائهم ، وأخرجوا إلى علي فلم يعبأ بهم . وركب ودخل البلد فأحرق ، وقتل وعاد إلى معسكـره ، وقدم عليهم أبـو

= المغاربة . وكان شيخ كتامة وسيدها ـ ثم خاطبهما في أمر ولده الملقب بالحاكم ثم استدعى ولده المذكور وخاطبه أيضاً بذلك ولما ماتلم ينكتم تاريخ موتهساعةواحدةوترتب موضعه ولده الحاكم أبو علي منصور. وبلغ الخبر أهل القاهرة فخرج الناس غداة الاربعاء لتلقى الحاكم . فدخل البلد وبين يديه البنود والرايات وعلى رأسه المظلة يحملها ريدان الصقلبي فدخل القصر عند اصفرار الشمس . ووالده العزيز بين يديه في عمارية وقد خرجت رجلاه منها وأدخلت العمارية القصر وتولى غسله القاضي محمد بن النعمان . دفن عند ابيه المعز في حجرة من القصر. وكان دفنه عند العشاء الأخيرة، وحدثت ست الملك ابنة العزيز نفسها بالوثوب على الأمر واجلاس ابن عمتها عبد الله وكانت مشتهاة عليه فاحس برجوان بذلك فقبض عليها وحملها مع ألف فارس إلى قصرها بالقاهرة ودعا الناس إلى بيعة الحاكم وأحلفهم على الطاعة واطلق الأرزاق وذلك في شهر رمضان.

تميم ، فأحسن إليهم ، وأمنهم وأطلق المحبسين ، ونظر في أمر الساحل . واستعمل أخاه علياً على طرابلس وعزل عنها جيش بن الصمصامة الكُتامي ، فمضى إلى مصر واجتمع مع أرجوان على الحسن بن عمار فانتهز أرجوان الفرصة ، ببعد كتامة عن مصر مع أبي تميم ، فوضع المشارقة على الفتك بمن بقي بمصر منهم وبابن عمار معهم ، فبلغ ذلك ابن عمار فعمل على الإيقاع بأرجوان ، وشكر العضدي ، فأخبرهما عيون لهما على ابن عمار بذلك فاحتاطا ، ودخلا قصر الحاكم باكين ، وثارت الفتنة ، واجتمعت المشارقة ، ففرَّق فيهم المال وواقعوا ابن عمار ومن معه، فانهزم واختفى ، فلما ظفر أرجوان ، أظهر الحاكم ، وأجلسه وجدَّدَ له البيعة ، وكتب إلى وجوه القواد والناس بدمشق ، بالإيقاع بأبي تميم ، فلم يشعر إلاّ وقد هجموا عليه ، ونهبوا خزائنه . فخرج هارباً وقتلوا من كان عنده من كُتامة ، وعادت الفتنة بدمشق ، واستولى الأحداث .

ثم إن أرجوان أذِنَ للحسن بن عمّار في الخروج من استتاره ، وأجراه على أقطاعه وأمره بإغلاق بابه. وعصى أهل صور ، وأمروا عليهم رجلاً ملاحاً يُعرف بالعلاقة، وعصى أيضاً المفرج بن دغفل بن الجراح ، ونزل على الرملة وعاث في البلاد. واتفق أن الدوقس صاحب الروم نزل على حصن أفامية ، فأخرج أرجوان جيش ابن الصمصامة في عسكر ضخم . فسار حتى نزل بالرملة فأطاعه واليها ، وظفر فيها بأبي تميم ، فقبض عليه ، وسيَّر عسكراً إلى صور وعليهم أبو عبدالله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان ، فغزاها براً وبحراً . فأرسل العلاقة إلى ملك الروم يستنجده ، فسيَّر إليه عدة مراكب مشحونة بالرجال ، فالتقوا بمراكب المسلمين على صور ، فاقتتلوا وظفر المسلمون ، وانهزم الروم وقتل منهم جمع ، فلما انهزموا انخذل اهل صور ، وضعفت نفوسهم فملك البلد أبو عبدالله بن حمدان ونهبه وأخذت الأموال وقتل كثير من جنده ، وكان أول فتح كان على يد أرجوان ، وأخِذَ العلاقة أسيراً فسيَّره إلى مصر ، فسلخ وصلب بها. وأقام بصور. وسار جيش بن الصمصامة لقصد المفرج بن دغفل ، فهرب من بين يديه ، وأرسل يطلب العفو فأمنه . وسار جيش أيضاً إلى عسكر الروم ، فلما وصل إلى دمشق تلقاه أهلها مذعنين . فأحسن إلى رؤساء الأحداث وأطلق المؤن وأباح دم كل مغربي يتعرض لأهلها فاطمأنوا إليه .

وسار إلى أفامية فصاف الروم عندها فانهزم هو وأصحابه ما عدا بشارة الإخشيدي ، فإنه ثبت في خمسائة فارس ، ونزل الروم إلى سواد المسلمين يغنمون مافيه ، والدوقس واقف على رايته ، وبين يديه ولده وعدَّة غلمان فقصدَهُ كرديٌّ يُعرفُ بأحمد بن الضحاك من أصحاب بشارة ومعه خشت ، فظنه الدوقس مستأمناً فلم يحترز منه . فلما دنا منه حمل عليه وضربه بالخشت ، فقتله . فصاح المسلمون: قتل عدو الله . وعادوا ونزل النصر عليهم ، فانهزمت الروم وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وسار جيش إلى باب أنطاكية يغنم ويسبي ويحرق ، وعاد إلى دمشق فنزل بظاهرها[1] ، وكان الزمان شتاء فسأله أهل دمشق ليدخل البلد فلم يفعل ونزل ببيت لهيا[2] وأحسن السيرة في أهل دمشق واستخصَّ رؤساء الأحداث ، واستحجب جماعة منهم وجعل يبسط الطعام كل يوم لهم ولمن يجيء معهم من أصحابهم ، فكان يحضر كل إنسان منهم في جمع من أصحابه وأشياعه ، وأمرهم إذا فرغوا من الطعام أن يحضروا إلى حجرة له يغسلون أيديهم فيها فعبر على ذلك برهة من الزمان. فأمر أصحابه أن رؤساء الأحداث إذا دخلوا الحجرة لغسل أيديهم أن يغلقوا باب الحجرة عليهم ويضعوا السيف في أصحابهم. فلما كان الغد حضروا الطعام، وقام الرؤساء إلى الحجرة فأغلِقت الأبواب عليهم، وقُتِلَ من أصحابهم نحو ثلاثة آلاف رجل. ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسألوه العفو. فعفا عنهم. وأحضر أشراف أهلها وقتل

---

(١) في القلانسي : « وكانت الوقعة في مرج أفيح يطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه الارجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة أفامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرم النهار وقد احتز من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس وبات المسلمون مبيت المنصورين الغانمين المسرورين بما منحهم الله اياهم من الكفاية ووهب لهم من الظفر. ووافى العرب من غد بما نهبوه من دواب المسلمين عند الهزيمة ومنهم من رد ومنهم من باع بالثمن البخس لأن جيش بن الصمصامة المقدم نادى في معسكره بألا يبتاع أحد من العرب إلا ما عرفه وكان مأخوذاً منه فلم يجد [illegible] أخذه أصحاب[illegible] . وحصل ولدا الدوقس في أسر بعض المسلمين فابتاعهما جيش بن الصمصامة المقدم [illegible] بستة ألف دينار وأخذهما إليه وأقام على حصن أفامية أسبوعاً وحمل إلى مصر عشرة آلاف رأس وألفي رجل من الأسرى الى باب انطاكية ونهب الرساتيق وأحرق القرى وانصرف منكفياً إلى دمشق » .

(٢) في القلانسي « والتمس أن يخلوا له قرية على باب دمشق تعرف ببيت لهيا ليكون نزوله بها فأجابوه الى ذلك » .

رؤساء الأحداث بين أيديهم وسيَّر الأشراف إلى مصر، وأخذ أموالهم ونعمهم[١] ثم مرض بالبواسير وشدة الضربان فمات. وولي بعده ابنه محمد، وكانت ولايته هذه تسعة أشهر.

ثم إن أرجوان بعد هذه الحادثة راسل بسيل ملك الروم وهادنه عشر سنين واستقامت الأمور على يد أرجوان، وسيَّر أيضاً جيشاً إلى برقة، وطرابلس الغرب ففتحها، واستعمل عليها انساً الصقلبي، ونصح الحاكم وبالغ في ذلك ولازم خدمته فثقل مكانه على الحاكم، فقتله سنة تسع وثمانين، وكان خصياً أبيض. وكان لأرجوان وزير نصراني اسمه فهد بن إبراهيم فاستوزره الحاكم، ثم إن الحاكم رتَّب الحسين بن جوهر موضع أرجوان ولقبه قائد القواد. ثم قتل الحسين بن عمار المقدم ذكره، ثم قتل الحسين بن جوهر، ولم يزلْ يقيمُ الوزير بعد الوزير ويقتلهم.

ثم جهز يارختكين للمسير إلى حلب وحصرها وسيَّر معه العساكر الكثيرة فسار عنها فخافه حسان بن المفرج الطائي، فلما رحل من غزة إلى عسقلان كَمَنَ له حسّان ووالده وأوقعا به وبمن معه وأسراه، وقتلاه. وقتل من الفريقين قتلى كثيرة وحصرا الرملة ونهبوا النواحي، وكثر جمعهما وملكوا الرملة وما والاها. فعظم ذلك على الحاكم، وأرسل يعاتبهما وسبق السيف العذل، فأرسلا إلى الشريف أبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي الحسني أمير مكة وخاطباه بأمير المؤمنين وطلباه إليهما ليبايعا له بالخلافة، فحضر، واستناب بمكة وخوطب بالخلافة، ثم إن الحاكم راسل حساناً وأباه وضمن لهما الأقطاع الكثيرة والعطاء الجزيل، واستمالهما، فعدلا عن أبي الفتوح وردّاه إلى مكة، وعادا إلى طاعة الحاكم.

ثم إن الحاكم جهَّز عسكراً إلى الشام واستعمل عليهم علي بن جعفر بن فلاح، فلما وصل إلى الرملة أزاح حسان بن المفرج وعشيرته عن تلك الأرض، وأخذ ما كان له من الحصون بجبل الشراة، واستولى على أمواله وذخائره، وسار إلى دمشق والياً عليها، فوصل إليها في شوال سنة تسعين وثلاثمائة. وأما حسان فإنه بقي شريداً نحو سنتين، ثم أرسل والده إلى الحاكم فأمّنه، وأقطعه فسار حسان إليه بمصر فأكرمه

---

(١) زاد القلانسي «ووظف على أهل البلد خمسمائة ألف دينار».

وأحسن إليه ، وكان المفرج والد حسان قد توفي مسموماً وضع الحاكم عليه من سمّه فبموته ضَعُفَ أمر حسان ، على ما ذكرناه .

ذكر استيلاء عسكر صمصام الدولة على البصرة

في هذه السنة سار قائدٌ كبير من قواد صمصام الدولة، اسمه لشكرستان إلى البصرة ، فأجلى عنها نواب بهاء الدولة ، وسبب ذلك أن الأتراك لما عادوا عن العلاء كما ذكرناه ، كان هذا لشكرستان مع العلاء . فأتاهم من الديلم الذين مع بهاء الدولة أربعمائة رجل ، مستأمنين . فأخذهم لشكرستان وسار بهم وبمن معه إلى البصرة ، فكَثُرَ جمعه . فنزلوا قريب البصرة بين البساتين يقاتلون أصحاب بهاء الدولة ، ومال إليهم بعض أهل البصرة ومقدمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوي . وكانوا يحملون إليهم الميرة . وعلم بهاء الدولة بذلك ، فأنفذ من يقبض عليهم فهرب كثير منهم إلى لشكرستان ، فقوي بهم ، وجمعوا السفن ، وحملوه فيها ونزلوا إلى البصرة . فقاتلوا أصحاب بهاء الدولة بها وأخرجوهم عنها ، وملك لشكرستان البصرة ، وقتل من أهلها كثيراً وهرب كثير منهم ، وأخذ كثيراً من أموالهم .

فكتب بهاء الدولة إلى مهذب الدولة صاحب البطيحة يقول : « أنت أحقُّ بالبصرة » فسيَّر إليها جيشاً مع عبدالله بن مرزوق ، فأجلى لشكرستان عن البصرة . وقيل : إنه سار عن البصرة بغير حرب ودخلها ابن مرزوق . وقيل : إنما فارقها بعد أن حارب فيها وضَعُفَ عن المقام بين يديه وصفت البصرة لمهذب الدولة . ثم إن لشكرستان عمل على العود إلى البصرة ، فهجم عليها في السفن ، ونزل أصحابه بسوق الطعام ، واقتتلوا فاستظهر لشكرستان ، وكاتب بهاء الدولة يطلب المصالحة ويبذل الطاعة ويخطب له بالبصرة. فأجابه مهذب الدولة إلى ذلك، وأخذ ابنه رهينة. وكان لشكرستان يظهر طاعة صمصام الدولة ، وبهاء الدولة ، ومهذب الدولة ، وعسف أهل البصرة مدة فتفرقوا . ثم إنه أحسنَ إليهم وعدَلَ فيهم ، فعادوا .

ذكر ولاية المقلد الموصل

في هذه السَّنة ملك المقلد بن المسيب مدينة الموصل ، وكان سبب ذلك أن أخاه

أبا الذوّاد توفي هذه السنة . فطمع المقلد في الإمارة ، فلم تساعده عقيل على ذلك وقلدوا أخاه علياً لأنه أكبر منه . فشرع المقلد واستمال الديلم الذين كانوا معه مع أبي جعفر الحجاج بالموصل، فمال إليه بعضهم. وكتب إلى بهاء الدولة يضمن منه البلد بألفي ألف درهم كل سنة. ثم حضر عند أخيه علي وأظهر له، أن بهاء الدولة قد ولّاه الموصل، وسأله مساعدته على أبي جعفر لأنه قد منعه عنها . فساروا ونزلوا على الموصل ، فخرج إليهم كل من استماله المقلد من الديلم . وضعف الحجاج ، وطلب منهم الأمان فأمنوه وواعدهم يوماً يخرج إليهم فيه ، ثم إنه انحدر في السفن قبل ذلك اليوم ، فلم يشعروا به إلّا بعد انحداره فتبعوه ، فلم ينالوا منه شيئاً ، ونجا بما له منهم وسار إلى بهاء الدولة . ودخل المقلد البلد واستقرَّ الأمر بينه وبين أخيه على أن يخطب لهما ويقدم علي لكبره ، ويكون له معه نائب يجبي المال ، واشتركا في البلد والولاية ، وسار علي إلى البر ، وأقام المقلد وجرى الأمر على ذلك مديدة ، ثم تشاجروا واختصموا وكان ما نذكره إن شاء الله . وكان المقلد يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق ـ وكان له ببغداد نائب فيه تهور ، فجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة . فكتب إلى المقلد يشكو ، فانحدر من الموصل في عساكره وجرى بينه وبين أصحاب بهاء الدولة حرب انهزموا فيها .

وكتب إلى بهاء الدولة يعتذر وطلب إنفاذ من يعقد عليه ضمان القصر وغيره . وكان بهاء الدولة مشغولاً بمن يقاتله من عسكر أخيه فاضطرَّ إلى المغالطة ، ومدّ المقلد يده فأخذ الأموال . فبرز نائب بهاء الدولة ببغداد ـ وهو حينئذ أبو علي بن إسماعيل ـ وخرج إلى حرب المقلد فبلغ الخبر إليه ، فأنفذ أصحابه ليلاً فاقتتلوا وعادوا إلى المقلد .

فلما بلغ الخبر إلى بهاء الدولة بمجيء أصحاب المقلد إلى بغداد أنفذ أبا جعفر الحجاج إلى بغداد وأمره بمصالحة المقلد والقبض على أبي علي بن إسماعيل فسار إلى بغداد في آخر ذي الحجة . فلما وصل إليها راسله المقلد في الصلح ، فاصطلحا على أن يحمل إلى بهاء الدولة عشرة آلاف دينار ، ولا يأخذ من البلاد إلا رسم الحماية ، ويخطب لأبي جعفر بعد بهاء الدولة ، وأن يخلع على المقلد الخلع السلطانية ، ويلقب بحسام الدولة ويقطع الموصل ، والكوفة ، والقصر ، والجامعين . واستقر الأمر على

ذلك ، وجلس القادر بالله له ولم يفِ المقلد من ذلك بشيء إلا بحمل المال، واستولى على البلاد ومد يده في المال ، وقصده المتصرفون والأماثل ، وعظم قدره وقبض أبو جعفر على أبي علي ، ثم هرب أبو علي نائب بهاء الدولة ، واستتر وسار إلى البطيحة مستتراً ملتجئاً إلى مهذب الدولة .

ذكر وفاة المنصور بن يوسف وولاية ابنه باديس

في هذه السنة توفي المنصور بن يوسف بلكين أمير أفريقية أوائل ربيع الأول خارج صبرة ودُفِنَ بقصره. وكان ملكاً كريماً شجاعاً ، حازماً ولم يزل مظفراً منصوراً حسن السيرة ، محباً للعدل والرعية ، أو سعهم عدلاً وأسقط البقايا عن أهل أفريقية ، وكانت مالاً جليلاً . ولما توفي ولي بعده ابنه باديس ويُكنّى أبا مناد . فلما استقر في الأمر ، سار إلى سردانية وأتاه الناس من كل ناحية للتعزية والتهنئة ، وأراد بنو زيري أعمام أبيه أن يخالفوا عليه ، فمنعهم أصحاب أبيه وأصحابه . وكان مولد باديس سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وأتته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم بأمر الله من مصر فقرىء العهد وبايع للحاكم هو وجماعة بني عمه والأعيان من القواد .

وفيها ثار على باديس رجل صنهاجي اسمه خليفة بن مبارك فأُخِذَ وحُمِلَ إلى باديس ، فأُرِكبَ حماراً وجعل خلفه رجل أسود يصفعه ، وطيف به ، ولم يقتل احتقاراً به وسجن .

وفيها استعمل باديس عمه حماد بن يوسف بلكين على أشير ، وأقطعه إياها وأعطاه من الخيل والسلاح ، والعدد شيئاً كثيراً فخرج إليها ، وهذا حماد هو جدُّ بني حماد الذين كانوا ملوك أفريقية ، والقلعة المنسوبة إليهم مشهورة بأفريقية ومنهم أخذها عبد المؤمن بن علي .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قبض بهاء الدولة على الفاضل وزيره ، وأخذ ماله واستوزر بهاء الدولة سابور بن أردشير ، فأقام نحو شهرين وفرَّق الأموال ، ووقع بها للقواد قصداً ليضعف بهاء الدولة . ثم هرب إلى البطيحة وبقي منصب الوزراة فارغاً . واستوزر أبو العباس بن سرجسر .

وفيها استكتب القادر بالله أبا الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان . وفيها توفي أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق أبو حامد بن أبي إسحاق المزكي النيسابوري في شعبان ، وكان إماماً ، ومولده سنة ثلاث وعشرين[١] . وفيها توفي علي بن عمر بن محمد بن الحسن أبو إسحاق الحميري المعروف بالسكري وبالحربي وبالكيال[٢] ، ومولده سنة ست وتسعين ومائتين . وفيها توفي أبو الأغر دبيس بن عفيف الأسدي بخوزستان ؛ وأبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي صاحب قوت القلوب ، رُوي أنه صنف قوت القلوب وكان قوته عروق البردي[٣] .

---

(١) سمع الأصم وطبقته. وكان كثير العبادة من صغره الى كبره وصام في عمره سرداً تسعاً وعشرين سنة. قال الحاكم: وعندي ان الملائكة لم تكتب عليه خطيئة.

(٢) في شذرات الذهب ٣/١٢٠ «ويعرف أيضاً بالصيرفي» روى عن أحمد بن الصوفي. وعباد بن علي السيريني. والباغندي وطبقتهم توفي في شوال.

(٣) اصله من الجبل ونشأ بمكة وتزهد وسلك ولقي الصوفية وصنف ووعظ. وكان له لسان حلو في الوعظ والتصوف. وكان صاحب رياضة ومجاهدة نفس قال العتيقي: كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة وصنف كتاباً سماه قوت القلوب وذكر فيه أحاديث لا أصل لها وكان يعظ الناس في جامع بغداد.

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

ذكر موت الأمير نوح بن منصور[١] وولاية ابنه منصور

في هذه السنة توفي الأمير الرضا نوح بن منصور الساماني في رجب واختل بموته ملك آل سامان وضعف أمرهم ضعفاً ظاهراً ، وطمع فيهم أصحاب الأطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة . ولما توفي قام بالملك بعده ابنه أبو الحرث منصور بن نوح ، وبايعه الأمراء والقوّاد وسائر الناس ، وفرّق فيهم بقايا الأموال فاتفقوا على طاعته ، وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون . ولما بلغ خبر موته إلى إيلك خان سار إلى سمرقند ، وانضم إليه فائق الخاصة ، فسيَّره جريدة إلى بُخارى . فلما سمع بمسيره الأميرُ منصور تحيَّر في أمره وأعجله عن التجهز . فسار عن بخارى وقطع النهر ودخل فائق بُخارى ، وأظهر أنه إنما قصد المقام بخدمة الأمير منصور رعاية لحق أسلافه عليه ، إذهو مولاهم. وأرسل إليه مشايخ بُخارى ومقدمهم في العود إلى بلده وملكه، وأعطاه من نفسه ما يطمئن إليه من العهود والمواثيق ، فعاد إليها ودخلها ، وولي فائق أمره وحكم في دولته ، وولي بكتوزون أمرة الجيوش بخراسان، وكان محمود بن سبكتكين حينئذ مشغولاً بمحاربة أخيه إسماعيل على ما نذكره إن شاء الله تعالى . وسار بكتوزون إلى خراسان فوليها، واستقرَّت القواعد بها .

---

(١) هو الأمير ابو القاسم نوح بن الملك منصور بن الملك نوح بن الملك نصر بن الملك أحمد بن اسماعيل الساماني سلطان بخارى وسمرقند . وولي نوح هذا وله ثلاث عشرة سنة وتعصب له عضد الدولة بن بويه وأخذ له العهد والخلع من الخليفة الطائع على خراسان فأقام على خراسان وما حولها احدى وعشرين سنة وتسعة أشهر وتوفي في شهر رجب.

ذكر موت سبكتكين[1] وملك ولده إسماعيل

وفي هذه السنة توفي ناصر الدولة سبكتكين في شعبان ، وكان مقامه ببلخ وقد ابتنى بها دوراً ومساكن ، فمرض وطال مرضه وانزاح إلى هواء غزنة ، فسار عن بلخ إليها فمات في الطريق فنقل ميتاً إلى غزنة ودُفِنَ فيها . وكان مدة ملكه نحو عشرين سنة . وكان عادلاً ، خيراً ، كثير الجهاد ، حسن الاعتقاد ، ذا مروءة تامة ، وحسن عهد ووفاء ، لا جرم بارك الله في بيته ، ودام ملكهم مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم . وكان ابنه محمود أول من لُقِّبَ بالسلطان ، ولم يلقب به أحد قبله . ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده إسماعيل بالملك بعده . فلما مات بايع الجند لإسماعيل وحلفوا له ، وأطلق لهم الأموال ، وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا في الطلب حتى أفنى الخزائن التي خلَّفها أبوه .

ذكر استيلاء أخيه محمود بن سبكتكين على الملك

لما توفي سبكتكين وبلغ الخبر إلى ولده يمين الدولة محمود بنيسابور جلس للعزاء. ثم أرسل إلى أخيه إسماعيل يعزيه بأبيه ويعرفه أن أباه إنما عهد إليه لبعده عنه، ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير، ويطلب منه الوفاق وإنفاذ ما يخصه من تركة أبيه، فلم يفعل. وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة. فسار محمود عن نيسابور إلى هراة عازماً على قصد أخيه بغزنة، واجتمع بعمه بغراجق بهراة، فساعده على أخيه اسماعيل. وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه إلى غزنة. وبلغ الخبر إلى إسماعيل وهو ببلخ فسار عنها مجداً فسبق أخاه محموداً إليها. وكان الأمراء الذين مع إسماعيل كاتبوا أخاه محموداً يستدعونه ووعدوه الميل إليه فجدَّ المسير. والتقى هو

---

(١) كان سبكتكين ورد بخارى في ايام الامير نوح بن نصر الساماني المذكور وفاته في هذه السنة، فعرفه كبراء تلك الدولة بالشجاعة والشهامة وتوسموا فيه الرفعة وكان قدومه صحبة ابن السكين. فخرج ابن السكين إلى غزنة أميراً عليها وخرج سبكتكين في خدمته فلم يلبث ابن السكين ان توفي واحتاج الناس إلى من يتولى امرهم فاتفقوا على سبكتكين وامروه عليهم فتمكن واخذ في الإغارات على أطراف الهند وجرت بينه وبين الهنود حروب وعظمت سطوته وافتتح قلاعاً منيعة وفتح ناحية بست واتصل به أبو الفتح البستي الكاتب فاعتمد عليه وأسر إليه اموره. ثم مرض سبكتكين ببلخ فاشتاق إلى غزنة فسافر إليها فمات في الطريق.

وإسماعيل بظاهر غزنة واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم إسماعيل وصعد إلى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بأمان. فلما نزل إليه أكرمه وأحسن إليه وأعلى منزلته، وشركه في ملكه، وعاد إلى بلخ واستقامت الممالك له، وكانت مدة ملك إسماعيل سبعة أشهر. وهو فاضل حسن المعرفة له نظم ونثر، وخطب في بعض الجمعات فكان يقول بعد الخطبة للخليفة: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السموات والأرض أنت وليِّي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾[١] .

ذكر وفاة فخر الدولة بن بويه وملك ابنه مجد الدولة

في هذه السّنة توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه، بقلعة طبرق[٢] في شعبان. وكان سبب ذلك أنه أكل لحماً مشوياً، وأكل بعده عنباً فأخذه المغس، ثم اشتدَّ مرضه فمات منه. فلما مات كانت مفاتيح الخزائن بالري عند أم ولده مجد الدولة فطلبوا له كفناً فلم يجدوه. وتعذّر النزول إلى البلد لشدة شغب الديلم فاشتروا له من قيم الجامع ثوباً كفنوه فيه. وزاد شغب الجند فلم يمكنهم دفنه فبقي حتى انتن ثم دفنوه[٣]. وحين توفي قام بملكه بعده ولده مجد الدولة أبو طالب رستم، وعمره أربع سنين أجلسه الأمراء في الملك وجعلوا أخاه شمس الدولة بهمذان وقرميسين إلى حدود العراق. وكان المرجع إلى والدة أبي طالب في تدبير الملك وعن رأيها يصدرون وبين يديها في مباشرة الأعمال صاحب فخر الدولة، وأبو العباس الضبي الكافي .

---

(١) سورة يوسف ١٠١ .

(٢) في المعجم « طبرك » بالكاف قلعة على رأس جبيل بقرب مدينة الري على يمين القاصد الى خراسان .

(٣) توفي السلطان فخر الدولة أبو الحسن عَلي ابن السلطان ركن الدولة الحسين بن بويه بن فناخسرو الديلمي بالري بقلعة طبرك . وكان ابن اخيه بهاء الدولة بواسط فجلس للعزاء وجلس ابنه أبو منصور ببغداد ، وقيل : ان فخر الدولة سُمَّ وسُمَّ ولداه من بعده فمات الكل في هذه السنة . وزر له الصاحب بن عباد . وكان شجاعاً لقبه الخليفة الطائع لله بملك الأمة أو بفلك الأمة . وكان أجل من بقي من ملوك بني بويه .

ذكر وفاة مأمون بن محمد وولاية ابنه علي

وفيها توفي مأمون بن محمد صاحب خوارزم والجرجانية. فلما توفي اجتمع أصحابه على ولده علي وبايعوه واستقرّ ما كان لأبيه. وراسل يمين الدولة محمود بن سبكتكين، وخطب إليه أخته فزوجه واتفقت كلمتهما وصارا يداً واحدة إلى أن مات علي. وقام بعده أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون واستقرّ في الملك، فأرسل إلى يمين الدولة يخطب أخته أيضاً فأجابه إلى ذلك، وزوّجه، فداما أيضاً على الاتفاق والاتحاد مدة، وسيرد من أخباره معه سنة سبع وأربعمائة إن شاء الله تعالى ما تقف عليه.

ذكر وفاة العلاء بن الحسن وما كان بعده

في هذه السنة توفي أبو القاسم العلاء بن الحسن نائب صمصام الدولة بخوزستان، وكان موته بعسكر مكرم وكان شهماً، شجاعاً، حسن التدبير. ونفذ صمصام الدولة أبا علي بن أستاذ هرمز ومعه المال ففرقه في الديلم، وسار إلى جنديسابور، فدفع أصحاب بهاء الدولة عنها وجرت له معهم وقائع كثيرة، كان الظفر فيها له. وأزاح الأتراك عن خوزستان، وعادوا إلى واسط. وخلَتْ لأبي علي البلاد، ورتَّب العمال وجبى الأموال. وكاتب أتراك بهاء الدولة واستمالهم، فأتاه بعضهم فأحسن إليهم[1] واستمرَّ حال أبي علي في أعمال خوزستان. ثم إن أبا محمد بن مكرم والأتراك عادوا من واسط، واستعد أبو علي للحرب وجرى بينهم وقائع. ولم يكن للأتراك قوة على الديلم فعزموا على العود إلى واسط ثانياً. واتفق مسير بهاء الدولة من البصرة إلى القنطرة البيضاء، وكان ما نذكره إن شاء الله.

ذكر القبض على علي بن المسيب وما كان بعد ذلك

في هذه السنة قبض المقلد على أخيه علي. وكان سبب ذلك ما ذكرناه من الإختلاف الواقع بين أصحابهما بالموصل. واشتغل المقلد، بما ذكرناه بالعراق، فلما خلا وجهه وعاد إلى الموصل عزم على الإنتقام من أصحاب أخيه. ثم خافه وعمل الحيلة في قبض أخيه، فأحضر عسكره من الديلم والأكراد وأعلمهم أنه يريد قصد

---

(١) في ذيل تجارب الأمم «فأجابه بعضهم وصار اليه من جملتهم قراتكين الريحي فملأ عينه وقلبه بالاحسان»

دقوقاً، وحلفهم على الطاعة. وكانت داره ملاصقة دار أخيه، فنقب في الحائط ودخل إليه ـ وهو سكران ـ فأخذه وأدخله الخزانة وقبض عليه، وأرسل إلى زوجته يأمرها بأخذ ولديه قرواش، وبدران واللحاق بتكريت قبل أن يسمع أخوه الحسن الخبر. ففعلت ذلك وخلصت. وكانت في الحلة التي له على أربعة فراسخ من تكريت. وسمع الحسن الخبر فبادر إلى الحلة ليقبض أولاد أخيه فلم يجدهم، وأقام المقلد بالموصل يستدعي رؤساء العرب،ويخلع عليهم واجتمع عنده زهاء ألفي فارس. وسار الحسن في حلل أخيه ومعه أولاد أخيه علي وحرمه، ويستنفرهم على المقلد واجتمع معهم نحو عشرة آلاف، وراسل المقلد يؤذنه بالحرب فسار عن الموصل وبقي بينهم منزل واحد، ونزل بإزاء العلث[1] فحضره وجوه العرب، واختلفوا عليه فمنهم من أشار بالحرب، منهم رافع بن محمد بن مقن، ومنهم من أشار بالكف عن القتال وصلة الرحم، منهم غريب بن محمد بن مقن. وتنازع هو وأخوه. فبينما هم في ذلك، قيل للمقلدان أختك رُهَيلَةَ بنت المسيب تريد لقاءك وقد جاءتك. فركب، وخرج إليها فلم تزل معه حتى أطلق أخاه علياً وردَّ إليه ماله، ومثله معه وأنزله في خيم ضربها له. فسر الناس بذلك وتحالفا، وعاد علي إلى حلته، وعاد المقلد إلى الموصل، وتجهَّز للمسير إلى أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي لأنه تعصب لأخيه علي وقصد ولاية المقلد بالأذى، فسار إليه. ولما خرج علي من محبسه، اجتمع العرب إليه وأشاروا عليه بقصد أخيه المقلد؛ فسار إلى الموصل وبها أصحاب المقلد، وامتنعوا عليه فافتتحا، فسمع المقلد بذلك فعاد إليه، واجتاز في طريقه بحلة أخيه الحسن. فخرج إليه ورأى كثرة عسكره فخاف على أخيه علي منه، فأشار عليه بالوقوف ليصلح الأمر، وسار إلى أخيه علي وقال له: إن الأعور ـ يعني المقلد ـ قد أتاك بحده وحديده،وأنت غافل. وأمر بإفساد عسكر المقلد، فكتب إليهم فظفر المقلد بالكتب فأخذها. وسار مجداً إلى الموصل فخرج إليه أخواه علي والحسن وصالحاه ودخل الموصل وهما معه. ثم خاف علي فهرب من الموصل ليلاً وتبعه الحسن. وترددت الرسل بينهم فاصطلحوا على أن يدخل أحدهما البلد في

---

(١) نقل في ذيل تجارب الأمم ما قالته اخته له: «يا مقلد قد ركبت مركباً وضيعاً وقطعت رحمك وعققت ابن ابيك فراجع الأولى بك وخل عن الرجل واكفف هذه الفتنة ولا تكن سبباً لهلاك العشيرة ومع هذا فإنني أختك ونصيحتي لاحقة بك ومتى لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب فلان في يدها ووعدها باطلاق علي وعاد في رقته يأمر بفك قيده».

غيبة الآخر، وبقوا كذلك إلى سنة تسع وثمانين. ومات علي سنة تسعين، وقام الحسن مقامه فقصده المقلد ومعه بنو خفاجة. فهرب الحسن إلى العـراق وتبعه المقلد فلم يدركه فعاد ولما استقرَّ أمر المقلد بعد أخيه علي وسار إلى بلد علي بن مزيد الأسدي، فدخله ثانية. والتجأ ابن مزيد إلى مهذب الدولة فتوسط ما بينه وبين المقلد، وأصلح الأمر معه وسار المقلد إلى دقوقا فملكها.

ذكر ملك جبرئيل دقوقا

في هذه السنة ملك جبرئيل بن محمد دقوقا. وهذا جبـرئيل كـان من الرجـالة الفرس ببغداد وخدم مهذب الدولة بالبطيحة، فهم بالغزو وجمع جمعاً كثيراً واشتروا السلاح، وسار. فاجتاز في طريقه بـدقوقـا،فوجد المقلد بن المسيب يحـاصرهـا. فاستغاث أهلها بجبرئيل، فحماهم ومنع عنهم، وكان بدقوقا رجلان نصرانيان قد تمكنا في البلد وحكما فيه واستعبدا أهله، فاجتمع جماعة من المسلمين إلى جبرئيل وقالوا له: إنك تريد الغزو ولسْتَ تدري أتبلغ غرضاً أم لا؟ وعندنا من هذين النصرانيين من قد تعبدنا وحكم علينا فلو أقمت عندنا وكفيتنا أمرهما ساعدناك على ذلك، فأقام وقبض عليهما وأخذ مالهما وقوي أمره، فملك البلد في شهر ربيع الأول وثبت قدمه. وأحسن معاملة أهل البلد وعدل فيهم وبقي مدة على اختلاف الأحوال. ثم ملكها المقلد وملكها بعده محمد بن عناز ثم أخذها بعده قرواش، ثم انتقلت إلى فخر الدولة أبي غالب. فعاد هذا جبرئيل حينئذ إلى دقوقا واجتمع مع أمير من الأكراد يقال لـه: موصـك بن جكويه، ودفعا عمال فخر الدولة عنها وأخـذاها فقصـدها بـدران بن المقلد وغلبهما وأخذها منهما.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة خرج أبو الحسن علي بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة فسيَّر إليه عسكراً فهرب من بين يديهم إلى مكان لا يقدرون على الوصول إليه فيه. ثم أرسل بهاء الدولة وأصلح حاله معه وعاد إلى طاعته[1].

---

(١) وسبب خروج أبي الحسن علي بن مزيد عن طاعة بهاء الدولة أنه تأخر بمال فطولب به فكاشفه بالخطاب وانتسب الى طاعة صمصام الدولة وأقام الخطبة له وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الامساك عنه =

وفيها توفي أبو الوفاء محمد بن المهندسي الحاسب. وفيها في المحرم تـوفي عبيدالله بن محمد بن حمران أبو عبدالله العكبري ـ المعروف بابن بطة الحنبلي ـ وكان مولده في شوال سنة أربع وثلاثمائة وكان زاهداً، عابداً، عالماً، ضعيفاً في الرواية(١). وفيها في ذي القعدة توفي أبو الحسن محمد بن أحمد بن إسماعيل ـ المعروف بابن سمعون ـ الواعظ الزاهد له كرامات، وكان مولده سنة ثلاثمائة(٢). وفيها في تاسع ذي الحجة توفي الحسن بن عبدالله بن سعيد أبو أحمد العسكري الراوية العلامة صاحب التصانيف الكثيرة في الأدب، واللغة، والأمثال، وغيرها(٣).

= وانبسطت بنو أسد في الغارة على نواحي واسط فغاظ بهاء الدولة فعله وعرض عن أمر المقلد ما استقل به عن غيره فلما استقرت الحال معه كتب بهاء الدولة الى ابي جعفر بالمسير الى ابن مزيد من بغداد وسير أبا العباس بن ماسرجس من واسط فاجتمعا واندفع ابو الحسن علي بن مزيد من بين أيديهما معتصماً بالآجام وتتبعاه فراسلهما واستعطفهما وسأل اصلاح أمره مع بهاء الدولة وبذل على ذلك بذلاً.

(١) هو الامام الكبير الحافظ ولد يوم الاثنين لأربع خلون من شوال سنة أربع وثلاثمائة وافتى وهو ابن خمس عشرة سنة روى عن البغوي وأبي ذر بن الباغندي وابن صاعد وسمع من خلائق لا يحصون فإنه سافر الكثير الى مكة والثغور والبصرة وغير ذلك وصحبه جماعة من شيوخ المذهب منهم أبو حفص البرمكي، وأبو عبد الله بن حامد، وأبو إسحاق البرمكي ومن مؤلفاته: الرد على من قال الطلاق ثلاث: لا يقع. صلاة النافلة في شهر رمضان بعد المكتوبة وذم البخل. تحريم الخمر. ذم الغناء والاستماع اليه. التفرد والعزلة. ترجمه الخطيب البغدادي وطعن عليه بسبب بعض الجرح في ابن بطة الذي اسنده.

(٢) قال القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان: ٤/٣٠٤ ـ ٣٠٥: كان وحيد دهره في الكلام على الخواطر وحسن المواعظ وحلاوة الاشارة ولطف العبارة. وادرك جماعة من جلة المشايخ وروى عنهم منهم الشيخ ابو بكر الشبلي وانظاره. وكان الباقلاني والاسفرائيني يقبلان يده ويجلانه. وكان يقال له: الناطق بالحكمة، وسمعون ـ بفتح السين المهملة وسكون الميم وضم العين المهملة وسكون الواو بعدها نون.

(٣) ولد يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين قال السلفي: كان من الأئمة المذكورين في التصرف في أنواع العلوم والتبحر في فنون الفهوم سمع ببغداد، والبصرة وأصبهان، وغيرها من ابي القاسم البغوي، وأبي بكر بن دريد ونفطويه وغيرهم وأكثر وبالغ في الكتابة واشتهر في الآفاق بالدراية والاتقان وانتهت إليه رياسة التحديث والاملاء للآداب والتدريس بقصر خوزستان ورحل اليه الأجلاء روى عنه أبو نعيم الأصبهاني وأبي سعد الماليني.

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

ذكر عود أبي القاسم السيمجوري إلى نيسابور

قد ذكرنا مسير أبي القاسم بن سيمجور أخي أبي علي إلى جرجان ومقامه بها. فلما مات فخر الدولة أقام عند ولده مجد الدولة، واجتمع عنده جماعة كثيرة من أصحاب أخيه. وكان قد أرسل إلى شمس المعالي يستدعيه من نيسابور ليسلمها إليه فسار إليه حتى وافى جرجان. فلما بلغها رأى أبا القاسم قد سار عنها فعاد شمس المعالي إلى نيسابور. فكتب فائق من بُخارى إلى أبي القاسم يغريه ببكتوزون، ويأمره بقصد خراسان وإخراج بكتوزون عنها لعداوة بينهما. فسار أبو القاسم عن جرجان نحو نيسابور وسيَّر سرية إلى أسفراين، وبها عسكر لبكتوزون. فقاتلوهم وأجلوهم عن أسفراين واستولى أصحاب أبي القاسم عليها. وسار أبو القاسم إلى نيسابور فالتقى هو وبكتوزون بظاهرها في ربيع الأول واقتتلوا واشتدَّ القتال بينهم، فانهزم أبو القاسم وقتل من أصحابه، وأسر خلق كثير. وسار أبو القاسم إلى قهستان وأقام بها حتى اجتمع إليه أصحابه. وسار إلى بوشنج واحتوى عليها وتصرَّف فيها فسار إليه بكتوزون، وترددت الرسل بينهما حتى اصطلحا وتصاهرا، وعاد بكتوزون إلى نيسابور.

ذكر استيلاء محمود بن سبكتكين على نيسابور وعودهم عنها

لما فرغ محمود من أخيه وملك غزنة وعاد إلى بلخ، رأى بكتوزون قد ولي خراسان على ما ذكرناه. فأرسل إلى الأمير منصور بن نوح يذكر طاعته والمحاماة عن دولته، ويطلب خراسان. فأعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره بأخذ ترمذ، وبلخ وما وراءها من أعمال بست وحراة، فلم يقنع بذلك وأعاد الطلب فلم يجبه إلى ذلك. فلما تيقَّنَ المنع سار إلى نيسابور، وبها بكتوزون. فلما بلغه خبر مسيره نحوه، رحل عنها، فدخلها محمود وملكها. فلما سمع الأمير منصور بن نوح، سار عن بُخارى نحو

نيسابور. فلما علم محمود بذلك سار عن نيسابور إلى مرو الروذ ونزل عند قنطرة راعول ينتظر ما يكون منهم.

ذكر عود قابوس إلى جرجان

في هذه السّنة عاد شمس المعالي قابوس بن وشمكير إلى جرجان وملكها. ولما ملك فخر الدولة بن بويه جرجان، والري، أراد أن يسلم جرجان إلى قابوس فردّه عن ذلك الصاحب بن عباد وعظمها في عينه، فأعرض عن الذي أراده، ونسي ما كان بينهما من الصحبة بخُراسان، وأنه بسببه خرجت البلاد عن يد قابوس والملك عقيم. وقد ذكرنا كيف أخذت منه ومقامه بخراسان وإنفاذ ملوك السامانية الجيوش في نصرته مرة بعد أخرى فلم يقدر الله تعالى عود ملك إليه. ولما ولي سبكتكين خراسان اجتمع به، ووعده أن يسيِّر معه الجيوش ليرده إلى مملكته. فمضى إلى بلخ ومرض ومات.

فلما كانت هذه السنة بعد موت فخر الدولة سيَّر شمس المعالي قابوس الأصبهبذ شهريار بن شروين إلى جبل شهريار وعليه ـ رستم بن المرزبان خال مجد الدولة بن فخر الدولة ـ فاقتتلا. فانهزم رستم واستولى أصبهبذ على الجبل، وخطب لشمس المعالي. وكان باتي بن سعيد بناحية الإستندارية وله ميل إلى شمس المعالي، فسار إلى آمل وبها عسكر لمجد الدولة، فطردهم عنها واستولى عليها، وخطب لقابوس، وكتب إليه بذلك. ثم إن أهل جرجان كتبوا إلى قابوس يستدعونه. فسار إليهم من نيسابور وسار أصبهبذ، وباتي بن سعيد إلى جرجان، وبها عسكر لمجد الدولة، فالتقوا واقتتلوا. فانهزم عسكر مجد الدولة إلى جرجان. فلما بلغوها صادفوا مقدمة قابوس قد بلغتها فايقنوا بالهلاك وانهزموا من أصحاب قابوس هزيمة ثانية، وكانت قرحاً على قرح.

ودخل شمس المعالي جرجان في شعبان من هذه السنة. وبلغ المنهزمون الري فجُهِّزَت العساكر من الري نحو جرجان. فساروا وحصروها، فغلَت الأسعار بالبلد، وضاقت الأمور بالعسكر أيضاً، وتوالت عليهم الأمطار والرياح، فاضطروا إلى الرحيل. فتبعهم شمس المعالي فلحقهم وواقعهم، فاقتتلوا. وانهزم عسكر الري وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة وقُتِلَ أكثر منهم. فأطلق شمس المعالي الأسرى، واستولى على تلك الأعمال ما بين جرجان وأستراباذ. ثم إن الأصبهبذ حدَّث نفسه بالاستقلال والتفرُّد

عن قابوس، واغتر بما اجتمع عنده من الأموال والذخائر. فسارت إليه العساكر من الري وعليها المرزبان خال مجد الدولة، فهزموا أصبهبذ وأسروه، ونادوا بشعار شمس المعالي لوحشة كانت عند المرزبان من مجد الدولة. وكتب إلى شمس المعالي بذلك. وانضافت مملكة الجبل جميعها إلى ممالك جرجان، وطبرستان فولاها شمس المعالي ولده منوجهر، ففتح الرويان، وسالوس. وراسل قابوس يمين الدولة محموداً، وهاداه وصالحه واتفقا على ذلك.

ذكر مسير بهاء الدولة إلى واسط وما كان منه

في هذه السّنة عاد أبو علي بن إسماعيل إلى طاعة بهاء الدولة ـ وهو بواسط ـ فوزر له ودبر أمره وأشار عليه بالمسير إلى أبي محمد بن مكرم، ومن معه من الجند ومساعدتهم، ففعل ذلك. وسار على كره وضيق فنزل بالقنطرة البيضاء، وثبت أبو علي بن أستاذ هرمز وعسكره وجرى لهم معه وقائع كثيرة. وضاق الأمر ببهاء الدولة وتعذَّرَتْ عليه الأقوات، فاستمدَّ بدر بن حسنويه فأنفذ إليه شيئاً قام ببعض ما يريده، وأشرف بهاء الدولة على الخطر. وسعى أعداء أبي علي بن إسماعيل به حتى كاد يبطش به. فتجدد من أمر ابني بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتي ذكره، وأتاه الفرج من حيث لم يحتسب. وصلح أمر أبي علي عنده واجتمعت الكلمة عليه. وسيأتي شرح ذلك إن شاء الله تعالى.

ذكر قتل صمصام الدولة

في هذه السّنة في ذي الحجة قتل صمصام الدولة بن عضد الدولة. وسبب ذلك أن جماعة كثيرة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لأنه أمر بعرضهم وإسقاط من ليس بصحيح النسب فأسقط منهم مقدار ألف رجل، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون. واتفق أن أبا القاسم، وأبا نصر ابني عز الدولة بختيار كانا مقبوضين فخدعا الموكلين بهما في القلعة، فأفرجوا عنهما فجمعا لفيفاً من الأكراد واتصل خبرهما بالذين أسقطوا من الديلم، فأتوهم وقصدوا إلى أرجان فاجتمعت عليها العساكر. وتحيَّر صمصام الدولة ولم يكن عنده من يدبره.

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقيماً بنسا، فأشار عليه بعض من عنده بتفريق ما عنده من المال في الرجال والمسير إلى صمصام الدولة، وأخذه إلى عسكره بالأهواز وخوف إن لم يفعل ذلك. فشحَّ بالمال، فثار به الجند ونهبوا داره، وهربوا. فاختفى فأخذ وأتي به إلى ابني بختيار فحُبِسَ ثم احتال فنجا. وأما صمصام الدولة فإنه أشار عليه أصحابه بالصعود إلى القلعة التي على باب شيراز والامتناع بها إلى أن يأتي عسكره ومن يمنعه، فأراد الصعود إليها فلم يمكنه المستحفظ بها. وكان معه ثلاثمائة رجل فقالوا له: الرأي أننا نأخذك ووالدتك ونسير إلى أبي علي ابن أستاذ هرمز.

وأشار بعضهم بقصد الأكراد وأخذهم والتقوّي بهم ففعل ذلك. وخرج معهم بخزائنه وأمواله فنهبوه وأرادوا أخذه فهرب. وسار إلى الدودمان على مرحلتين من شيراز. وعرف أبو نصر بن بختيار الخبر فبادر إلى شيراز. ووثب رئيس الدودمان ـ واسمه طاهر ـ بصمصام الدولة فأخذه وأتاه أبو نصر بن بختيار، وأخذه منه فقتله في ذي الحجة. فلما حمل رأسه إليه قال: هذه سنة سنها أبوك. يعني ما كان من قتل عضد الدولة بختيار ـ وكان عمر صمصام الدولة خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر. ومدة إمارته بفارس تسع سنين وثمانية أيام[1]. وكان كريماً حليماً، وأما والدته فسلِّمَتْ إلى بعض

---

(١) قال في ذيل تجارب الأمم: «وما أقلها من مدة وأسوأها من عاقبة امر فلقد كانت حلاوة دولته يسيرة ومرارة مصائبه في ملكه ونفسه كثيرة فما وفى شهده بصابه ولا عوافيه بأوصابه ولم يكن له في ايامه يوم زاهر ولا في ملكه نصيب وافر.

وان امرأً دنياه اكبر همه ... لمستمسك فيها بحبل غرور =

قواد الديلم فقتلها، وبنى عليها دكة في داره. فلما ملك بهاء الدولة فارس أخرجها ودفنها في تربة بني بويه.

ذكر هرب ابن الوثاب

في هذه السنة هرب أبو عبدالله بن جعفر المعروف بابن الوثاب من الاعتقال في دار الخلافة. وكان هذا الرجل يقرب بالنسب من الطائع وكان مقيماً في داره ، فلما خلع الطائع هرب هذا وصار عند مهذب الدولة. فأرسل القادر بالله في أمره فأخرجه فسار إلى المدائن. وأتى خبره إلى القادر فأخذه وحبسه فهرب هذه السنة ومضى إلى كيلان وادعى أنه هو الطائع لله وذكر من أمور الخلافة ما كان يعرفه. وزوَّجه محمد بن العباس مقدم كيلان وشدَّ منه، وأقام له الدعوة، وأطاعه أهل نواح أخر وأدوا إليه العشر على عادتهم. وورد من هؤلاء القوم جماعة يحجون فأحضرهم القادر، وكشف لهم حاله وكتب على أيديهم كتباً في المعنى فلم يقدح ذلك فيه. وكان أهل كيلان يرجعون إلى القاضي أبي القاسم بن كج، فكوتب من بغداد في المعنى، فكشف لهم الأمر فأخرجوا أبا عبدالله عنهم.

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة عظم أمر بدر بن حسنويه وعلا شأنه ولقب من ديوان الخليفة ناصر الدين والدولة، وكان كثير الصدقات بالحرمين ويكثر الخرج على العرب بطريق مكة ليكفوا عن أذى الحجاج ومنع أصحابه من الفساد وقطع الطريق، فعظم محله وسار ذكره.

وفيها نظر أبو علي بن أبي الرَّيان في الوزارة بواسط. وفيها مات أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الجكار (١).

= وقبض على والدته وعلى الرضيع وقوم من الحواشي وجاءت امرأة من الدودمان تسمى فاطمة فغسلت جثته وكفنتها ودفنتها واحضر رأسه في طست بين يدي ابي نصر بن بختيار فلما رآه قال مشيراً اليه : « هذه سنة سنها ابوك » وامر برفعها ، وأما والدته فانها سلمت الى لشكرلستان كور فطالبها وعذبها فلم تعطه درهماً واحداً فقتلها وبنى عليها دكة . وأما الرضيع فانه قتل بعد ذلك وبعد ان صودر واستصفي ماله » .

(١) في البداية والنهاية ١١ /٣٤٧ « عبد العزيز بن يوسف بن الحطان أبو القاسم كاتب الانشاء لعضد الدولة ثم وزر لابنه بهاء الدولة خمسة أشهر وكان يقول الشعر توفي في شعبان منها .

الفهرس